شعر يوم ذي قار في العصر الجاهلي

"جمع وتوثيق ودراسة"

دار الجندي للنشر والتوزيع – القدس
*
darjundi46@gmail.com

شعر يوم ذي قار في العصر الجاهلي

د. **عصام عبد الحليم محمد اخلاوي**

*

الطبعة الأولى (2023).
*

جميع الحقوق محفوظة لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، بدون إذن خطي من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without prior permission of the publisher.

شعر يوم ذي قار في العصر الجاهلي

"جمع وتوثيق ودراسة"

عصام عبد الحليم محمد اخلاوي

الطبعة الأولى

2023 م

الإهـــــــــداء .

❖ إلى سُلطانَـيْ جَنتـيْ ، ورُكنيْ عِـزّي وفَخَـاري ، أمُّـي وأبِـي .

❖ إلى ثـروةٍ ما عُـرِفَ لهـا ثَمَن ، عَصيـةٍ حَيـثُ المِحَـن ، أعلـو بها مَلِـكًا في ذا الـزَّمن ، إخـوتي .

❖ إلــى أساتِــذتِي الكِرام الّـذينَ كـانوا بمثابةِ نُـورِ الهُـدى للطّـالبِ الضَّـالِّ ، وأخُـصُّ دكتوري المُشـرف جَمــال غِيظـان .

❖ إلى الخطيبة الغالية " تمارا السويطي " .

❖ إلــى كلّ مَنْ كانَ سَنَدًا لي فِــي هذِهِ الدّراسةِ .

الشُّكــرُ والتَّقديرُ .

فِي البِدايةِ أحمَدُ اللّهَ رَبَّ العَالمِين ، حَمدًا يَلِيقُ بجَلالِ وَجهِهِ وَعَظيمِ سُلطانِهِ على تَوفيقِهِ لِي في إنجَازِ هَذا العَمل ، ثُمّ أتقدَّمُ بِجزيلِ الشُّكرِ والعِرفانِ والامتِنانِ مِنَ الشَّمعةِ الَّتي أنارَتْ دربِي ، وأضَاءَتْ ظُلماتِ جَهلي الدَّكتور المُشرف " جَمال علي غيظان " ، ثُمَّ الأصدقاء الأعزَّأء : الدَّكتور" ناصر الطميزي" والأخ " عواد فطافطة " والأخ " سلام طميزي " الّذِين كانوا سَنَدًا لِي في كِتابة هَذه الدّراسَة حتَّى خرَجَت إلى حيّزِ الوُجودِ .

الباحث : عصام عبد الحليم اخلاوي

المـقدّمـــةُ .

الحَمدُ للهِ العَظيمُ سُلطانُهُ ، الجَزيلُ إحْسَانُهُ ، والصّلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ الخلقِ والمُرسَلينَ مُحمدٍ بنِ عبدِ اللهِ الهادي الأمّيّ الأمين ، أمّا بعدُ :

فقد حَظِيَ الشّعرُ الجاهليُّ عبرَ مَرّ العُصورِ الإسلاميَّةِ المتلاحقةِ بعنايَةِ النُّقادِ والباحثينَ ؛ لِما اكتَنَفَ هذا الشّعرَ مِنْ خصائصَ ومميزاتٍ مَهَّدتْ لأنْ يكونَ في طَليعةِ الشّعرِ العَربيّ عامّةً ، فَضْلا عمّا اعترى هذا الشّعرَ مِنْ جدليّةِ النّظمِ في عَصرٍ عِمادُ أخبارِه يقومُ على الرّوايةِ الشّفويةِ ، ورَغمَ سَطْوةِ الشّعرِ الجاهليّ على المَوروثِ الأدبيّ العربيّ ، وعَلاوةً على قتلِه بحثا – كما يُقال – إلا أنّ هذا الشّعرَ ما زالَ بحاجةٍ ماسّةٍ إلى مَزيدٍ مِنَ الدّراساتِ البنّاءة ، ليتسنّى الكشفُ عن خَباياه الدّفينةِ في بطونِ الكتبِ التّراثيّة .

عَاشَ العَربُ في عَصْرِهم الجاهليّ جَماعاتٍ مُمزَّقةً مُشرذمَةً ، تُسيطرُ عليهم التّبعيَّةُ في مجالاتِها المختلفةِ ، إذْ خَضَعتْ هذهِ التَّبعيةُ لسلطانِ الأعجميّ وهيمنَتِهِ سواءٌ أكانَ منْ أكاسرةِ فارس أم قياصرةِ الرّوم ، أمْ من غيرِهم ، وعلى واقِعها المُعاش آنذاك ، فقد شَهِدتْ حياةُ العَرَبِ نزاعاتٍ وفتنًا أدَّتْ إلى إشعالِ الحُروبِ بَينَ العَربِ أنفسِهم ، كيومِ جبلَة الّذي كانَ بينَ مُعظمِ قبائلِ العَرب ، أو بينَ العَربِ من جهةٍ والعجمَ ومواليهم مِنْ جهةٍ أخرَى كيومِ ذي قار ، وهوَ موضوعُ الدِّراسةِ الَّذي تبلوَرَ عنوانُهُ تحتَ مُسمّى " **شِعرُ يومِ ذي قار في العَصرِ الجاهليّ : " جمعٌ ، وتوثيقٌ ، ودراسةٌ** " .

لمْ يَكنْ يَومُ ذي قار بَينَ أبناءِ العُروبةِ أنفسِهم ، وإنّمَا كانَ بينَ أشرسِ إمبراطوريةٍ آنذاك – إمبراطوريةُ الفرسِ – ومواليهم من جهةٍ ، وبينَ العربِ منْ جهةٍ أُخرى ، ومِمّا كانَ دافعًا لاختيارِ المَوضوعِ عَدمُ الكتابةِ فيه بشموليةٍ ووضوحٍ ، وبخاصّة أنَّ يومَ ذي قار كانَ مَفصِلًا حاسِمًا وفيْصلًا

مُشرِّفًا في تاريخِ الأمّةِ العربيّةِ ، إذْ سطّرَ العَربُ فيه انتصارًا مُؤزَّرًا يَجدرُ بنا اخراجُه مِنْ بُطونِ الكتُبِ التُّراثيّة ، ووضْعُهُ بينَ يدي الدّارسين بشكلٍ سَهلٍ ميسَّرٍ وواضح ، ويَجبُ علينا تخليدُه .

وتتَرَكزُ أهميَّةُ هذا اليوم أيضًا منْ خلالِ تغنّى الشّعراءِ والمؤرخِينَ بِهِ ، فهذا أبو عُبيدة – مَعْمَر ابن المثنّى– يقولُ : " أيّامُ العَربِ العِظامِ في الجاهليةِ ثَلاثةٌ : يَومُ جبَلَةَ ، ويومُ كُلاب ، ويومُ ذي قار "([1]) ، وجاءَ ديوانُ الأعشى أيضًا وثيقةً تاريخيةً أدبيةً جَمَعَتْ بينَ دفَّتيها تأريخًا نابضًا ليوم ذي قار . علاوةً على أنَّ هذا اليومَ يعكسُ جانبًا مِنْ حَياةِ العَربِ السِّياسيّة والاجتماعيّة مِنْ حيثُ علاقاتُ القَبائلِ بعضهَا ببعضٍ وعلاقاتُ القبائلِ بالممَالِكِ المُجاورةِ ، فقدْ وحّدَ هذا اليومُ صُفوفَ العَربِ ، وجمعَ كَلمتَهم ، وشَدّ سَواعدَهم فتكاتفوا في وجْهِ كسرى وجيشِهِ ، فهَزَموا الفُرسَ شرّ هزيمةً ، وتغنّى الشّعراءُ بذلكَ النّصر أمدًا طويلًا ، فمِنَ الواجبِ علينا أنْ نوليَ هذا اليومَ اهتمامًا بالغًا ؛ افتخارًا بما جَاءَ بِهِ ، وتأريخًا له .

ولعلّي لمْ أكنْ أوَّلَ مَنْ دَرَسَ شعرَ الأيامِ في الجاهليّة ، فقدْ تناولَ الأدباءُ والباحِثونَ شعرَ الأيَّامِ كَثيرًا ، فَنَجِدُ إبراهيم شمس الدّين دَرَسَ مجموعَ أيَّامِ العَرَبِ في الجاهليّة والإسلامِ ، ومحمد أحمد جاد المولى وآخران درَسُوا أيَّامَ العَرَبِ في الجاهليّة ، وعَفيف عبد الرَّحمن وضَعَ ديوانَ شِعرِ الأيَّامِ ، ولكنَّ النَّاظرَ في هذه الدّراسات يجدُ أنَّهَا تناولتْ أيَّامًا كثيرةً ، فلا يُمكنُ أنْ يُعطى هذا اليوم حَقَه بالدّراسةِ في ظلِّ تناولِ أيّامٍ أخرى إلى جانِبِه ، فلم تتعمَّقِ الدِّراساتُ في شعرِ يومِ ذي قار ، بل كانت في معظمها ذِكْرُ بعْضِ أشعارِهِ ، ومنْهم مَنْ لمْ يتطرقْ ليومِ ذي قار نِهائيًا ، مِثلُ : إبراهيم شمس الدِّين في كتابه مجموعُ أيَّامِ العَرَبِ في الجاهليَّةِ والإسلام ، أمّا يومُ ذي قار فلا بدّ مِنْ دراستِهِ دِراسةً خاصّةً ، تَفصيليّةً مُستوفيةً جوانبَه ؛ لأهميتِهِ في تاريخِ العَرَبِ ؛ ولِما لَهُ مِنْ أثرٍ على نفوسِهم ومعنوياتِهِم .

---

[1] – الأصفهاني ، الأغاني ، 102/11 .

أرى أنَّ المنهجَ الوَصفيّ التّحليليّ هُوَ خيرُ معينٍ لي في هذِهِ الدّراسةِ منْ أوّلها إلى منتهَاهَا ، وكانَ للمنهجِ التّاريخيّ حُضورٌ في الفصلِ الأوّل ، في حينَ جاءَ المنهجُ النّفسيّ بقوّةٍ الفَصل الثّاني ، والمنهجُ الجَماليّ في الفَصلِ الثّالث ، وبهذا تتشكّل مَلامِحُ المَنهجِ التّكامليّ .

وفِيما يَختصُّ بمخَطَّطِ الدّراسةِ وهيكليةِ البَحثِ ، فقدْ جاءَتْ الدّراسةُ في قسمينِ ، الأوّلُ : مُقدمةٌ وثلاثَةُ فصولٍ ، تناولَ الفَصلُ الأولُ أحداثَ يومِ ذي قار ، وقد قُسِّمَ إلى ثلاثَةِ مباحثٍ ، أوَّلُها : دوافعُ يومِ ذي قار ، والثاني : الاستعدادُ للمعرَكَةِ ، والثالثُ : بدايةُ المَعرَكَةِ ومُجرياتُها ، أمّا الفَصلُ الثَّاني فكان شعرُ يومِ ذي قار " دراسةً موضوعيَّةً " ، وهذا الفصل تناولَ موضوعاتِ شعرِ يومِ ذي قار من فخرٍ ، ومدحٍ ، وتهديدٍ ووعيدٍ ، ورثاءٍ ، ووصفٍ ، وتحذيرٍ وتحريضٍ ، بينما كانَ نصيب الفصلُ الثّالث شعرَ يومِ ذي قار " دراسةً فنيَّةً " ، تناولَ في المبحثِ الأوّلِ اللُّغةَ والأسلوبَ ، والمبحث الثَّاني تشكَّلَ من الموسيقا بقسميها ، الخارجيَّةِ والداخليَّةِ ، أمّا المبحثُ الثَّالثُ فهوَ الصُّورةُ الشّعريّةُ البيانيَّةُ ، إذْ أخذَّ أربعةَ مباحثٍ هي : التشبيهُ ، والاستعارةُ ، والحقيقة والمجازُ ، والكنايةُ .

أمّا القِسمُ الثّاني فقد عَرَضَ بيانَ المنَهَجِ المتَّبعِ في الجمعِ والتوثيقِ ، ثُمَّ جَمعَ الشّعرِ وتوثيقِهِ مِن مَصادرِهِ الأصيلةِ بالرُّجوعِ إلى أمّاتِ الكتبِ التراثيَّةِ لبيانِ مُناسبَةِ النَّصّ الشّعريّ والرّواياتِ المُختلِفَةِ من المَصادرِ المُتَنوّعةِ ، إضافةً إلى الوُقوفِ عندَ نِسبةِ الأبياتِ إلى أصحابِها ، وتوضيحِ معاني ما أشكِلَ من مُفرداتٍ ، إلى أن اختُتِمَتِ الدّراسةُ بنهايةٍ تلخَّصت فيها أهمُّ النتائجِ والتوصياتِ الّتي توصَّلَ إليها الباحثُ .

وأَفَدتُّ مِنْ عَددٍ مِنَ المَصادرِ والمَراجعِ ، وكانَتْ كُتُبُ المُعجماتِ اللُّغويةِ في مقدّمَتِها : وهي معجمُ العَينُ للخليلِ بن أحمد الفراهيدي ، ولسانُ العَربِ لابن مَنظور ، وتاجُ العَروسِ للزَّبيدي ، إضافةً إلى كُتُبِ التَّراجمِ، ومِنها : الأغاني للأصفهاني ، والمَناقبُ المَزيديةِ للحلّي ، وغَيرِها العَشرات ، عَلاوةً

على كُتبِ النَّقدِ ، ومِنها : العُمدةُ لابن رَشيقٍ ، والبيانُ والتَّبيينُ للجاحظ ، وغيرِهما ، أمّا المَراجِعُ الحَديثةُ فكَانَ الاهتمامُ بتلكَ الكُتُبِ الَّتي عُنيتْ بالدّراسةِ الفَنيّةِ والنّقديةِ والتَّاريخية ، وأبرزُها بناءُ القَصيدةِ ليوسف بكار ، في النَّقدِ الأدبيّ والعصرِ الجاهليّ لشوقي ضَيف ، كمَا أنَّ لكتبِ الجغرافيا حُضورًا بارزًا في هذهِ الدّراسةِ وخصوصًا مُعجمُ البلدانِ للحَموي ، ومُعجمُ ما استعجم للبكري ، والرّوضِ المِعطار في خَبرِ الأقطارِ للحِميري .

وقدْ اعترضتنِي بَعضُ الصّعوباتِ في هذهِ الدّراسةِ ، تمثَّلتْ في العُثورِ على بَعضِ الكُتبِ التُّراثيّة ، ومِمّا عَسُر الوصولُ إليه كتابُ الأنساب للصّحاري الَّذي يَخدمُ الدّراسةَ ، وكتاب أشعارِ النِّساءِ للمرزباني وغيرِها ، علاوةً على قِلَّةِ الشّعرِ الّذي قِيلَ في يومِ ذي قار في العصرِ الجاهليّ ، فأغلبُ الآراءِ تجمعُ على أنَّ يَومَ ذي قار رافَقَ مَجيْء الرّسولِ وبعثَتِهِ ، فالمُدَّةُ الزّمنيةُ الّتي سبَقتْ الإسلامَ كانتْ محدودةً .

وفي الختامِ ، اللهَ أسألُ أنْ تكونَ هذِهِ الرّسالةُ قدْ بلَغَتْ هَدفَهَا ، وَوُفِقَت في إيصالِ رسالتِهَا المنشودةِ ، فإنْ أصبْتُ فمنَ الله جَلَّ شأنُه وعَلا ، وإنْ قصّرتُ فَمِنْ نَفْسِي .

الباحثُ : عصام عبد الحليم محمد اخلاوي

الفَصل الأوّل

– أحداثُ يَومِ ذي قار :

المبحَثُ الأوّل – دَوافعُ يَوْمِ ذي قار :

أولا- العَداءُ بَينَ كِسرى والنّعمان بن المُنذِرِ.

ثانيا – استجارَةُ النّعمانِ بالقَبائلِ العَرَبيّةِ وإيداعُهُ أدرُعَهُ في بني شَيبان .

ثالثا- هَلاكُ النّعمانِ وامتناعُ الشّيبانيينَ عن دفْعِ الأدرعِ لِكِسرى .

رابعا – سِجنُ كِسرى قيسَ بن مسعود الشّيبانيّ ثُمَّ قتلهُ .

خامسا – إغَارةُ الشّيبانيين عَلى سَوادِ فَارس .

المبحَثُ الثَّانِي – الاستِعدادُ للمَعرَكَةِ :

أولا – دَورُ أشرافِ الحِيرة والقبائلِ العَرَبيّةِ في التَّخطيطِ للمَعرَكَةِ .

ثانيا – تَخيُّرُ ذي قَار مَوقِعًا للمَعركَةِ .

ثالثا – استِعدادُ الشّيبانيينَ نفسيّا وماديّا .

المَبحثُ الثّالثُ – بِدايةُ المَعرَكَةِ ومُجرَياتُهَا :

أولا – انسحابُ الإياديين وجُموعٍ مِنَ العَرَبِ وأثرهُ في إضعافِ الفُرسِ .

ثانيا – التحَامُ الفَريقينِ .

ثالثا – نِهايةُ المَعرَكَةِ .

المبحثُ الأوَّلُ – دَوافِعُ يَومِ ذي قَار :

ظَهَرت عَديدٌ منَ العَوامِلِ الّتي سَاهَمَت في حُدوثِ يومِ ذي قار تَلخَّصت فِيما يَلي :

أولا – العَداءُ بينَ كِسرى والنّعمانِ بنِ المنذرِ :

قلّدَ كِسرى أبرويز بن هُرمز النّعمَانَ بن المُنذرِ مَنصبَ المُلكِ عَلَى الحِيرةِ ، بوصيّةِ عَديّ بن زيد العِبادي ، وهَذا الأمرُ أغضَبَ عَديَّ بن مرِينا الّذي أرادَ المُلكَ للأسودِ بنِ المُنذرِ– أخُ النّعمان– فاغتاظَ ابنُ مَرينا ، وبَدَأ يَمكُر لِعَدي ؛ لأنّه السَّببُ في تَملّك النّعمَان ، فَوَشى بِعديّ بن زيدٍ عندَ النُّعمَانِ ، واستَطاعَ ابنُ مَرينا أنْ يُقنعَ النّعمانَ أنَّ عديًا يزعمُ أنَّكَ عَامِلُهُ ، وأنَّه مَنْ ولاكَ ، ولولاهُ ما وُلّيتَ ، إلى أنْ أرسلَ النُّعمانُ إلى عديَّ بن زيد ثمّ أودَعَه في السِّجنِ ، وبعدَ ذلكَ بَعثَ كِسرى رسولا إلى النّعمَانِ يَدْعوه إلى فكِّ أسْرِ عَديّ بنِ زيد ، ولكنّ النُّعمَانَ أسرَعَ إلى قَتلِهِ ([1]) ، وهُنا تساؤل : لِمَاذا رفضَ النّعمانُ طَلَبَ سيّدِهِ كِسرى مَلكِ الفُرسِ ؟ رأى النُّعمانُ أنّ إطلاقَ سَراحِ عَدي مُؤشِرُ تَهديدٍ لحياتِهِ ، كَيفَ لا وعَدي كَانَ سَببًا فِي تَولّي النُّعمَان عَرشَ الحِيرةِ ؟ فلا يُمكِنُ أنْ يَسكُتَ عديٌّ على ظلمٍ كَهَذا ، وَهُوَ بَرِيءٌ مِنهُ ، فلمْ يتأنَّ النُّعمانُ في قرارِهِ فَقَتَلَهُ ([2]) .

رَجَعَ الرّسولُ إلى كِسرى وأخبرَهُ بموتِ عديّ ، فأيقنَ النّعمَانُ بِجُرمِه وندِمَ على فِعلتِهِ بَعدَ أنْ اجترأ عليه أعداؤه ، وذَاتَ يَومٍ خَرَجَ النّعمَانُ في بَعضِ صيدِهِ ، فَلَقِيَ ابنًا لعدِيّ يُقالُ لَهُ زيدٌ ، لمَّا رآهُ عَرَفَ شبهَهُ فقالَ : مَنْ أنتَ ؟ قَالَ : أنا زَيدُ بن عَدي بن زيد ، فكلّمَهُ فإذا هوَ غُلامٌ ظَريفٌ ، فَفَرِحَ بِهِ فَرَحًا شَديدًا ، وقَرّبَهُ وأعَطاه واعتذَرَ إليهِ مِنْ أمرِ أبيهِ ، وجَهّزه ثمَّ كَتَبَ إلى كِسرى : " إنّ عَديا كَانَ مِمّن أُعين بهِ المَلكُ في نُصحِهِ ولُبّهِ ، فأصَابَه ما لا بَدّ مِنه ، وانقَضَت مدَّتُهُ ، وانقطَعَ أُكُلُه ، ولمْ يُصَبْ بِهِ أحدٌ أشدّ مِنْ مُصيبتِي ، وأمّا المَلكُ فَلمْ يَكُنْ ليفقدَ رجلًا إلا جَعَلَ اللُهُ لَهُ منه خَلفًا ، لِمَا عَظّمَ اللهُ لَهُ مِنْ مُلكِهِ

---

[1] – ينظر : اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 213/1 –214 ؛ ابن الأثير ، تاريخ الأمم والملوك ، 148/1 .

[2] – ينظر : اليعقوبي ، م . س ، 213/1 .

وشَأنِهِ وقدْ أدرَكتُ لهُ ابنا ليسَ دونَهُ ، وقدْ سرَّحتُه إلى المَلكِ ، فإنْ رأى المَلكُ أنْ يجعَلَهُ مكانَ أبيه فليفعَلْ "([1]) .

يَتَّضِحُ ممَّا سَبقَ أنّ النّعمانَ أخذَ يتودَّدُ إلى زيدِ بنِ عَدي ، فقدْ قرّبَهُ مِنهُ واعتَذرَ إليهِ عمَّا حدَثَ ، ثمَّ جَهّزه لكَي يبعَثَهُ إلى كِسرى مَكانَ أبيهِ ، وشَدّدَ على ذِكرِ خِصالِهِ الحَميدَةِ ، وجَعَلَ قرارَ قَبولِهِ بينَ يديّ المَلِكِ ، إنْ شَاءَ استعمَلَهُ ، وإنْ شَاءَ تركَهُ ، ومَا كانَ هذا كُلُّهُ مِنَ النّعمانِ مَحبةً بزيد ، إنّمَا اعتذارا لَهُ ، ومُحاولةً للتَّعاطُفِ معَهُ ، ونَدامةً على فِعلَتِهِ ، وبهذا حَاولَ النّعمانُ أنْ يكبحَ غَضَبَ زيد لمقتلِ أبيهِ ، ليَحجمَ عن ثأرِهِ .

قَبِلَ كِسرى زَيدًا ، وجَعَلَهُ مَكانَ أبيهِ ، وأصبَحَ مِنْ خَاصَّةِ كِسرى ومُترجِميهِ ، فَلمّا وَقَعَ عِندَ المَلكِ بِهذا المَوقعِ سَأَلهُ كِسرى عَنِ النُّعمانِ فأحسَنَ الثّناءَ عَليه ، ومَكَثَ سنوات بمنزِلَةِ أبيهِ ، فَقَدْ أُعِجبَ بِهِ كِسرى ، وأكثر من الدُّخولِ عليه ، وكَانتْ لِملوكِ الأعَاجمِ صِفةٌ مِنَ النّساءِ مَكتوبةٌ عِندَهم ، وهي: بيضاء، نقية اللّون والثَّغر ، كحلاء ... ، فما زالوا يَبعثونَ فِي الأرضين بتلكَ الصّفةِ ، فإذا وُجِدتْ حُملتْ إلى المَلكِ ، غَيرَ أنّهُم لمْ يكونوا يتناولونَ أرضَ العَربِ بشيءٍ مِنْ ذلكَ ، ولا يريدونَهُ ([2]) .

وهُنا تساؤلٌ حَولَ هَذا الرَّأي : كَيفَ تخلّى الفُرسُ عَنْ طَلَبِ هَذهِ الصّفاتِ مِنْ أرضِ العَربِ رغم أنَّها الصّفات المُثلى عِندَهُم ؟ فقدْ أورَدَ الطَّبريُّ نَفسُه " أنَّ المُنذرَ الأكبرَ أهدى إلى كِسرى أنوشروان جَاريةً كانَ أصَابَها إذْ أغارَ على الحَارثِ الأكبرِ الغَسانيّ بنِ أبي شَمَّر، فَكَتبَ إلى أنوشروان يَصِفُها لَهُ ، وقالَ إنّي قدْ وَجَّهتُ إلى المَلكِ جَاريةً مُعتدلَةَ الخَلقِ ، نقيَّةَ اللَّونِ ... ، فقبِلَها كِسرى وأمَرَ بإثباتِ هَذه الصّفات

---

[1]– الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 476/1 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 112/2 ؛ الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 394/2 ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 485/1 .

[2]– ينظر : الطبري ، م . س ، 477/1 ؛ الأصفهاني ، م . س ، 114/2–116 ؛ الحلي ، م . س ، 394/2 ؛ ابن الأثير ، م . س ، 485/1–486 .

في دَواوينِهِ ، فلمْ يزالوا يتوارثونَهَا حتَّى أفَضَى ذلكَ إلى كِسرى بن هرمز "([1]) ، وهذا الرَّأيُ يُناقضُ رفْضَهم طَلَبَ الصّفات مِنْ أرضِ العَرَبِ ، ويُعلِّلُ صاحب الأغاني هذا التَّخلِّي بأنَّ الفُرسَ لا يَظُنونَ وجود هذه الصِّفات عندَ العَرَبِ في تِلكَ الفَترةِ ([2]) . ولَعَلَّ هذا التَّخلي راجعٌ إلى أنَّ هذهِ الصِّفاتِ زمنَ كسرَى أنوشروان اقتصرَتْ في بناتِ العَرَبِ فقط ، ولكنَّ زمنَ كِسرَى بن هُرمز قدْ توَفرَتْ هذهِ الصِّفاتُ في بناتِ غيرِ العَرَبِ أيضًا ، ممَّا دفَعَ إلى العُزوفِ عن طَلَبِها منَ العَرَبِ ؛ لاتساعِ رقعَةِ السّيطرةِ الفارسيَّةِ .

بَدَأ المَلكُ في طَلَبِ النّسَاءِ فَكَتبَ بتلكَ الصّفةِ ، ثمَّ دَخَلَ زيدٌ على كِسرى فَكلّمَهُ فيما دَخَلَ فيهِ ، ثُمَّ قالَ : إنّي رأيتُ المَلكَ كَتَبَ في نسوَةٍ يُطلَبن لَهُ ، فقرأتُ الصّفةَ ، وقدْ كُنتُ بآلِ المُنذرِ عالِمًا ، وعِندَ عَبدِكَ النّعمان مِنْ بناتِهِ وبناتِ عمَّهِ وأهلِهِ أكثرَ مِنْ عِشرينَ امرأةٍ على هذه الصّفةِ ، فَكَتَبَ فِيهنَّ وقَالَ أيّها المَلكُ : إنّ شَرّ شَيءٍ في العَرَبِ وفي النّعمان خَاصّة أنّهُم يَتَكرَّمُونَ في أنفُسِهم عَنِ العَجَم ، فأنا أكرَهُ أنْ يُغيبَهُنَّ عَمَّن تَبعث إليه ، أو يَعرِضَ عليهِ غَيرَهُنَّ ، وإنْ قَدِمتُ أنا عليه لمْ يَقدرْ أن يغيّبهُنَّ ، فابعثنِي وابعثْ مَعي رجُلا مِنْ حَرَسِك يفقهُ العَربيّة ، حتَّى أبلُغَ مَا تحبّهُ ، فبعَثَ مَعَهُ رجُلًا جَلْدا ([3]) .

خَرجَ بهِ زيدٌ حتَّى بَلغَ الحِيرةَ ، ودَخَلَ على النّعمان فأعظَمَه ، وقالَ إنّ كسرى قد احتاجَ إلى نِساءٍ لأهلِهِ وولدِهِ وأرادَ كرامتَك بِصهرِهِ ، فبعثَ إليك المَلكُ بصفاتِ النّساء ، وقد كانتْ هذه الصّفاتُ مكتوبَةً عِندَهُم وهي : " مُعتدلةُ الخَلقِ ، نقيّةُ اللّونِ والثّغرِ، بيضاءُ ، قمراءُ ، وطفاءُ ، كحْلاءُ ، دعْجاءُ ، حوراءُ ، عيْناءُ ، قنْواءُ ، شمّاءُ ، زجّاءُ ، بَرجاءُ ، أسيلةُ الخدِّ ، شَهيّةُ القدِّ ، جَثلةُ الشّعرِ، عَظيمَةُ الهَامةِ ، بَعيدَةُ مَهوى القرطِ ، عَيطاءُ ، عَريضَةُ الصّدرِ ، كَاعبُ الثّدي ، ضَخمَةُ مشاشِ المَنكبِ والعَضدِ ..." ([4]) .

---

[1]– الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 477/1 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 113/2–116 ؛ ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، 485/1–486 .

[2] – ينظر : الأصفهاني ، 113/2 .

[3]– ينظر : الأصفهاني ، م . س ، 113/2– 116 .

[4]– الوطفاء : كثيرة شعر الحاجبين . الحكلاء : هي التي تراها مكحولة وإن لم تكحل . الدعجاء : شديدة سواد العين . الحوراء : أن تسودَ عينها مثل الظباء . عيناء : جمعها عِين ، واسعة العين وهي صفة لبقر الوحش . قنواء : القنا هو=

لمّا أُعْجِبَ كِسرى بزيد قَرّبَهُ مِنهُ ، ويبدو أنَّ زيدًا بلغَ مِنَ الدّهاءِ والذّكاءِ شَأوا سَامقًا ، يَظهرُ عِندَما سَألَهُ كِسرى عَنِ النّعمانِ فأحسَنَ الثّناءَ عَليه ، لَيسَ حبّا بِهِ ، وإنّمَّا أرادَ بذلكَ أنْ يظهرَ تناسيًا لثأرِهِ ، وتَغافُلا عمَّا صَدَرَ عَنِ النّعمانِ ؛ ليدبّرَ لَهُ أمرًا مُهْلِكًا عِندَ كِسرى ، وسرعانَ ما جاءتْ الفُرصَةُ سَانحةً للنّيلِ مِنَ النّعمانِ ، فرأى زيدٌ كِسرى يطلبُ نساءً بصِفاتٍ مُعينةٍ ، فأرجَى هَذِهِ الصّفاتِ إلى بناتِ النّعمان وبناتِ عَمّه وقريباتِه ، ليتخذَ بهنَّ سَبيلا يَصِلُ في خِلالِهِ إلى غَايَة يَسعى إليها ، وهِيَ النيلُ مِنَ النّعمانِ ثأرا لِدَمِ والدِه .

اقتَنَعَ كِسرى بفكرةِ زيد ، وبَعَثَ في طَلَبِ النّساءِ مِنَ النّعمانِ ، لكنّ زيدًا رَفَضَ الذّهابَ وحدَه ، وأرادَ أنْ يَكونَ مَعَهُ شَاهدٌ على ردّ النّعمان ، تَوَقُّعًا مِنهُ بذلكَ الرّفض ، لِعلمِهِ اليقين بعاداتِ العَرَبِ وقيَمِهِم وهَذا الجَانبُ يُظهرُ دَهَاءَ زيد أيضًا ، وكَانَ قَدْ نبّهَ النّعمانُ مِنْ هَذا الرّدّ قَبلَ حُدوثِهِ ، فيَظهرُ ممّا سبقَ أنَّ زيدا شَرعَ ببدايةِ خطَّتِهِ ، فقدْ مَهَّدَ الطَّريقَ أمَامَ كِسرى بأمرِ الرَّفضِ ؛ لأنَّ العَرَبَ يتكرَّمُون عن العَجَم ، فكيف يتكرَّمُ العَرَبُ – وبخاصَّةٍ النعمان – عنِ العَجَمِ وقدْ سبَقَ وأنْ أهدى المُنذِرُ الأكبرُ كسرى أنوشروان جَاريةً عَرَبيَّةً تَحمِلُ تلكَ الصِّفاتِ ، ونرَى زيدا أيضًا يَعرِضُ على كِسرى بن هُرمز الأمرَ نفسَهُ ؟

إنّ المُنذرُ الأكبر وزيدًا لا يُمثِّلُونَ العَرَبَ قاطِبةً في أمرٍ كَهذا ، فَكلُّ إنسانٍ وطبعُهُ وتفكيرُهُ وثقافتُهُ ويتَّضِحُ في الأغَاني مِن خلالِ صِفاتِ هذه النِّساءِ أنّ الفُرسَ كانوا يأخذونهنَّ زوجاتٍ لهم ، إذ من

= ارتفاع في مقدمة الأنف واحديداب في وسطه وطول في طرفه . شماء : ارتفاع قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها وانتصاب الأرنبة . زجَّاء : رقيقة محط الحاجبين ودقتهما وطولها وسبوغهما . برجاء : سعة العين في شدّة بياض صاحبها. أسيلة الخدّ : خد أسيل ناعم لين سهل . جثل : الكثير الملتف . القرط : نوع من حلي الأذن ، كناية عن طول العنق . عيطاء : طويلة العنق . كعب الثدي : أي نهدَ . المشاش : رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : (وَطَفَ) ، (كَحَلَ) ، (دَعَجَ) ، (حَوَرَ) ، (عَينَ) ، (قَنَوَ) ، (شَمَمَ) ، (زَجَجَ)، (بَرَجَ) ، (أسَلَ) ، (جَثَلَ) ، (قَرَطَ) ، (عَيِطَ) ، (كَعَبَ) ، (مَشَشَ) .

صفاتِهِنَّ : " فقدْ أحكمَتْهَا الأمورُ في الأدَبِ ، ورأيُها رأيُ أهلِ الشَّرفِ ، وعملُهَا عملُ أهلِ الحَاجَةِ ، صناعُ الكَفينِ ، قَطيعَةُ اللِّسانِ ، رَهوةُ الصَّوتِ ، سَاكنتُهُ ، تُزَينُ الوَليَّ ، وتُشينُ العدوَّ ... " ([1]) .

مِنْ خِلالِ هذهِ الصِّفاتِ يظهرُ بَحثَ الفُرسِ عنْ نساءٍ يتزوجونَهَا ، والدَّليلُ أنّهُم يبحَثُونَ عنِ الأدَبِ والشَّرَفِ والحِكمةِ وغيرِها ، فلمْ يكنْ قَصْدُ المُنذرِ الأكبرِ بَعثَ نساءٍ عَرَبياتٍ جَواريَ لهم ، بل أصهارًا .

وَصَلَ زَيدٌ ورفيقُه إلى النّعمانِ ، فقرأ عَليه زيدٌ هَذهِ الصّفة ، فشَقّ عَليه ، فَقالَ لزيد والرّسولُ يَسمعُ : أمّا في عِينِ السّواد وفارس ما تبلغون حاجتَكُم ؟ فقالَ الرّسولُ لزيد : ما العِينُ ؟ قالَ : البقرُ ، فقالَ زيدٌ للنعمانِ : إنمّا أرادَ كرامتَك ، ولو علمَ أنّ هذا يشقّ عليكَ لمْ يكتبْ إليكَ به ، فأنزَلهُمَا يومينِ ، ثمَّ كَتَبَ إلى كِسرى إنّ الَّذي طَلَبَ المَلك لَيسَ عِندي ، وقَالَ لزيد : اعذرِني عِندَهُ فَلمّا رَجَعَ إلى كِسرى قَالَ زيدٌ للرَّسُولِ الَّذي جَاء : اصدُقْ المَلكَ الَّذي سَمعتَ مِنهُ ، فَإنّي سأحَدّثُه بحديثِك ولا أخالفُك فيهِ ([2]) .

بَدَأتْ مَلامِحُ المَكرِ والكَيدِ عِندَ زيدٍ لمَّا حرّفَ كَلامَ النّعمانِ في حَديثه عَنِ النّساءِ ، وقد رأى أبو عُبيدة – مَعمر بن المثنّى– ([3]) وابن قتيبة([4]) أنّ زيدا حرّف كِتابَ النّعمانِ ، فمَا كَانَ وصفُ النّعمانِ للنّساءِ بالعِين أو المَها أو البقرِ إلا تشبيهَا بِها في الجَمالِ ؛ لأنَّ العَربَ اعتادَتْ على تَشبيهِ النّسَاءِ بالعِين أوْ البقرِ في اتّساعِ عُيونِها ، فمَا كَانَ مِنْ زيد إلا أنْ حرّفَ القَولَ ، فأنزلَ قَصدَ النّعمانِ بتشبيههنَّ بالبَقَرِ للحَطِّ مِنْ قِيمتِهنَّ وقيمةِ كِسرى الَّذي يَبحَثُ عَنهنَّ .

دَخَلَ الرّسولان على كِسرى وقَالَ زَيد : هَذا كِتابُهُ ، فقرأهُ عَليه ، فَقَالَ لَهُ كِسرى : فأينَ الَّذي كُنتَ خبَّرتنِي بِهِ ؟ قالَ قدْ كُنتَ أخبَرتُك بضنّهم بنسائِهم على غَيرِهم ، وإنّ ذلكَ مِنْ شقائِهم واختيارِهم الجُوعَ

---

[1] – الأصفهاني ، 2/ 116 .

[2] – ينظر : ابن قتيبة ، المعارف ، 649–650 ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 214/1– 215 .

[3] – ينظر : أيام العرب قبل الإسلام ، 243/2

[4] - ينظر : ابن قتيبة ، م . س ، 650 .

والعُريّ على الشّبعِ والرّياشِ([1]) ، واختيارِهم السَّمومَ والرّياحَ على طيبِ أرضِكَ هذه حتّى أنّهُم ليسمُّونَهَا السّجنَ ، فَظَهَرَ الغَضَبُ في وجهِه ، ووَقَعَ في قَلبِه مِنهُ ما وقع ، ولكنّه قدْ قالَ ربُّ عَبدٍ قدْ أرادَ ما هوَ أشدّ منْ هذا فيصيّر أمرَهُ إلى التّباب ، وشَاعَ هذا الكلامُ فبلغَ النّعمانَ وسَكَتَ كِسرى على ذلكَ أشهرا ، وجعلَ النّعمانُ يستعدُّ ويتوقَّعُ حتَّى أتَاه كِتابُ استدعائِهِ([2]) يقولُ فيه : " بسم الله الرحمن الرحيم والي الرحمة ، منْ كسرى مَلكُ المُلوكِ إلى النعمانِ بن المُنذرِ أنْ أقدِم فإنَّ للمَلكِ إليكَ حاجةً "([3]) . وَمِنَ الجَديرِ ذِكرُهُ أنَّ الحِليَّ أوردَ كتابَ كِسرى للنُعمانِ مُبتَدِئًا بالبَسمَلَةِ ، وهذا يَستدعِي الوُقوفَ ، فَمنَ المُحالِ أنْ يَبدَأ كِسرى كِتابَهُ بالبَسمَلَةِ ، وهوَ عُنوانُ الكُفرِ ، وأشَدُّ أعداءِ الإسلامِ .

انطِلاقًا مِنَ العُرفِ العَربيّ والعَادَاتِ العَرَبيّةِ الأصيلَةِ ، رَدّ النّعمانُ طَلَبَ كِسرى مُعتذِرًا ممَّا أثارَ حَفيظتَهِ ، فغَضِبَ غَضَبًا شَديدًا ، وحَقدَ عَلى النّعمانِ ، وهذا مَا كَانَ يَصبو إليهِ زيد للنَّيلِ مِنه ، فبمَكرِ زيد وكيدِهِ أحَكمَ قبضتَه على النّعمانِ ؛ لذلكَ نَجحَ في خُطَّتِه ، فَجوهَرُ العَداءِ بينَ كِسرى والنّعمان يتمثَّلُ في رَدّ النّعمان طَلَبَ كِسرى ورفضِهِ إيّاه ، ومِنَ الجديرِ ذِكرُهُ أنَّ العَامِلَ المُساعِدَ الَّذي لَعِبَ دَورا مُهمّا في إقناعِ كِسرى بمَا جَاءَ بهِ زيد ، هُوَ ذلكَ الرَّجلُ الفَارسيّ الّذي اصطَحَبَه زيدٌ في مَسيرِهِ إلى النُّعمانِ ، فقدَ كَانَ خَيرَ شَاهدٍ على الأمر .

---

[1]- الرّياشُ : هو الأَثاث من المتاع ما كان من لِباسٍ أَو حشْوٍ من فراش أَو دِثارٍ . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ريش) .

[2]– ينظر: ابن قتيبة ، المعارف ، 650 ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 215/1 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 477/1 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 116/2–117 ؛ المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، 100/2–101 ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 486/1–487 ؛ ابن سعيد ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، 283/1–284 ؛ البغدادي ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، 370/1 .

[3]– الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 109/1 .

ثانيا– استجارةُ النّعمانِ بالقبائلِ العَربيّةِ ، وإيداعُه أدرُعَهُ في بني شَيبان :

الاستجارةُ هي طَلَبُ الإجارة : أي الإنقاذُ([1]) ، وهِيَ وسيلةٌ يَلجأ إليها الخَائفُ المَرعوبُ مِنْ أمرٍ عَظيمٍ قَدْ يَحُلُّ بِهِ ، ويلجأُ إليها الَّذي لا يقوَى على دَفعِ عَدوّ قادمٍ ، فلا يُمكِنُ أنْ يَقومَ بهذا الأمرِ إلا مَنْ كَانَ على ثقةٍ بالمواجَهة ، أو مَنْ كانَ كفؤا لَها .

جَعلَ النّعمانُ يَستعدُّ ويتوقَّعُ ؛ لأنّهُ يَعلمُ أنّه قَدْ أغضبَ كِسرى ، حَتَّى أتاهُ كتابُهُ أنْ أقبِلْ فإنّ للمَلكِ إليك حَاجَة ، فخَافَ وارتَعَبَ ، ثُمَّ جَهّز مَالَهُ وعِيالَهُ ، وحَمَلَ سِلاحَهُ ومَا قويَ عليه ، ثمَّ لحِقَ بجبلي طَيئ ، فأرادَ النّعمانُ أنْ تدخلَهُ قبيلةُ طيّيءٌ بينَ الجبلينِ ويمنعوهُ ، فأبوْا ذلكَ عليه ، وقالوا : لولا صِهرُك لقاتلناكَ ، فإنّهُ لا حَاجةَ لنا في مُعاداةِ كِسرى ، ولا طَاقةَ لنا بِهِ ، فأقبلَ يَطوفُ على قَبائلِ العَربِ ، لا يقبلُهُ أحدٌ مِنَ النّاس ، غَيرَ أنّ بني رواحة بن سعد من بني عبس قالوا : إن شِئتَ قاتلنَا مَعَكَ ؛ لِمنّةٍ كانتْ لَهُ عِندَهم ، فَقَالَ : لا أحِبُّ أنْ أهلكَكُم ، فإنّه لا طاقَةَ لكمْ بكِسرى ، فأقبلَ حتَّى نَزَلَ بذي قارٍ في بني شَيبان سِرًّا ، فلقِيَ هانئَ بن قبيصة الشّيبانيّ ، وكانَ سيّدًا منيعًا ، والبيتُ يومَئذٍ في ربيعةَ في آل ذي الجَدّين ، لقيسِ بن مسعود ([2]) ، وكَانَ كِسرى قدْ أطعَمَ قَيسَ بن مسعود الأبلّةَ ، فَكَرِهَ النّعمانُ أنْ يدفَعَ إليه أهلَهُ لذلكَ ، وعَلِمَ أنّ هانِئا مانعُه ممّا يمنعُ مِنهُ نفسَه ([3]) .

---

[1] – ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (جور) .

[2]– هو قيسُ بن مسعود بن خالد بن عبد الله ذي الجدين بن عمرو بن الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان . ينظر: ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، 253 ؛ البري ، الجوهرة ، 444/1 .

[3] – ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 70/2–71 وقال أن ابن مسعود لم يكن المستودع للحلقة وإنما هانئ بن قبيصة ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 262/5 ؛ ابن مسكويه ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، 237/1 ؛ المسعودي ، التنبيه والإشراف، 242 ؛ ابن رشيق ، العمدة ، 228/2 ؛ البكري ، معجم ما استعجم ، 1043/3 ؛ الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 398/2–404 ؛ الحموي ، معجم البلدان ، 293/4 ؛ البري ، م . س ، 444/1 . اختلف المؤرخون والأدباء في كونه هانئ بن قبيصة أم هانئ بن مسعود ، فهناك من انفرد بهانئ بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان – جد هانئ بن قبيصة – . ينظر : الكلبي ، نسب معد واليمن الكبير ، 23/1 . ابن قتيبة ، المعارف ، 603 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 54/24 ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 215/2 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 478/1 ؛ العسكري ، الأوائل ، 289 ؛ المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، 102/2 ؛ أبو الفداء =

نزلَ النعمانُ بينَ القَبائلِ مُستجيرًا ، فتنقّلَ بَينَ القَبائلِ عَلّ أحدَهم يُجيرُهُ ، ولكنّ الواضحَ أنّهم تنصَّلوا مِنهُ ، ورفَضُوا إجارتَه ، بوجهٍ عامٍّ ، بَيدَ أنّ القَبيلةَ الّتي استعدَّتْ لنجْدتِهِ هِيَ بَنو رَواحَة مِنْ بني عَبس ؛ لمنّةٍ ([1]) كانتْ لَهُ عَليهم ، فنجْدتُهُ لَمْ تَكنْ انطلاقًا منَ الوازعِ العَربيّ الأصيلِ المتمثّلِ في إجارةِ المُستجيرِ، وإنّما كانتْ ردّ مَعروفٍ كانَ عليهم .

وهُنا لا بُدّ مِنْ طَرحِ تساؤلٍ : أليسَ إجارةُ المستجيرِ عُرفًا عَرَبيًّا أصيلا ؟ فلماذا تَنَصّلَ العَربُ مِنْ إجارةِ النُّعمانِ ؟ يَبدو أنّ العَربَ تنصّلوا مِنْ إجَارته ؛ لأنّهُم لا طَاقَةَ لَهُم بكِسرى ، فَهمْ على يَقينٍ أنّهُم لا يَستطيعونَ الوقُوفَ في وجْهِ الفُرسِ ، فالجُبنُ جَعَلَهم يتخلّون عَنهُ ، وهذا ما صَرّحُوا بِهِ ، والأمرُ الآخرُ أنّهُ مِنَ المُتوقَّعِ أنّ كُرَهَهم للنّعمان وحِقدَهُم عليه كانَ سببًا آخر، عَلاوةً على الأحقادِ والضّغائنِ الّتي كانتْ بينَ بعضِ قَبائلِ العَربِ نتيجةً للحُروبِ الّتي دارتْ بينَهم ، وما يدلّلُ على ذلكَ أنّ العربَ كانوا في عصرٍ عمادُ عاداته نصرةُ المظلوم وإجارةُ المُستجيرِ وإغاثَةُ المُستغيثِ ، فَكَيفَ بمَلكٍ عَربيّ مِثل النّعمانِ يستجيرُ ولا يُجارُ ، ويتهرّبُون مِنهُ ؟ عَلاوةً على أنّهُم تَهدَّدوهُ بالقَتلِ لولا صِهرُه بهِم ، فهُم يعلَمونَ عِلمَ اليقينِ ما هيَ دولة الفُرسِ .

لمَّا استَجارَ النّعمانُ بهانئ بن قُبيصَةَ فقد أجارَهُ ، وقالَ لهُ : قد لزمَني ذِمامُك مِمّا أمنَعُ نَفسِي وأهلي وولدِي مِنهُ ما بقيَ مِن عشيرتي الأدنين رجُل ، وإنّ ذَلكَ غَيرُ نافعِك ؛ لأنّه مهلِكي ومهلكُكَ ، وعِندي رأيٌ لكَ لستُ أشيرُ بِهِ عليكَ لأدفعكَ عمّا تريدُه مِنْ مجاورتِي ، ولكنّه الصّوابُ ، فقالَ : هاته ، فقالَ : إنّ كُلّ أمرٍ يجملُ بالرّجلِ أنْ يكونَ عليه إلا أنْ يَكونَ بعدَ المَلك سوقةً ، والمَوتُ نازلٌ بكُلّ واحد ، ولئن تَموتَ كَريمًا خيرٌ مِنْ أنْ تتجرّعَ الذّلَّ أو تبقى سَوقةً بعدَ المُلك هذا إنْ بقيتَ ، فامْضِ إلى صاحبِكَ وأرسلْ إليه هَدايا ومَالا ، وألقِ نَفسَكَ بينَ يديهِ ، فإمّا أنْ يصفَحَ عنكَ فتعودَ ملكًا عزيزا ، وإمّا أنْ يصيبكَ ، فالمَوتُ

= المختصر في أخبار البشر ، 81/1 ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، 93/1 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، 180/2 ؛ الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، 260/1 .

[1] – المنة : هي العطية والإحسان . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (منن) .

خَيرٌ مِنْ أنْ يتلعبَ بكَ صَعاليكُ العَربِ ، ويتخطَفَكَ ذئابُها ، وتأكلَ مالَك وتعيشَ فقيرًا مجاورًا ، أو تُقتلَ مَقهورًا ، فقالَ : كيفَ بِجُرَمي ؟ قالَ : هنَّ في ذمّتي لا يخلُصَ إليهنّ حتّى يخلصُ إلى بناتي ، فقالَ : هذا وأبيكَ الرّأيُ الصّحيح ولنْ أجاوزَهُ "([1]) ، وقدْ كانَ رأيُ زوجِه المتجرّدة ([2]) أنْ يذهبَ إلى صَاحبِه ويعتذرَ إليه أيضا([3]) .

يَتبيّنُ أنّ هانئا تَجذرتْ فيه الحِكمَةُ والعَاداتُ العَربيّةُ الأصيلةُ ، مِنْ نَجدةِ المَظلومِ وإجارةِ المُستجيرِ ، فنراهُ يستقبلُ النّعمانَ ويطمئنُه ويرشدُهُ ، فكانَ حَكيما في رأيِهِ ونصيحا لهُ ، فأوصاه بالذّهابِ ، وجَعَلَهُ بينَ خياريْن إمّا أنْ يعيشَ كريما ، أو أنْ يموتَ عزيزا ، ورفضَ رفضًا قاطعًا أنْ يَكونَ النّعمانُ سَوقةً بعدَ مَا كانَ مَلِكًا عَظيمًا ، فأخذَ النّعمانُ برأيه واستعدَّ للذّهاب .

أخذَ النّعمانُ موثقًا مِنْ هانئ ، فاستودعَ حُرمتَه عِندَه ، وتَركَ أهلَهُ وابنتيهِ – هند وحُرقة – ومَالَهُ وسِلاحَهُ وحلقتَهُ([4]) ، وقِيلَ " أودَعَ ابنا لَهُ " ([5])، وقدْ تَباينتْ الآراءُ حَوْلَ كَميّة السِّلاحِ الَّتي أودَعَها النُّعمانُ عندَ الشّيبانيين ، فمنهُم مَنْ قالَ : إنّها " أربعةُ آلافِ درع " ([6]) ، وقيلَ إنّهَا " أربعُمائة درعٍ أو ثمانمائةِ درعٍ "([7]) فقالت الحُرقةُ بكاءً على مُلكِهِم([1]) : **[البحر الطويل]**

---

[1]– الأصفهاني ، الأغاني ، 2/ 118– 119 ؛ الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 401/2.

[2] – هي زوجة النعمان بن المنذر ، ملك الحيرة . ينظر : ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، 289/2 .

[3] – ينظر : الحلي ، م . س ، 401/2 .

[4] – ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 70/2 ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 215/1 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 478/1 ؛ العسكري ، الأوائل ، 289 ؛ الأصفهاني ، م . س ، 54/24 ؛ الحلي ، م . س ، 402/2 ؛ ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، 15/2 ؛ ابن سعيد ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، 282/1 .

[5] – ابن رشيق ، العمدة ، 228/2 .

[6] – اليعقوبي ، م . س ، 225/1 .

[7] – ابن مسكويه ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، 238/1 ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 487/1–488 ابن سعيد ، م . س ، 285/1 . ووردت أنها : " مئة درع " . ينظر : ابن قتيبة ، المعارف ، 603 . وقيل إنها : " ستمائة فرس وستمائة درع ". ينظر : البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، 106/1 . وردت أنها أربعمائة درع . ينظر: جرجي زيدان ، =

فبينا نَسوسُ الناسَ والأمرُ أمرُنا إذا نَحــنُ فيهم سوقةٌ نتنصَّفُ

فأفٍ لِـــــدنيا لا يـــــدومُ نعيمُها تُـــقلّب تـــاراتٍ بـــنا وتصرّفُ

تَشكُو حُرقةُ بنتُ النّعمان ما حَلّ بهِم ، وتقارنُ بينَ ما كانوا عَليه مِن السّيادةِ ، ومَا حَلّ بِهم ، حَيثُ أصبحُوا سَوقةً عِندَ قبائلِ العَربِ ، فَهِيَ تتضجّرُ مِن الدّنيا الَّتي لا يدومُ نَعيمُها ، وتقولُ إنّها متقلّبةُ الأحوالِ ، تتصرّفُ بهِم كيفمَا تشاءُ .

اختارَ النّعمانُ خَيلا وحُللا مِنْ عَصَبِ اليمنِ ، وجوهَرا وطرفا([2]) كانتْ عِندَه ، ووجّهَ بها إلى كِسرى، وكَتَبَ إليه يعتذرُ ويعلّمُهُ أنّه صَائرٌ إليه ، ووجّه بها مَعَ رسولِهِ فقبِلها كِسرى ، وأمرَه بالقدومِ ، فعادَ إليه الرّسولُ فأخبرهُ بذلكَ ، وأنّه لمْ يَرَ لَهُ عِندَ كِسرى سُوءا ([3]) .

أقبلَ النّعمانُ حَتَّى أتَى المَدائنَ([4]) فَصَفّ لَهُ كِسرى ثَمانيَةُ آلافِ جَارية ، عليهنّ المصبّغاتُ صفين ، فلمّا صَارَ النّعمانُ بينهنَّ ، قُلنَ لَهُ : أما فينا للمَلكِ غِنى عَن بقرِ السّوادِ ؟!

فعلمَ النّعمانُ أنّه غيرُ ناجٍ منهُ "([5]) .

= العرب قبل الإسلام ، 281 . ووردت أنها سبعة آلاف درع . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 294/4 . ووردت أنها ألف شكة وقيل أربعة آلاف شكة ، الأصفهاني ، الأغاني ، 54/24 ؛ البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، 596/5 ، وقال ابن خلدون : " شكة ألف فارس " ؛ تاريخ ابن خلدون ، 180/2 . والشكة بكسر الشين وتشديدها السلاح . ينظر : الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مادة (شكك) .

[1] – الجاحظ ، المحاسن والأضداد ، 15/1 ؛ النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، 198/23 . وقد جاء هذا البيت في رواية الحلي في المناقب المزيدية مصابا بالخرم ، حيث حذف مقطع قصير من أوله في كلمة (بينا) .

[2]– رويت في المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية (ظرفا) وعصبا واقطا وسمنا . ينظر: الحلي ، 401/2 .

[3] – ينظر : الأصفهاني ، م . س ، 119/2 .

[4]– المدائن : كانت مسكن الملوك من الأكاسرة الساسانية ، وغيرهم فكان كلّ واحدٍ منهم إذا مُلّك بنى لنفسه مدينة إلى جنب التي قبلها ، وكان فتح المدائن كلها على يد سعد بن أبي وقاص في صفر سنة 16 هـ ، في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ينظر: الحموي ، م . س ، 74/5–75 .

[5]– ابن قتيبة ، المعارف ، 650 ؛ المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 101/2 . وقد ورد عدد الجواري ألفين جارية . ينظر : الحلّي ، م . س ، 402/2 .

مَضى النُّعمانُ حتّى لقيَه زيدُ بن عَدي على قنطَرةِ ساباط ([1]) ، فقالَ لَهُ : انجُ نُعيم إنْ استطعتَ النّجاءَ ، فقالَ له : أفعلتَها يا زيد ؟ أما واللهِ لئن عشتُ لأقتلنّك قِتلةً لمْ يُقتلها عَربيٌّ قطُّ ، ولألحقنّك بأبيك ، فقالَ لَهُ زيدٌ : امضِ لشانِك نُعيم ، فقدْ والله أخّيتُ لكَ أخيّة([2]) لا يقطعُها المُهرُ الأرن ([3]) ..

مَكرَ زيدُ بن عَدي للنعمان ، وحقدَ عليه حقدا شنيعًا ، أدّى به للكيدِ مِنهُ عندَ كِسرى ، ثأرا لوالدِهِ ، فإنَّ مَوضوعَ الفَتياتِ ذواتِ الصّفات المرجوّة مَا هوَ إلا المَكيدةُ ، لأنَّه على يقين أنّ النُّعمانَ لا يقبلُ طَرحَا كَهذا ، والدّليلُ على ذَلكَ أنّهُ لمّا وصَلَ النّعمانُ كِسرى ، لقيَه زيدٌ ، وتوعدَه النُّعمانُ لأنّه علِم بما وقعَ فيه ولكنّ ردَّ زيد يُثبتُ أنّها مَكيدةٌ ، ويدّلُ على إحكامِ كيدِه وتوثيقِ عَقدتِه ، ولكنّ السؤالَ : هلْ سيقتلُ كِسرى النُّعمانَ أم سيعفو عنه ؟

ثالثا– هلاكُ النّعمانِ وامتناعُ الشّيبانيين عن دفعِ الأدرعِ لكِسرَى :

أدرَكَ النّعمانُ أنّهُ أغضَبَ كِسرى حِينما رَدّ طَلَبَه في صِفاتِ تلكَ الفتياتِ ، فانتظرَ الجَوابَ مِنْ كِسرى ، وهُنا تساؤلٌ : لمَاذا رَدّ النّعمانُ طَلبَ مَلكِ الفُرسِ– كِسرى – وهُوَ يَعلمُ أنّهُ سَوفَ يغضبُ عليه ؟ لا بدّ أنّ النّعمانَ كَانَ يُدركُ عَاقبةَ الأمرِ ، ولكنّ الَّذي دفَعَهُ إلى ردّ طَلبِ النّعمان هوَ أنَّ العَربَ وحدَهُم مِنْ كُلِّ الممالكِ الَّتي أخضعَتْها الفُرسُ والرُّومانُ لا يُرسِلون بناتِهم زوجاتٍ أو جواريَ إلى قُصورِ الفُرسِ أو الرُّومانِ ، ولا يَقبَلُون تزويجَ بناتِهم لغيرِ العَربيّ – وما فَعَلَهُ المُنذرُ الأكبرُ وزيدُ بن عديّ لا يتَّصِفُ بهِ العَرَبُ كافَّة –عَلاوةً على أنّه كانَ يعوّلُ على مُساعدةِ زيدٍ لَه عندَ كِسرى ، فمَا لبثَ إلى أنْ أرسلَ كِسرى

---

[1]– مكان لكسرى بالمدائن ، وسمي هكذا نسبة إلى رجل كان ينزله اسمه ساباط بن باطا ، والساباط عند العرب سقيفة بين دارين تحتها طريق نافذ وجمعها سوابيط . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 166/1 .

[2]– الأَخِيَّة : العُرْوة تُشَدُّ بها الدابة مَثْنِيَّةً في الأرض. ينظر ، ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (أخا) .

[3]– ينظر : ابن قتيبة ، المعارف ، 650 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 2/ 119 ؛ المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، 101/2 ؛ ابن سعيد ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، 284/1 . الأرَن : النشاط . ابن منظور ، م . س ، مادة (أرَنَ) .

لَهُ استجوابًا ، فلمّا أتاهُ الكتابُ انتابَهُ الخَوفُ والرّعبُ ، ونزلَ القَبائلَ مُستجيرًا ، ثمَّ توجّهَ إلى كِسرى بعدَ إيداعِهِ الأدرع عندَ الشّيبانيين .

إنّ استجوابَ كِسرى لَهُ كَانَ له وقْعٌ على نفسِيةِ النّعمانِ ، فظهرَ الخوفُ والاضطرابُ والتخبُّطُ عِندَه مِنْ مَصيرِهِ ، فقدْ كانَ استقبالُ كِسرى لَهُ بالفتياتِ الجَواري لهُوَ خيرُ دليلٍ على مصيرِهِ ، فعلِمَ أنَّه غيرُ ناجٍ مِنهُ جَرّاء فعلتِه ، وهذا يدلّ على إحكامِ قبضةِ زيد بن عدي على النّعمانِ عندَ كِسرى .

وَصَلَ النّعمانُ إلى كِسرى ، فلّمَّا بَلغَ كِسرى أنّه بالبابِ ساقَهُ إلى ساباط ، وألقاهُ تحتَ أرجلِ الفِيلةِ إلى أنْ مَاتَ ([1]) ، واستشهدَ لموتِهِ في سَاباط بيتٌ قالَهُ الأعشى ([2]) : **[البحر الطويل]**

فَذَاكَ وما أنجى مِنَ الموتِ رَبَّهً بساباطَ حتَّى ماتَ وهوَ مُحزرق

ذَكرَ النّعمانَ كثيرٌ مِنَ الشّعراءِ بَعدَ مَوتهِ ، فلّمَّا نُعيَ إلى النّابغةِ الذّبيانيّ ، وحدّثَ بما صنعَ بهِ كِسرى ، قالَ : طَلَبهُ مِنْ الدّهر طالبُ المُلوك([3]) ، ثمَّ قالَ ([4]) : **[البحر البسيط]**

مَنْ يَطْلُبِ الدهرَ تُـدْرِكْهُ مَخالبُـهُ والدَّهرُ بالوِتْرِ ناجٍ غيرُ مطلوبِ

ما منْ أُناسٍ ذَوِي مَجْدٍ ومَكرُمَـةٍ إلا يَشُـــدُّ عليــهم شِــدَّةَ الذِّيبِ

حتى يُبيدَ عـلى عَمْـــدٍ سَرَاتَهُـمُ بالنافـذاتِ مـــن النَّبْل المَصَايِيبِ

---

[1]– ينظر : ابن قتيبة ، المعارف ، 650 والشعر والشعراء ، 224/1 ؛ الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 402/2–404 ؛ الحموي ، معجم البلدان ، 294/4 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (حزرق) ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، 180/2 ؛ البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، 596/5 .

[2]– الأعشى ، الديوان ، 119 . محزرق : مضيق عليه . ينظر : ابن منظور ، م . س ، مادة (حزرق) . وقد تباينت آراء العلماء في قضية وفاة النعمان بن المنذر ، فمنهم من رأى أنه توفي بخانقين حينما قرّبه كسرى من الفيلة فداسته ، ثم رماه للأسود فأكلته . ينظر : اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 215/1 . ورأى آخرون أنه توفي بخانقين ولكن بمرض الطاعون . ينظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 478/1 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 120/2 ؛ ابن مسكويه ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، 237/1 ؛ جرجي زيدان ، العرب قبل الإسلام ، 281 . ومنهم من رأى أنه حُبس في القطقطانة إلى أن توفي . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 374/4 .

[3]– ينظر : الأصفهاني : م . س ، 139/2 .

[4]– ديوان السفيرين (النابغة الذبياني وعبيد بن الأبرص) ، 27–28 .

إنّي وجدتُ سهَامَ الموتِ مُعرِضَةً بكـــلّ حَتْفٍ من الآجـال مكتوبِ

عِندما قَتَلَ كِسرى النّعمانَ استعمَلَ إياسا على الحِيرةِ وما كَانَ عليهِ النّعمان([1]) ، فبَعَثَ كِسرى إليه يَسألُ عن تركَةِ النّعمان ؟ قالَ : قدْ أحرزَهَا في بَكر بن وائل ، فأمرَ كِسرى إياسا أنْ يَضُمّ مَا كانَ للنّعمان ([2]) ، فَجَاءَ النّعمانُ بن زُرعة ([3]) يطلبُ تلكَ الودائعَ ، وقالَ لهم : إنّكمْ أخوالي وأحدُ طرفيّ ، وإنّ الرَّائدَ لا يكذبُ أهلَهُ ، وقدْ أتاكُم ما لا قِبَلَ لكمْ به مِن أحرارِ فارس وفرسانِ العربِ والكتيبتين الشّهباء والدّوسرِ([4]) ، وإنّ في هَذا الشّرِّ خَيارا ، ولَئِن يفتدي بعضُكُم بعضا خَيرٌ مِنْ أنْ تصطلموا ، فانظروا هَذه الحَلقةَ فادفعوهَا ، وادفعوا رهْنا مِنْ أبنائِكم إليهِ بمَا أحدَثَ سفهاؤُكُم ، فَلمْ يستجيبوا لَهُ ([5]) .

وقَالَ كِسرى لإياس فقدْ علمتَ أنّه عَاملي ، فلا تكلفني أنْ أبعثَ قَومَكَ بالجنودِ تقتلُ المُقاتلة وتسبي الذّريةَ ، فأرسلَ إليه هَانئ أنّني أحدُ رجُلَيْنِ إمّا مكذوبٌ عليّ ، فلا يجوزُ للمَلكِ أن يسمعَ فيّ الكَذِبِ ، أو مُستودَعٌ فالحُرّ لا يَخونُ أمانتَه ([6]) ، قالَ وكانتْ الأعاجمُ قومَا لهم حُلم قدْ سمعوا ببعضِ علمِ العَربِ ، وعرفوا أنّ هذا الأمرَ كائنٌ فيهم ، فلمّا وردَ عَليهِ كِتابُ هَانئ ، حَملتهُ الشّفقةُ ، فأقبَلَ حتَّى قطَعَ

---

[1]– ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 70/2 ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، 650 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 478/1 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 261/5 .

[2]– ينظر : الطبري ، م . س ، 478/1 ؛ المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 102/2 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 60/24 ؛ البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، 106/1 ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 488/1 ، أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، 81/1 .

[3]– هو النعمان بن زُرعة بن هرْمي بن السفاح – اسم السفاح سلمه – بن خالد بن كعب بن القنفد بن أسامة بن عمرو . ينظر : ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، 306/2 .

[4]– الشهباء والدوسر : كتيبتان حربيتان ، جعلهما ملك الفرس تحت تصرف النعمان بن المنذر ومن بعده ، وكان رجال الشهباء من الفرس ، ورجال الدوسر من عرب تنوخ . ينظر : الأخفش الأصغر ، الاختيارين ، 714 . والشهباء : من الكتائب العظيمة كثيرة السلاح . ينظر : ابن منظور . لسان العرب ، مادة (شهب) .

[5]– ينظر : الأصفهاني ، م . س ، 63/24 . وقد وردت بلغة أخرى أضيف إليها : فزجروه ، وطردوه ، وقالوا له : أنت الذي حمّلت علينا كسرى ، فانصرف مغاضبا . ينظر : الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 414/2 .

[6]– ينظر : الأصفهاني ، م . س ، 60/24 ؛ الحلي ، م . س ، 404/2 ؛ ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، 15/2 ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، 93/1 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، /448 ؛ النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، 227/15 ؛ الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، 261/1 .

الفراتَ ، فنزلَ ماء بني مُقاتل ، وقَدْ أحنقَهُ ([1]) ما صنعتْ بَكر بن وائل في السّوادِ ، ومَنْعُ هانئ بن قبيصة إياه ما مَنَعَه ([2]) .

هَذِهِ هِي لغةُ كِسرى مَعَ العَربِ ، فالتّهديدُ والوَعيدُ ديدَنُهُ ، فَهُوَ حِينَ يَطلبُ الوَدائعَ نَراهُ يُهدِّدُ ويتوعَّدُ؛ لأنّهُ المَلكُ المُعظّمُ عِندَهم ؛ ولأنّه يَعِي تفكُّكَ العَرَبِ وضعفَهُم آنذاك ، ولكنْ ما يَلفِتُ النّظرَ أنّ كِسرى عَلاوةً على كَونِهِ فارسيًّا أعجميًّا ، إلا أنّه بَلَغَ مَكانةً كَبيرةً في فَهمِهِ لعاداتِ العَربِ وقيَمِهِم ، فعندَمَا وضعَهُ هَانئ بينَ أمرين أخذتْهُ الشّفقةُ عليهِ ، ولكنْ مَهمَا كانتْ حَالُ العَربِ ، فلا بدّ مِنْ أنْ تَكونَ الأصالةُ والأعَرافُ في دَمِهم ؛ لأنّ الحِفاظَ على الأمَانةِ والدّفاعَ عنها بالدّمِ مِنْ شِيمِ العَربِ ، إضَافةً إلى الذّكاءِ الَّذي كانوا عليه آنذاكَ ، فَنُلاحِظُ أنّ هانئًا بَلَغَ شَأوًا سَامِقًا في فِطنتِه وبديهتِهِ ، فقدْ وَضَعَ كِسرى أمَامَ مَوقفين مُبَررَّين ، فَهُو لمْ يعترفْ إليه بالوديعةِ ولمْ ينكرْهَا ، وبرّرَ لَهُ رفْضَهُ لو كَانت الوَدائعُ عِندَه ، وهذا يَدلُّ على بديهتِهِ فِي رَدّ الجَوابِ وإتقانِه فَنّ الحِوارِ ، وهذِهِ مِنْ صِفاتِ عَربِ الجاهليَّةِ .

لمَّا مَنَعَ هَانئ الشَّيبانيّ كِسرى الأدرُعَ ، دَعا إياسَ بن قُبيصَة وأخذَ يستشيرُهُ ، وكانَ عامِلَهُ على عَين التّمر([3]) وما والاهَا إلى الحِيرةِ ([4]) ، وقدْ أطعَمَهُ كِسرى ثلاثينَ قريةً على شاطئِ الفُراتِ ، فأتاهُ في صنائِعِهِ مِنَ العَربِ الَّذينَ كَانوا بالحِيرةِ ، فاستشارَهُ في الغَارةِ على بَكرِ بن وائلِ ، وقالَ : " ماذا ترى ؟ وكمْ ترى أنْ نغزيَهم مِنَ النّاس ؟ قالَ لَهُ إياس : إنَّ المَلكَ لا يصلحُ أن يعصيَهُ أحدٌ مِنْ رعيَّتِهِ ، وإنْ تطعنِي لمْ

---

[1]– أحْنَقَ الرَّجُلُ : إذا حَقَدَ حِقْدًا لا يَنْحَلُ . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة (خنق) .

[2]– ينظر : اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 225/1 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 487/1 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 60/24 ؛ ابن سعيد ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، 285/1 ؛ النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، 329/15 .

[3]– عين التَّمر : بلدة قريبة من الأنبار ، وهي قديمة ، غربي الكوفة ، منها يُجلب التمرُ إلى سائر البلاد ، وهو بها كثير جدا ، تقع على طرف البرية ، افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد في سنة 21 للهجرة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 176/4 .

[4]– الحيرة : بالكسر ثم السكون وراء ، مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النّجف . ينظر : الحموي ، م . ن ، 328/2 .

تُعلمْ أحدا لأيّ شيءٍ عَبَرتَ وقطَعتَ الفُرات ، فيروا أنّ شيئا مِنْ أمرِ العَربِ قدْ كربك([1]) ، ولكِنْ تَرجِعُ وتضرِبُ عنهُم وتبعَثُ عليهم العُيونُ ، حتَّى ترى غرةً منهُم ، ثمَّ تُرسِلُ حَلَبةً مِنَ العَجمِ فيها بَعضُ القَبائلِ الَّتي تليهِم فيوقِّعونَ بهِم وقعَةَ الدّهرِ ويأتونكَ بِطلبَتِكَ ، فقالَ لَهُ كسرى : أنتَ رَجُلٌ مِنَ العَرَبِ ، وبَكر بن وائل أخوالُكَ ، وكانتْ أمُّ إياس أمامَةُ بنتُ مسعودٍ أختَ هَانئ بن مسعود الشيبانيّ ، فَأنتَ تَتَعصَّبُ لَهُم ولا تَألوهُم نُصحا ، فقالَ إياس : رأيُ المَلك أفضل " ([2]) .

لمْ يَقبلْ كِسرى رأيَ إياس وشكَّكَ فيه أيضا ، وعَلَى الرّغمِ مِنْ أنّ إياسا عَامِلُه ، إلا أنَّه لا يُعطِيهِ الأمانَ الكَاملَ ؛ لأنَّهُ يظنُّ أنَّ إياسًا عَربيٌّ ، وسَوفَ تأخذُهُ الرَّأفةُ بأبناءِ عُروبتِه ، لذلك خلّى رأيَه وتَرَكَه ، وقد بَلَغَ تحدِي الشّيبانيينَ كِسرى مبلغًا عَاليًا ، حَيثُ إنّهم لمْ يَدفعوا الأدرُعَ لكِسرى ، وهُم يعلمونَ عاقبةَ الرّفضِ ، ولكنّ قِيمَهُم وعادَاتِهم منعتهُم مِنَ الاستسلامِ ، إذْ إنّ تَسليمَ الأدرع أعظَمُ منَ الاستسلامِ بعينِه ؛ لِما فيه مِن خيانةِ الأمانةِ والعَهدِ .

رابعا- سجنُ قَيس بن مسعودٍ الشّيبانيّ ثُمَّ قتلُهُ :

لمْ يقبلْ هَانِئ عَرْضَ كِسرى بدفعِ الأدرعِ ، مِمّا أثارَ غَضَبَ كِسرى وعَزمَ على بَعثِ الجُنودِ إليهم ، فسمعُوا بذلكَ فأغارُوا على أطرافِ السّوادِ ، ورُفِعَ ذلكَ إلى كِسرى ، فازدادَ حِقدًا عَليهم ، وكانَ قدْ سَمِعَ ببعثة الرّسولِ الكريمِ ، صَلى الله عليه وسلم ، وظُهورِ أمرِهِ ، وأنّ العَرَبَ تعزّ بهِ حَتَّى تقهرَ سائِرَ الأمَمِ ، فتداخَلَهُ حَذَرٌ وإشفاقٌ مِنْ ذلكَ ، وخَافَ ظُهورَهم على جُنودِه ، فتثاقَلَ عنْ حَملِ الجُنودِ وسَألَ عَن أعزّهِم ، فذكروا لَهُ قيسًا ، حتّى أرسَلَ إليهِ يدعوهُ ، فنهوهُ عن إتيانِهِ ، وكانَ فيمن نَهَاهُ الأعشى فَعَصَاهُم وقَدِمَ

---

[1]- الكَرْبُ : على وزن الضَّرْب ، الحُزْنُ ، والغَمُّ الَّذي يَأْخُذُ بالنَّفْسِ . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة (كرب) .

[2]- الأصفهاني ، الأغاني ، 60/24 – 61 ؛ الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، 261/1 ؛ البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، 597/5 .

عليه ، ثُمَّ حثَّه أن يمنعَ فومه مِنَ الفَسادِ ، ووَصّلَهُ ، وأقطعَهُ الأبلّةَ ([1]) ، وجَعَلَ لَهُ طُعمةً مِنَ التّمرِ ، ومئتي بَعيرٍ، وأعطاهُ عدّة مِنَ الخَيلِ ، فضَمِنَ لكسرَى أنْ يَمنعَ بَكرا مِنَ الإغارةِ على السّوادِ([2]) .

قَبِلَ قيسُ بن مسعود حِمايةَ سَوادِ فَارس ، وأنْ يَكونَ حَاميًا لأملاكِهِم ، طَمعًا في الولايةِ والمَالِ ، وخوفًا من بطشِ كسرى ، لكنْ هَلْ تَمَكّنَ قيسٌ مِنْ مُهمَّتِه فِي دفْعِ إغَارةِ الشّيبانيين عَنِ السّوادِ ؟ إذا لمْ يَتَمكَّنْ ، فَكَيفَ يكونَ مَوقفُه أمَامَ قَومِهِ وأمَامَ مَنْ عَارضَهُ في الأمرِ ؟

جَاءَ الحارثُ بنُ وعلةَ ([3]) ، فَطَلَبَ منْ قَيسٍ نصيبًا مِمّا أعَطاهُ كِسرى ، فَلمْ يعْطِهِ ، فحَسدَهُ وضَارّه وقَصَدَ إفسَادَ أمرِهِ عندَ كِسرى ، وكَانَ الحَارثُ قصِيرًا ذميمًا ، وقدْ وفَدَ على كِسرى مِنْ قَبل ، فرآه وعَرَفَهُ ، فلمّا ضَمنَ كِسرى قَيسا جناياتِ بَكر ، قَالِ لَهُ عنِ الحَارثِ ، قالَ نعمْ ، فَقالَ أتضمَنُ الحَارثَ قالَ : نعمْ ، فلمّا عَلِمَ الحَارثُ بعَثَ لقيس : لا تَضمَن عني ، ثمّ خَرَجَ الحَارثُ في رجَالٍ مِنْ بَكر بن وائل فأغَاروا على بَارق([4]) وغيرِها مِنْ أطرافِ البلادِ ، فرَفَعَ ذلكَ إلى كِسرى فأرسلَ إلى قَيسٍ ، فدعاهُ ، فذَكَرَ لَهُ ما جَرى منهُم في السّوادِ ، فقالَ : ذَلكَ سَفيهٌ مِنْ قَومي حَسَدنِي لمَكانِي عِندَكَ فأرادَ إفسَادَ أمرِي([5]) .

---

[1]– ينظر : البغدادي ، المحبر ، 253/1 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ؛ 487/1 ؛ البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، 106/1 . الأبُلّةُ : والأبلة بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة وهي أقدم من البصرة ، بها نهر يسمّى نهر الأبلة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 77/1 .

[2]– ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 24/ 55–57 ؛ الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 405/2–407 . السواد : هو ذلك الشريط الواقع على الضفة الشرقية وأجزاء من الضفة الغربية لنهر الفرات . ينظر : ابن رستة ، الأعلاق النفيسة ، 104 . وكانت ملوك الفرس تسميه أيرانْشَهْر : أي قلب العراق . ينظر : ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، 5 .

[3]– هو الحارث بن وعلة بن المجالد بن اليثربي بن الريان بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة . ينظر : ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، 317/2 .

[4]– بارق : ماء بالعراق وهو الحد بين القادسية والبصرة من أعمال الكوفة . ينظر : الحموي ، م . س ، 319/1 .

[5]– ينظر : الحلي ، م . س ، 406/2–407 . الأنبار : في العراق بينها وبين بغداد ثلاثة عشر فرسخًا ، وهي مدينة صغيرة متحضرة ، والأنبار حد بابل ، وسميت بهذا تشبيهًا لها ببيت التاجر الذي ينضد فيه متاعه ، وبالفارسية الأهراء . ينظر: الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، 36/1 .

وَقَدْ ورَدَت فِي المَناقبِ المَزيديَّةِ روايَةٌ أخرى تقولُ : إنَّ كِسرى طَلَبَ مِنْ قيسٍ دَعوةَ أشرافِ قومِهِ ليَعطيَهم مِمّا أَخَذَ قَيس ، وإنّمّا أرادَ قتلَهم فَفَطِنَ قَيسٌ لذلكَ "([1]) فكتبَ إليهم ([2]) : **[البحر الطويل]**

غَـنينا وأغنَــانا غِنَانا وغـالَـنا مَــآكلُ عمّــا عِندَكم ومَشاربُ

فَإنْ نَحنُ أَرْسَلْنَا بِأَلفَيْ صَحِيفة فــلا يَقرَبَنّــا منكُمُ الدَّهرَ راكبُ

وقالَ كِسرى إلى قَيس وهو في الأبلةِ : " لقدْ غررتَنِي مِنْ قومِكَ ، وزعمتَ أنّكَ تكفينيهم ، وأمرَ بِهِ فحُبِس في سَاباط ، وأخذَ كِسرى في تعبئةِ الجُيوشِ إليهم ، فَقَالَ قَيسٌ وهُوَ محبوسٌ"([3]) :**[البحر الوافر]**

ألا أُبــلِــغْ بَنِي ذُهْــلٍ رَسُولا فَمَن هذا يَكــونُ لكُـمْ مَكانِي

أَيأْكُلُها ابنُ وعْلَةَ فــي ظَلِيفٍ ويأمَنُ هَيْـثَمٌ وابنــا سِـنان([4]) ؟

ويأمَــنُ فِيكمُ الــذُّهْليُّ بَعْدِي وقَــد وسَموكُــمُ سِمَةَ البَـيانِ

ألا مَــنْ مُبلغٌ قَـوْمِي ومَن ذا يبلّـغُ عــن أسيرٍ في الإوانِ([5])

تَطَــاوَل ليلُه وأصاب حُــزْنًــا ولا يَــرْجُو الفِكـاكَ مع المِنانِ

---

[1]– الحلي ، 406/2–407 . وقد وردت رواية أخرى لسبب سجن كسرى لقيس بن مسعود : إنما ضمن كسرى جرائر بكر يوم ذي قار ؛ لأنه كان قد استعمله على حماية الأبلة من قبل ، فلما علم قيس بمسير كسرى إلى قومه ، أتاهم مستخفيا فأشار عليهم ببعض الرأي ، فعلم كسرى ونهاه ، فلم ينته ، فحبسه حتى هلك . ينظر : الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 410/2 .

[2] – الحلي ، م . ن ، 207/2 .

[3]– الأصفهاني ، الأغاني ، 58/24 . وهناك رواية تفيد أن قيس بن مسعود سُجِن بالأنبار . ينظر : الحلي ، م . س ، 407/2 .

[4]– يعني بالهيثم وابني سنان : الهيثم بن جرير بن يساف بن ثعلبة بن سدوس بن ذهل بن ثعلبة وأبا علباء بن الهيثم . ينظر : الأصفهاني ، م . س ، 59/24 ؛ الكلبي ، نسب معد واليمن الكبير ، 56/1 .

[5]– يعني بكلمة الأوان : الإيوان . ينظر : الأصفهاني ، م . س ، 59/24 .

لمْ ينجحْ قَيسُ بن مسعودٍ في المُهمَّةِ الَّتي وُكِلت إليه ، وفشلَ في حِمايةِ الأبلّة ، وهذا الفَشلُ أدّى إلى سِجنِهِ عِندَ كِسرى ، ثمَّ طَلَبَ كِسرى مِن قَيس بن مسعودٍ وهُوَ في السّجنِ أنْ أرسِلْ إلى قَومكَ فليأتوني بِرهائنَ مِنْهم لأطلقكَ ، فَقيلَ إنّهُ أرسَلَ إليهم أنْ دَعوني في يدِهِ ولا ترهنوا أحَدا منكم ، وعندَما أبطأتِ الرّهائنُ عليهِ ، عَزمَ على بَعثِ الجُنودِ إلى بَكر بن وائل ، وبَلَغَ ذلكَ قَيسا وهُوَ في السّجنِ فقالَ ينذرُ قومَهُ ([1]) : **[البحر الطويل]**

ألا لَيْتَنِي أَرْشُوْ سِلَاحِيْ وَبَغْلَتِيْ لِمَنْ يُخْبِرُ الأَنْبَاءَ بكر بْنَ وَائِلِ

فَأُوْصِيْهُمُ بِاللهِ وِالصُّلْح بَيْنَهُمْ لِيَنْصَأَ مَعْرُوْفٌ وَيُزْجَرَ جَاْهِلُ

وَصَاْةُ امْرِئٍ لَوْ كَانَ فِيْكُمْ أَعَانَكُمْ علَى الدَّهْرِ ، والأَيَّاْمُ فيْهَا الْغَوائِلُ

فَإيَّاْكُمُ وَالطَّفَّ لَاْ تَقْرَبَنَّهُ وَلَاْ البَحْرُ إنَّ الْمَاْءَ لِلبَحْرِ وَاْصِلُ

لقدْ كَانَ قَيسٌ سيّدًا في قَومِه ، فمَا الَّذي دَفَعَهُ إلى الولاءِ لكسرى وحِمايةِ سَوادِه رغمَ منْعِ بعض قومِه له ومنهم الأعشى ؟

لقدْ رَفَضَ قَيس بن مسعودٍ طَلَبَ قومِهِ – ألا يقبَلَ بطَرحِ كِسرى – فقدْ أقطعَه حُجرةً فيها مِئةٌ مِنَ الإبلِ للأضيافِ ، إذا نُحِرت نَاقةٌ ردّتْ مكانَهَا أخرى([2]) ، وأعطاهُ عِدّةً مِنَ الخَيلِ([3]) فعندَما جَاءَ كِسرى يَبحثُ عَنْ أعزّهم ذَكَروا لَهُ قَيسا ، فَلا يستطيعُ أنْ يَرفُضَ طَلبَ كِسرى ؛ لأنّ الثَّمنَ الّذي سَيدفعُهُ ثَمينٌ

---

[1]– ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 59/24 ؛ الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك ، 408/2–409 . وقد ورد في المناقب المزيدية رأيا آخر نصُه : إن قيسا أرسل إلى قومه أن يبعثوا رهائن لكسرى فداء له ، فرفض قومه الطلب ؛ لأنهم كانوا قبل ذلك رهنوه الأسود بن شريك فهلك عنده . ينظر : الحلي ، 408/2 . أرى أن الحلّي يناقض نفسه في هذا الرأي ؛ لأنه من المستبعد أن يطلب سيّد مثل قيس هذا الطلب من قومه وهو نفسه الذي قال محذِّرا لهم ومنذرا من كسرى وكيده في القصيدة المروية في النص السابق ومطلعها (ألا ليتني أرشو سلاحي وناقتي ...) .

[2]– ينظر : الأصفهاني ، م . س ، 56/24 . وقد ذُكِرَ في المناقب المزيدية أنها مئتا بعير . ينظر : الحلي، 405/2 .

[3]– ينظر : الحلي ، م . ن ، 405/2 .

وهُوَ قتلُهُم ؛ وهَذا واضِحٌ عِندَما سَألَ كِسرى عَن قَيس قَالَ لَهُ : " لَو كُنتُ تقدَّمتُ إليكَ مِنْ قَبل ثُمَّ خالفتَ لقتلتُكَ "([1]) ، وعِندَما فشِلَ في حِمايةِ السّوادِ سَجَنَهُ كِسرى ، وبَعَثَ في طَلَبِ الرَّهائنَ مُقابلَ إطلاقِ سَراحِهِ فَرَفضَ أنْ يأمرَ أهلَهُ بإتيانِ الرَّهائنِ مُقابلَ إطلاقِ سَراحِه بَلْ قالَ لهُم : دعونِي في يدِهِ ولا تُرهِنوا أحَدًا منكم ؛ لأنَّه يَعلَمُ ما يخفيهِ كِسرى مِن مَكرٍ وخديعةٍ ، لذلكَ أخذَ يُنذرُ قَومَهُ مِنْ كِسرى ومَكرِهِ ، ثُمَّ بَدأ يُوصي قومَه بتوزيعِ السّلاحِ على الجُنودِ ، وفي نِهاية الأمرِ حَقَدَ عليه كِسرى ، وكَانتْ نهايتُه السّجنَ حَتّى مَاتَ ([2]) .

خامسا– إغارةُ الشّيبانيينَ على سَوادِ فَارس :

بَلَغَ تَحدّي كِسرى الشّيبانيينَ حَدًّا أوصَلَهُ للتَّهديدِ والوعِيدِ ، ولكنَّ تهديدَهُ إيّاهُم لمْ يثنِهم عن عزمِهم ، فأصرّوا على إجَارةِ النُّعمان وحِمايةِ أدرعِهِ ، فلمْ يَخونوا أمَانتَه ، وحَافظُوا عليها ، فَلمّا قُتِلَ النّعمانُ ، ضَعُفَ أمرُ الحِيرةِ ، فقررَ كِسرى حِمايةَ سَواده ، واستدعَى قَيسَ بن مسعود لحِمايتِها .

ولّى كِسرى قيسَ بن مسعود كِفايةَ العَرَبِ عَن السّوادِ ، وعندما كان يأتيه أحدٌ من شيبان فيعطِيهِ جلّةَ تَمرٍ وكِرباسةً([3]) ، حَتّى قَدمَ الحَارثُ بن وَعلة ([4]) ، والمكسّر بن حنظلة([5]) فأعطاهُما جلّتي([6]) تَمرٍ وكرباستين ، فَغَضِبا وأبيا أنْ يقبلا ذَلكَ منه ، فخَرَجَا واستغوَيَا ناسا مِنْ بكر بن وائلِ ، ثُمَّ أغَارا على

---

[1]– ينظر : الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك ، 405/2 .

[2]– ينظر : ابن رشيق ، العمدة ، 228/2 ؛ الحلي ، م . س ، 2/ 408 – 409 . وهناك رواية أن سجن قيس كان بسبب إتيانه قومه ليلا مستخفيا فنهاه كسرى عن إتيانهم فأبى ، فحبسه . ينظر : الحلي ، م . س ، 410/2 ؛ النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، 331/15 .

[3]– الكِرباس: ثَوْبٌ من القُطْن الأَبْيَض . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة (كرب).

[4]– هو الحارث بن وعلة بن مجالد بن يثربي بن ديان بن الحارث بن مالك بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة . ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 24 /56–57 .

[5]– هو المكسر بن حنظلة بن حيي بن ثعلبة بن سيار بن حيي بن حاطبة من بني عجل بن لُجَيم . ينظر : الأصفهاني ، م . ن ، 24 /56 .

[6]– الجُلَّةُ بالضّم : قُفَّةٌ كبيرةٌ للتَّمْرِ والجَمْعُ جُلَلٌ . ينظر : الزبيدي ، م . س ، مادة (جلل) .

السّوادِ ، فأغارَ الحَارث على أسَافِل رودميسان([1]) وهِيَ مِنْ جرد([2]) ، وأغارَ المُكسر على الأنبارِ، فلقيَهُ رجُلٌ مِنَ العِباديين مِنْ أهلِ الحِيرةِ ، قد نتجَت بعضَ نوقِهِم فحمَلُوا الحِوار([3]) على ناقةٍ وصرّوا الإبلَ([4]) .

أمّا بُجيرُ بن عَائذ بن سُويد العِجليّ ومَعَهُ مَفروقُ بن عمرو الشّيباني ، فقد أغَارا على القَادسيَّةِ([5])، وما والاها ، وكلاهُمَا مَلأ يديهِ غنيمةً ، فأمّا مَفروقُ وأصحابُه فَوَقَعَ فيهم الطَّاعون ، فموّتَ منهم خَمسةَ نفرٍ مَعَ مَنْ موّت مِنْ أصحابِهِم ، فدُفنوا بالدّجيل([6]) ، وخرجَ مَعَ الحارثِ أيضا رجَالٌ مِنْ بكر ابن وائل ، منهم : الهيثمُ بن جرير الذّهليّ ، وابنان لسنان السّدوسِيّ ، فأغاروا على بَارق([7]) ، وأغاروا على غَيرِها مِنْ أطرافِ البلادِ ، فغنوا وأثروا في مَصانعَ كانتْ لكِسرى آثارا قَبيحةً ، وأفسدوا أمُورَ العمارة([8]) ، فبدأ حِقدُ كِسرى يزدادُ إلى أنْ بَعَثَ لقيس بن مسعود فقالَ لهُ : " لقدْ غَرّرتِني مِنْ قومِك ، وزعمتَ أنّكَ تكفيهم ، وأمرَ به فحُبسَ " ([9]) .

---

[1]– رود : بالفارسية تعني الوادي ، وبالعربية هي روط . ينظر : الصاغاني ، العباب الزاخر واللباب الفاخر ، مادة(روط) ميسان : كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان. ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 242/5 .

[2]– جرد : جرد اسم بلدة بنواحي بيهق كانت قديما قصبة الكورة . ينظر : الحموي ، م . ن ، 124/2 .

[3]– الحوار : الفصيل أول ما يتنج . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، (حور) .

[4] - ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 24 /57 . السمعاني ، الأنساب ، 46/1 . وصَرَرْتُ الناقة شددت عليها الصِّرار وهو خيط يُشَدُّ فوق الخِلْف لِئلاَّ يرضعَها ولدها . ينظر : ابن منظور ، م . س ، مادة (صرر) .

[5]– القادسية : عند الكوفة ، وهي أول مرحلة لمن خرج من الكوفة إلى المدينة ومكة ، وهي قرية كبيرة فيها حدائق نخل ، وسميت القادسية لأن قومًا من أهل قادس نزلوها . ينظر : الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، 447/1 . وهي من سواد العراق . ينظر : الحميري ، م . ن ، 332/1 .

[6]– ينظر : الأصفهاني ، م . س ، 24/55–58 . دجيل : منطقة بها نهر دجيل في أعلى بغداد ، قريب من القادسية . ينظر : الحموي ، م . س ، 443/2 .

[7]– بارق : ماء بالعراق وهو الحد بين القادسية والبصرة ، وهو من أعمال الكوفة ، وقد ذكره الشعراء فأكثروا . ينظر : الحموي ، م . س ، 319/1 .

[8]– ينظر : الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 407/2.

[9]– الأصفهاني ، م . س ، 58/24 .

ورفَضَ الحَارثُ بن وعْلةَ عَطيَّةَ قَيسِ بن مسعود ، ويبدو أنّ الحارثَ كانَ يُريدُ الإغارةَ ، لأنّه لمْ يقبلْ ما يفعَلُهُ قَيس بن مسعود ، واتخذَ لنفسِهِ دِرعًا ، والدّليلُ لَومُ كِسرى قَيسَ بن مسعود عَلى ذلكَ ، فلا شَكّ أنّ العَرَبَ بدؤوا الإغارةَ على سَوادِ فارسِ بَعدَ مَقتلِ النّعمان ، فقدْ رأوا أنّ أمرَ الحِيرةِ قَد ضَعُف ، فسيَضعَفُ أمرُ فَارس ، مِنْ هُنا انطلقُوا على السّوادِ يغيرونَ ، وتوزَّعتْ إغارتُهُم على مُختلفِ المَناطقِ ، مِمّا أغضَبَ كِسرى ، فعَاقبَ قَيسا على فشلِهِ ، وحَقدَ على العَرَبِ ، وأضمرَ لَهُم سوءًا .

المَبحَثُ الثَّانِي : الاستِعدَادُ للمَعرَكَةِ .

أولا – دورُ أشرافِ الحِيرةِ والقَبائلِ العَربيّةِ في التَّخطيطِ للمعرَكَةِ .

كَثُرت أيّامُ العَربِ ووقائِعُهُم في الجاهِليَّةِ ، وكَانَ لكُلِّ قَبيلةٍ فُرسانُها الَّذينَ يَذودونَ عنهَا ، ويفدُونَها بأنفسِهم وأموالِهم ؛ لأنّ الذّودَ عَنِ القَبيلةِ واجبُهم ، ولا شَكّ أنَّ لكُلِّ يَومٍ ظُروفَهُ الخاصّةَ بِهِ ، ولكنْ مِنَ المَفروضِ أنْ يَكونَ لكلِّ مَعركةٍ استعدادٌ وتَهيئةٌ وتخطِيطٌ ، فعلى الرّغمِ مِنْ وقوفِ مجموعةٍ مِنَ العَربِ في صُفوفِ الفُرسِ ضِدَّ أبناءِ عُروبتِهِم ، إلا أنّ الحَميَّةَ أخذتْ الأشرافَ مِنهم وظَهروا بكُلِّ مَعنى للأخوّة العَربيّة الأصيلَةِ ، فَبَدأ رِجالُ القَبيلةِ وفُرسانُها بإدلاءِ الآراءِ والخطَطِ ويضعونَ فَرَضِياتٍ وحُلولا لَها ؛ لمُواجَهةِ الخَطر الفارسيّ القَادم .

وانطِلاقًا مِنْ أهَميَّةِ المَاءِ في الحَياةِ ، وصُعوبَةِ الحُصولِ عَليه آنذاك ، فقدْ حَرَصَتْ الجُيوشُ في ذَلكَ العَصرِ على السّيطرةِ على المَوردِ المَائي المُهمّ ، سواءٌ أكانَ عَينَ ماءٍ أم نبعًا أمْ غيرَهُ ؛ لأنّ الَّذي يُسيطرُ عليه يَكونُ نَصيبُه أوفرَ في السَّيطرةِ ثمَّ الانتصَارِ ، فيسقي جُنودَهُ ، ويمنَعُ العَدوَّ مِن بلوغِهِ ، وهُوَ بهذا يَكونُ قَدْ أضعَفَ أعدَاءَهُ ، فَلا بُدّ أنْ يَكونَ المَاءُ هَدَفا عَظيمًا للمُقاتلينَ ، فربَّما يُعدُّ سبَبًا في نَصرٍ أو هَزيمةٍ ؛ لِما لهُ مِنْ أهميَّةٍ وشأنٍ ، لا سيّما وأنَّ المَعركَةَ كانتْ تقومُ بَعيدةً عَن مواطنِ سَكَنِهم ، ومَا يدلّلُ على هذا الأمرِ وصيَّةُ النّعمانِ بن زُرعَة للجنودِ بالسّيطرة على المَاءِ في قولِه : " إنْ شئتم فبادروا فاغلبُوا على المَاءِ وإلا فموتُوا عَطشًا " ([1]) .

هكذا وصَّى النُّعمانُ بن زُرعة جنودَ الفُرسِ والقَبائلِ المُتحالفَةِ ، فالنَّاظرُ المتمعِّنُ في هذا الكَلامِ يَجدُ وفَاءً كَبيرا يقدِّمُهُ ابنُ زُرعة للفُرس كُونُهُ قَائدًا في جيشِهِم ، والأمرُ الغَريبُ أنَّهُ يُخطِطُ ويوصِي ويجهّزُ لقتالِ أبناءِ عُروبتِهِ ، فربّما كانَ ذَلكَ ؛ لأنَّ النُّعمانَ بن زُرعة تَغلبيٌّ ، والطَّرفُ الآخرُ بكريٌّ ، وبينَ هاتين

[1]– الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 411/2 .

القبيلتينِ حُروبٌ طَاحنةٌ ، وعَداءٌ على مرِّ سِنين طويلةٍ ، فقدْ استغلَّ النّعمانُ هذه الفُرصَةَ ليحاربَ البكريين ويقتلَهم ، وينالَ منهم .

بَعثَ كِسرى النّعمانَ بن زُرعة التَّغلبيّ ، إلى الشّيبانيينَ يخيّرُهم بينَ ثَلاثِ خِصالٍ ، فَوَجَدَ هَانئا فقالَ لَهُ : أنا رسُولُ المَلكِ إليكم أخيّركُم بينَ خِصالٍ ثلاثة : " إمّا أنْ تُعطُوا بأيديكُم فيحْكُمَ فيكم المَلكُ بما شاءَ ، وإمّا أنْ تَعرّوا الدِّيارَ ، وإمّا أنْ تأذنوا بحربٍ "([1]) ، فتآمروا ثمَّ ولُّوا أمرَهُم حنظلةَ بن ثعلبةَ بن سيّار العجليّ ، فقالَ لهم : لا أرى إلا القتالَ ؛ لأنّكم إنْ أعطَيتُم بأيديكم قُتلتم وسُبيتْ ذراريكُم ، وإنْ هَربتُم قتلكُم العَطشُ ، وتلقاكُم تميمٌ فتهلكَكُم ، فأَذِنوا المَلكَ بحرب([2]) . فقدْ رأى حَنظلةُ أنَّ القتالَ والحَربَ أشرفُ مكانةً مِنَ الاستسلامِ والهُروبِ ، بَلْ إنّ المُواجَهَةَ هِيَ النَّتيجَةُ الحَتميَّةُ والنّاجِحَةُ نِسبيّا .

لقَدْ بَعَثَ المَلكُ إياسَ بنِ قُبيصةَ إلى الهامَرز التَستري ، وكَانَ مَسلحة([3]) بالقطقطانة([4]) ، وكتبَ إلى خنابزين([5]) وكَانَ مسلحة ببارق ، وكتبَ كِسرى إلى قَيسِ بن مسعود – وقدْ استعمَلَهُ على طَفِّ سفوان([6])– أن يوافوا إياسا ، فإذا اجتمعُوا فإياسٌ على النّاسِ ، وجاءتْ الفُرسُ مَعَها الجنودُ والفيولُ وعليها

---

[1]– أبو عبيدة ، النقائض ، 71/1 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 479/1 .

[2]– ينظر : أبو عبيدة ، م . س ، 71/2 ؛ الطبري ، م . س ، 479/1 ؛ العسكري ، الأوائل ، 289 ؛ ابن مسكويه ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ،238/1 ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 488/1 ؛ النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، 330/15 .

[3]– المسلحة : القوم الذين يحفظون الثغور من العدوّ سموا مَسْلَحة لأَنهم يكونون ذوي سلاح أَو لأَنهم يسكنون المَسْلَحة وهي كالثغر والمَرْقَب . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سلح) .

[4]– القطقطانة : موضع قرب الكوفة من جهة البرية . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 374/4 .

[5]– وقد ذكر جلابزين . ينظر : الطبري ، م . س ، 481/1 ؛ ابن مسكويه ، م . س ، 243/1 ؛ ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، 17/2 ؛ وفي رواية أخرى ذكر خلايرزين . ينظر : الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 416/2 ؛ الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، 262/1 ؛ ابن حمدون ، م . س ، 17/2 . وهو قائد كان على ميسرة جيش كسرى يوم ذي قار تحت إمرة إياس بن قبيصة ، وقد قتله حنظلة بن ثعلبة . ينظر : الطبري ، م . س ، 480/1– 481 .

[6]– والطَّفُّ : ما أَشْرَفَ من أَرْضِ العَربِ عَلَى رِيفِ العِراقِ . ينظر : الحموي ، م . س ، 35/4 . سفوان : مكان عند باب المربد بالبصرة فيه ماء . ينظر : الحموي ، م . س ، 225/3 .

الأسَاورةُ ، فإذا هُوَ يومُ الوقعَةِ ، فلمّا دَنتْ جُيوشُ الفُرسِ بمن مَعَهم ، انسَلَّ قيسُ بن مسعود ليلا – على اختلاف الرّوايةِ – فأتى هانئا فقالَ لَهُ : أعطِ قومَك سِلاحَ النُّعمانِ فيَقووا ، فإنْ هلَكوا كانَ تبعا لأنفسِهم ، وكنتُ قد أخذتُ بالحَزمِ ، وإن ظَفِروا ردّوهُ عليكَ ففعلُوا ، وقسَّم الدّروعَ والسِّلاحَ في ذوي القُوى والجَلد مِن قومِهِ ([1]) .

فها هوَ قيسُ بن مسعود ، يتسلَّلُ ليلا ، فيوصِي بتوزيعِ السّلاحِ وتقسيمِ الدّروعِ على ذوي القوةِ والجلَد ، والشّيءُ الّذي دفعَهُ لهذا الأمر رؤيتُهُ جيش الفرسِ المدجَّجِ بالسّلاح والعتاد ، وخوفُه على قومِه من كيدِ الفرس .

ولمّا دَنَا الجَمعُ مِن بكر قَالَ لَهُم هانئ : يَا مَعشرَ بَكر إنّه لا طَاقةَ لكمْ بجنودِ كِسرى ومَنْ مَعَهم مِنَ العَرَبِ ، فاركبوا الفَلاةَ ، فتسارَعَ النّاسُ إلى ذلكَ ، فوثبَ حَنظلةُ بن ثعلبة بن سيّار، فقال لَهُ : إنمّا أردتَ نجاتنا ، فلم تزدْ على أن ألقيتنا في الهَلكَةِ ، فردَّ الناسُ وقَطَعَ وضنَ الهَوادجِ لئلا تستطيعَ بكرٌ أنتسُوقَ نسَاءهم إنْ هَربوا ، فسُمِّي مَقطعُ الوَضنِ ، وهِيَ حُزم الرِّحالِ ، ويقالُ : مقطعُ البطن([2]) ، وضربَ حنظلةُ على نفسِهِ قُبةً ببطحاء ذي قارٍ وآلى ألا يفرَّ حَتَّى تفرَّ القبةُ ([3]) .

ومِنَ الجَديرِ ذكرُه أنَّ يَزيدَ بن حِمارِ السّكونيّ كَانَ حليفا لبني شَيبان ، فأشارَ على بكر أنْ يكمنوا به ، ففعلوا ([4]) ، أمّا ربيعةُ بن غزالة السّكونيّ التجيبيّ فقد نزلَ في بني شَيبان هُوَ وقومُهُ فقالَ :

---

[1]– ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 71/2– 72 ؛ الطبري ؛ تاريخ الأمم والملوك ، 479/1 ؛ العسكري ، الأوائل ، 281 ؛ ابن مسكويه ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، 239/1 ؛ البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، 106/1 . ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، 267/2 .

[2]– البَطْن والبِطانُ : حِزامُ الرَّحْل والقَتَب ، وقيل : هو للبعير كالحِزام للدابة والجمع أَبطِنةٌ . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (بطن) .

[3]– ينظر : أبو عبيدة ، م . س ، 71/2 –72 ؛ الطبري ، م . س ، 479/1 ؛ العسكري ، م . س ، 281 ؛ ابن مسكويه ، م . س ، 239/1 . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 489/1 ؛ النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، 330/15 .

[4]– ينظر : أبو عبيدة ، م . س ، 72/2 ؛ الطبري ، م . س ، 479/1 ؛ ابن خلدون ، م . س ، 267/2 .

" يا بني شَيبان ، أمّا واللهِ إنّي لو كُنتُ منكُم لأشرتُ عليكُم برأيٍ مِثلِ عُروة العكم([1]) فقالوا : أنتَ واللهِ من أوسطِنا فأشرْ علينا ؛ فقالَ : لا تستهدفوا لهذهِ الأعاجمِ ، فتهلكَكُم بنشابِها ، ولكن تكردسوا كراديسَ ، فإذا أقبلُوا على كردوسٍ شدَّ الآخرُ ، فقالوا : قد رأيتَ رأيا " ([2]) .

فقدْ كانَ لقبائلِ العَربِ وأشرافِها دَورٌ بَارزٌ في التَّخطيطِ للمعركَةِ ، ولا سيّما أنّ مَلِكَهم العَربيّ – النّعمان – قَدْ نالَ منه كِسرى ، فلا بدّ أنْ يقفُوا في وجهِهِ ويتحدُّوهُ ، فحنظلةُ بن سَيَّار العِجليّ يختارُ الحَربَ على الاستسلامِ مَهمَا بلغتِ النتائجُ ، وعلى الرّغمِ مِن رأيِ هانئ الشيبانيّ الَّذي كَانَ يُثبّطُ العَزيمَةَ ويضعِفُ الهِممَ ، إلا أنّ حَنظلةَ أصَرّ على المَوتِ بِعزّةٍ ورفضَ الحَياةَ الذَّليلةِ ، ونَراهُ أيضًا يستعمِلُ خُطةً عَسكريَّةً لتثبيتِ أقدَامِ الجُنودِ والرَّبطِ على قلوبِهَا ، فأخذَ يقطَعُ وضنَ الهَوادجِ لئلا يستطيعَ البكريونَ سوْقَ نسائهِم إنْ هَربوا ، وضَربَ حَنظلةُ على نفسِهِ قُبةً ببطحاء ذي قارٍ وآلى ألا يفرَّ حَتّى تفرَّ القبةُ ، عَلاوةً على إشارةِ قَيس بن مسعود إلى توزيعِ الدُّروعِ والسِّلاحِ على الجُنودِ إيذانا ببدْءِ المعركَةِ ، وتحذيرًا منها ، إضافَةً إلى زيدِ بنِ حِمار الَّذي تلخَّصَ رأيُه بعملِ كَمينٍ لهم في ذي قار ، وَمِنَ الجَديرِ ذِكرُه أنّ ربيعةَ بن غَزالةَ السّكونِي لوّح بعملِ الكراديس الَّتي كَانَ لَها أثرُها في المَعركةِ ، هكذا كانَ بعضُ مَنْ يَملِكُ الخبرةَ العَسكريَّةَ مِنَ العَرَبِ يُملي برأيِهِ وخطَّتهِ استعدادًا لهذا اليوم الَّذي عُدّ أوَّلَ يومٍ انتصرَ فيه العَربُ على العَجمِ .

---

[1]– العكم : الحبل . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة (عكم) . العروة : العُقْدة . ينظر : الزبيدي ، م . ن ، مادة (عقد) .

[2]– الأصفهاني ، الأغاني ، 67/24 .

ثانيا – تخيّرُ ذي قَار مَوقِعًا للمَعرَكَةِ :

إنَّ اختيارَ مَوقِعِ المَعرَكَةِ أمرٌ لَهُ أهميتُهُ في الحُروبِ ، كونُه عَامِلا رئيسًا في نَتيجةِ المَعرَكةِ ، لهذا نَجِدُ كثيرا مِنَ المَعاركِ الّتي حَدثتْ مُنذُ الجاهليَّةِ مُرورًا بالإسلامِ ثمَّ العُصورِ المتتاليةِ كَانتْ تَقومُ على التّخطيطِ بعد اختيارِ الَمكانِ المُناسبِ فالمَكانُ الجَغرافيُّ لَهُ أهميَّةٌ كبيرةٌ في المَعاركِ ، فبناءً عليه تَقومُ خُطةُ المَعركةِ .

إنَّ يَومَ ذِي قار مِنَ الأيّامِ المُهمّةِ في تَاريخِ الأمّةِ العَربيّةِ ، فقدْ كَانَ اختيارُ مَوقعِ هذا اليوم بناءً على رأيِ النّعمانِ بن زُرعة ، فَعندَمَا رفَضَ هَانئ الشَّيبانيّ دفعَ الأدرعِ لكسرى ، أخَذَ كِسرى يَستشِيرُ أعَوانَهُ في أمرِ العَرب ، فَقالَ النّعمانُ بن زُرعة التّغلبيّ : " يا خَيرَ المُلوكِ ، هَلْ أدلُّكَ على عَدوٍّ يطلُبُهم ، وعلى غرّة بكر ؟ قالَ : نَعم ، قَالَ أمهِلنا حَتَّى نقيظَ ، فَإنّهم لو قَاظُوا تَساقَطُوا كالفَراشِ في النّار ، فأخذتَهم كَيفَ شِئت ، وأنا عِندَكَ إلى أنْ أكفيَهم ، ومَعَ ذلكَ فإنَّ مُطاليبهم في ذلكَ الوقتِ كَثير ، وذَلكَ ما يُوهنُ كَيدَهم ، ويَكونُ أيسرَ على المَلك مطالبتِهِم لِمَن يشغلُهم مِمّن يَطلُبُهم بالذحْلِ " ([1]) .

رَسَمَ النّعمانُ بن زُرعة خُطتَه ؛ وأدلى بها لكِسرى ، فَقَبِلَهَا وعدّها خُطَّةً ناجحةً ؛ لأنَّ بني بكر يكونون في تِلكَ اللَّحظةِ مُجتمعِين ، فيأخذُهُم جميعًا ، والظّاهرُ أنَّ عُروبةَ ابن زُرعة ومَعرفتَهُ بعاداتِ إخوانِهِ العَرَبِ ومَتى يقيظُونَ ، دَفَعتهُ لاختيارِ هذا الوَقتِ ، ويُلاحَظُ أنَّهُ يَستخدِمُ التّشبيهَ السّاخر في خُطتِه، إذْ شَبّه العَربَ حِينَ يسقُطُونَ في المَعركةِ بالفِراشِ ، وهذا يدلّ على حِقدِه على البكريين وبغضِه لَهُم ، فيتمنَّى لهُم شرّا وسُوْءا .

---

[1]– أبو عبيدة ، أيام العرب قبل الإسلام ، 243/2 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 479/1 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 262/5 ؛ العسكري ، الأوائل ، 289 ؛ ابن مسكويه ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، 238/1 ؛ الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 411/2 ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 488/1 ؛ النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، 330/15 ؛ البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، 597/5 . وقد وردت عبارة " تهافتوا تهافت الجراد في النار" . ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 61/24 . الذحْل : الثأر . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ذحل) .

أقرَّ كِسرى الخُطّةَ حَتّى إذا قَاظُوا ، جَاءتْ بَكرُ بن وائل فنزلت الحِنو – حِنو ذي قار – وهي مِنْ ذي قار على مَسيرةِ ليلة ، فأرسلَ إليهم كِسرى النّعمانَ بن زُرعة أنْ اختاروا واحدة مِنْ ثلاثِ خِصالٍ ، فاختاروا الحَربَ ، فاستقوا مَاءً لنصفِ شَهر، فأتتهُم العَجمُ فقاتَلُوهم بالحِنو ، فعَجزتْ العَجمُ مِنَ العَطشِ ، فهَرَبتْ إلى الجُبايَات ([1]) ، فتبعَتْهم بَكرٌ وعِجل ، لذلكَ كَانَ لعَيْن ذي قار أهَميَّةٌ واضحَةٌ في إضعَافِ الخَصمِ ، ثمَّ مَالُوا بَعدَ ذَلكَ إلى بَطحاء ذي قار فاجتلدوا ، وتعاركَ القَوم ([2]) .

كانَ للبُعدِ المَكانيّ في يَومِ ذي قار أهَميَّةٌ بَارزةٌ ، رغمَ أنّ النّعمانَ بن زُرعة أرادَ مِن هذا الموقعِ اجتماعَ العَرَبِ عِندَ مَوسمِ القَيظِ ، إلا أنّ هَذا المَوسمَ كَانَ لصالحِ العَرَبِ ، حَيثُ كَمَنوا فيه فلمْ يَستطعِ الفُرسُ الوُصولَ إلى المَاء ، فَكانَ العَطشُ حَليفَهُم ، وهُوَ مِنْ أهمّ العَوامِلِ الّتي تُضعِفُ الجَيشَ .

ثالثا – استِعدادُ الشّيبانيينَ نفسيّا ومَاديّا :

استِنادًا للعُرفِ العَسكريّ ، فإنَّ كُلّ مَعرَكَةٍ تُشارفُ على البِدايةِ ، لا بدّ أنْ يكونَ لَهَا استعداداتٌ وتجهيزاتٌ عَلى الصَّعيدين : النّفسيّ والمَاديّ ، وقدْ تَقَدمَ الجَانبُ النّفسيّ على المَاديّ ؛ لِمَا لَهُ مِنْ أهميةٍ تَفوقُ الجَانبَ العَسكريّ ، فقوّةُ الجَيشِ مِنْ قوةِ مَعنوياتِهِ ، والتّاريخُ يثبتُ ذَلكَ مِنْ خِلالِ المَعاركِ الّتي حَدَثتْ على مَرّ العُصورِ سَواءٌ أكانتْ مِنْ عَصرٍ جاهليّ أم إسلاميّ ، لذلكَ فإنّ شَحذَ الهِممِ والطَّاقاتِ ورفْعَ مَعنوياتِ الجُنود ، عَلاوة على التَّحضيرِ المَاديّ للمعركةَ مِنْ حَيثُ تجهيزُ الأسلحةِ ، وتوزيعُ الأدوارِ وتقسيمُ المَواقعِ ، وتَدريبُ الجُنود ، وغَيرُها ، مِنْ أهمّ العَوامِلِ الأساسيّةِ الّتي يقومُ عليها الاستعدادُ للمعرَكَةِ .

---

[1]– موضع قريب من ذي قار كانت به إحدى وقائع بكر مع الفرس . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 97/2 .

[2]– ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 74/2 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 479/1–480 ؛ الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 414/2 ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 489/1.

ولَعلّ أولَ الإرهاصاتِ الّتي نبأتْ ببدايةِ الحَربِ ، أنّهُ عِندمَا بَدَأ الفُرسُ بترتيبِ الصّفوفِ ، أخذوا يتشاوَرونَ في استعدادِهِم للحَرب ، وكانتْ هِند بنتُ النُّعمانِ زَوجا لعَديّ بن زيد ([1]) ، فَهِيَ يومئذٍ في جوارِ هَانئ بن قُبيصَة الشّيبانيّ([2]) ، وبعثتْ إلى بني بكر تنذرُهُم ، فقالتْ ([3]) : **[البحر الوافر]**

أَلاَ أَبلغْ بني بكـــرٍ رَسُولًا فقد جَـــدَّ النّفيـرُ بعَنْقَفـيرِ

فَلَيتَ الجيشَ كُلّهمُ فِداكُمْ ونفْسيَ والسَّرِيرَ وذا السَّرِيرِ

كَأَنّي حينَ جَدَّ بهم إليكُمْ مُعَلَّقـــةُ الـــذَّوائبِ بالعَبُورِ

فلو أنّي أطقتُ لِذاكَ دَفْعًا إذَنْ لَدَفَعـتُهُ بِـدَمِي وَزِيـرِي

فقدْ بعثتْ لَهُم بهذا الشّعرِ تُنذرهُم بهِ مِنْ كِسرى وجيشِهِ ، ولا شكّ أنّ الإنذارَ والتَّحريضَ مِنْ عَواملِ الاستعدادِ ، فَقدْ أوصاهُم كِسرى إذا شَارفتم أرضَ بكرٍ ابعثوا النّعمانَ بن زُرعة يُخيّرُهُم بينَ ثلاثِ خِصالٍ ، فلمّا بَلَغَ بكر بن وائلٍ الخَبرَ سَارَ هانئٌ حتّى انتهى إلى ذي قار فنزلَ بِهِ ، وأقبلَ النُّعمانُ بن زُرعة ، وقدْ كَانَ يُحبُّ هَلاكَ بكر ، وأَخَذَ يُحذِّرُهُم ممَّا هوَ آتٍ لَهُم مِن أحرارِ فارسَ ومواليهم ، وحَثّهُم على دفْعِ رَهنًا من أبنائهم ، فكان هذا مِن عوامِلِ الاستعدادِ للمعرَكَةِ أيضًا .

وجعلتْ بكر بن وائل – حِينَ بَعثوا إلى مَنْ حَولَهم مِنِ قَبائلِ بكر – يتَحيَّرون في مَكانِ سيّدِهِم ، فكُلُّ جَماعةٍ تأتي يتوقَّعونَ أنّهُ فيهم ، وبَعدَ انتظارٍ طَويل ، وَصَلَ رجلٌ أصلعُ الشّعرِ عظيمُ البَطنِ ، مُشرَّبٌ بحمرَةٍ ، فإذا هُوَ حَنظلة بن سَيار العِجلي ، فقالوا : يا أبا مَعدان قدْ طَالَ انتظارُنا ، وكَرِهْنا أنْ نقطَعَ أمرًا دونكَ ، وهذا ابنُ أختِكَ النّعمانُ بن زُرعة قدْ جاءَنَا ، والرّائدُ لا يكذبُ أهلَهُ ، قال : فمَا الَّذي

---

[1]– ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 97/2 .

[2]– ينظر : الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 413/2 .

[3]– ينظر : الأصفهاني ، م . س ، 62/24–63 ؛ الحلي ، م . س ، 413/2 .

أجمَعَ عليه رأيُكم واتفقَ عليه ملؤُكم ؟ قالوا: إن اللَّخيَّ([1]) أهونُ مِنَ الوَهيّ([2]) ، وإنَّ فِي الشّرِّ خَيارا ... .

قال حنظلة : فقبَّحَ الله هذا رأيا لا تجر أحرارُ فارس غزلها ببطحاء ذي قار ، وأنا أسمعُ الصوتَ ثمَّ أمرَ بقبَّته ، فضُرِبَت بوادي ذي قار، ثمَّ نزلَ ونزلَ النّاسُ ، فأطافوا به ، ثمَّ قال لهانئ : يا أبا أُمَامة إنَّ ذمَّتكم ذمتُنا عامّة ، وإنَّه لنْ يوصلَ إليكَ حتَّى تفنى أرواحُنا ، فاخرِجْ هذه الحَلَقةَ ففرّقها بينَ قومِكَ ، فإنْ تظفر فستُردُّ عليكَ ، وإنْ تهلك فأهونُ مفقود ، فأمرَ بها فأخرِجَتْ ففرَّقها بينُهم ، ثمَّ قالَ حنظلةُ للنّعمان : لولا أنّكَ رَسُولُ لما أُبْت إلى قومِك سالمًا([3]) ، فهذا حنظلةُ يرفضُ الاستسلامَ ، ولا يرى غيرَ الحَربِ مَلجأً ، ولَعلَّ القَرارَ أولى حَلقاتِ الاستعدادِ ، ويبدو أنّه البِدايةُ الفِعليَّةُ للمَعرَكَةِ ، ويظهَرُ ممّا سَبق أنّ حَنظلةَ يَرفُضُ الاستسلامَ رفضًا قاطِعًا ويرى أنَّ القِتالَ هوَ السبيلُ المُرجَّح .

رَجَعَ النّعمانُ إلى أصحَابِهِ فأخبرَهُم بما رَدّ عليه القَوم ، فباتوا ليلتَهُم مستعدينَ للقتَالِ ، وباتَتْ بكرُ بن وائل تتأهبُ للحَربِ ، فلمّا أصبحُوا أقبلتْ الأعاجمُ نحوَهم ، وأمرَ حنظلةُ بالظعنِ جميعا فأوقفَهَا خَلفَ النَّاسِ ، ثُمَّ قالَ : " يَا معشرَ بكر بن وائل قَاتلوا عن ظَعنِكم ، أو دعوا "([4]) فيظهرُ أنَّها بِدايةَ التّحريضِ الَّتي وجَّهَهَا حَنظلةُ إلى بني بكر ، فَهُو يَستعدُّ ويُوصِي بالقتالِ ، ولَعلَّ هَذا أوَّلُ مَراحِلِ الاستعدادِ النَّفسيّ .

وَهَذا رَبيعةُ بن غَزالة السّكونيّ ثمَّ التَّجيبيّ قدْ كانَ لَهُ دَورٌ بَارزٌ في الاستعدادِ والتَّخطيطِ للمَعرَكَةِ فَكانَ يَومئذٍ هُوَ وقومُهُ نزولًا في بني شَيبان ، فقد أشارَ عليهِم بفكرَةِ الكراديس فقالوا : فإنّك رأيتَ رأيا ففعَلُوا فَلمّا التقَى الزَّحفانِ ، وتقاربَ القوُم قَامَ حَنظلةُ بن ثَعلبة ، وأخَذَ يَشحنُ الهِممَ ، ويجعُلُهم يستعدُّونَ ([5])

---

[1]– ألخيتُه : أعطيته مالي . ينظر : الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مادة (لخي) .

[2]– وَهَى الشيءُ وَهِيا : بَلِيَ ، وَأوْهاهُ : أَضْعَفَه . ينظر: الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة (وهي) .

[3]– ينظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 263/5 ؛ الأصفهاني، الأغاني ، 62/24–66 ؛ البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، 598/5 .

[4]– الأصفهاني ، الأغاني ، 67/24 ؛ ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، 17/2 ؛ البقاعي ، م . س، 598/5 .

[5] – ينظر : الأصفهاني ، م . س ، 67/24 ؛ البقاعي ، م . س ، 598/5 .

فقالَ : " يا مَعشرَ بكر بن وائل إنّ النّشابَ الّتي معَ هؤلاءِ الأعاجمِ تفرقُكُم ، فعاجِلوا اللّقاءَ وأبدؤوهُم بالشِّدَّةِ "([1]) .

وَكَانَ لهَانئ الشَّيبانيّ دورٌ مهمٌّ في رَفعِ المَعنويَّاتِ وإصدارِ التَّوصياتِ الَّتي مِنْ شَانِها تُقويةُ العَزيمةَ وتثبيتُ الأقدامَ ، فلمّا التَقَى الزَّحفان وتقاربَ القومُ قالَ هانئ : " يا قَومِ ، مُهلكٌ مَعذُورٌ خيرٌ مِنْ مُنجٍ مَعرورٌ([2]) ، إنَّ الجَزَعَ لا يَردُّ القدَرَ ، وإنَّ الصّبرَ منْ أسبابِ الظّفرِ ، المَنيّةُ خَيرٌ مِنَ الدّنيّةِ ، واستقبالُ المَوتِ خيرٌ من استدبارِهِ ، فالجدّ الجدّ ، فمَا مِنْ المَوتِ بُدّ " ([3]) .

إنّ الّذي يَقفُ عِندَ هَذِه الخُطبةِ القَصيرةِ الّتي قالَهَا هَانئ يَجدُ فيها إشاراتٍ لبدايَةِ المَعرَكَةِ ، فقدْ اعتادَ الجاهليونَ على إلقاءِ الخُطَب القَصيرةِ الَّتي تَسبِقُ المَعرَكَةَ ، والَّتي مِنْ شأنِها أنْ ترفعَ هِممَ الجُنودِ وتُغذِّي نُفوسَهُم لمُواجَهةِ العدوّ، فالنّاظرُ إلى هذه المُفرداتِ والعِباراتِ يَراها كُلَّها بَثَّ العَزائمِ والشّجاعَةِ والإصرارِ والتّحدّي في نُفوسِ الجُنود ، فَهوَ يَرى أنَّ الهَلاكَ بعزةٍ خيرٌ مِنَ العيشِ الذليلِ ، وأكَّدَ في حَديثِه أنّ الحَذرَ لا يُنجي مِنَ القَدَر شيئا ، وأشارَ إلى سِمةِ الصّبر ، فالشّجاعةُ صَبرُ سَاعةٍ ، وكرّرَ تفضيلَ الموتِ على المذلّة ، ونراهُ قدْ صَممَ على الشّجاعةِ فِي المُواجهةِ ، وليس الهُروبِ ، وأخيرا أوصَى قومَهُ بالجِدّ والاستعدادِ والإقدامِ ، وهذا أولُ بابٍ مِن أبوابِ الاستعدادِ للمَعرَكَةِ .

ثمَّ قامَ شُريكُ بن عَمرو بن شراحيل بن مرّة بن همّام فقالَ : " يا قَومِ إنمّا تَهابونَهم لأنكم تروْنهم عِندَ الحِفاظِ أكثرَ منكم ، وكذلكَ أنتمْ في أعينِهم ، فعليْكم بالصّبرِ ، فإنَّ الأسنّةَ ([4]) تردي الأعنّة([5]) يا آلَ

---

[1] – ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 263–364 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 67/24 ؛ البقاعي ، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور ، 598/5 .

[2]– عُرَّ فلانٌ إذا لُقِّبَ بلقب يَشِينُه ، العَرَّةُ الخَلّةُ القبيحة . ينظر ، ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عرر) .

[3]– ينظر : ابن عبد ربه ، م . س ، 263/5–264 . الأصفهاني ، م . س ، 68/24 ؛ البقاعي ، م . س ، 598/5 ؛ القالي ، الأمالي ، 167/1 .

[4]– الأَسِنَّة : جَمْع سِنان للرمح . ينظر ، ابن منظور ، م . س ، مادة (سنن) .

[5]– العِنانُ : سَيْرُ الّلجامِ الذي تُمْسَكُ به الدَّابَّةُ ، سُمِّي به لاعْتِراضِ سَيْرَيْه على صَفْحَتيْ عُنُق الدابَّةِ من عن يمِينِه وشمالِه . ينظر ، ابن منظور ، م . س ، مادة (عنن) .

بكر قُدُما قُدُما "([1]) ، فَهَا هُوَ شُريكُ يُحذِّرُ قَومَهُ مِنَ مَهابَة الفُرسِ ، لأنَّكم تَرونَهم أكثرَ منْكم ، فأكَّدَ لَهمْ أنَّهُم يرونَكُم كَما ترونَهُم ، لذلكَ أنتم في أعينِهِم كَما هُمْ في أعينِكُم ويوصِي قَومَه بالصّبرِ والثّبات ، والإقدامِ ، وهذا لَونٌ من ألوانِ الاستعدادِ النّفسيّ أيضا .

ومِن الّذينَ كانَ لهُم بصمَةٌ في تَوجيهِ الجُيوشِ ، وكَيفيةِ الاستِعدادِ ، عَمرو بن جَبَلَة بن بَاعِث بن صريْم اليَشكريّ الّذي يَقولُ ([2]) : **[البحر الرجز]**

يا قوْم لاَ تغرُرْكُمُ هَذِي الخِرقْ وَلاَ وَميضُ البَيْضِ في الشَّمس برَقْ

مَنْ لـــم يقَاتلْ مِنْكُمُ هذِي العُنُق فجنِّـــبوه الــرَّاح واسقُـوه المـــرَقْ

أمّا حَنظلةُ بنُ سيّار العِجليّ فَقدْ كَانَ لَهُ دورٌ بارزٌ في الاستِعدادِ للحَربِ ، حَيثُ ضَربَ لنفسِهِ قُبةً في وادي ذي قار ، وآلى ألّا يَفرَّ حَتّى تَفرَّ القبّةُ ([3]) ، فَهذا الأمرُ خَيرُ دَليلٍ على تحدّيهِ لكِسرى وجَيشِهِ ، ولا شَكّ أنّ الجُنودَ إذا رأوا القَائدَ مُشمّرًا عن سَاعديهِ ، مِقدَاما ، ثابتًا ، فَهذا سَيُعزّزُ قوَّتَهم ، ويَرفعُ مَعنوياتِهم ، ويمكّنُهُم مِنَ التأهبِ والثّبات .

ثمَّ قَامَ حَنظلةُ بن ثَعلبة إلى وضينِ راحِلَةِ امرأتِه فقطعَهُ ، ثمَّ تَتَبَّعَ الظّعنَ يَقطَعُ وضنَهنّ لئلا يَفرَّ عَنهُن الرّجالُ ، فَسُمّي يومئذٍ مقطعُ الوَضين ([4]) ، وقَطَعَ وَضنَ ابنتِه مَاريّة ، فَوقَعَت على الأرضِ ([5]) ، وقَطْعُ الوَضين يدلّ على الثّبات ، وهُوَ مَلمحٌ مِنْ مَلامحِ الاستِعدادِ .

---

[1]– الأصفهاني ، الأغاني ، 68/24 ؛ البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، 598/5 .

[2]– الأصفهاني ، م . س ، 68/24 ؛ البقاعي ، م . س ، 598/5 .

[3]– ينظر : أبو عبيدة ، أيام العرب قبل الإسلام ، 244/2 ؛ الأصفهاني ، م . س ، 66/24 ؛ العسكري ، الأوائل ، 289–290 ؛ البقاعي ، م . س ، 240/5 ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 489/1 .

[4]– ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 72/2 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 479/1–480 ؛ الأصفهاني ، م . س ، 68/24 ؛ البقاعي ، م . س ، 598/5

[5]– ينظر : أبو عبيدة ، م . س ، 495/2 ؛ ابن مسكويه ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، 241/1 .

ونَرَى الشّيبانيينَ يقطعُونَ سَبعمائةٍ مِنْ أيدي أقبيتَهم مِنْ قِبَلِ مَناكِبِهم ؛ لأنْ تخفَّ أيديهِم بضربِ السّيوفِ ، فَجَالدوهُم ، وأبدَعُوا بِهِم ([1]) .

لا شَكّ أنَّ التَّخطِيطَ العَسكريَّ في تَرتيبِ الجُنودِ ، وتَصنيفِ الأدوارِ مِنَ الأهميَّةِ بِمكان ، لأنَّهُ كَانَ سَببا في فَوزِ بَعضِ الأطرافِ على الأخرى في بَعضِ المَعارِك ، ولذلكَ فقدْ اتُبعَ الاستِعدادَ المَاديّ في هذا اليوم ، فَفِي تَقسيمِ الفِرَقِ " كَانتْ بَنو عِجلٍ في المَيمنةِ بإزاء خنابرين ، وكانَتْ بنو شَيبان في المَيسرةِ بإزاءِ كَتيبَة الهَامَرز ، وكَانتْ أفناءُ بكرِ بن وائلٍ في القَلبِ ، فَخَرجَ أسوارٌ مِنَ الأعاجمِ مُسوّر في أذنيهِ درَّتانِ مِنْ كَتيبةِ الهَامَرز يتحدَّى النَّاسَ للبِرازِ ، فنادَى في بني شَيبان فلمْ يبرزُ لَهُ أحدٌ ، حَتّى إذا دَنا مِنْ بني يَشْكر بَرزَ لهُ يزيدُ بن حَارثة أخو بني ثَعلبة بن عمرو([2]) ، فشدَّ عَليه بالرُّمح فَطَعنهُ فَدَقَّ صلبَه ، وأخَذَ حليتَهُ وسلاحَهُ ، فذلكَ قولُ سُويد بن أبي كَاهل يفتخر" ([3]) : **[البحر الطويل]**

ومنَّا يَزيدُ إذْ تحدَّى جُموعَكمْ فلم تَقْرَبوه المَرْزُبانُ المسهَّرُ

وبارَزَهُ مِنَّا غُلامٌ بِصَارمٍ حُسَامٍ إذا لاقى الضَّرِيبَة يَبتُرُ

ولمَّا عَلمَ قيس بن مسعود بقُدومِ الفُرسِ ليلا انسلَّ فأتى هَانئا فأشار عليه بتوزيع الأسلحة الدُّروعَ والسِّلاحَ في ذوي القُوى والجَلَد مِنْ قَومِهِ ([4]) .

---

[1] – ينظر : أبو عبيدة ، أيام العرب قبل الإسلام ، 496/2 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 1/ 480 ؛ البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 599/5 .

[2]– وقد رويت بالروايتين (بريد ويزيد) ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 73/2 ؛ وقد اتفق مع رواية زيد بن حارثة الأصفهاني . ينظر : الأغاني ، 69/24 . ورأيي يكمن فيما قاله الأصفهاني .

[3]– ينظر : أبو عبيدة ، م . س ، 73/2 ؛ الأصفهاني ، م . س ، 68/24–69 ؛ ابن مسكويه ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، 241/1 .

[4]– ينظر : أبو عبيدة ، م . س ، 71/2–72 ؛ الطبري ، م . س ، 479/1 ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 489/1.

يُستنتَجُ ممّا سَبق أنّ حَنظلةَ بن سيّار العجليّ ، كَانَ نِعمَ القَائدُ ؛ فَقدْ بَلغَ اهتمامُهُ بالجُنودِ شَأوا عَاليًا، حَيثُ ظَهَرَ عَزيزا لا يقبلُ الذلَّ والمَهانةَ حِينما أصَرَّ على الحَربِ ورفَضَ الاستسلامَ ونَراهُ قائدًا مَيدانيًّا حِينما أوصَى بتوزيعِ الحَلقةِ على الجنودِ استعدادًا للحَربِ ، عَلاوة على إشارتِهِ لقَومِهِ أنْ يَبدؤوا القِتالَ .

يتبيَّن أنَّ حنظلةَ لمْ يَكُنْ رجُلًا يُشيرُ إلى الجُنودِ مِنْ قَصرٍ مَشيدٍ ، وإنمَّا نراهُ يَضرِبُ لنفسِهِ قُبةً في وادي ذي قار حِين بَدَأت المَعركةُ ، وآلى على نفسِهِ الثَّبات ، فَهُوَ مَنْ بَدأ بقطعِ وضْنِ الهَوادجِ في الحَرب ، وبَدأ بوضنِ زوجتِهِ ، وابنتِه ماريّة ، حَتَّى وقعتْ على الأرضِ .

وتَظهرُ حِكمةُ هَانئ بن قُبيصَة الشَّيبانيّ في تَثبيتِ أقَدامِ الجُنودِ بالحِكم حِينَ قَالَ : المَنيةُ ولا الدّنيّة ، والطَّعنُ فِي الثُغورِ خَيرٌ وأكرمُ مِنَ الطّعنِ في الظُّهور([1]) .

وقدْ أشَارَ قَيسُ بن مَسعودٍ عِندَما انسَلَّ ليلًا بِتوزيعِ السّلاحِ على الجُنودِ ، استِعدادًا للقِتالِ ؛ وذلكَ لِما رَآه مِنْ تَجهيزاتِ كِسرى للحَربِ ، وهذا بَاعِثُ بن صريم اليَشكريّ ، يُطمئنُ الجُنودَ بتصويرِهِ الفُرسَ بالخِرَق، ويَظهرُ شُريكُ بن عَمرو أيضَا وهُوَ يَربِطُ على قُلوبِ الشيبانيين ، عِندَما قَالَ لَهُم : إنَّكم بأعيُنِهم ، كَمَا هُمْ بأعينِكم ، أمّا رَبيعةُ بن غَزالة السّكونيّ ، فَقَدْ طَرحَ أنْ يتكردسُوا في كَراديس ، وهذه الإشارات التي جاؤوا بها ، تعدُّ ضربا من ضروب الاستعداد بشكلٍ أو بآخر .

[1]– ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 68/24 .

المبحثُ الثّالث : بِدايةُ المَعرَكَةِ ومجرياتُها .

أولا – انسحابُ الإياديينَ وجُموعٍ مِنَ العَربِ ، وأثرُه في إضعافِ الفُرسِ :

إنّ ضَعْفَ العَرَبِ – بِشكلٍ عَام – وتَفَرُّقَهِم أخضَعَهُم لسَيطرةِ الفُرسِ ، فَقَدْ أصبحَ الفُرسُ أصحابَ سيادةٍ على العَرَبِ ، وشَهدَ العَصرُ الجاهليّ مُوالاةَ بَعضِ القَبائلِ العَربيّةِ للفُرسِ بشكلٍ واضحٍ ، وقدْ ظَهَرتْ مُولاةُ العَرَبِ للفُرسِ ضِدَّ أبنَاءِ عُروبتِهم في بعَضِ الأيّامِ ، كَيومِ ذي قار ، وهذَا الأمرُ يُحسَبُ عَليهم ويَزيدُهُم خُنوعًا وذلا ؛ لأنّه يجدرُ بالعَربيّ ألّا يَقِفُ مَعَ العَجميّ ضَدَّ أبناءِ عُروبتهِ ، مَهمَا بَلغَ الخِلافُ ، فعِندَمَا يواجِهُ العَربيّ خَطَرًا خَارجيًّا يَجِبُ عَليه إبعادُ الخِلافاتِ الدّاخليَّةِ ، وعَدمُ تفعيلِها فِي ذلكَ الوَقتِ ، والاهتمامُ بما يقدُمُهم ؛ لأنّ الأعجمي لا يُفرّقُ بينَ أيٍّ مِنهما ، فكِلاهُمَا عِندَه عَربيّ مُحتقرٌ ، وكِلاهُما مَذمومٌ ، لذلكَ الأصلُ تَوحيدُ الصّفوفِ ورصُّها ؛ لأنّهَا طَريقُ النّجاةِ والنّصرِ ودَرءِ المخاطِرِ .

نَزلَ النّعمانُ بن زُرعة على بني بكر ، وخيّرهم ، فتآمروا بينَهم ، فَولّوا أمرَهُم إلى حَنظلةِ بن سيّار ، فرَفَضَ حَنظلةُ بن سَيَّار الاستسلامَ ، واختارَ الحَربَ ؛ لأنّه يَعلمُ أنّ الاستسلامَ خُنوعٌ وذلٌّ ، ولا يَحمي مِنَ المَوتِ ، فَلئِن يَموتَ الرّجلُ كريمًا خيرٌ لَهُ مِنْ أنْ يذُوقَ المَوتَ بأشكالٍ كَثيرة ، وأضَافَ أنّهُم إذا قبِلوا تَسليمَ أيديهِم سَوف يُقتلون لا مَحالَ ، لذلكَ كَان قرارُهُ الحَربَ([1]) ، فكَأن حَنظلةَ قدْ أوتِيَ مِنَ الفطنَةِ والخِبرةِ والحِكمةِ شَيئا كَثيرا .

عَقدَ كِسرى للنّعمانِ بن زُرعة عَلى تَغلِبَ والنّمرِ، وعَقدَ لخَالدِ بن يَزيد البَهرانيّ عَلَى قُضاعَةَ وإيادٍ، ، فَكانتِ العَرَبُ ثَلاثةَ آلافٍ ، وعَقدَ للهَامَرز على ألفٍ مِنَ الأساورةِ([2]) ، وعَقَدَ لخنابرين على ألفٍ ([3])

---

[1] – ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 71/2 .

[2]– أساورة الفُرس : فرسانُهُم المقاتلون . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة (سور) .

[3]– ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 62/24 ؛ ابن رشيق ، العمدة ، 228/2 ؛ ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، 216/2 ؛ الحموي ، معجم البلدان ، 294/4 ؛ النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، 330/15 ؛ البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، 597/5 . وقد ورد أن كسرى عقد للهامرز على اثني عشر ألف رجلا ينظر : البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، 106/1 .

أيضا ، فكلُّ هذه الترتيبات سواء أكانت عربيةً أم غيرَ عربيَّة وُجِدَتْ ولاءً لكِسرَى ، إلا أنّ العَرَبَ فاقُوا مِنْ غَفلتهِم ورَجَعُوا إلى صَوابِهم ، وقَرَّرتْ بَعضُ القَبائلِ العَربيّةِ غدرَ الفُرسِ والانضمامَ إلى الشّيبانيين ، ولا شَكّ أنَّ هَذا الأمَرَ لَهُ أثرٌ بَارزٌ في إضعافِ نفوسِ جُنودِ الفُرسِ ، وزَعزَعَةِ ثِقتِهِم ، وإرباكِ صُفوفِهِم ، علاوةً على مَوقفِ قيسِ بنِ مسعودٍ ، فقد كانَ لهُ أثرٌ بارزٌ في تنبيه الشَّيبانيينَ من تجهيزاتِ الفُرسِ .

حدَّدَ العَرَبُ مَصيرَهُم في قَبولِ الحَربِ ، إلّا أنَّ هَانئا أشارَ إلى الهُروبِ وركُوبِ الفَلاة ؛ لأنّه لا طَاقةَ لَهُم بكِسرَى لكنَّهُم تواجهوا فدَنَتِ العَجمُ مِنهم ، وقاتَلُوهُم في الحِنوِ ، فَجَزعتِ العَجمُ مِنَ العَطشِ ، وهَرَبتْ ، وأبلَتْ عِجلٌ بَلاءً حَسَنا ، ثمَّ قاتلُوهُم في الجباياتِ يومَ عَطِشَ الأعاجمُ ، ثمَّ مَالوا إلى بَطحاءِ ذي قار ، فأرسلتْ إيادٌ إلى بَكر سِرّا – وكَانتْ أعوانا معَ إياسِ بن قُبيصةَ على بَكر– أيُّ الأمرينِ أعجَبَ إليكم أنْ نَطيرَ تَحتَ ليلتِنَا فنذهَبُ ، أو نُقيمَ ونَفرَّ حِينَ تُلاقوا القَومَ ؟ قَالوا : بَلْ تقيمُونَ ، فإذا التقَى القَومُ انهزمتُم بِهِم ([1]) ، وقَدْ رَوَى الحِلي أنَّ العَرَبَ الّذينَ كَانوا في جُنودِ الفُرسِ أرسَلُوا إلى بَكر استشارتِهمِ في الانضمامِ إليهم ([2]) ، وهَذِهِ الخُطّةُ لَهَا وقعُهَا في الحَربِ ؛ لأنَّ الفُرسَ لمْ يتنبَّهُوا إلى مِثلِ هَذَا الأمرِ ، فَسبّبَ ارتباكًا في الصُّفوفِ ، فقدْ كانَ مَوقفًا مُؤثرًا في نَفسيَّة الجُنود وفِي ترتيبِ صُفوفِهِم ، ممّا أدَّى إلى ضَعفِ الفُرسِ .

[1]– ينظر: أبو عبيدة ، النقائض ، 72/2 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 479/1 ؛ ابن مسكويه ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، 243/1 ؛ ابن رشيق ، العمدة ، 228/2 ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 489/1 ؛ ابن سعيد ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، 286/1 .

[2]– ينظر : المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 2/ 416 .

ولمّا بَدأتِ الحَربُ وتَبارزَ الهامَرز مَعَ زيد بن حارثة اليشكريّ ، وَقُتِلَ الهامَرزُ، خَرَجَ الكَمينُ مِن ورائِهِم مِنْ جُبِّ ذي قار ، وعليهم يزيدُ بن حِمار السَّكونيّ ، فشدّوا على قَلبِ الجَيشِ ، وولَّتْ إيادٌ مُنهزِمَةً كما وَعَدتْ ([1]) ، فَكانَ عَامِلا آخر لأضعافِ الفُرسِ نفسيّا ومَاديّا .

فَنَرى أنّ وقُوفَ قَبيلةِ إياد وبَعضِ القَبائلِ العَربيّةِ إلى جَانبِ الشَّيبانيين ، وتَوحيدَ صُفوفِهِم لَهُوَ عَاملٌ مُهمٌّ في الظفرِ مِنَ العَدوّ ، رغمَ قوتِهِ ، وسَطوَتِهِ ، حَيثُ جَاءتْ قَبيلةُ إياد تستشيرُ بني بَكر في زَمَنِ تَنفيذِ الخُطّة ، فأشارتْ بَكر : حِينَ التقاءِ الجَيشين ؛ وذلكَ لأنّ هذا الوَقتَ تَحديدًا يَكونُ فيه الجَيشانِ مُتلاحميْنِ ، فَلا يَستطِيعُ الفُرسُ تَدارُكَ مَا حَصَلَ ، فيضعفُوا بشكلٍ سَهلٍ فيُحدثُ ثَغرةً في صُفوفِ الجُنودِ ، في حِين إنّهُم بحَاجةٍ لكلّ يدٍ مُساعدَة ، وليسَ العَكس ، فبالرّغمِ مِن تَواطُؤِ العَربِ في بِدايةِ المَعركَةِ إلا أنّهُم رَجَعُوا إلى صَوابِهِم وإلى أصلِهِم ، فغدرُوا الفُرسَ ، ووقَفُوا إلى جَانبِ إخوانِهم ، وانتَزَعُوا الانتصارَ .

ولكِنْ هُناكَ تَساؤلٌ حَولَ النُّعمان بن زُرعة التَّغلبيّ ، فقدْ كَانَ قَائدا في جَيشِ كِسرى ، رغم أنَّ الحَربَ كَانتْ على العَرَبِ ، فقدْ رأيناه يَقفُ ضِدَّ إخوانِه العَربِ ، وهذا يتَّضِحُ حِينَ سَألَهُ كِسرى قالَ : كَيفَ بينكَ و بينَ بني بَكر ؟ قالَ : نتساقَى حِياضَ المَوتِ ، قالَ : فإنّي سَأرسِلُ مَعَكَ الجُنودَ فاشفِ نفسَكَ وأشفِنِي مِنهُم ، قَالَ : سَأفعل "([2]) .

هَذا يَكشِفُ ولاءَ النُعمان بن زُرعة لكِسرَى انتقامًا مِنَ البَكريينَ ؛ لِما كَانَ بينهُم مِنْ قتال حربِ البسوس أدَّتْ إلى الضّغائن ، ولكنْ : هَلْ هَذا المَوقفُ يجعلُنا نُصدرُ حُكمًا على العَرَبِ كلّها بالتَّواطُؤ ؟ وهَلْ يُعدُّ وقُوفُ النُعمان جَانبَ كِسرى في وجهِ البكريين موقفًا شَريفًا ؟

---

[1]– ينظر : أبو عبيدة ، أيام العرب قبل الإسلام ، 245/2 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 480/1 . وورد في الأغاني أن القاتل هو الحوفزان : الحارث بن شريك . ينظر : الأصفهاني ، 69/24 . ورد عند أبي عبيدة أنه قد يكون القاتل بُرد ابن حارثة . ينظر : م . س ، 245/2 .

[2] – الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 411/2 – 412 .

لا يُمكنُ أنْ يُعمَّمُ على العَرَبِ بالخُضوعِ مَعَ الفُرسِ والتَّواطُؤ كَمَا النُعمان ، لأنّ بَعضَ القَبائلِ العَربيّةِ مثلِ إياد قَدِ انسحَبُوا مِنْ جانبِ الفُرسِ لتقفَ إلى جَانبِ البكريين ، ولَعَلَّ هَذا السّببُ الأقوى في إضعافِ الفُرسِ وانتصارِ العَربِ ، وأمَّا مَوقفُ النّعمانِ بنِ زرعة في موالاته كسرى ، فهذا يُحسَبُ عَليهِ ، ويُظهرُ تواطؤا وذلا وخُنوعا ، ولا شَكّ أنّهُ مُؤلمٌ لِمَنْ في قلبِه ذَرةُ كَرامةٍ وعِزةٍ ؛ لأنّه مَهمَا بَلَغَ العَداءُ بينَ العَرَبِ لا يتوجَّبُ أنْ يَصِلَ إلى دَرَجَةِ مُحالفَةَ العَجَميّ على أخيه العَرَبيّ .

ثانيا– التِحامُ الفَريقينِ :

يَتَطَّرَقُ علي الجُنديّ إلى الحَربِ بقولِهِ : " لقدْ وَصَفَ الشُّعراءُ الحَربَ بِأنّها شَرٌّ كَبيرٌ ، لا ينعَبُ بِهِ إلا طَيرُ الشُّؤمِ ، سَاعتُها خَطيرةٌ ، هوْلُها شَديدٌ ، طَعمُهَا مُرٌّ ، فزعُها عَظيمٌ ، تَغصُّ الشّيخ المُجرِّب ، وتَخلَعُ الأفئدةَ ، وتَطيّرُ العُقولَ وتُسقِطُ الحَاملَ ، وتُشيبُ الولدان " ([1]) ورَغمَ هَذا الوَصفِ إلا أنَّ العَرَبَ رفَضُوا القَبولَ بالذُّلّ ، فَقَدْ اختاروا الحَرَبَ على الاستسلامِ ، فاستعدُّوا لَهَا نفسيّا ومَاديّا ، فكانَ لِكلِّ واحدٍ مِنهم رأيٌ في ذلكَ اليوم ؛ لأنّ الحَربَ لَهَا وقعٌ في النّفوسِ ، فلمْ يتباطَأ البكريونَ ، ولا مَنْ والاهُم عن الإدلاءِ برأي قدْ يُساعدُ في رسْمِ الخططِ وتنظيمِ الجُنودِ ، وغيرِهَا .

روى أبو عبيدة : إنّ العَرَبَ لمّا سَمِعَتْ بغزوِ فَارس ، جَاءَ ثمانون مِنْ بني يَربوعٍ ، وناسٌ مِنْ بني ضَبّة ، فقالوا : نَكونُ قَريبًا فإذا انهزَمَتْ بكرٌ أغرْنا فيمنْ يَغيرُ ، فبَلَغَ ذَلكَ بَكرا ، فقالوا نَبدأُ بهؤلاءِ ، فوجَّهوا إليهِم يَزيدُ بن المُكسَّر بن حَنظلة العجليّ ، وأكتلَ بن حَيان بن عبد الله العجليّ ، فأغَارا عليهم ، فَقَتلَ يزيدُ بن المُكسَّر الأضجُمَ الضَّبيّ ، وأسَرُوا بقيَّةَ القَوم ، فلمْ يزالوا عِندَهُم حَتَّى التقوا وفَارسَ ، فحلُّوا مِنْ وثاقِهِمْ فقاتلُوا مَعَهم([2]) . وفي مَقتلِ الأضجُمِ الضَّبّي يقولُ مُرارُ بن سَلامة العِجلي ([3]) :

[البحر الوافر]

---

[1] – شعر الحرب في العصر الجاهلي ، 74 .

[2]– ينظر : أيام العرب قبل الإسلام ، 249/2 .

[3]– أبو عبيدة ، النقائض ، 77/2 ؛ المرزباني ، معجم الشعراء ، 305 .

كَسَونا الأضجمَ الضّبي لمَّا أتـانــا حَــدَّ مصقولٍ رقيـقِ

وقرَّتْ ضبـَّـةُ الجعراءِ لمَّـا أجــدَّ بهنَّ إتعــابُ الوَسيق

أسرنـــا منْهمُ تسعينَ كَهلا نقودُهمُ على وَضَحِ الطَّريقِ

وجالـــوا كالنعامِ فأسلمونـا إلـــى خــيلٍ مسومةٍ ونوقِ

كَانَ كِسرى مَلِكَ الفُرسِ ، وتَحتَ يديْه طَيِّىءٌ وإيادٌ وبهرٌ، وقضاعةٌ والعبادُ وتغلبٌ والنّمرُ بن قاسط ، وقدْ رأسَ عليهم النّعمانَ بن زُرعة ([1]) ، فلمّا دنتْ جُنودُ الفُرسِ ومَنْ مَعَهُم مِنْ هَذِهِ القَبائلِ واقتربَتْ مِن بكر بن وائل ، أمرَ قيسُ بن مسعود بإعطاءِ قومهِ سِلاحَ النّعمان فيقووا ، وقسّمَ الدّروعَ والسّلاحَ في ذوي القُوى والجَلَد مِن قومِهِ ، إلا أنَّ هانئًا أشار بركوب الفلاة ، في حينَ أنَّ حنظلة مكثَ في وادي ذي قار ، فمضَى مَنْ مَضَى مِنَ النّاسِ ، ورجَعَ أكثرُهُم ، واستقوا مَاءً لنصفِ شَهر ([2]) .

إنَّ سَاعَةَ الحَربِ لَهَا أثرٌ في النُّفوسِ ، وما القِتالُ والمَعركَةُ إلا حَربٌ نفسيّةٌ ؛ لأنّهُ إذا كَانتْ المَعنويَّاتُ عَاليةً ومرفُوعةً ، فإنّ قوّةَ الجُنودِ تتَضَاعَفُ ، ولذلكَ يَتَقدَّمُ الجَانبُ النّفسِيّ على الجَانبِ المادّيّ في الاستعدادِ للمَعرَكَةِ ، فَفِي بِدايةِ المَعركةِ يَكونُ الجُنودُ أحوَجَ إلى المَعنوياتِ ، ولكنْ ما قَامَ بِه هانئُ الشَّيبانِيّ ، ما هُوَ إلا بثُّ الرّعبِ في نُفوسِ البكريين ومَنْ والاهُم ، والدّليلُ على ذلكَ هُروبُهُم إلى الفَلاةِ ، فَوَثبَ حَنظلةُ ، وأرجَعَ بعضَهم وهَرَبَ مَنْ هَرَبَ ، فاضطرَّ إلى قَطعِ وضن الهَوادجِ .

عندَمَا دَنَتْ الفُرسُ مِنَ العَرَبِ قاتلتْهُم بالحِنوِ ، وكَانَ اليومُ الأولُ للفُرسِ عَلى العَرب ، حَيثُ بادَرَتْ العَربُ بالقتالِ بالقنا والسُّيوفِ ، إلا أنّ الفُرسَ صَدّوهم حتّى أكبوهُم([3]) ، ثمَّ زَحَفَ بَعضُهم إلى بعضٍ

---

[1]– ينظر : ابن رشيق ، العمدة ، 228/2 .

[2] – ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 72/2 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 479/1 .

[3]– الحموي ، معجم البلدان ، 294/4 .

فهربتْ الفُرسُ إلى الجبايات ولمْ تَقمْ بمحاصرَتِهم ([1]) ، فتَبِعَتْهُم بكر وعِجل ، فتقدَّمَتْ عِجلٌ وأبلتْ يَومئذٍ بلاءً حَسنا ، واضطمَّتْ([2]) عليهم جُنودُ العَجم ، فقالَ النّاسُ : هَلَكتْ عِجل ، ثمَّ حَملتْ بَكر فوجدوا عِجَلا ثابتةً تقاتل ، وامرأةٌ منهم تَقولُ ([3]) : **[مجزوء الرجز]**

نحنُ بنــاتُ طارق نمشي على النَّمارق

إنْ تُقــبلوا نعــانقْ أو تــدُبروا نفـــارقْ

فراقَ غيرِ وامِقْ

الحَربُ سِجالٌ ، فلقدْ كَانَ اليومُ الأوَّلُ للفُرسِ على العَرَبِ ، وعِندَما بدأ العَرَبُ القِتالَ ، كَانَ الفُرسُ لَهُم بالمِرصادِ ، فأوّلُ جَولةٍ كَانت على العَرَبِ وهي عَاملُ ضَعفٍ أيضًا ، إلّا أنّ مَعنويَّاتِ الجُنودِ بَقيَتْ مُرتَفعَةً ، وزَحَفُوا إلى الفُرسِ فهَرَبتْ ، فلحقوهُم ، وأبلى العَرَبُ حِينَها بَلاءً حَسَنا .

إنَّ دَورَ الإعلامِ في الحُروبِ مُهمٌّ جِدًا ، فقَدْ يَكونُ عَامِلَ نَصرٍ أوْ هَزيمَةٍ ، فَهُناكَ مَنْ جَاءَ بالدّعاياتِ الكَاذبةِ الَّتي مِنْ شَأنها أنْ تُربِكَ الجُنودَ ، وتُثبطَ عَزيمَتَهم ، فبَعضُ النّاسِ قَالوا بِهلاكِ عِجلٍ في المَعركَةِ وَهِيَ خَديعَةٌ ؛ لأنّ الحَربَ خُدعَةٌ – كما يُقالُ – إلا أنّ هذا العَامِلَ أيضا لمْ ينجحْ لبثِّ الجُبنِ في نُفوسِ الجُنودِ .

وظَهَر دَوْرُ النّساءِ في أيّامِ العَرَبِ في الجاهِليَّةِ ، فالمَرأةُ رَكيزةٌ أساسيّةٌ في الحُروبِ ؛ لِمَا لَهَا مِنْ أهميّةٍ في تضميدِ الجَرحَى ومُساعَدَةِ الجُنودِ ، وبثِّ الشّجاعةِ وتعزِيزِ مَوقفِ المُقاتلينَ ، والشَّدِّ على أيديهِم بمختَلَفِ الأشكَالِ ، سَواءٌ أكانَ ذلكَ بالشِّعرِ أم بالغِناءِ ، أمْ بالتَّحريضِ ، أمْ بغيرِهِ ، فنرى فيمَا سَبق أنَّ

---

[1]– الجبابات : بالضم ، موضع قريب من ذي قار كانت به إحدى الوقائع بين بكر بن وائل والفرس . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 2 / 97 .

[2] –اضطمَّت : ازدحمت . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ضمم) .

[3]– ينظر : ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، 189/5 .

امرأةً مِنْ بني عِجل أخذتْ تُحرّضُ الجُنودَ وتحمّسُهُم وتثيرُ هِمَمَهُم ، وهذا مَظهرٌ مِنْ مَظاهرِ أيّامِ العَرَبِ في الجاهِليةِ والإسلامِ .

عِندَمَا هَرَبَ الفُرسُ لَحِقَهُم العَرَبُ فقاتَلُوهُم بالجبايات يَوما ، ثمَّ عَطِشَ الأعَاجمُ ، فمَالُوا إلى بَطحاءِ ذي قار ، فأرسلَتْ إيادٌ إلى بكر سِرّا ، وكانوا أعوانًا على بَكر مَعَ إياس بن قُبيصةَ أيُّ الأمرينِ أعجَب إليكُم ، أنْ نطيرَ تَحتَ ليلتِنا فنذهبَ ، أو نُقيمَ ونفرّ حِينَ تلاقُوا القومَ ؟ قَالوا : بلْ تقيمون ، فإذا التَقَى القَومُ انهزمتُم بهم ، قالَ : فصبّحَتْهم بَكرُ بن وائل والظَّعنُ واقفةٌ يذمّرنَ الرِّجالَ على القِتالِ ، وقدْ أوردَ أبو البقاء الحلّي أنَّ العربَ الّذينَ كانوا مَعَ الفُرسِ تَعاضَدُوا معَ البكريين([1]) .

قالَ يَزيدُ بن حِمار السَّكوني وكانَ حَليفًا لبني شَيبان : يا بني شَيبان ، أطيعُونِي وأكمنونِي لَهُم كَمينا ، فَفَعلوا وجَعَلوا يزيدَ بن حِمار رأسَهم ، فكَمنُوا في مَكانٍ منْ ذي قار يُسمَّى إلى اليوم الخبيء ([2]) ، ويُقالُ في الجُبّ ([3]) ، فاجتلدوا وعلى مَيمنةِ إياسِ بن قبيصة الهامَرز([4]) ، وعلى ميسرتِهِ خنابزين ، وعلى مَيمَنَةِ هَانئِ بن قُبيصَة يزيدُ بن مُسهّر الشّيبانيّ ، وعلى ميسرتِهِ حَنظلةُ بن ثَعلبةَ بن سيارِ العجليّ([5]) .

ويَبدو أنّ يَزيدَ بن حِمار لديهِ فِطنةٌ عَسكريَّةٌ حِينما طَرَحَ فِكرةَ الكَمينِ ، فقدْ جلبتْ لَهُم مَنعةً في أثناءِ القِتالِ ، ويُظهرُ تَرتيبا عَسكريّا بينَ الطَّرفين ، وهذا يَدلّ على الخِبرةِ الّتي اكتَسَبها الجاهليون مِنْ حُروبِهم أو مِنْ حُروبِ غَيرِهم ، فكَثرةُ الحُروبِ أكسبتهُم تلكَ الخِبرةَ .

---

[1]– ينظر : المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 416/2 .

[2]– الخبيء بوزن فعيل بفتح أوله من خبأت الشيء خبأ وهو موضع قريب من ذي قار كمنت فيه بنو بكر بن وائل للأعاجم في وقعة ذي قار كأنهم اختبؤوا فيه . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 245/2 .

[3]– الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 1/ 479 .

[4]– من ملوك العجم ينظر : الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مادة (هرمز) .

[5]– ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 72/2 ؛ الطبري ، م . س ، 479/1 ؛ العسكري ، الأوائل ، 290 ؛ ابن مسكويه ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، 240/1–241 ؛ ابن سعيد ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، 289/1 .

وقدْ خبَّرَ أبو عُبيدة بروايةِ سُليط :" لمَّا كانَ يومُ ذي قار ، كانَ في بكر أُسَرَاء مِنْ تميم ، فقالوا لهُمْ: خلُّونا نقاتلُ مَعَكُم فإنَّا طُلَقاء خيرٌ من أُسراء ، فقالوا : إنّا نخافُ أنْ تَهربوا ، فتواثقوا أنْ لا تفعلُوا ، فواثقوهُم أنْ يرجعَ مَنْ لمْ يُقتلْ ويضعَ يدَهُ في أيديهم ، فخلُّوهم فقاتلوا مَعَهُم "([1]) .

يَظهرُ مما سَبَقَ أنَّ عواملَ ضَعفِ الفُرسِ بدأتْ بالظُّهورِ ، إذْ لمْ يستطِعِ الفُرسُ وجنودُهُم أنْ يَصلُوا إلى المَاء ، فعطِشَ الفُرسُ عَطَشا شَدِيدا في الحِنوِ ، ثمَّ هَرَبوا إلى الجبلياتِ ، وقاتلوا هُناكَ ثمَّ عطِشوا أيضًا ، فمَالُوا إلى بطحاءِ ذي قار ، وهَذا أضعَفَ مِنْ عزيمةِ الجُنودِ ، عَلاوةً على انسحَابِ بَعضِ القَبائلِ العَربيَّةِ في أثناءِ القِتالِ ، إضَافةً إلى الكَمينِ الّذي أشارَ إليه يزيدُ السّكونيّ .

اشتدّتِ الحَربُ بينهُم فَصَيّرَ العَرَبُ الأمرَ بعدَ هَانئ إلى حَنظلةَ ، فمَالَ إلى مَاريةَ ابنتِهِ ، وهِيَ أمُّ عَشرةِ نَفرٍ أحَدُهُم جابر بن أبجر ، فقطَعَ وضينَها ، فَوَقعَت إلى الأرضِ ، وقطَعَ وضنَ النّساءِ فوقَعنَ إلى الأرضِ ، ونادَتْ ابنةُ القَرينِ الشّيبانية حِينَ وقعتِ النّساءُ إلى الأرض([2]) : **[البحر الرجز]**

ويها بَنِي شَيبان صَفًّا بَعدَ صَفْ إنْ تُهزَموا يُصبّغُوا فِينا القُلفْ

فَقطَعَ سبعمائة مِنْ بني شَيبان أيدي أقبيتِهم مِنْ قِبَلِ مَناكِبِهِم ؛ لأن تخِفَّ أيديهم بضَربِ السّيوفِ فجالدوهم ، ونادَى الهامَرزُ مَردْ وَمَردْ ، فقالَ بردُ بن حَارثةَ اليشكريّ : ما يقولُ ؟ قالوا يَدعو إلى البرازِ رجُلا ورجُلا ، قالَ : وأبيكم لقدْ أنصَفَ ، فبرزَ لهُ فقَتَلَه بردٌ ويقالُ يزيد([3]) ، فقالَ سويدُ بن أبي كاهل ([4]) : **[البحر الطويل]**

---

[1]– أبو عبيدة ، أيام العرب قبل الإسلام ، 248/2 .

[2]– ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 73/2 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 480/1 .

[3]– ينظر : أبو عبيدة ، م . س ، 73/2 . وقد ورد بـ (بُرد) فقط . ينظر : الطبري ، م . س ، 480/1 ؛ العسكري ، الأوائل ، 290 ؛ ابن مسكويه ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، 241/1 ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 490/1 ؛ وورد أنه الحوفزان : الحارث بن شريك . ينظر: الأصفهاني ، الأغاني ، 69/24 . وقد ورد أنه يزيد بن حرثة اليشكري ، وأخذ ديباجه وقرطيه وأسورته وكان الاستظهار في ذلك اليوم الأول للفرس ثم كان ثاني يوم وقع بينهم القتال فجزعت الفرس . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 294/4 .

[4]– أبو عبيدة ، م . س ، 73/2 ؛ الطبري ، م . س ، 480/1 ؛ ابن مسكويه ، م . س ، 241/1 .

وَمِنَّا يَزِيدُ إذْ تَحدَّى جُمُوعَكُمْ فلَمْ تقربُوهُ المَرزبان المُسهرُ

ونادَى حَنظلةُ ، يا قَومِ لا تقفوا لَهُم فيستغرقُكُم النّشابُ ([1])، فحُمِلتْ مَيسرةُ بَكر وعليها حَنظلةُ على مَيمنة الجيشِ ، وقدْ قَتَل بَردٌ رئيسَهم الهامَرز ، وحُمِلَتْ مَيمنَةُ بكر وعليها يزيدُ بن مسهَّر على ميسَرَةِ الجيشِ وعليهم خنابزين ، وخَرَجَ الكَمينُ مِنْ جُبِّ ذي قار مِنْ ورائِهم ، وعليهم يزيدُ بن حِمار ، فشدّوا على قَلبِ الجَيشِ ، وفيهم إياسُ بن قُبيصَةَ ، وولَّت إيادٌ مُنهَزِمَةً كما وعدتهُم ([2]) ، وهَرَبَ الفُرسُ وتبعَتْهُم بكرُ ابن وائل ، فلحِقَ مرثدُ بن الحَارث بن ثَور بن حَرملة بن علقمة بن عمرو بن سدوس النُّعمانَ بن زُرعة فأهوى لَهُ طعنا فسَبَقَهُ النُّعمان بصدرِ فَرَسِهِ فأفلَتَه فقَالَ مَرثد في ذلك ([3]) : **[البحر الطويل]**

وَخَيْلٍ تَبَارَى للطِّعانِ شَهِدتُها فأغرقتُ فيها الرُّمْحَ والجمعُ مُحجِمُ

وأفلتني النُّعمانُ قَــابَ رماحِنا وفــوقَ قَطــاةِ المهْرِ أزْرقُ لــهذَمُ

بَدَأَ حَنظلةُ بتثبيتِ قومِهِ ، وقَطَعَ سبعمائة من الجُنودِ أيدي أقبيتِهِم ؛ لتخفَّ بضَربِ السّيوف ، وهذه تَضحِيةٌ عَظيمةٌ مِنْ أجلِ الكَرامةِ والفَوزِ ، ونُلاحِظُ مِنْ التَّقسيم السَّابق للكتائبِ ، أنَّ حَنظلةَ كَانَ متفننا في تَوزيعِ الجُنودِ ، وهذا أيضا دافِعٌ مِنَ دَوافِعِ إضعافِ الفُرسِ ، ويُعدُّ مَقتلُ الهَامَرز عَاملَ ضَعفٍ آخرَ للفُرس إذْ كَانَ قَائدًا على مجموعةٍ مِنَ المُقاتلينَ الفُرس ، عَلاوةً على انسحَاب قَبيلةِ إياد ، وكَمينُ يزيد بن حِمار وتقطيعُ وصْن الهَوادجِ لدَى العَرَبِ ، فبِسببِ هذهِ العَواملِ تَراجَعَت هِممُ جُنودِ الفُرسِ وضعفُوا .

أوردَ أبو عُبيدة أنَّهُ لَمَّا التقَى الفريقان ولَّت بكر مُنهزِمةً ، كأنَّهُم يريدونَ المَاءَ ، فلمّا قَطَعُوا الوادي فصَاروا مِنْ ورائِهِ وجاوزُوا المَاءَ ، فُربَّمَا هِيَ الهزيمةُ ، وذاكَ فِي حرِّ الظَّهيرةِ ، وفي يَومٍ قَائظٍ ، فأقبلتْ كَتيبةُ عِجلٍ كأنَّهم طُنٌّ قَصَبٍ لا يفوتُ بَعضُهم بَعضا ، لا يُمْعِنونَ هرَبَا ، ولا يخالطُون القَومَ ثمَّ تذامَروا ،

---

[1]– والنُّشَّابُ : النَّبْلُ ؛ ابن سيدة ، المخصص ، مادة (نَشَبَ) .

[2]– ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 73/2–74 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 480/1 ؛ ابن مسكويه ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، 243/1 .

[3]– ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 69/24 .

فزحفُوا فرموهُم بجباهِهِم فلمْ تكنْ إلا إيَّاها ، فأمالوا بأيديهِم فولّوا ، فقتلُوا الفُرسَ ومَنْ مَعَهم ما بينَ بطحاءَ ذي قار حَتَّى بلغُوا الرَّاحِضَة ([1]) .

يتَّضِحُ ممّا سَبَق أنَّ قبيلةَ عِجلٍ أبلتْ بلاءً حَسَنا في ذلكَ اليومِ ، حَيثُ تبادرَ في لَحظةٍ من اللَّحظاتِ للبكريين أنَّهم انهزمُوا جرَّاء مُواجهةِ الفُرسِ لَهُم ، وهذا عَاملٌ نفسيٌّ لَهُ تأثيرُه على نَفسيّةِ الجُنودِ ، فجَاءتْ قَبيلةُ عِجل بِكلِّ جرأةٍ فقَتَلُوا الفُرسَ شرَّ قِتلَة ، فَلا شَكّ أنَّ عِجلا كَانَ لَهَا دورٌ عَظيمٌ في الحَربِ ، فلمْ تَتَخاذلْ ولمْ تتَواطَأْ ، وإنّمَا أثبتتْ عُروبتَها بوقوفِها المُستميت جَانبَ الشّيبانيين .

وقَدْ رُويَ في النَّقائضِ : إنَّه تَبِعَ عجلا تِسعون فَارسا لمْ ينظرُوا إلى سَلبٍ ولا إلى شَيءٍ حَتَّى تَعَارفوا بآدم([2]) ، فوُجِدَ ثلاثون فَارسًا مِنْ بني عِجلٍ ومِنْ سَائرِ بكر ستونَ فارسا ، وقَتَلَ حَنظلة بن ثعلبة خنابزين([3]) .

ثالثا – نِهايةُ المَعْرَكَةِ :

إنّ المَعاركَ أوْ الأيامَ – كما سُمِّيتْ – كَانتْ مَظهَرا مُتكرِّرا مِنْ مَظاهرِ الجاهليَّةِ ، لِذا فَإنّ اليَوم الَّذيْ كَانَ يُطلقُ على المَعركَةِ ، ولمْ يَكنْ المَقصودُ مِنهُ يَومَا واحدا بعَينِهِ ، وإنّمَا هُوَ تَسميَةٌ مُفردةٌ اعتادَ الجاهليّون عليها ، فقدْ تَستغرِقُ المَعرَكَةُ أيّاما أوْ شُهورا ، وربَّما عُقودا طَويلةً ، وهُم يتناحَرونَ ، ويتعارَكُونَ كمَا في يومِ البَسوسِ ، ويومِ دَاحس والغَبراء ، فقدْ استمرَّ كُلٌّ مِنهما ما يُقاربُ الأربعين عَاما ، فَمِثلُ هَذه الحُروبَ الّتي كَانت تَستغرقُ وقتا طَويلا لمْ تَكُنْ بشكلٍ مُستمرٍّ ، ولكنَّها تثورُ حِينا وتَهدأ أحيانا ، فيسقُطُ القَتلى والجَرحَى ، ويُؤسرُ بَعضُهم ، ولكنْ في نِهايةِ الأمرِ لا بدّ مِنْ نِهايةٍ للمَعرَكَةِ ، لصَالحِ طَرَفٍ على طَرَف ، فإنّ يَومَ ذي قَار خيرُ شَاهدٍ على ذلكَ .

---

[1]– ينظر : النقائض ، 74/2 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 481/1 .

[2]– موضع قريب من ذي قار ، قُتِلَ فيه الهامَرز . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 126 .

[3]– ينظر : أبو عبيدة ، 74/2 ؛ الطبري ، م . س ، 481/1 .

لمّا اختارَ الشّيبانيون الحَربَ ، وسَاروا إليها ، واتَّخذوا كُلَّ التَّدابيرِ اللّازمةِ والتَّخطيطَاتِ المُتوقَّعَةِ ، وجهَّزوا الجُنودَ نَفسيّا ومَاديّا ، وبدأتِ المَعرَكَةُ فتقاتَلُوا في الحِنوِ ثمَّ الجبايات ، ثُمَّ الخبيء ، وجَاءَ عِندَ الطَّبري باسم الجُبِّ([1]) ، ثُمَ مَالُوا إلى بَطحاءِ ذي قار وتبعتهُم عِجلُ ، وتَرَكتْهُم إيادٌ وبعضُ القَبائلِ العَرَبيّةِ ثُمَّ قُتِلَ خَنَابزين ، فَقَوِيَت نفُوسُ العَرَبِ وارتفعتْ معنوياتُهم ([2]) ثُمَّ قالَ حنظلة ([3]) : **[البحر الرجز]**

قَدْ جَــدَّ أشيَاعُكُمُ فجِــدّوا مَــا علّتي وأنــا مُؤدٍّ جَلْدُ

والقَــوسُ فــيها وتَــرٌ عُرُدُّ مِثــلُ ذراعِ البَكرِ أوْ أشــدُّ

قدْ جَعَلَتْ أخبارُ قَومِي تَبْدُو إنَّ المَنــايا ليْسَ مِنهَا بُــدُّ

هَــذَا عُبيــدٌ تَحتَــهُ أَلَــدُّ يُقــدِمُــهُ لَيسَ لَــهُ مَــرَدُّ

حَتَّى يَعودُ كالــكُمَيتِ الوَرْدُ خَلُّــوا بَني شَيْبانَ فاستَبَدّوا

نَفْسي فَــدَتْكُمْ وأبِي والــجَــدُّ.

بَعدَ انتهاءِ الحَرْبِ روى أبو عُبيدة ، أقبلتْ بَكر بن وائل على الغَنائمِ فقسَّمُوها بينهُم وقسَّموا تلكَ اللَّطائمِ بينَ نسائهِم ، فَهذا قُول الدّيانِ بن جندل ([4]) : **[البحر البسيط]**

إن كنتِ ساقيةً يومًا على كَـرمٍ فاسْقِي فوارسَ من ذُهلِ بن شيبانا

واسْقِي فوارسَ حامَوْا عن ديارهمُ واعْـلِي مَفارِقَــهمْ مِسكًا وَرَيْحانــا

---

[1]– ينظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 479/1 .

[2]– ينظر : أبو عبيدة ، أيام العرب قبل الإسلام ، 246/2–248 ؛ الطبري ، م . س ، 1/ 479–481 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 24/ 70–71 ؛ العسكري ، الأوائل ، 289–290 .

[3]– أبو عبيدة ، النقائض ، 74/2 ؛ وذُكِر اسمه ب خنابُزين . ينظر : الطبري ، م . س ، 480/1 .

[4] – ينظر : الأصفهاني ، م . س ، 71/24 ؛ الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، 262/1 .

وكانتْ نتائجُ المَعركَةِ أنَّ الحَوفزان ([1]) قَتَلَ الهامَرز ([2]) ، ثمَّ قتلتْ بنو عِجلٍ خُنابزين ([3]) ، وقتلَ الأسودُ بن شُريك بن عَمرو خالدَ بن يزيد البهرانيّ ([4]) ، واختلفت الرّواياتُ حَولَ النُّعمان بن زُرعة ، فقدْ ذُكرَ أنّ النّعمانَ قدْ أُسِرَ([5]) ، وقيلَ إنّ الأسوَدَ بن بجير قَدْ لَحِقَ النّعمانَ بن زُرعة فقالَ لَهُ يا نُعمان هَلمَّ إليَّ فأنا خَيرُ آسرٍ لك ، وخيرٌ لكَ مِنَ العَطَشِ ، قَالَ : ومَنْ أنتَ ؟ قالَ : الأسودُ بن بجير ، فَوَضعَ يدَه في يدِه ، فجزَّ ناصيتَه وخلَّى سبيلَهُ وحَمَلَهُ الأسودُ على فرسٍ لَهُ ، وقالَ لَهُ : انجُ على هَذهِ فإنّها أجودُ مِنْ فرَسِكَ ، وجَاءَ الأسودُ بن بُجير على فَرسِ النّعمان بن زُرعةِ ([6]) .

لقدْ انتهتِ المَعرَكَةُ بمقتلِ الحَوفزان وخنابزين من بني شيبان ، وخَالدَ بن يزيد البهراني ، وأسْرِ النّعمانِ بن زُرعة، فلا شَكّ أنَّ هذه الإنجازاتِ مِنْ قتْلٍ وأسْرٍ وهُروبٍ لَهِيَ الدَّافعُ الدّاعمُ للانتصار لذا فإنَّ شأنَ المَعرَكةِ لمْ يَكنْ بفوزِ أحَدِ الأطرافِ على الآخر فقطْ ، وإنّما تُوّجَ النَّصرُ بمقتلِ قادةِ كِسرى الّذينَ عيّنَهُم على الجُنودِ في المَعرَكَةِ .

---

[1]– وهو الحارث بن شريك بن عمرو بن قيس الشيباني . ينظر : ابن حبيب ، المحبر ، 250 ؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، 358/1 .

[2]– ينظر: الأصفهاني ، الأغاني ، 69/24 ؛ ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، 17/2 ؛ البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، 599/5 . وقد اختُلف في القاتل بين يزيد بن حارثة اليشكري ، وبُرد بن حارثة ، والحوفزان . وقد أورد أبو عبيدة يزيد وبرد بين تخيير . ينظر : أيام العرب قبل الإسلام ، 245/2 . ولكن أبا عبيدة أورد رأيين آخرين حول الحوفزان ، أحدهما يؤكد حضور الحوفزان يوم ذي قار ، والثاني ينفي أن يكون الحوفزان قد عاصر ذا قار. ينظر: النقائض ، 76/2 ؛ ومنهم من أورد برد وحده . ينظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 480/1 ؛ ابن مسكويه ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، 242/1 . ومنهم من أورد يزيد وحده . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 294/4 . ومنهم من أورد الحارث بن شريك وهو الحوفزان . ينظر : الأصفهاني ، م . س ، 69/24 ؛ البقاعي ، م . س ، 599/5 ؛ الحميري ، م . س ، 262/1 .

[3]– أبو عبيدة ، م . س ، 74/2 .

[4]– الأصفهاني ، م . س ، 70/24 ؛ ابن حمدون ؛ م . س ، 17/2 .

[5]– ينظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 264/5 ؛ العسكري ، الأوائل ، 290 ؛ ابن رشيق ، العمدة ، 228/2 ؛ النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، 331/15 .

[6]– الأصفهاني ، م . س ، 70/24؛ ابن حمدون ، م . س ، 17/2–18 .

لقدْ هُزمتِ الفُرسُ شرَّ هَزيمةٍ ([1]) ، فَكَانَ أوّلُ مَنْ انصرَفَ إلى كِسرى بالهَزيمةِ إياسُ بن قُبيصةَ ، وكانَ لا يأتيهِ أحَدٌ بهزيمةِ جَيشٍ إلا نزعَ كتفيهِ ، فَلمّا أتاهُ إياسٌ سَألَهُ عنِ الخَبرِ فقالَ : هَزَمنَا بكرَ بن وائلٍ ، فأتيناكَ بنِسَائِهِم ، فأعجَبَ ذلكَ كِسرى ، وأمرَ لهُ بِكِسوةٍ وإنَّ إياسًا استأذنهُ عندَ ذلكَ فقالَ : إنّ أخِي مَريضٌ بِعينِ التّمرِ([2]) فأردتُ أنْ آتيهِ ، وإنّمّا أرادَ أنْ يتنحّى عنْهُ فأذنَ لَهُ كِسرى ، فترَكَ فَرَسَه الحَمامَةَ ، وهِيَ الّتي كَانتْ عِندَ أبي ثَور بالحِيرةِ ، وركِبَ نجيبة فلَحِقَ بأخيهِ ثمَّ أتى كِسرى رجُلٌ مِنْ أهلِ الحِيرةِ وهوَ بالخورنق([3]) فسألَ : هلْ دخلَ على المَلكِ أحَدٌ ؟ فقالوا : نعمْ ، إياس ، فقالَ : ثكَلَتْ إياسا أمُّهُ ، وظّنّ أنّهُ قدْ حدَّثهُ بالخَبرِ ، فدَخلَ عليهِ فحدَّثَهُ بهزيمةِ القَومِ وقتلِهِم ، فأمَرَ بهِ فنزعتْ كَتفاهُ ([4]) .

ومِنَ الجَديرِ ذِكرُهُ أنَّ أَحَدَ عَوامِلِ الانتصارِ هُوَ عَدمُ استطاعةِ الفُرسِ الوُصُولَ إلى عَينِ ذي قار ، ممّا أربَكَ الجُنودَ لشدَّةِ عَطَشِهِم ، الأمرُ الّذيْ اضطرَّهم للهُروبِ ، عَلاوةً على وقُوفِ العَرَبِ وانسحابِهم مِنْ جيشِ الفرسِ ، إضَافةً إلى التّخطيطِ الجيّد الّذيْ قامَ على أساسينِ : أسَاسٍ نفسيٍّ وأساسٍ مَاديٍّ ، فاجتمعَتْ هذِهِ العَواملُ فكَانَ النّصرُ حَليفَ العَرَبِ ، فهُزمَتْ الفُرسُ شرَّ هَزيمةٍ ، وكَانَ أولُ يَومٍ يحققُ فيهِ العُربُ انتصارًا مُؤزرًا على أقوى إمبراطوريةٍ آنذاك ، وكَانَ الرَّسولُ – صلى الله عليه وسلم – قدْ خَرَجَ إلى

---

[1]- ينظر : أبو عبيدة ، أيام العرب قبل الإسلام ، 246/2 ؛ البغدادي ، المحبر ، 360/1 . ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 480/1 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 24/ 71 ؛ العسكري ، الأوائل ، 290 ؛ ابن مسكويه ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، 243/1 ؛ ابن سعيد ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، 286/1 .

[2]– بلدة قريبة من الأنبار ، غربي الكوفة ، فتحها خالد بن الوليد عنوةً سنة 12هـ . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 154/2 .

[3]– قَصْرٌ بظهرِ الكوفةِ كانَ قدْ اتخذَهُ النعمانُ بن المنذر – ملكُ الحيرةِ – لأحدِ ملوكِ الفرسِ . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، 516/2 ؛ الحموي ، م . س ، 402/2 .

[4]– ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير ، 63/1 ؛ ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، 37/1 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 264/5 ؛ الأصفهاني ، م . س ، 24 /71–72 ؛ العسكري ، م . س ، 292 ؛ الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، 262/1 ؛ ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، 18/2 ؛ البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، 599/5 .

أصحَابهِ وحَثَّهُم : احمدُوا اللهَ كَثيرا فقدْ ظَفِرَتْ اليومَ أبناءُ ربيعَةَ بأهلِ فَارس ، قَتَلوا مُلوكَهم واستباحُوا عَسْكرَهم وبيْ نُصِرُوا ([1]) .

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَوْمَ ذِي قارٍ : " ذاك أَوَّلُ يَوْمٍ انْتَصَفَتْ فِيهِ الْعَرَبُ ، مِنَ الْعَجَمِ ، وبي نصروا "([2]) ، وقدْ جاءَ في المحاسنِ والمساوئ أنّ الرَّسولَ ، صلى الله عليه وسلم ، عندمَا قالَ هَذا الحَديثَ أعلنَ أنّ كِسرى قدْ وقعَ بينَ يديْه ، ممّا أغضَبَ كِسرى ، وأثارَه ، فوزَّع السّلاحَ وأعادَ تَرتيبَ الجُنودِ لمُعاودَةِ حَربِ بَكر بن وائل ، إلا أنّ مَا اشغَلَهُ عنْها ، خُروجُ الرّومِ على مَلِكِهِم قَيصرِ وقتلِهِ ([3]) .

كانَ يومُ ذي قارٍ وَثيقَةً تَاريخيَّةً عَريقَةً ، سَجَّلَ العَرَبُ فيها انتصَارَهُم عَلى إمبراطوريةِ الفُرسِ ، فقدْ كَانَ هَذا الانتصارُ بدُعاءِ الرّسولِ الكريمِ ، صلى الله عليه وسلم لَهُمْ ؛ لأنّ انتصَارَ العربِ هُوَ انتصارُ الرّسولِ العَرَبيّ الأمين ؛ فقدْ أمرَ أصحَابَهُ بالدّعاءِ لبني ربيعَةَ ، ورُويَ أنّ النَّبيَ، صلى الله عليه وسلّم ، مَثُلَتْ لَهُ الوقعةُ وهُوَ بالمدينةِ ، فَرَفَعَ يديْه فَدعَا لبني شَيبان أو لجَماعَةِ ربيعةَ بالنّصر ، ولمْ يزلْ يَدعُو لهُم حتَّى أُرِيَ هَزيمَةَ الفُرسِ ، ورُويَ أنّهُ قالَ : " إيهًا بني ربيعةَ اللُّهمَّ انصرْ بني ربيعة " ([4]) فلمْ يزالوا إذا حَاربُوا دَعوا بِشعارِ النّبي ودَعوتِه لَهُم ، وقالَ قائلُهم يا رسَولَ اللهِ وعدَكَ فإذا دَعُوا بِذلكَ نُصِرُوا ([5]) ، وقد

---

[1]– ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، 177/3 .

[2]– الألباني ، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ، 48/2 ؛ الطبراني ، معجم الصحابة ، 46/2 ؛ أبو القاسم البغوي ، معجم الصحابة ، 90/1 . وقد ذُكِرَ بهذه الرواية : " هذا أول يومٍ انتصف فيه العرب من العجم وبي نصروا " . ينظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 479/1 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 72/24 ؛ البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، 107/1 ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 482/1–483 ؛ ابن سعيد ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، 286/1 . وذكر العسكري هذه الرواية ، قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، : " اليوم ينتصف العرب من العجم " . ينظر : الأوائل ، 291 .

[3]– ينظر : البيهقي ، 107/1 .

[4] – الأصفهاني ، م . س ، 72/24 . وفيها رواية أخرى وهي : " إيها بني ربيعة اللهم انصرهم " . ينظر : البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، 600/5 ، القماش ، الحاوي في تفسير القرآن الكريم كاملا ، 38/601 .

[5]– ينظر : الأصفهاني ، م . س ، 72/24 .

أورَدَ ابن كَثير أنَّ العَرَبَ بعدَ النَّصرِ دَخَلُوا في الإسلام ([1]) ، وَهَذا مَا وُجِدَ عِندَ جَواد علي الَّذي قَالَ : وقْعَةُ ذي قَار مِنْ الوَقائِعِ الفَاصِلَةِ في تاريخِ الجَزيرةِ العَرَبِيَّةِ ، حَيثُ كانَ لهَا الأثرُ في فَتْحِ الإسلام للعِراقِ ([2]) .

[1]– ينظر : السيرة النبوية ، 169/2 .

[2]– ينظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، 267/5 .

الفَصلُ الثّاني

شعرُ يومِ ذي قار في العَصرِ الجَاهليّ " دِراسةٌ موضوعيَّةٌ "

المبحث الأوّل – الفخرُ .

أولا– الفَخرُ بالقومِ والجماعةِ .

ثانيا– الفَخرُ بالذَّات .

المبحثُ الثّانِي – الوَصفُ .

المبحثُ الثّالثُ – التَّهديدُ والوعيدُ .

المَبحثُ الرَّابعُ – التّحريضُ .

المَبحثُ الخامِسُ – الهجاءُ .

المبحث السّادِسُ – التَّحذيرُ والوَصيَّةِ .

المَبحثُ السّابِعُ – الرِّثَاءُ .

المَبحثُ الثّامِنُ – المَدحُ .

المبحثُ الأوَّلُ- الفَخرُ .

تعددت الأغراض الشعرية في شعر يوم ذي قار ، إذ رُتِّبَت في هذا الفصلِ من الأكثرِ ورودًا ، لذلكَ تصدَّرَ الفخرُ هذه الأغراضَ ، فيُعَدُّ غَرضُ الفَخرِ ضَربًا مِنْ الحَماسَةِ ، فالتَّفاخرُ هوَ التَّغنِّي بالفضَائِلِ والخِصَالِ الحَميدةِ والمُثُلِ العُليا ، وقالَ ابنُ منظورٍ هُوَ " التَّعاظُم "([1]) ، والتَّباهِي بالسَّجايا النَّفسيَّةِ والصِّفاتِ القَوميَّةِ ، والزُّهوّ بالفِعالِ الطَّيبةِ ، وألذُّ أحاديثِ المَرءِ عندَهُ هوَ حديثُهُ عَن نفسِهِ وخِصالِهِ وفِعالِهِ ، منَ الشَّجاعةِ والكَرمِ والمُروءةِ وحمايةِ الجَار ، وطيبِ المنبتِ ، وعَراقةِ الأصْلِ وكثرةِ المالِ والولدِ وغيرِ ذلكَ مما يزهو بِهِ الإنسانُ ويختالُ بِهِ على غيرِهِ ([2]) وقدْ كانَ التَّباهي بالنَّفسِ والخِصال مكروهًا ، ويَعدُّونَهُ غُرورا إلا في الشِّعرِ ، وقدْ أشارَ إلى ذلكَ ابنُ رشيق بقولِهِ : " ليسَ لأحدٍ منَ النَّاسِ أنْ يَطرِي نفسَهُ ويَمدحَها في غيرِ منافرَةٍ إلا أنْ يَكونَ شاعرا ، فإنَّ ذلكَ جائزٌ لَهُ في الشِّعرِ غيرُ مَعيبٍ عليه " ([3]) .

والفَخرُ إنَّما يُستحْسَنُ إذا كَانَ الشَّاعرُ يَمتدِحُ بالفضائِلِ النَّفسيَّةِ والخِصالِ الخُلُقية بعيدًا عن التَّباهي بالأمورِ الماديَّةِ ، والقوَّةِ الجسديَّةِ أو التَّفاخرِ بالأنسابِ والأصولِ والقبائلِ([4]) ، ويُعدُّ الفخرُ منَ الأغراضِ الشِّعريَّةِ المَطروقةِ في الجاهليَّةِ ؛ ولعلَّ هذا الأمرَ يرجعُ إلى تلكَ الحياةِ الجاهليّةِ الّتي كانتْ قائمةً على المَعَاركِ والثأرِ والذَّودِ عَنِ القَبيلةِ وحِمايةِ المستغيثِ ، وإجارةِ المُستجيرِ ، فلا بُدّ أنْ تقومَ المعاركُ بينَ القبائلِ ، وينتصِرَ طَرَفٌ على آخر ، كيفَ لا وقدْ كانَ الجاهليُّون يدقُّون الطُّبولَ ، ويقيمونَ الأفراحَ إذا ما رُزِقَت القَبيلةُ بشاعرٍ قدْ نبغَ ؟ فقدْ كانتْ أبرزَ مَهمَّاتِ الشَّاعِرِ التَّغنِّي بفضائلِ القبيلةِ والافتخارِ بانتصاراتِها ، والحَطُّ مِنْ شأنِ خَصمِها ، لِذا فقدْ كانَ الشَّاعرُ لِسانَ القَبيلةِ النَّاطقَ بلسانها والمُدافِعَ عنها .

---

[1] – لسان العرب ، مادة (فخر) .

[2] – ينظر : يحيى الجبوري ، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، 300–301 .

[3] – ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، 18/1 .

[4] - ينظر : يحيى الجبوري ، م . س ، 301 .

مِنْ هُنا كانَ لغَرَضِ الفَخْرِ شأنٌ كبيرٌ بينَ الأغراضِ الشِّعريَّةِ ، فعندَ الحديثِ عن يومِ ذي قار ، مِنَ الطَّبيعيّ أنْ يكونَ لغرضِ الفخرِ شأنٌ بارزٌ وحضورٌ لافتٌ ، فلمَّا شبَّت نارُ الحربِ بينَ الفُرس والعرب ، أخذتِ الحربُ مَجراها إلى أنْ رسَتْ بانتصارِ العربِ على أكبرِ قوَّة آنذاك ، وهيَ الفُرس ، فَمِنَ المُؤَكَّدِ أنْ يفتخرَ الشُّعراءُ بهذا النَّصر المُؤزَّرِ ، فممَّا لا شَكَّ فيه أن يسجّلوا هذا الانتصارَ ويؤرّخوه في قصائدَ بينَ فخرٍ ووصفٍ وهجاءٍ ورثاءٍ ، ومِنْ خِلالِ دراسةِ شِعرِ يومِ ذي قار تبيَّنَ أنَّ الأعشى الكبير قدْ أخذَ نصيبَ الأسدِ مِنَ القَصائدِ الّتي قالَها في هذا اليوم ؛ لأنَّهُ طَرَفٌ مُباشرٌ في هَذِهِ المَعركَةِ ، فَهوَ بَكريٌّ عَربيٌّ أصيلٌ ، فَمِنَ الطَّبيعيّ أنْ يكونَ الفَخرُ من أبرزِ الأغراضِ الَّتي طرقَها الأعشى في شعرِهِ .

ارتَبطُ غرضُ الفَخرِ بالانتصارِ في المَعَرَكَةِ ارتباطًا وثيقًا ، فلَعَلَّ الانتصارَ في المعاركِ أحدُ أهمِّ عواملِ الافتخارِ ، فمِنَ الشُّعراءِ مَنِ افتخرَ بالجَماعَةِ ، ومِنهُم مَنِ افتَخَرَ بذاتِهِ أو بغيرِهِ يَومَ ذي قار ، ويُمكنُ الحديثُ عن هذين الجانبين على النَّحوِ الآتي :

أولا – الفَخرُ بالقومِ والجَماعَةِ .

إذا كانَ غرضُ الفَخرِ مرتبطًا بشعرِ الأيَّامِ والوقائعِ ارتباطًا وثيقًا ، فلا عجبَ أنْ يتفنَّنَ الشُّعراءُ في نَظمِ هذا الغَرضِ ، خاصَّةً أنَّ الحياةَ الجاهليَّةَ كانتْ قائمةً على الحُروبِ والأيَّامِ ، فمِنَ الطَّبيعيّ أنْ يلتفتَ الشُّعراءُ في يومِ ذي قار إلى الحديثِ عن أهمِّ الإنجازاتِ الّتي حصلُوا عليها وظفِروا بها ، لا سيّما أنَّ هذا اليومَ يجمعُ عَرَبا وفُرسا ، فإذا كانَ العربُ يفاخرونَ أنفسَهُم في معاركِهِم الدَّاخليَّةِ ، فكيفَ إذا كانتْ المَعرَكَةُ بينَ عربٍ وفُرسٍ ؟! لا شَكّ أنْ يكونَ اهتمامُهُم أعلى مكانةً ، وأبلغَ شأنا .

يَظهرُ الشَّاعرُ ضرارُ بنُ سلامةِ العجليّ مفتخرا بما قدَّمَهُ قومُهُ في هذهِ المعركةِ منْ صدّ الأضجمِ الضَّبيّ عندَما جاءَهُم محاربَا يريدُ قتالَهم ، ملوّحا إلى ما أنجزوهُ منَ الأسرِ والإذلالِ ، فقال([1]) :

[البحر الوافر]

[1] – أبو عبيدة ، النقائض ، 77/2 .

كَسَوْنـا الأَضْجُمَ الـضَّبيَّ لمّـا أتـانـا حَـدّ مَصْقولٍ رَقيقِ

وَفـرَّتْ ضَبـةُ الجَـعْراءُ لَمَّـا أَجَـدّ بِهِـنّ إتعـابُ الوَسِيقِ

أَسَرْنا مِنْهُـمُ تِسْعِينَ كَـهْـلا نَقُودُهُـمُ إِلـى وَضَحِ الطَّرِيـقِ

وجَـالُـوا كالنَّـعامِ وأَسلَمونا إلـى خَـيلٍ مُسَوَّمَـةٍ وَنُـوقِ

بَدأَ ضرارُ بن سَلامة العِجليّ حَديثَهُ عَن تِلكَ الإنجازاتِ الّتي حقَّقَها قَومُهُ في يَومِ ذي قار ، فتراه يفتخرُ بصدِّ الاضجمِ الضَّبيّ ، ومَنعِهِ مِنَ الفتكِ بهِم عندَما جَاءَهم صَاقِلا سيفَهُ ومشهرَهُ ، فقدْ كانوا أشدَّاءَ في مُقارعةِ الأعداءِ شُجعانا وقتَ النِّزال ، ويستمرُّ الشَّاعرُ في فخرِهِ بتلكَ الإنجازاتِ ، فهُم الّذينَ أسَروا تِسعينَ كَهْلا منَ الأعداءِ ، ويبدو أنَّ الشَّاعرَ كانَ متعمِدا في وصْفِ هؤلاءِ الأسرى بالكُهولِ ؛ حتَّى يعمِّقَ صورةَ الفخرِ بهؤلاءِ الشَّبابِ ، فلمْ يأسروا كبارَ السّنِّ ولمْ يأسروا صغارَ السّنَ ، وإنَّما أسَروا الكُهولَ منهُم ، والكُهولُ هُم أركَانُ المَعركَةِ وأساساتِها ، عليهم يقومُ الاعتمادُ ، وبهم تُشدُّ السَّواعِدُ .

ولا شَكّ أنَّ عَددَ الأسرى يُعدُّ جَانبا مِن جَوانبِ الفَخرِ أيضا ، وهذا دليلٌ واضحٌ على قوّةِ البكريين ومواليهم وشدَّةِ بأسِهِم ، والنَّاظرُ لوقعِ كَلمةِ نقودُهُم في أوَّلِ عجزِ البيتِ الثَّالثِ يجدُ فيها نوعا مِنَ الإذلالِ والخُنوعِ ، فرَسَمَ الشَّاعرُ حَالةَ الأسرى بهذِهِ الصُّورةِ نوعا مِنَ الفَخرِ أيضا ، ونراهُ يشبِّهُهُم بالنَّعامةِ ؛ وذلكَ لأنَّ النَّعامَةَ مَشهورةٌ بالهُروبِ ، فقيلَ في المَثل : " أشردُ من ظَليم "([1]) والظَّليمُ هو ذكَرُ النَّعامةِ ([2]) ، وأوردَ الجاحظُ أنَّ النَّعامةِ وُصِفَتْ بهذا الوَصف ؛ لأنَّها تدعُ الحُضنَ على بيضِها وتخرجُ ، فإنْ خَرَجت إلى الطُّعمِ ورأتْ بيضَ غيرِها حضنَتْهُ ونسيَتْ بيضَها ، فتكونُ عُرضةً للصَّيدِ بالعراء ([3]) .

---

[1] – الهاشمي ، الأمثال ، 23/1 .

[2] – المكان نفسه .

[3] – ينظر : الحيوان ، 198–199 .

وهذا الأعشى يفتخر بقومِهِ فيتحدَّثُ عَنْ أحداثِ يومِ ذي قار – وهوَ يومُ الحِنوِ – فقدْ بدأَ بذكْرِ الكَتائبِ البَكريَّةِ الَّتي أصبحَتْ تَسُوقُ الموتَ إلى جنودِ كِسرى حَتَّى وَلُّوا هَاربينَ ، ومن ذلك قوله ([1]) :

[البحر البسيط]

وجندُ كِسرى غَداة الحِنوِ صبَّحَهُم منَّا كتائبُ تزجي الموتَ فانصرفُوا

حَجاجِجٌ ، وبــنو مُلكٍ غطارفـة مِنَ الأعـاجمِ فـــي آذانِها النُّطَفُ

إذا أمــالوا إلــى النِّشاب أيــديَهُمْ ملنا ببيضٍ فظَـلَّ الهـامُ يختـطِفُ

وخيـلُ بكـرٍ فما تنــفَكُّ تطحنُهُم حتَّـى تَـولَّوا وكـادَ اليـومُ ينتصفُ

يفتخرُ الأعشى بكتائبِ الفُرسانِ الّتي سَاقتِ المَوتَ إلى الفُرسِ حِينَ صَبَّحتهُم يَومَ ذي قار ، فأخَذَتْ تزجِيْ إليهم المَوتَ حتَّى انصَرفَ هؤلاءِ الجُنودُ وولَّوْا هَاربينَ خَائفينَ جُبناءَ ، ثُمَّ أخذَ يَذكرُ صِفاتِ هَؤلاءِ الجُنودِ سَاخرا منهُم ، همْ سَادةٌ ، وأبناءُ مُلوكٍ ، وأشرافٌ في قَومِهِم ، قدْ علَّقوا في آذانِهِم اللالئَ والحُليَّ ، فهَرَبَوا وولَّوْا مَذعورينَ حَينَما لاقوا الفُرسان الأشدَّاءَ يَومَ ذي قار، فإذا أمَالَ الفُرسُ أيديَهُم إلى السِّهامِ مال البكريون إلى السُّيوفِ فظلَّتْ تختطفُ الرُّؤوسَ عَنِ الأجسادِ خَطفًا مِنْ شدَّةِ الوقْعِ والضَّربِ والنَّشاطِ .

وهؤلاءِ الفُرسَانُ مُدرَّبونَ على القِتالِ مُجهَّزونَ ، لمْ يكونوا في قِتالِهِم متخبِّطينَ ، وإنَّما كانُوا يَضرِبُونَ فوقَ الأعناقِ ويختطِفُونَ الرُّؤوسَ ، ثُمَّ عرّجَ الشّاعرُ في سِياقِ فخرِهِ على خَيلِ بكرٍ ، فقدْ أبلتْ الخُيلُ بَلاءً حَسنا ، فَكانتْ هَذهِ الخُيولُ بمثابةِ آلاتٍ مُتحركَةٍ لا تعرفُ التَّعبَ ، فما زالتْ تطحَنُ رُؤوسَ الفُرسِ حتَّى تولَّوْا وهَربُوا .

[1] – الديوان ، 113–114 .

والظَّاهرُ في هذِهِ الأبياتِ أنَّ المَعرَكةَ كانت حاميةَ الوطيسِ ، لهيبُهَا شديدٌ ، لذا فقدْ كادَتِ النتيجَةُ أن تنتصِفَ بينَ الطَّرفَينِ ، فلا يهزِمُ أحدُهُمَا الآخرَ ، وإنّمَا يَتَساوى الطَّرفانِ ، دِلالةٌ على التَّحدي والثباتِ عند كلٍّ منهُمَا ، فَمَا انفكتْ خيل بكرٍ صامدةً تطحنُ رؤوسَ الفُرسِ حتى هَزَموهم شرَّ هزيمَةً .

وقدْ كانَ للشّاعرِ أبي كلبةَ التَّيميّ أثرٌ واضحٌ في فخرِهِ بفرسانِ بكرٍ الَّذينَ حَاربوا في ذي قار منَ اللَّهازمِ ([1]) ، فاجتمعَ حُلفاءُ العَرَبِ واتَّحدوا وواجَهُوا الفُرسَ بقوَّةِ الوَحدةِ ورصِّ الصُّفوفِ ، والاجتماعِ على العِزَّةِ والنَّصرِ ، يقولُ ([2]) : **[البحر البسيط]**

لَـوْلا فَـوارِسُ لا مِـيلٌ وَلا عُـزُلٌ مِـنَ اللّهـازِمِ ما قاظوا بِـذي قـارِ

مَـا زِلـتُ مُفتـرِسًا أجسادَ أفْتيـةٍ تُثِـيرُ أعـطافَها منـها بـآثـارِ

إنَّ الفَوارسَ مـن عِجلٍ هُمُ أنِفُـوا مِنْ أنْ يُخَلّوا لكِسْرى عَرْصَةَ الدَّارِ

لاقَوْا فَـوارِسَ مـن عِجـلٍ بشكّتِهَا ليسوا إذا قلّـصَتْ حربٌ بأَغـمارِ

قـدْ أحسنَتْ ذُهلُ شيبانٍ وما عدَلَتْ في يـومِ ذِي قارَ فُرْسانُ ابنِ سيّار

بدأَ الشَّاعرُ حَديثَهُ عن السَّببِ المُباشرِ في ذَلكَ الصَّبرِ والثَّباتِ والقوَّةِ الّتي أربَكتِ الفُرسَ ، فقد لَبِسَ هؤلاءِ الفرسانُ دروعَهُم ، وتوشَّحوا أسلحتَهُم ، ورفضوا أنْ يكونوا مِنَ القومِ العُزُل الَّذينَ لا أسلحة معهُم ولا دروعَ ، لذا كانوا الجُنودَ المُحارِبينَ ، وركيزةَ المَعركَةِ ، نَزَلُوا ذا قار وصَالوا في المعركةِ وجالُوا ، وَمِنْ هُنَا يفتخرُ الشَّاعرُ بِوقوفِ بني عِجل جَانبَ بني بَكر، ويفتخرُ بهؤلاءِ الفُرسان الشُّجعانِ ، الّذينَ كانوا كالوُحوشِ المُفترِسَةِ الَّتي تنقضُّ على الفَريسةِ حتى أسقَطَ الشَّاعرُ على جُنودِ العَجم صِفةَ الفِتيان الصِّغارِ

---

[1] – اللهازم : بنو عجل وحلفاؤهم . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (لهزم) .

[2] – الأصفهاني ، الأغاني ، 73/24 .

استهزاءً بهِم وسُخريةً بموقِفِهِم ، ويستمرُّ الشَّاعرُ في فخرِهِ بقبيلةِ عِجل ، الّتي كَرِهَتْ وأبتْ أنْ تُخلِّي لكِسرى دارَها ، فهيَ الّتي تحمي الدَّارَ والأرضَ ، وإنَّ جنودَ الفُرسِ لاقوا جُنودَ قبيلةِ عِجلٍ مُدجَّجِينَ بسِلاحِهِم ، ومجهَّزِينَ للقتالِ ، فهُم غَيرُ جُبناءَ ، ولا متخاذِلين ، فإذا ما اقتربتِ الحَربُ لم يفِرُّوا ولمْ يتركوا السِّلاحَ ، بلْ يَثبتُونَ ويقاتِلُونَ وينصُر بعضُهُم بَعضًا ، ثُمَّ يذكُرُ الشَّاعرُ ذُهلَ بن شَيبان الَّتي كانَ لها موقفٌ مشرِّفٌ أيضا فقارعتِ الفُرسَ ، وأبَلتْ بَلاءً حَسنا .

ثانيا- الفخرُ بالذَّاتِ .

نَلمَحُ في شعرِ إياسِ بن قُبيصة الطَّائيّ فخرا ذاتيا عندَما يتحدَّثُ عمَّا جَرَى في نهايةِ المَعركةِ ، فقدْ أظهرَ الشَّاعرُ براعَتَهُ وتفنُّنَهُ في رُكوبِ الخَيلِ عِندَما كَذَبَ على كِسرى بخبَرِ المَعركةِ خَوفا منْ أنْ ينزَعَ كِسرى كتفَيْهِ ، وهربَ ممتطِيًا صَهوةَ فرسِهِ ، يقولُ ([1]) : **[البحر الطويل]**

مَـا وَلَدَتـْني حـــــاصِنٌ ربَعيَّـــةٌ لَـئِنْ أنَا مَـالأَتُ الهـوَى لاتّباعِهَا

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ الأرضَ رَحْـــبٌ فَسِيحَةٌ فَهَـلْ تُـعجِزَنّي بُقْعَـةٌ مِــنْ بِقَاعِهَا

وَمَبْثُوثَـــةٍ بَـــثَّ الـــدَّبَى مُسبَطِـــرَّةٍ رَدَدْت عَـــلَى بِطائِهَا مِـنْ سِراعِهَـــا

وأقْـــدَمتُ والخَطّيّ يَخْطِـــرُ بَينَنَا لأعلَـــمَ مَنْ جَبانُـــها مِـنْ شُجَاعِهَـــا

يتَحدَّى الشَّاعرُ نفسَهُ ، فتراهُ يَنفي نَسَبَهُ منْ جِهَةِ أُمِّهِ إنْ وافقَ الهوَى في اتباعِ كسرى ، ويعلِّقُ بقوله : إنَّ هذهِ الأرضَ فسيحةٌ ممتدَّةٌ واسِعةٌ لا ترفُضُ أحدا ، فيسأَلُ سؤالا استنكاريًّا يدلِّلُ على أنَّهُ مُصِرٌّ على فعلَتِهِ " هل تعجِزَنّي بقعةٌ من بِقَاعِهَا ؟ " فرغمَ كلِّ العَقَباتِ الّتي تواجِهُهُ إلا أنه مُصَمِّمٌ على حَثِّ فرسه على الإسراعِ ، فيُلاحَظُ الفخرُ في حديثِهِ عندَما يقولُ إنَّ فَرَسَهُ كانتْ مُسرعَةً جدا ، وتلكَ الرِّماحُ

[1] – أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة ، 1/158-159 .

تتهاوَى بينَهُ وبينَ أعدائِهِ ، ولكنَّهُ أكمَلَ مَسيرَهُ ، فلمْ يكنْ جبانا ولا خائفا ، فهوَ شجاعٌ مِقدامٌ ، فالشَّاعرُ يفتخرُ بقوَّةِ قلبِهِ ، وهُروبِهِ منْ كِسرى ، ويصفُ خَيلَهُ في مَعرِضِ الحديثِ عن فخرِهِ ، ونراه يفتخرُ بإقدامِهِ وتحدّيهِ المَصَاعِب والمَتاعِب .

ومِنْ مَظاهِرِ الفَخرِ بالذَّاتِ قولُ يزيد بن المكسَّر بن حنظلة عندَما بدأ يستنهض الهمم ويشجعه على النزال ، فأخذ يفخر بنسبه أنه ابن سيار ، لذلك نلمح الفخر الذاتيمن قوله ([1]) : **[البحر الرجز]**

أَنَا ابْنُ سَيّارٍ عَلَى شَكِيْمِهْ إِنَّ الشِّرَاكَ قُـدَّ مِــنْ أَدِيْمِهْ

وَكُلُّهُمْ يَجْــرِيْ عَلَى قَدِيمِهْ مِنْ قَارِحْ الهَجْنَةِ أَوْ صَمِيمِهْ

يَفتخرُ يزيد بن المكسر وما كان عليه من شِدّة وعزيمةٍ ، ويحثُّهم على المُنازلةِ ، ولا شكَّ أنْ الفرارَ عارٌ على الجميعِ ؛ لأنَّه فرارٌ عنِ الأهلِ والقومِ والجماعةِ ، فيجبُ أنْ يَشدُّ كلٌّ منهما مِنْ أزرِ الآخر ، ويشحنُ في مَعنوياتِهِ ، وينتظرونَ الفوزَ على أحرٍّ من الجمْرِ ، ومنَ الجديرِ ذكرُهُ أنَّ كُلّا منَ الطّرفينِ يثبتُ جنوده بطريقته وبأسلوبه ، حتَّى تأتيَ النتيجَةُ فتُرفَعُ الرَّاياتُ فخرا بالنَّصرِ ، في حينِ ينهزمُ الطَّرفُ المُقابلُ ، وتنحطُّ مَعنوياتُ جُنودهِ .

فمن يقرأ هذه الأبياتِ السَّابقةِ يجدُ مَلمحَ الفَخرِ الذَّاتي حينَ يبدأُ الشاعرُ قولَهُ " أنا " وهذا أمرٌ درجَ عليه الشُّعراءُ في الجاهليَّةِ ، وأكثروا فيه شِعرًا ، ومنَ الطَّبيعيّ أن يفتخرَ الشّاعرُ بثباتِهِ وإصرارِهِ على الوقوفِ في وجهِ الأعداءِ لبلوغِ هدفهِ وغايتِهِ التي تتمثلُ في هزيمةِ الفُرسِ ، ومن هُنا نرى وجودَ الفخرِ الذَّاتي في شِعرِ يومِ ذي قار .

[1] – الأصفهاني ، الأغاني ، 69/24 .

المبحث الثّاني – الوَصفُ .

يُعَدُّ الوَصفُ منْ أكثرِ الأغراضِ الشِّعريَّةِ المَطرقَةِ في أشعار الشُّعراءِ سواء أكانوا جاهليين أم محدثين ، فهذا هاشِم صالح منّاع يقولُ عنه : " لمْ يكنْ موضوعُ الوصْفِ مَوضُوعا مُستقلا بذاتِهِ عِندَ الشُّعراءِ الجَاهليينَ ، على الرّغمِ منْ انتشارِهِ في كُلِّ قَصائِدِهِم ... فلا نَكادُ نَعثرُ على قَصيدةٍ واحدةٍ تخلو منه " ([1]) ، فهوَ أهمُّ أسلوبٍ منْ أسَاليبِ التّعبيرِ لدَى الجاهليّ ؛ لأنَّ عَجزَهُ عنْ تَداولِ المَعاني جعلَهُ يرسمُهَا رسما ، فإنَّ التَّعبيرَ عنْ ساقِ الفَرَسِ بالمَعاني والأفكارِ يصعبُ ، بلْ يستحيلُ عليهِ ، لذلكَ قابَلَ بينَ سَاقينِ مختلفيْنِ ، ولكنَّهُما متشابهانِ في الشَّكلِ ، وهوَ في بدايتِهِ كانَ وصفَا نقليًّا فقدْ كانَ يتنازعُ الشَّاعرُ مَعَ الظّاهرةِ ليقبضَ عليها في حَيّزِ الألفاظِ والصُّورِ([2]) .

ويرى قُصَي الحُسين أنَّ غَرَضَ الوَصفِ يَتَمحوَرُ حَولَ المُوضوعاتِ الآتيةِ : وَصْفُ الأطلالِ ، ووصْفُ المَطيَّةِ ، ووصفُ الصَّيدِ ، ووصفُ الطَّبيعةِ ، ووصفُ المعاركِ ([3]) ، فوصْفُ المَعاركِ ضربٌ منْ ضُروبِ الوصْفِ ، ومِنْ هُنا فإنَّ يَومَ ذي قار خَيرُ شَاهدٍ على فنِّ الوصْفِ ، فَمِنَ الشُّعراءِ مَنْ جَاءَ يصِفُ أحداثَ هذا اليومِ ، فكأنَّهُ يقلّبُ لكَ الصُّورةَ السَّمعيَّةِ إلى بصريَّةٍ ، ويجعَلُ القارئَ يعيشُ اللَّحظَةَ رغمَ بُعدِ الزَّمنِ وانقطاعِ المَسافاتِ ، فنرى الأعشى يَصِفُ أهوالَ هذا اليومِ الّذي كانَ بينَ الفُرسِ والبكريينَ ، وما شابَهُ مِنْ قتلٍ وسفْكِ دماء ، فيصفُ ما حَلَّ بالفُرسِ ([4]) :

[البحر الطويل]

فَثــاروا وَثُــرْنا ، وَالمــنِيَّــةُ بَيـنَــنَا وَهَــاجَـتْ عَلَيْنَا غَــمْــرَةٌ ، فَتَــجَلَّتِ

وقــد شمَّرْتْ بِالنَّاسِ شَمْـطاءُ لاقِحٌ عَــوَانٌ ، شَدِيــدٌ هَــمْـزُها فأضَــلَّتِ

---

[1] – الأدب الجاهلي ، 233 .

[2] – ينظر : إيليا الحاوي ، فن الوصف وتطوره في الشعر العربي ، 8 .

[3] – ينظر : قصي الحسين ، شعر الجاهلية وشعراؤها ، 299 .

[4] – الأعشى ، الديوان ، 37 .

كَفَــوْا إذ أتَى الهَامَرْزُ تَخْفِقُ فَوْقَــهُ كَـظِلِّ العُقَابِ إذْ هَــوَتْ فَتَـدَلَّـتِ

يَصِفُ الأعشى مَا حدثَ في يومِ ذي قار بنفسيَّةِ المنتشِي والمفتخِر ؛ لأنَّ البكريينَ هُم المنتصرونَ في المَعركةِ ، فإذا كانَ لا بُدّ مِنْ الوَصفِ فمِنَ المرجَّحِ أنْ يتفنَّنَ فيه الجانبُ الغالبُ ويأتيَ بتفاصيلِ المعركةِ ودقائِقِها ، فَيَضَعُ الأعشى القارئَ في جوِّ المعركةِ ، فتراه في البيتِ الأوَّلِ يشرحُ لنا بِدايةَ المَعرَكَةِ عندَما ثَارَ الأعداءُ في وجْهِ العَرَبِ ، ثُمَّ واجهَهُم البكريونَ بثورةٍ ضدَّ ثورتِهِم ، فهَاجَتْ المَعرَكةُ وتعالى لهيبُها ، واشتدَّتْ سَطوتُها ، وشبَّه لنا المَوتَ بشخصٍ يَحومُ بينَ الطَّرفين ، يريدُ أنْ يُصيبَ الطَّرفَ المَهزومَ بِسهمِهِ .

اختلطَ أمرُ النَّاسِ في تلكَ اللَّحظةِ القاسيةِ ، فقدْ علا عَجاجُ المعركةِ ، واختلطَ صهيلُ الخُيولِ بصليلِ السُّيوفِ ، فلا تدري أيّ الطَّرفينِ مسيطِرٌ ، ويستمرُّ الشَّاعرُ في وصْفِ هذهِ اللَّحظةِ ، فيشبِّه هذهِ الحربَ الضَّروسَ بالعجوزِ الشَّمطاءَ ، الّتي اختلطَ سوادُ شعرِها ببياضِهِ دلالةً على أنَّها مكثت طويلا ، ووصفَهَا بالحامِلِ الّتي لا يدري الشَّاعرُ ما تلدُ بعدَ هذا المَخاضُ الطَّويلُ الشَّاقُّ ، ويتَّضحُ منْ كلامِ الأعشى أنَّ الحَربَ كانتْ شديدةً جدا ، وحامِيةَ الوطيسِ فأهلكَتْ الجيوشَ وأنهكتْ قواهُم .

فَفِي تلكَ اللَّحظاتِ العَصيْبَةِ ، القاسيَةِ الشَّديدَةِ ، أغنَتْ بنو شيبان وكَفوا قومَهُم ، وقدْ أقبلَ الهامرزُ تخفقُ فوقَهُ رايتُهُ ، كأنَّها عقابٌ كاسِرٌ هوَى بعدَما كانَ متعلِّقا في الفَضاءِ ، ويشيرُ الشَّاعرُ إلى ما فَعَلَهُ العربُ في الفُرسِ ، فيقولُ ([1]) : **[البحر الطويل]**

أذَاقُــوهُمُ كَأْسًا مِـنَ المَوْتِ مُــرَّةً وَقَــدْ بَذِخَــتْ فُــرْسَانُــهُمْ وَأذَلَّــتِ

سَوَابِغُــهُمْ بِيضٌ خِفَافٌ ، وَفَوْقَهُمْ مِـنَ البَيْضِ أَمْثَــالُ النُّجُومِ استَقَلَّتِ

[1] – الأعشى ، الديوان ، 37 .

يَصِفُ الأعشى مَا حَلَّ بالفُرسِ يومَ ذي قار ، فقدْ أذاقَهُم العَربُ كأسًا مُرَّةً مِنَ الموتِ ، وقَدْ أسرَفَتْ فُرسَانُ العَرَبِ في قَتلِهم ، ويُصوِّرُ حَالَ الفُرسِ وهمْ يَتيهُونَ في عُجبٍ ودَلالٍ ، ثُمَّ يَستمرُّ في وصْفِ ذلكَ الحَدثِ حتَّى يُظهِرُ الحقيقةَ للقارِئ ، فتراهُ يَصفُ دُروعَ الفُرسِ بالخفيفَةِ الَّتي لا تعوقُ حركَتَهُم ، وكانتْ على رؤوسِهِم خوذاتِهم الّتي شبَّهَهَا الشَّاعرُ بالنُّجومِ ، فهمْ على أتَمِّ الاستعدادِ للقتالِ ، فهزيمتُهُم لمْ تكنْ غيلةً وغدرا .

وَمِنَ الشُّعراءِ الَّذينَ قالوا في وَصفِ الشّيبانيين بَشيرُ بن سوادة حِينما ذَهبَ النُّعمانُ بنُ زُرعة إلى بني بكرٍ يَطلبُ منهُم الرَّهائنَ والودائعَ ، فطردوهُ وزجروهُ ، فغضِبَ عليهم ، فجاءَهُ أخوه عَمرو وصِهرُهُ بشيرٌ ، فنصحوهُ ألا يتحدَّى بني بكر ؛ لأنَّهم أبناءُ عمومَتِهِ ، فرفَضَ ذلكَ ، فبدأ يصفُ بشيرٌ إلى عَمرو بنِ زُرعة الشّيبانيين وقوَّتهِم ، فيقولُ ([1]) : **[البحر الكامل]**

والجَمْعُ من ذُهْلٍ كَأنَ زُهاءَهُمْ جُرْبُ الجِمال يَقُودُها ابْنَا شَعْثَمِ

قَذَفُوا الرِّماحَ وباشَرُوا بنُحورِهم عندَ الضِّرَابِ بكلِّ ليْثٍ ضَيْغَمِ

والخيلُ يَضْبِرْنَ الخَبَارَ عَوابِسا وعلى مَنَاسِجِها سَبَائِبُ من دَمِ

يَظهرُ مِنْ قولِ بشيرِ بن سوادةَ كَلاما يَصفُ بهِ الشّيبانيين الّذينَ أرادَ النُّعمانُ بنُ زرعةَ أنْ يتحدَّاهُم ، وكانَ كسرى قدْ استخدمَهُ قائدًا على لواء العربِ ، فاعتصرَ بشيرٌ ولامَهُ أخوهُ على هذا الصَّنيع، ولكنَّهُ أصرَّ على المِضيّ في هذا السَّبيل ، فبدأَ بكيرٌ يصفُ للنُّعمانِ قوَّةِ الشّيبانيين وعددِهِم ، فقدْ كانَ جَمْعُهم كثيرا وقدْرُهُم عاليا ، فلا يستَهانُ بهِم ، ولا يُستهوَن لقاؤهُم ، فَهُم الّذينَ يقذفُونَ رماحَهُم على أعدائِهِم ، وباشروا بنحورِهِم ، فهُم أقوياءُ يتمتَّعونَ بالصَّلابةِ في المواقِف ، يواجهون ولا يهربون .

[1] – الأصمعي ، الأصمعيات ، 105–106 .

ينتقِلُ الشَّاعرُ إلى وصْفِ الخَيلِ الّتي شارَكَت في حَربِهِم ، فيصفُها وهِيَ تجمعُ أطرافَها ، وتقفزُ في ميدانِ المعركةِ ، فتراهَا عابِسَةً شديدةً في انقِضَاضِها ، وتكونُ في تلكَ الحالِ تقطرُ دما ليصبحَ طرائقَ متعدِّدةً على شعرِ عنقها ، لكنَّها لا تعرِفُ الهروبَ أو الفِرارَ ، بلْ تكونُ صامِدةً صَابرةً رغمَ الألمِ والجِراحِ ، ولعَلَّ الشَّاعرَ يريدُ أنْ يجمعَ هذهِ الصِّفاتِ في ذِهْنِ النُّعمانِ في سبيلِ ردّهِ عن رأيهِ في قتالِ أبناءِ عروبتِهِ – الشّيبانيينَ – إرضاءً لكسرى فارس .

وهُناكَ صُورةٌ مِنْ صورِ الوَصفِ الّتي رسَمَها الأعشى في موطِنِ حديثِهِ عن لقاءِ جنودِ العَربِ وجنودِ الفُرسِ يومَ النِّزالِ ، فهذا حالَ النّساءِ اللّواتي كنَّ ينتظرنَ المعركةَ وهُنَّ خائفاتٌ مِنْ هَولِ ما رأينَ مِنْ جُيوشِ الفُرسِ ومواليهم ، فتراه يقولُ ([1]) : **[البحر البسيط]**

لَـمَّا أتَـوْنَا ، كَـأنَّ اللّيـلَ يَقْدُمُهُمْ مُطَبّقَ الأرْضِ يَغْشَاهَا بِهِـم سُدَفُ

وَظَـعْنُنَا خَلْـفَنَا كُـحْلا مَـدَامِعُهَا أَكـبَادُهَا وُجُـفٌ مِمَّا تَرَى تَجِفُ

حَوَاسِرٌ عَنْ خُـدُودٍ عَايَنَتْ عِـبَرًا وَلاحَـهَا وعَـلاهَـا غُـبْرَةٌ كُسُفُ

مِنْ كُـلِّ مَرْجَانَةٍ فِي البَحْرِ أَخْرَجَها غَـوَّاصُهَا وَوَقَاهَا طِيْنَهَا الصَّدَفُ

إنّ الإبداعَ في الوَصفِ عندَما يخرجُ الشَّاعرُ المَشهَدَ منْ كَونِهِ مَسمُوعًا إلى مَرئيًا ، فَكُلَّما استطاعُ فعلَ ذلكَ كلَّما أبدعَ في الوَصفِ أكثر ، فالقارئُ للأبياتِ يرى الأعشى يَصِف لنا صورةَ الفُرسِ وهُم قادِمونَ ، فقدْ كانَ عددُهُم كبيرا ، وعدّتُّهم كثيرةً ، فكأنَّ اللَّيلَ يقدمُ هؤلاءِ الجُنودَ مِنْ كثرةِ عَددِهِم فهُم يَسدُّونَ الآفاقَ بعددِهِم وعدَّتِهِم ، ولا شَكَّ أنَّ هَذا المنظرَ جَعَلَ نساءَهُم يختبئنَ خلفَهُم ، وأخذَ الأعشى في البيتِ الثَّاني يصفُ صورةَ النِّساءِ الخائفاتِ ، فوقفَتِ النِّساءُ خلفهُم ينظرنَ بعيونِ كُحلٍ سودٍ ، وقد اضطربَتْ أكبادُهُنَّ

[1] – الأعشى ، الديوان ، 114 .

إشفاقًا منْ هوْلِ ما رأيْنَ ، ويسيرُ في البيتين اللّذينِ يليه بوصْفِ خدودِهِنَّ اللَّواتي جرَتْ عليها الدُّموعُ حواسِرا ، وغيَّرَها الحزنُ فعلَتْها غبَرَةَ مظلِمَةٌ ، وقدْ كنَّ مشرفاتٍ تتلألأ وجوهُهُنَّ كالمَرجانَةِ الَّتي أخرجَهَا الغوَّاصُ منْ أعماقِ البَحر ، وقد صانتْهَا الأصدَافُ .

امتدادًا لوَصفِ المَعاركِ ووصفِ أحداثِها ، استمرَّ الأعشى في وصفِ بني ذُهلِ بن شيبان تَوثيقًا لشدَّةِ بلائِهم في يَوم ذي قار ، فَهُم أصحَابُ عزّةٍ وأنَفَةٍ لا يقبلونَ الذُّلَّ ، ولا ينقَادُونَ إلى حُكمِ الأعداءِ ، وقدْ شمخَت رُؤوسُهُم عِزًّا بشجَاعَتِهِم فيصِفُهُم قائلا ([1]) : **[مجزوء الكامل]**

أُبَــاةَ الضَّيْــمِ لاُ يُــعْطُو نَ مَــنْ عادوه مَا حَكَـمَا

أَبَــتْ أَعْنَاقُــهُمْ عِــزًّا فَمَا يُعْــطُونَ مَنْ غَشَمَا

عَــلَى جُــرْدٍ مُسَوَّمَــةٍ عَـوَابِسَ تَــعْلُكُ اللُّجُــمَا

تَخَــالُ ذَوَابِــلَ الخــطَّ يَّ فـي حَافــاتِها أجَــمَا

في مَعرِضِ حديثِ الأعشى عنْ يومِ ذي قار ، توقَّفَ الشَّاعرُ عندَ بني ذُهل بن شيبان بن بكر ، فوصفهم رافضي الذّلَّ والخضوعَ والهَوانَ ، ولا ينزلونَ على حُكمِ الأعداءِ ، ثُمَّ يُكرّرُ الشَّاعرُ هذهِ الصّفة مؤكدا لها ، فَهُم رافعو رؤوسِهم فخرًا وعزّةً بأدائِهِم ، ولا ينقادُون لظالمٍ غَاشمٍ ، وفي البيتِ الثَّالثِ يلتفتُ الشّاعرُ لوصفِ الخَيلِ الّتي كانتْ رَكوبَهم ، وسِلاحَهم ، فكانتْ تلكَ الجيادُ معلّمةً عابِسَةً تلوكُ اللُّجمَ في ثورةٍ واهتياجٍ ، فهيَ ثائرةٌ ، قويَّةٌ ، سريعةٌ ، وقدْ اعتادَ الشُّعراءُ الجاهليونَ على وصْفِ خيلِهِم بهذهِ الصِّفاتِ ، ثُمَّ يَنصرِفُ الشَّاعرُ لوصفِ تلكَ الرِّماحِ الَّتي كَانتْ تُحيطُ بالخُيولِ ، فَهيَ صَلبةٌ كثيرةٌ كأنَّها أجمَّةٌ كَثيفةُ الأشجارِ ، وهذا الوَصفُ ما كَانَ لولا أنَّهم أبدَعوا ، وصَبروا ، وأبلَوْا بَلاءً حَسنًا ، فالشَّاعرُ يُريدُ أنْ يؤرِّخَهُم في القَصائدِ ؛ تقديرًا لآدائِهِم ، وجُهودِهِم ، ووفائِهِم ، ومَوفقِهم المُشرِّف .

[1] – الأعشى ، الديوان ، 177 .

المَبحثُ الثّالثُ – التَّهديدُ والوَعيدُ .

يُعدُّ شعرُ الأيَّامِ الميدانَ الأوسعَ لغرضِ التَّهديدِ والوَعيدِ ، فمَا تحمِلُهُ الأيَّامُ مِنْ قتالٍ وشدّةٍ ومواجهةٍ وتحدٍّ يجعلُ هذا الغَرضَ ركنًا رئيسًا بارزًا منْ أركانِ الشِّعرِ الّذي يختصُّ في هذهِ الأيَّامِ والمعاركِ ، ولعلَّ تهديدَ طرفٍ أوْ التَّوعدَ لهُ عاملٌ مهمٌّ منْ العَواملِ النَّفسيَّةِ الَّتي تؤثِّرُ على الجُنودِ والفُرسانِ في أرضِ المَعرَكةِ ، فالجَانبُ الإعلاميّ لَهُ دورٌ أسَاسيٌّ مُهمٌّ في إضعافِ مَعنوياتِ الجُنودِ أو تقويتِها، وهذا الأمرُ قدْ يَكونُ لَهُ الأثرُ في تَغييرِ نَتيجةِ المَعرَكَةِ .

سَارَ الشُّعراءُ في تَهديدِهِم لعَدوّهِم وفْقَ عِدّةِ خُطُواتٍ تتمثَّلُ في وصفِ الحَالةِ الّتي يصوّرُ بها الشَّاعرُ الجِنايّةَ الّتي ارتكَبَها الأعداءُ ، وجَعَلَهُ يتهدَّدُهم ويتوعدُهُم بالعِقابِ ، أمَّا الخُطوةُ الّتي تَليهَا ، فهِيَ شَنُّ الحَربِ والإيقاعِ بِهِم ، وهُنا كَانَ الشُّعراءُ يبالِغونَ في تَصويرِ مَا يَزْعمونَ القِيامَ بِهِ ، ويأتي بَعدَها وصفُ الأبطالِ والجُيوشِ والكَتائِبِ بالحَزمِ والعُنفِ والقَسوةِ ، وَيُلَوِّحُ على مَفاخرِهِم البُطُوليَّةِ في جَانبٍ مِنْ زرْعِ الرُّعبِ في قُلوبِ أعدائِهم ، ثُمَّ يَصفُونَ الخَيلَ إلى جانبِ الأسلحَةِ الّتي يهدِّدون بها ، كيفَ لا والخَيلُ أهمُّ مَعدَّاتِ الحَربِ وأوَّلُها ([1]) .

وخَيرُ ما يمثِّلُ جَانبَ التَّهديدِ والوَعيدِ في يَومِ ذي قار ما قَالَهُ الأعشى عِندَما أرادَ كِسرى منَ البَكريين أنْ يَبعثوا لَهُ رَهْنًا مِنْ أبنائِهِم ، فرفَضُوا ذلكَ ، وتحدُّوه تحدّيا غَليظًا ، وأصبحَ الأعشى ينادي ليبلّغَ كِسرى رسائِلَهُ الّتي تخمِشُ الوجوهَ خمشًا ، وأرادَ لَهَا الانتشارَ والشُّهرةَ في كُلِّ مكانٍ ، فيقولُ الأعشى مُتحدّيًا مُتَوعِدا ([2]) : **[البحر الكامل]**

مَنْ مُبْلِغٌ كِسْرَى إذا مَا جاءَهُ عَنِّي مَآلِكُ مُخْــمِشَاتٍ شُــرَّدَا

---

[1] – ينظر : علي الجندي ، شعر الحرب في العصر الجاهلي ، 283–285 .

[2] – الأعشى ، الديوان ، 53–54 .

آلَيْتُ لا نَعطِيــه مِــنْ أبْنَائِنَا رُهُنًا فَيُفسِدُهُــمْ كَمَــنْ قَـدْ أفْسَدَا

حَتَّى يُفِيـدَكَ مِنْ بَنِــيهِ رَهِينَةً نَعْشٌ ، ويَرْهَنَكَ السَّمَاكُ الفَرْقَدَا

يبحثُ الأعشى عَمَّن يبلغُ كِسرى رَسائِلَهُ الَّتي سَيردّ بها على طَلَبِهِ الرَّهائنَ والودَائعِ ، فقدْ وصَفَهَا أنَّها تخمِشُ الوجوهَ وتخدشها بما تحمِلُهُ مِنْ حِقدٍ وغيظٍ ومكرٍ ، وأرادَ الأعشى أنْ تكونَ هذهِ الرَّسائلُ مَشهورةً ومذاعةً في كُلّ مَكانٍ ، فَلا يَخافُ منهُ ، ولا يجبُن ، ثُمَّ يرفُضُ الأعشى ما طلَبَهُ كِسرى مِنْ أمرِ الرَّهائن رفْضًا قاطعًا ، فلا يريدُ أنْ يُعرّضَ قوْمَهُ للتَّلفِ والضَّعفِ والذُّلِ كالّذينَ أذلَّهُم كِسرى مِنْ قَبل ، ونَرى الشَّاعرَ يؤكِّدُ رفضَهُ عِندَما يَربط قَبولَ رهانَ أبنائِهِ برهانَ أبناءِ النُّجومِ العَاليةِ كضَربٍ مِنْ ضُروبِ الاستحالَةِ ، فالقارئُ لهذهِ الرّسَائلِ يَستبينُ ما فيها مِنْ تَحدٍّ جَامدٍ غليظٍ ، وما هَذا التَّحدي إلا لونٌ مِنْ ألوانِ التَّهديدِ والوَعيدِ ، فلا يُمكنُ أنْ يُفسرَ بغيرِ ذلكَ ؛ لأنَّ الطَّرفَ الّذي تَمَّ تحديهِ ليسَ ضعيفًا ، وإنّما يُعدُّ أعَظمَ قوَّةٍ آنذاك ، والدَّليلُ على ذلكَ ، أنّ هَذا الرَّفضَ والتَّحدي كَانَ سَببًا مُباشرًا مِنْ أسبابِ نُشوبِ يوم ذي قار .

يَستمِرُّ الشَّاعرُ في تهديدِ كسرى بألفاظٍ صريحةٍ مباشرةٍ دونَ خَوفٍ ، فقالَ لهُ : اقعدْ وعليكَ التَّاجُ ، ولا تكلّفنا السَّيرَ إلى طريقِ الذّل والاستعباد ، فيتهدَّدُ قائلا ([1]) : **[البحر الكامل]**

فاقْعُدْ عَلَيْكَ التَّاجُ مُعْتَصِبًا بِهِ لَا تَــطْلُــبَنَّ سِوَامَــنَا فَتَــعَبَّدَا

فَلَعَمْرُ جَدِّكَ لَوْ رَأَيْتَ مَقَامَــنَا لَــرَأَيْـتَ مِنَّــا مَنْـظَرًا وَمُـؤَيَّـدا

فِيْ عَارِضٍ مِنْ وَائِلٍ أنْ تَلْقَهُ يَـوْمَ الهِياجِ يَكُنْ مَسِيرُكَ أنْكَدَا

وَتَرى الجِيَادَ الجُرْدَ حَوْلَ بُيُوتِنَا مَوْقُوفَةً وَتَـرَى الوَشِيجَ مُسَنَّدَا

[1] – الأعشى ، الديوان ، 54–55 .

يَظهرُ منَ البيتِ الأوَّلِ أنَّ الأعشى يَسْخَرُ مِنْ مَلكِ الفُرسِ العظيمِ (كسرى) عندَما يقولُ لهُ : " اقعدْ عليكَ التَّاجُ " فتُشَمُّ رائحةُ الذُّلِّ في كَلِمَةِ اقعدْ ، فهيَ أمرٌ لملِكِ الفُرسِ ، ونرى الأعشى يَطلبُ منه ألا يسوقَ قومَهُ إلى الاستعبادِ والإذلالِ ممَّا ينتظرُهُ ، ثمَّ يقسِمُ لَهُ في البيتِ الثَّاني بالجِدِّ – على سبيلِ التَّهديد– أنَّكَ لو رأيتَ مَقامَنا وشاهدتنا لرأيتَ منَّا منظَرًا يروعُ ، وقوَّةً لا تَلين ، في جَبلِ وائل يومَ يكونُ الجيشُ كالسَّحابِ المعترضِ ، ففي هذا اليومِ سَوفَ تَرى ما لا تتوقعُ ، وسَيكونُ مَسيرُكَ نَكِدا مُذَلا ، ويستمِرُّ الشَّاعرُ في التَّهديدِ والوَعيدِ بتصويرِ ذلكَ المَشهدِ الَّذي يُرعِبُ به كِسرى ، فيَصِفُ لهُ تلكَ الخُيولَ القويَّةَ السَّريعةَ الَّتي تَصطفُّ ، وقدْ أسنِدَتْ إليها الرِّماحُ ، وهيَ رهنُ الإشارَةِ .

ومِنْ لوحاتِ التَّهديدِ والوَعيدِ الّتي جاءتْ يومَ ذي قار ، قولُ الأغلبُ العجليّ مخاطبًا الفُرسَ ، حينما قالَ إنّهُم عَلِمُوا أنّنا شُجعانُ إذا بدأت المَعرَكةُ ، فإنَّنا بنو عِجل إذا لقينا الأعداءَ نمنعُ حدَّ الظَّالمِ ، فقالَ ([1]) : **[البحر الرجز]**

قــدْ عَلِمُوا يومَ خَلا يَزينا إذْ مــالتْ الأحياءُ مقبِّلينا

إنَّـــا بَنو عِجـلٍ إذا لقينا نمنــعُ منــا حَدّ مَنْ يلينا

نقــارعُ السِّنينَ عَــن بنينا الغَمـرات ثُــمَّ ينجــلـينا

نرى الأغلبَ العِجليّ في هَذه الأبياتِ يُؤكدُ عَلى قوَّةِ قَومِهِ في مَعرِضِ الحَديثِ عَن ذي قَار ، فَهوَ يُريدُ أنْ يذكِّرَ كِسرى بشدّةِ قَومِهِ وصَلابتِهِم ، فهُمْ بنوْ عِجلٍ الّذينَ يمنعُونَ حَدّ الظَّالمِ المُتعدِّي ، ولا يقبلونَ الظُّلم ، وهُمْ الَّذينَ يقارعُونَ السِّنينَ بحروبِها وشدَّتِها ، ثُمَّ ينجَلِي الخَبرُ اليقينُ بانتصارِهِم ، فالشَّاعرُ يتهدَّدُ الفُرسَ ويتوعَّدُ منْ يتعدَّى عليهم .

[1] – الهاشمي ، الأمثال ، 182/1 .

يبدو أنَّ الأعشى كانَ مكتويَ القلبِ ، حاقدًا على الفُرسِ ، لِما عاناهُ وقومَهُ منْ ذُلٍّ وإحباطٍ بأفعالِهِم البَغيضَةِ تجاهَ العربِ ، وخاصَّة البَكريين ، فثارَ وبَدأ يوضِّحُ لَنا ذلكَ المشْهَد مِنْ يومِ ذي قار عندَما جاءَ قائدُ الفُرس– الهَامرز – يُقسِمُ قَسمَهُ ألا يَشْرَبُ الخَمرَ حتَّى يرجعُ مُحمَّلا بالسَّبايا والأسيرات والأسلاب ، والغَنائمِ ، فيقول ([1]) : **[مجزوء الكامل]**

فَجَــاءَ الــقَيْـلُ هَامَرزٌ عَلَيْهِــمْ يُــقْسِمُ القَسَمَا

يــذُوقُ مُشَعْشَعًا حَـتَّى يُفِـيْءَ السَّبْـيَ والنَّــعَمَا

فَــلاقَى المَـوْتَ مكْتَنِعًا وَذُهْــلًا دُونَ مَــا زَعَـمَا

يَظهرُ في البيتِ الأوَّلِ أنَّ الهَامرزَ الفارسيَّ يُقسِم أغلظَ الأيمانِ ألا يَشربَ شرابَه حتَّى يأتيَ بهدفِهِ مِنْ سَبايا ، وأسَلابٍ ، وغَنائمَ ، ونَعمٍ ، ويبدو أنَّه كانَ مستهتِرا بقوةِ العربِ مستخفًّا بهم ، فلمْ يعلمْ ما يَخفى عَليه ، لِذلكَ نَرى أنَّهُ هدَّدَ وتوعَّدَ بألفاظٍ صَريحةٍ ونفسيَّةٍ مريحَةٍ وإنَّهُ ضَمِنَ النَّتائجَ ، وهذا تَهديدٌ صريحٌ لِبَني ذُهلِ بن شَيبان مِنَ الفُرسِ ، ولكنْ نتيجتَهُ لمْ تَكنْ كَما كانَ يَحلُم الهامَرز ، فما وجَدَ عندَ بني ذُهل إلا الموتَ ، فقدْ هَلَكَ مِنْ فِعلِهم ، فقد أتقنَتْ ذُهل دورَها وواجبَها يومَ ذي قار .

المبحثُ الرّابع – التّحريضُ .

الدَّارسُ المتعمّقُ في شعرِ الأيَّامِ يرى أنَّ للتَّحريضِ بابًا مستقلا ، وهذا الغَرضُ يستوجِبُ الإفرادَ ؛ لأنَّهُ مختصٌّ إلى حَدٍّ مَا بشعرِ الأيَّامِ والحُروب ، فالتَّحريضُ قوَّةُ تأثيرٍ تسهِمُ في استنفارِ مشاعِرِ الشَّجاعةِ، والبطولَةِ ، والإقدامِ من جِهةٍ ، وتسهِمُ مِن جِهَةٍ أخرى في التَّغلُّبِ على مَشاعِرِ التَّردُّدِ الّتي قدْ تتولدُ عن عَدمِ الاقتناعِ الكَامل بهذهِ الحَرب ، أوْ عَنْ الشُّعورِ بِعدمِ جدواها، أوْ عَن الإحساسِ بالمَخاطِرِ الّتي تحمِلُها ، أوْ عَن أيّ سببٍ آخر .

---

[1] – الأعشى ، الديوان ، 176–177 .

تَجلَّى غَرضُ التَّحريضِ يومَ ذي قار فِي عدّةِ مواقفَ ، ومِنَ الطَّبيعيّ هذا التَّجلّي لمناسبَةِ المقالِ لمقتَضَى الحالِ ، فهذهِ حربٌ ومعرَكةٌ بينَ عربٍ وعجمٍ ، فَمِنَ المُؤكدِ أنْ يظهرَ التَّحريضُ في شعرِهِم ، فقدْ كانَ مرداسُ بنُ أبي عامرِ السَّلميّ مجاورًا في بني بكر ، رأى يومَئذٍ الجيوشَ قدْ أقبلتْ إليهم ، فحمَلَ عِيالَهُ وخرجَ عنهم ، وأنشأَ شِعرًا يحرِّضُهم فيه ، فقال ([1]) : **[البحر البسيط]**

أبلِـــغْ سَراةَ بني بكـــرٍ مُغَلْغَلةً إنّي أخـــاف عليـهم سُرْبـةَ الـدَّار

إنّي أرى الملِكَ الهامُـرْزَ مُنْصَلِتًا يُزْجِي جِـــيادًا وركـــبًا غيـرَ أبرارِ

لا تَلْـقُطُ البَـعَر الْحَوْلِيَّ نِسْوَتُهُمْ للجائـزِين عَلَى أعطـانِ ذِي قـار

فـإن أَبَيْتُـمْ فـإنّي رافِـعٌ ظُعُنِـي ومُنْشِبٌ في جِبـال اللُّوبِ أظْفَاري

وجـاعِـلٌ بيـنَنا وِردًا غَـواربُـه تـرْمـي إذا مـا ربـا الوادِي بتَيَّار

يريدُ مِرداس بن أبي عَامر أنْ يبلغَ بني بكر رسالةً سريعةً يعْلِمُهُم أنَّ الجيوشَ قدْ أقبلتْ إليهم ، فهوَ خائفٌ على بني بكر وعلى جيشِهِم ، فيرى الجيوشَ تتقدَّم إليهم تريدُ قتالَهم ، فأرادَ أنْ يبلِغَهم بذلكَ تحريضًا لهم ، ليكونوا مستعدّين للمعركةِ ، ثُمَّ أخذَ يشرحُ صورةَ جيشِ الفُرسِ في معرضِ التَّحريضِ والحضّ على الاستعداد ، فيقولُ لهم : إنَّه يرى قائدَ الفرسِ مُسرعًا في قدومِه ، يسوقُ الخُيولَ الجيادَ مستنفرًا ، ويسوقُ الفرسانَ الَّذينَ يتهدَّدون يريدونَ الفتكَ بهم ، ثُمَّ يتعرضُ بالحديثِ على نسائِهِم ، ويستمرُّ الشَّاعرُ بالتَّحريضِ حينما يخيّرهم بأنَّهم إذا رفضُوا القتالَ والحربَ فإنَّهُ سوفَ يمتطِي فرسَهُ ويرحَلُ من مكانِهِم ، ولن يبقى لهُم في ديارٍ ، وسوفَ يجعلُ بينَهم البَحر ؛ لأنَّهُ لا يستطيعُ أنْ يرى الذُّلَ والتَّقاعسَ

[1] - الأصفهاني ، الأغاني ، 64/24 .

مع سَبقِ الإصرارِ له ؛ لأنَّهُ يَعدُّ نفسَهُ أنَّهُ نبهَهُم وحذَّرَهم وحضَّهُم على القِتالِ ، فإنْ لم ينفروا في سبيلِ النَّصرِ ، فلا يعودُ إليهم أبدا .

فَمَنْ يمعِنُ نظرَهُ في الأبياتِ يرى الشَّاعرَ مهتمًّا ومثارا لهذهِ الجُموع الّتي أتتْ مدجَّجةً بالسِّلاحِ والعتادِ لقتالِ العرب ، فوَصْفُهُ لهذهِ الجموعِ كانَ منْ بابِ التَّحريضِ على تجهيزِ الفُرسان والمقاتلينَ بأكبر قدرٍ ممكنٍ من العددِ ، عَلاوةً على عِلمِهِم بقوَّةِ الفُرسِ آنذاك ، إلا أنَّ مرداسَ أيقظَ غفلتَهُم عنْ هذهِ المجموعةِ الّتي جاءتْ مُسرعِةَ مستعدةً لقتالِهِم .

ومِنَ اللَّوحاتِ الَّتي تعرِضُ جانبًا منَ التَّحريضِ متَلائِمَةً معَ أحداثِ المعركةِ ما جاءَ بهِ الشَّاعرُ أخو نُهْمٍ يومَ ذي قار ، حيثُ شرعَ يحثُّ فرسَهُ على الإقدامِ والإسراعِ ؛ لتكونَ من أشرسِ الخيولِ وقتَ القتالِ ، وعلى ما يبدو أنَّ اسمَ هذه الفرس كانَ مِحاجا ، ونرى الشَّاعرَ يحضُّه بقولِهِ([1]): **[مشطور الرجز]**

أَقْــدِمْ مِــحـاجُ إنّــها الأساوِرَه

وَلا يَـهُــولَنّــكَ رِجْــلٌ نــــادِرَهْ

فإنّـمَا قَصْــرُكَ تُـرْبُ السَّاهِــــرَهْ

ثُمَّ تَعـودُ بَعْــدَهـا فِــي الْحَـافِرَهْ

مِنْ بَعْدِ مـا كُنْتَ عِظاما نــــاخِرَهْ

يَحُثُّ الشّاعر فَرَسَهُ على الإقدامِ والإسراعِ ، ويظهَرُ تحريضُهُ عندَما يقولُ لَها إنَّها الأساورةُ ، فكأنَّ الفَرَسَ تميّزُ بينَ الأساورَة وغيرِهم ، فهيَ حيوانُ لا يعقلُ ، ومِنْ هُنا يمكنُ أنْ يكونَ الشَّاعرُ يسلّي نفسَهُ بالحديثِ معَ الفَرَسِ ، ويريدُ منْ وراءِ كَلامِهِ أنْ يزرَعَ الثَّباتَ في نفسِهِ مُسقطًا كلامَهُ على فَرَسِه ، ويوصيها بعدمِ الجُبنِ والتَّردُّدِ ، فإنَّ قصرَك الأرضُ كلُّها ما دمتُ على قيدِ الحياةِ ، ولكنْ لا بدّ منَ الموتِ

[1] – الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، 197/24 .

المُحقَّقِ الّذي لا شَكَّ فيه ، فتعودُ بعدَها في الحافرَةِ ، وهذا تأكيدٌ على بَثِّ الشَّجاعةِ في القلبِ والثّباتِ في المعركَةِ ، فأرادَ مرداسُ أنْ يذكّرَ نفسَهُ بالموتِ الَّذي لا مفرَّ منهُ ، فلا داعِ للهروبِ والفِرارِ ما دامَ الموتُ حَتما سيأتي .

ومِنْ صُورِ التَّحريضِ أيضا في يومِ ذي قار أنَّه لمَا التقى الفَريقانِ – البكريون منْ جِهَةٍ والفُرسُ ومواليهم منْ جهَةٍ أخرى – كانَ يزيدُ بن مسهَّر الشّيبانيّ على ميمنَةِ هانئ بن قبيصةِ ، وعلى ميسرتِهِ حنظلةُ ، فاستعدوا للمبارزَةِ والقتالِ ، وجعلَ حنظلةُ بن سيار العجلي يقول([1]) : **[مشطور الرجز]**

قُـــدْ جَـدَّ أشياعُـكُمْ فَـجِدُّوا ما عِـلَّتِي وَأَنَـا مُـــؤَدٍ جَلْـــدُ

والــقَوْسُ فيهَــا وَتَـــرٌ عُــرُدٌّ مِثْـــلُ ذِرَاعِ البَـكْـــرِ أوْ أَشَـدُّ

قَدْ جَعَلَتْ أَخْبَــارُ قَوْمِيْ تَبْــدُو إنَّ المَـنَايَــا لَيْسَ مِنْها بُـــدُّ

لقد بدا الشَّاعرُ متأثرًا لمَشهد مواجَهَة الفريقين ، فمِنَ البَديهي أنْ تتوجَّه مشَاعرُ كلُّ طَرَف إلى جيشِهِ ، فتدفَّقت مشاعرُ حنظلةُ ، وأخذَ يحرّضُ قومَهُ على قتالِ الفُرس ، ويحضُّهم على الجِدِّ والصَّبرِ والثَّباتِ ، ويقولُ لقدْ جدّ أتباعُكم ومناصروكم فجدُّوا ، فليسَ لديَّ علَّة ، وأنا مستعدٌّ للقتالِ ، متوشِّحٌ سلاحي ، جاهزٌ للنِّزال ، صابرٌ على الألمِ ، جَلْدٌ في الصِّعابِ ، ثُمَّ ينتقلُ في البيتِ الثَّاني يبثُّ المعنوياتِ في قلبِ الجيشِ ، ويقول إنَّ القَوسَ فيها مشدودةٌ قويَّةٌ مثلُ ذراعِ النَّاقةِ الفتيَّةِ القوِيَّةِ أو أشدُّ منْ ذلكَ ، فهوَ يشحنُ النُّفوسَ بالقوَّةِ والصَّبرِ ، ويركّزُ الشُّاعرُ على قضيَّةِ المنايا ، فالمنيّةُ أمرٌ لا بدّ منه ، ونهايةُ كلِّ كائنٍ حيّ ، وهذا منْ بابِ التَّحريضِ على القتالِ ، وعدمِ الخوفِ والجُبنِ والتَّراجعِ ، فإذا كانَ المَوتُ لا بُدَّ منهُ ، فَمِنَ المفضَّلِ الإقدامُ والصَّبرُ والجَلْدُ والثَّبات .

---

[1] – أبو عبيدة ، النقائض ، 2/72–73 .

وَنَجدُ بكيرَ بنَ الأصمّ في موقفٍ آخر يحضُّ قومَهُ ويحرّضُهم على القِتال في سبيلِ الانتصار والظَّفر ، أو الموتِ الشَّريفِ الَّذي يكونُ أكرمَ منَ العَيشِ الذَّليل فيقول ([1]) : **[البحر الطويل]**

إذا كنتَ تخشى مِن عدوّكَ صولَةً ولمْ تستطِعْ دفعًا لها حِينَ يُقدِمُ

فقاتِلْ حِفاظًا أوْ فمُتْ موتَ فارسٍ فللموتِ في أمثالِ هاتيكَ أكــرمُ

يقولُ بُكير بن الأصمّ إذا كنتَ تخشى منْ عدوّكَ ، ولمْ تستطعْ أنْ تدافعَ عنْ كرامتِكَ فيجبُ عليكَ أنْ تقاتلَ الأعداءَ حِفاظًا على كرامتِكَ ، فإنْ بقيتَ على قيدِ الحياةِ فتكونُ حياةً كريمةً بعيدةً عن الذُّلِّ والاستعباد ، وإنْ متَّ فيكونُ مَوتًا شريفًا ؛ لأنَّ الموتَ في مثْلِ هذهِ الحالات أحبُّ منَ العيشِ الذَّليلِ .

[1] - أبو عبد الله اليمني ، مضاهاة أمثال كليلة ودمنة ، 17 .

المبحث الخامس – الهِجاءُ .

الهِجاءُ هُوَ الشَّتمُ ([1]) ، وهو غَرَضُ مطروقٌ منذُ زمنِ الجاهليَّةِ ، لِمَا فيهِ منْ منافَحَةٍ عنِ القبيلَةِ وأبنائِهَا ، فالجَوُّ القَبَلِيّ العامُّ كفيلٌ بإيجادِ مِثلِ هذا اللَّون الشِّعريّ ، حيثُ يتَّفِقُ الهِجاءُ معَ ثقافةِ القَبيلةِ ، ومعَ رَغبةٍ في التّميُّزِ والافتخارِ عندَ أفرادِ هذهِ القَبيلةِ أوْ تلكَ ، ولا شَكَّ في أنَّ أجواءَ المعاركِ والحروبِ والخِصامِ كانتْ رَحْمَ هذا الغَرضِ أحيانًا ، فكلٌّ واحدٍ من الطَّرفينِ كانَ يشوهُ صورة الآخرِ ، ويهدمُ سُمعتَهُ ، ويَحطُّ منْ قيمتِهِ.

ومِنَ الجديرِ ذكرُهُ أنَّ يومَ ذي قار كانَ أحدَ الأيَّامِ الّتي قالَ الشُّعراءُ فيه شعرا ، فكانَ للهِجاءِ نصيبٌ مِنْ أشعارِ هذا اليوم ؛ لكونِها معركةً بينَ طرفين ، فيمكنُ أنْ يكونَ الهجاءُ للأعداءِ أو المتخاذِلينَ منَ العربِ معَ الفُرسِ ، أو للفرسانِ الَّذين تقاعَسوا في الحرب ، فَمِنْ هنا نرى أنَّ الأعشى قالَ يهجو قيسَ بن مسعود ، ويلومُهُ على صنيعِهِ عندَما كانَ واليًا لكسرى ، ثُمَّ مشاركتِهِ الحرب ولاءً لكسرى ، رغمَ أنَّهُ كانَ سيِّدا في قومهِ ، إلا أنَّهُ حالفَ الأعداءَ على الأقرباءِ ، فلمْ يقبلِ الأعشى الأمرَ ، وأخذَ يهجوهُ ويلومُهُ بحسرةٍ وألمٍ شديدين ([2]) : **[البحر الطويل]**

أَقَيْسَ بنَ مَسْعُودِ بن قيسِ بنِ خالدٍ ... وَأنــت امرْؤٌ تــرجُــو شَبابَــكَ وَائِــلُ

أَطَوْرَيْنِ في عَامٍ : غَـزَاةٌ ورِحْــلَةٌ ... أَلا ليْــتَ قَــيْسًا غَــرَّقَتْــهُ القَوابِــلُ

وَلَيْتَكَ حَــالَ البَحْــرُ دُونَــكَ كلُّــهُ ... وَكـنْتَ لَقًــى تَجْــرِي عَلَيْــهِ السَّوائِلُ

كــأَنَّــكَ لَــمْ تَشْهَدْ قَرابِـينَ جَمَّــةً ... تَعِيــثُ ضِــباعٌ فِيــهِمُ ، وَعَــواسِلُ

---

[1] – ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (هجا) .

[2] – الأعشى ، الديوان ، 156 – 157 .

تَــرَكْتَهُمُ صَرعَــى لَــدَى كُــلَّ مَنْهَلٍ وَأَقْبَلْتَ تبغي الصّلـــحَ أُمُّــكَ هَابِــلُ([1])

ينادِي الشَّاعرُ قيسَ بنِ مسعودٍ ويلومُهُ بحرقَةِ قلبٍ تتقطَّرُ دمًا عندَما يذكُرُ اسمَهُ ونسبَهُ ، فكأنَّهُ يريدُ أنْ يذكِّرَهُ بنسَبِهِ الَّذي تغافَلَ عنْهُ لحظةً ما ، ويركِّزُ على أنَّ قيسا امرؤٌ ذو شأنٍ عالٍ في قومِهِ ، فقبيلتُهُ تعلّقُ عليه الآمالَ ، وترجُو في شبابِه وحياتِهِ الخَيرَ ، ويستَمِرُّ الشَّاعرُ في لومِهِ وهجائِهِ ، ويقولُ لهُ : أتُخيّبُ آمالَنا فيكَ مرتين في عامٍ واحدٍ ، فلمْ تَقْبلْ موالاةَ كسرى فحسب ، وإنَّما جئتَ مَعَهُ غازيَا قومَكَ رغمَ مَا كانَ بيننا وبينَهُ ، فيدعو الشَّاعرُ عليهِ ، ويتمنَّى لو أغرقتْهُ القابلاتُ في المَاءِ الّذي يولدُ معَهُ ، ويَتمنَّى الأعشى في البيتِ الثَّالثِ لو أنَّ البَحرَ بينَنَا وبينَكَ أيْ بعيدًا عَنَّا ، ويظْهَرُ تجريحُ الأعشى قيسَ بن مسعود حينمَا يتمنَّى لَهُ لو كانَ متاعَا تافهًا ملقًى في وسَطِ الطَّريقِ ، فتجري عليهِ السُّيولُ فتكسَحُهُ وتجرِفُهُ .

ينوّعُ الشَّاعرُ مِنْ أساليبِ الهجاءِ ، فيعيّرهُ أنَّهُ رغمَ ذَهابِهِ مَعَهُ كأنَّك لمْ تَرَ أولئكَ القتلى مِنْ أشرافِ أسيادِكَ الفُرسِ ، وهُم قدْ بُعثِرتْ جُثَثُهُم في الصَّحراءِ ، وتناثَرَت أشلاؤُهُم ، فعبِثَت فيها الضِّباعُ والذِّئابُ ، ويُلاحَظُ اعتصارُ الشَّاعرِ على قيسِ بنِ مسعودٍ عندَما يصوّرُ لنا موقفَ قيسِ منْ ذهابِهِ إلى كسرى ، وكانتْ حالُ الفُرسِ جثثًا ملقاةً وصرعَى للحيواناتِ المفترسةِ بجانبِ مواردِ الماءِ ، وأخذَ يطلبُ رِضاهُ ، فيدعو الأعشى عليهِ ، ويقولُ لهُ : ثَكَلَتْك أمُّكَ منْ رَجُلٍ .

ويَستمِرُّ الأعشى في لَومِ قيسِ بنِ مسعودٍ على فعلتِهِ السَّوداءَ ، ويُكرّرُ وصفَهُ بالكبيرِ والعَميدِ منْ بابِ التَّجريحِ والهجاءِ المُبَطَّنِ ، ومن قولِهِ ([2]) : **[البحر الطويل]**

تَــركتَهُم جَهــلًا وكُنتَ عميدَهُم فــــلا يبلغنِّي عنكَ مَا أنــتَ فاعلُ

---

[1] – هبل : هبلته أمه : ثكلته . ينظر : ابن سيدة ، المحكم ، مادة (هبل) .

[2] - الأعشى ، الديوان ، 156 –157 .

وعُـرِّيتَ مِــنْ وفــرٍ ومالٍ جمعتَهُ كَـما عُـرِّيت ممَّا تـسِرُّ المغـازِلُ

شفى النَّفسَ قتلى لمْ توسِّد خدودَها وسادا ولمْ تعضُضْ عليها الأنامِلُ

يستهزِئ الأعشى من فعلِ قيس ، ويدعو عليه ؛ لتخلِّيهِ عنْهُم وموالاةِ الفرس ، فقد كانَ سيِّدًا مُطاعا كريمًا في قومِهِ ، لكنَّ الشَّاعرَ كانَ مكتويًا مِنْ صنيعِهِ ، فقالَ لَهُ : وأيُّ شَرٍّ جَنيتَ على نفسِكَ حينَ رحلتَ إليه ، فتجَرَّدتَ مِنْ وفْرٍ ومالٍ جمعتَهُ ، وصوَّرَهُ الأعشى كالمِغزلِ الّذي ليسَ لهُ ممَّا يغزلُ شيءٌ ، ولا يتراكمُ عليهِ الغَزلُ إلا ليجرّدَ منه مِنْ جديدٍ ، فإذا هوَ عارٍ سليبٌ ، ولكنْ يعودُ الشَّاعرُ ليسلِّي نفسَهُ ويقولُ : لقدْ شفَى النَّفسَ بسببِ ما قتلنا مِنْ رجالٍ تفرقَتْ جثَثُهم في غربتِهِم ولا يضمُّها قبرٌ ، ولا يبكي عليها نادِبٌ ، ولا يعضُّ عليها أصبَعَهُ صديقٌ .

لمَّا طلبَ كسرى الرَّهائنَ منَ العربِ وجاءَ الرّد مزلزِلا ، ردَّ الأعشى عليهِ بأنَّ الشّيبانيينَ ليسوا كالأنباطِ ، وإيادٍ ، وبدأَ يهجو قَبيلةَ إيادٍ ويشبِّهُهُم بالأنباطِ ويصفُهُم بما فيهم ، فالأنباطُ هُم الَّذينَ كانوا يَعملُونَ في الزِّراعةِ مِنْ جُندِ كسرى ، فكأنَّهم لا يجدُونَ بعدَكَ مَنْ يقيمُ أمرَهُم ويتعهَّدُهُم ويعمِّرُ أمرَهم فيقولُ ([1]) : **[البحر الكامل]**

خَرِبَتْ بُيُوتُ نَبِيطَةَ ، فَكَأنَّــمَا لَــمْ تَلْــقَ بَــعْدَكَ عَامِرًا مُتَعَهِّدَا

لَسْنَا كَمَنْ جَعَلَتْ إيــادٌ دَارَهَا تَكْـرِيتَ تَمْنَــعُ حَبَّهَا أنْ يُحْصَدَا

قَوْمًــا يُعــالِجُ قُمَّلا أبنَــاؤهُمْ وسَلَاسِلا أُجُـدًا وَبَــابَــا مُؤصَدا

يَدعُو الأعشى على الأنباطِ الّذين هُم المُزارعونَ مِنْ جُندِ كسرى ، وهُم الّذينَ يتعهَّدونَ إعمارَ الأرضِ للفُرسِ ، والقِيامِ بأعمالِهِم احتراسًا مِنْ خرابِها بعْدَ الغزوِ ، ونُلاحِظُ أنَّ الشَّاعرَ يهاجِمُ قبيلةَ إيادٍ

[1] – الأعشى ، الديوان ، 54 .

الموالية للفُرسِ ؛ بسببِ موقعِهَا ، فينفيهِم الأعشى عَنِ العربِ ويشبّهُهُم بالأنباطِ ، ويتهكَّمُ بهِم ، وبدأ يُصوّرُ احتقارَ العربِ – والأعرابِ منهم خاصَّةً – لأصحابِ الصّناعةِ والزّراعةِ ؛ لأنَّ مَثَلَهُم الأوَّلَ أنْ يكونَ الرَّجلُ فارسًا مقاتلا ، والزّراعةُ والصّناعةُ والتّجارةُ تقومُ على الاستقرارِ ، وأصحابُها يتجنَّبُونَ الحُروبَ والغاراتِ ما استطاعوا ، وينفِي الشَّاعرُ أنْ يكونَ مِثْلَ قبيلةِ إيادٍ أذلاءَ حراثينَ ، قدْ اتَّخذوا تكريتَ دارًا ، فهم لاصقونَ بأرضِهِم ينتظرونَ الحَصادَ ، وهُم خاملونَ يقضونَ أوقاتَ فراغِهِم في معالجَةِ القَملَ المنتشِرَ في أبدانِهِم ، وهُم جُبناءُ يحتمونَ وراءَ أبوابٍ غلقوهَا وأوثقوهَا بالسَّلاسِلِ .

ومِنْ صُورِ الهِجاءِ أيضا ما قالَهُ الأعشى مجيبًا أبا كَلبةَ التَّيميّ عندَما اعترَضَ أبو كلبة على مدَحِ الأعشى لبني شيبان وحدَهُم ولمْ يمدَحْ قَومَهُ [1] : **[البحر البسيط]**

أبلِغْ أبا كَلبة التَّيميَّ مألُكَةً فأنتَ مِنْ معشرٍ – واللهِ – أشرار

شيبانُ تدفَعُ عنكَ الحربَ آونةً وأنتَ تنبَحُ نبْحَ الكلبِ في الغار

فقدْ بَعَثَ الأعْشى إلى أبِي كَلبةَ التّيميّ رِسالةً يُقسِمُ فيها الأعشى أنَّ أبا كلبة مِنْ قومٍ أشرارٍ ، وإنَّ شيبانَ تدافعُ عن كرامَةِ كلِّ عربيّ ، وتضحّي بنفسِها ومالِها وشبابِها في سبيلِ الانتصارِ ، وعدمِ الذُّلِّ ، ولكنَّكَ يا أبا كلبةَ لا تعرفُ إلا أنْ تنبحَ نبحَ الكِلابِ في الغَار ، وأرادَ أنْ يتفنَّنَ في صورةِ هجاءِ أبي كَلبة عندَما شبَّهَهُ بالكَلبِ الّذي ينبحُ داخلَ غارٍ وهوَ مختبِئٌ .

[1]– الأصفهاني ، الأغاني ، 73/24 .

المبحث السّادس – التَّحذيرُ والوَصيَّةُ .

يُعدُّ التَّحذيرُ والوَصيَّةُ غَرضًا شِعريًا واحدًا ؛ وذلكَ لأنَّ الشَّاعرَ الَّذي يُحذِّرُ مِنْ اجتنابِ أمرٍ ما يكونُ قدْ أوصى هذِهِ الجهةَ أوْ تلكَ بتركِ أمرٍ منَ الأمور واتباعِ آخر ، فالتَّداخلُ بينَهُما بيّنٌ ، ويقتَضي هذا التَّداخل أنْ يُدرسا في غرضٍ شِعريٍّ مستقلٍ .

انتشرَ هذا الغرضُ في شِعرِ الحُروبِ والأيَّامِ سَواءٌ أكانَ بينَ العَربِ أنفسِهِم أمْ بينَ العَرَبِ والعجمِ؛ لأنَّها منبَعُهُ وموطِنُه ، فوجودُ طَرفين مُتخاصِمين ، وجُنودٍ ، ومَعركةٍ هُوَ خَيرُ دافعٍ لهذا الغَرضِ ، فالتَّحذيرُ والإنذارُ والوَصيَّةُ والنّصحُ والإرشادُ مصطلحاتٌ لها نفسُ الدّلالة ، ويتركّزُ غرضُ التّحذيرِ عندَ استشعارِ الأخطار .

ويظهرُ هذا الغرضُ مِنَ الشِّعرِ عندَما يُلاحِظ المَرْءُ نيةَ الإساءةِ إلى قومِهِ منْ أعدائِهم ، أوْ تكونُ الإساءةُ على وشَكِ الوقوع ، فيُنبّههم الشَّاعرُ إلى مَغبّةِ ذلكَ ، وينصَحُهم إلى الصّوابِ خشيَةَ وقوعِ ما لا تُحمدُ عقباه ، وغالبًا ما يُلاحَظُ أنَّهم يُتْبِعون شِعرَهم هذا بتحذيرٍ ، وقدْ يكونُ عنيفًا في بعضِ الأحْيان ، فالتَّرابط بينَهُما شديدٌ([1]) ، وخيرُ ما يمثِّلُ ذلكَ في يومِ ذي قار أنّهُ عندَما كانت هند بنت النُّعمان في جوارِ هانئ بن قبيصة ، وبلَغَها نبأُ الفُرسِ وهمْ يستعِدُّون ويخطِّطون ؛ للنَّيل مِنَ العربِ بوَساطةِ العَربِ الموالين لهُم ، بعثَتْ لقومِها تنْذرهم([2]) : **[البحر الوافر]**

ألا أبــلِــغْ بنـي بكـــر ألوكَــا لَقَــدْ جَــدَّ النَّذيــرُ بَعَـنقَـفيـر

فليــتَ الجــيــشَ كُـلَّهمُ فـدِاكُمْ ونَـفْسي والسَّريـــرِ وذا السرَّيـرِ

كَــأنّي عِنــدَ جـدَّ بـِهم إلـيكُمْ مُعَلقـــةُ الــذَّوائــبِ بالـــــعبَورِ

---

[1] – ينظر : علي الجندي ، شعر الحرب في العصر الجاهلي ، 331 .

[2] – الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 213/2 .

فَلــو أَنّــي أَطـقتُ لـذاكَ دَفْـعًا إذًا لــدافَعتُــهُ بـدِمــي وزيــري

فَــإنْ تَـكُ نـعمـةً بـظهورِ بَـكرٍ فأكـــرِمْ بِالـــبِشارةِ لِلبَشـــيرِ

وإنْ تــكُ نـكبةً فــعلــيَّ منـهَا كمامِـيرَ الـــدَّهيمُ بمُستمــيرِ

يتجلَّى الإنذارُ والتَّحذيرُ في بِدايةِ النَّصّ الشَّعريّ ، فالقارئُ يُلاحِظُ أنَّها تُريدُ أنْ توصلَ رسالتَها إلى بني بَكرٍ بأنَّ الخَطبَ قدْ عَظُمَ ، وجدَّ الأمرُ بقدومِ داهيةٍ من دواهي الزَّمن ؛ لأنَّهَا سمعتْ بتخطيطِ الفُرسِ واستعدادِهم للمعركة ، وتتمنَّى هند أنْ يفتدي الجيشُ أنفسَهم فدى بني بكر ، وهيَ أيضًا تفتدي نفسَها لِقومِهَا نصرةً لَهُم ، ويظهرُ اهتمامُ الشَّاعرةِ وحرقَةُ قلبِها عندَما تُصوِّرُ نفسَها أنَّها خائفةٌ معلقةُ الذَّوائبِ على قومِها مِنْ هذا الخَبر، فهيَ مضطرِبةٌ مِنْ هذا اللِّقاء وَجِلَةٌ .

يَلُوحُ انتماءُ هند بنت النُّعمانِ إلى قومِها وشَجاعتِها عندَما تتمنَّى لوْ أنَّها تطيقُ أنْ تدفَعَ هذا الأمر عنهُم لدفعتْهُ ولدافعَتْ عنهم بدَمِها ، فهيَ ترخِصُ دمَها نصرةً لقومِهَا ، وهذهِ هيَ صفاتُ المرأةِ العَربيّةِ المثاليّةِ البَطلةِ ، وتقولُ هند إذا كانتْ هذهِ المعركةُ لصالحِ بكرٍ فانْعِمْ بالبشارةِ تفاؤلا ، وإنْ كانتْ نكبةً عليهم فإنَّها مصيبةٌ عَليَّ ، وحِمْلٌ ثقيلٌ مثلُ حِمْلِ ناقةِ الدّهيم الّتي ضُرِب بها المثلُ ؛ لأنَّها حَمَلت رؤوسَ قومٍ قُتِلوا ، فقدْ قيل " أثقلُ مِنْ حِمل الدّهيم " ([1]) .

وَمِنْ أضربِ التَّمثيلِ على التَّحذيرِ والوَصيَّةِ عندَ استشعارِ الأخطارِ في يومِ ذي قار ما قالهُ قيسَ بن مسعود الشّيبانيّ حينما سَجَنَه كسرى إبَّانَ يومِ ذي قار ، إذ تخوَّفَ الشَّاعرُ أنْ يُهزَمَ قومُهُ أمامَ أعتى قوَّة تحيطُ بالعربِ آنذاكَ ، فأرسلَ إليهم ينصحُهُم ويوصِيهم قائلا ([2]) : **[البحر الطويل]**

ألا لَيْتَنِي أَرْشُوْ سِلَاحِـيْ وَبَــغْلَتِيْ لِمَـنْ يُخْـبِرُ الأَنْبَاءَ بكر بْنَ وَائِـــلِ

---

[1] – الهاشمي ، الأمثال ، 9/1 .

[2] – الأصفهاني ، الأغاني ، 24/59–60 ؛ المرزباني ، معجم الشعراء ، 181 .

فَـأُوْصِيْهُـمُ بِـاللهِ وِالصُّلْح بَيْنَهُمْ لِيَنْصَـأَ مَعْـرُوْفٌ وَيُـزْجَـرَ جَـاْهِلُ

وَصَاْةُ امْرِئٍ لَوْ كَـأنَ فِيْـكُمْ أَعَـاْنَكُمْ عَلَى الـدَّهْرِ ، والأَيَّـاْمُ فيْهَا الْغَوائِـلُ

فَـإيَّـاْكُـمُ وَالـطَّفَّ لَاْ تَقْـرَبَنَّهُ وَلَاْ البَحْرُ إنَّ الْمَاْءَ لِلبَحْرِ وَاْصِـلُ

في البيتِ الأوّلِ يصفُ الشَّاعرُ حَالَهُ وضعفَهُ ، فهوَ يتمنَّى أنْ يَحمِلَ سلاحَهُ ويمتطِي صهوةَ بغلتِهِ – هذهِ على سبيلِ التَّمنّي – فلمْ يعدْ يقوى على ذلكَ ، وهنا يتركُ العملَ المادّيّ إلى الفنِّ القوليّ المُتمثلِ في النُّصحِ والوَصيَّة ، فيوصِي قوَمَهُ بالصُّلحِ واجتماعِ الكلمةِ لتحقّقَ لهُم هَزيمةَ أعدائِهِم ، ففي التَّفرقِ هزيمةٌ ، وفي التَّفرّق شماتَةٌ ، ولا يُمكنُ لقومٍ أخذَ الدَّهرُ منْهم وفاقِهِم ووحدتِهِم أنْ ينتصروا ، فركّز الشَّاعرُ على الوَحدةِ الَّتي هيَ سبيلُ النَّصرِ وسبيلُ النَّجاةِ ، وسبيلِ العزّةِ ، فبالوحدةِ تعلو الأمَم ، ويَسمو شأنُها ، ثُمَّ يعودُ في البيتِ الثَّالث إلى تذكيرِهم بضعفِهِ وقلَّةِ حيلتِهِ – رغمَ أنَّهُ سيدُهم – معلّلا ذلكَ بمصاعبِ الدَّهرِ ، فيتمنَّى قيسٌ لو كانَ بينَهُم ليقفَ موقفَه ، ويكونُ مقدامًا ، ولنْ يتخلّى عنهم أبدا ، ولكنَّهُ أغنَى عن ذلكَ بهذا النُّصحِ والوصيَّةِ .

والأبياتُ تعرِضُ وصيَّةَ سيّدٍ شَريفٍ مطاعٍ في قَومِهِ ، بيدَ أنَّ مصاعبَ الزَّمانِ قدْ جعلتْهُ سجينًا ضعيفًا لا يقوى إلا على إسداءِ النَّصائح والوَصايا ، ويتَّخذُ مِنْ نفسِهِ أنموذجًا يعرضُهُ على قومِهِ ، فقدْ كانَ في سابقِ عهدِهِ السّيدُ المهيبُ ، وأضحى الآن تحتَ غوائلِ الأيَّام ، وهذا يحرِصُ الشَّاعر جاهدا على ألا يقعَ قومُهُ في شَرَكِ قوَّتِهم ومنعَتِهِم .

وهذا حنظلةُ بن سيَّارِ الّذي كانَ قائدًا للجيشِ يومَ ذي قار يَحُثُّ فرسَهُ ويوصيها على الصَّبرِ والجَلد في المعركةِ ، فقال ([1]) : **[مشطور الرجز]**

[1]– ابن الأعرابي ، أسماء خيل العرب وفرسانها ، 170 .

صبـــرًا عُمير إنّها الأساوره

صبـــرًا ولا تفزعَكَ رجل نادره

فإن نفسي للمنايـــا صابره

يُلاحظُ أنّ حَنظلةَ يثبّتُ نفسَهُ منْ خِلالِ وصايةِ فرسِهِ الّتي سُميتْ بالعُمير، فأهوالُ المعركةِ شديدةٌ والحربُ كانتْ عنيفةً ، فأسقطَ الشَّاعرُ وصيتَهُ على فرسِهِ في قصدٍ لنفسِهِ ، فلا يمكنُ أنْ يَفهمَ الفَرَسُ كلامَ حنظلةَ ، ولا يُمكنُ أنْ يحاورَ الفَرَسُ ، ولكنْ مِنْ المتوقَعِ أنْ يكونَ الشَّاعرُ قدْ ألقى الكلامَ قاصِدا نفسَهُ ، لأنّ النَّفسَ البَشريَةَ مجبولةٌ على الخَوفِ أو الشَّجاعةِ أو الثَّباتِ أو الهروبِ .

يُوصِي حنظلةُ فرسَه بالصَّبرِ والثَّباتِ ، ويذكرُ اسمَ الخَصم لها في معرضِ تعزيزِ النَّفسِ وتثبيتِ الفؤادِ على الصَّبر ، فيقولُ لها إنّها الأساوره – أي الفُرْسُ – بمعنى الصَّبرَ الصَّبرَ ؛ لأنَّ الفُرْسَ هُم الخصمُ ، فلا يُعقلُ الفِرارُ ، ولا تُستوعبُ الهزيمةَ ، ويثني الشَّاعرُ بالصَّبرِ أيضًا وعدمِ الفزَعِ والجُبْنِ ، ويعودُ ليعلِنَ صراحَةً أنَّ نفسَهُ للمنايا صابرة ، فلا يخافُ الموتَ ، ولا يخافُ المواجهةَ ، فكأنَّهُ أرادَ أنْ يقولَ : المنيَّةَ ولا الدَّنيَّةَ " ([1]) .

المَبحث السّابع – الرِّثاءُ .

الرّثاءُ مِنَ الفنونِ الّتي قالَ الشُّعراءُ فيها ؛ لأنَّهُ تعبيرٌ عنْ خَلجاتِ قلبٍ حزينٍ ، فيه لوْعَةٌ صادِقَةٌ وحَسراتٌ حرَّى ، ولذلكَ فهوَ مِنْ الموضوعاتِ القَريبةِ منَ النَّفسِ ؛ لأنَّ الرِّثاءَ الصَّادقَ تعبيرٌ مباشرٌ قلّما تشوبُهُ الصَّنعةُ أو التَّكلّفُ ، والحياةُ الجاهليَّةُ حياةُ حربٍ ودماء ، وغاراتٍ يسقطُ إثرَها القتلى ، فيبكي الأهْلُ والأصحَابُ قتلاهُمْ ، ويثيرونَ ببكائِهِم دموعَ قبائِلِهِم ، ويؤجّجِونَ أخزانَهُم ، فيدفعُونَ لشَحذِ سيوفِهِم استعدادًا لجولَةٍ جديدةٍ تطفئُ نارَ غيظِهِم ، وتشفِي أحقادَهم بالنَّصرِ والظَّفرِ برؤوسِ أعدَائِهم ([2]) .

---

[1]– الميداني ، مجمع الأمثال ، 303/2 .

[2] – ينظر : يحيى الجبوري ، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، 311 –314 .

وتَعدَّدَت أساليبُ الرِّثاءِ في الشِّعرِ ، فإمَّا أنْ يكونَ بكاءً وعويلا على المَيت بألفاظٍ حزينةٍ تستمطِرُ الدُّموعَ منْ العُيونِ ، وإمّا أنْ يكونَ ثناءً على المَيت بذكرِ فضائِلِهِ وخصالِهِ الحميدةِ حبًّا به ، وتعدادِ محامدِهِ ، وما كانَ يمتازُ به الفَقيدُ منْ صِفاتِ البُطولَةِ ، وما قامَ بهِ مِنْ أعمالِ الشَّهامةِ والمُروءةِ ، وقدْ يُلاحَظُ – في بعضِ الأحيانِ – أنَّ الشَّاعرَ كانَ يرثي نفَسَهُ قبلَ موتِهِ مباشرةً ، وذلكَ إذا تحقَّقَ أنَّ قتلَهُ لا بدّ منهُ ([1]) ، وإمّا أن يتَّجِه إلى التَّفكُّرِ في رحلَةِ الحياةِ ومصيرِ النَّاسِ وحتميَّةِ الأقدارِ ، ونزولِ البلاءِ ، وضعفِ الإنسان أمامَ نوازلِ الدَّهرِ ومصائبِ الزَّمانِ([2]) .

وقدْ كانتْ النِّساءُ في الجاهليَّةِ يندبْنَ موتاهُنَّ أيَّامًا ، بلْ يتعدَّى أحيانًا إلى سنينَ معدوداتٍ ، ويقالُ إنَّهنّ كُنّ يحلقْنَ شعورَهُنَّ ، ويلطمْنَ خُدودَهُنَّ بأيديهنَّ وبالنِّعالِ والجُلودِ ، وكُنّ يَصْنعْنَ ذلكَ على القُبور ، وفي مَجالسِ القَبيلةِ والمواسمِ العِظامِ ، وهذا يَشهدُ أنَّ غَرضَ الرِّثاءِ إنَّمَا هوَ تطوُّرٌ عن تَعويذاتٍ كانتْ تُقالُ للميّت على قبرِهِ حتَّى يطمَئِنَّ في لحدِهِ ، وبمرورِ الزَّمنِ تطوَّر الرِّثاءُ عندَهم إلى تصويرِ حُزنِهِم العَميقِ إزاءَ ما أصابَهُم بِهِ الزَّمنُ في فقيدِهِم ، فأضحتْ تلكَ التَّعويذاتُ خاصَّةً عندَ نسائِهِم بكاءً وحزنًا وندبًا حارًا، وتأبينًا بذكْرِ خصالِهِ الحميدةِ ([3]) .

إنَّ الحَديثَ عَنْ يومٍ مِنَ أيَّامِ الجاهليَّةِ لَيفرِضُ علينا عَدَّ الرِّثاء أحدَ الأغراضِ الشِّعريَّةِ الّني لا بُدّ مِن الخوضِ فيها ؛ لأنَّ واقعَ الموضوعِ يفرضُ ذلكَ ، ومَنْ يتحدَّثُ عن معركةٍ فإنَّهُ يتحدَّثُ عنْ قتلى خاضُوا غمارَها ، ومِنْ هُنا لا بُدّ مِنْ رثاءِ هؤلاءِ القتلى مِنَ الفُرسانِ والقادَةِ وغيرهم ، فَمِنْ شواهدِ الرِّثاءِ ما قالَهُ مفرُوقُ بن عَمرو حينَ رثى مَنْ مَات مِنْ فرسانِ قومِهِ إبَّانَ إغارتِهِ على السَّوادِ([4]) :**[البحر الطويل]**

---

[1] – ينظر : علي الجندي ، شعر الحرب في العصر الجاهلي ، 291 .

[2] - ينظر : يحيى الجبوري ، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، 313 – 314 .

[3] – ينظر : شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، 207 .

[4] – الأصفهاني ، الأغاني ، 58/24 .

أتـانــي بأنْبــاطِ السَّوادِ يَسُوقُهــمْ إلــيَّ وأوْدَتْ رَجْـلَتــي وَفـَــوارِسي

فما أنا مِــن رَيْـبِ الــزَّمانِ بِجُـبَأٍ ولا أنــا مــن سَـيْـب الإلــهِ بيائسِ

أَبكّي على الـدَعّاءِ في كــلِّ شَتْوةٍ ولَهْـفِي علَى قـيسٍ زمَـامِ الفَوارِسِ

فمفروقُ يبكي على مَنْ ماتَ إبانَ أغارتِهِ على سوادِ فارسٍ ، فيذكرُ السَّوادَ في البيتِ الأوَّلِ ، ويذكُرُ الّذينَ كانوا يقومُونَ على العَمل بهذا السَّوادِ ، ويظهرُ إيمانُ الشَّاعرِ بالموتِ حينَما يقولُ إنَّهُ ليسَ كارِهًا لحوادثِ الزَّمانِ ، ولا يائسا مِنْ قدرِ الإله ، وإنَّما يبكي على فراقِ مَنْ ماتَ مِنْ أعوانِهِ وأهلِهِ في كُلِّ شتوَةٍ ، ويتلهَّفُ الشَّاعرُ على قيسٍ ذلكَ السَّيد السَّجين .

يَنكشِفُ الرِّثاءُ عندَ قيسِ بن مسعود عِندَما كانَ سَجينًا عِندَ كسرى ، فقدْ شعرَ قيس بالهَزيمةِ النَّفسيَّةِ ، وهذِهِ الهزيمةُ لمْ تَسرْ على وتيرةٍ واحدةٍ ، وإنَّما تغيرتْ باختلافِ الظُّروفِ والأحوالِ ، وذلكَ في ظِلِّ عدمِ وجودِ رؤيةٍ واضحةٍ حولَ المَصيرِ المُحَتَمَّلِ ، أو ربَّما يَطغى على الشَّاعرِ تهميشٌ للموت ، وتَطْفو على سَطحِ القَصيدةِ صبغةُ عتابٍ ، ومِنْ ذلكَ قولُ قيسِ بن مسعود ([1]) : **[البحر الوافر]**

أَلاَ أُبــلِــغْ بَنِــيْ ذُهْــلٍ رَسُوْلَا فَمَـنْ هَــذَاْ يَكُونُ لَكُمْ مَكَــانِيْ

أَيَــأْكُلُهَا ابْــنُ وَعْـلَةَ فِيْ ظَـلِيْفٍ وَيَــأْمَنُ هَــيْثَمٌ وَابْــنَا سِنَـاْنِ؟

وَيَــأْمَنُ فِيْكُــمُ الْــذُّهْلِيِّ بَعْـدِيْ وَقَــدْ سَمّــوْكُــمُ سِمَــةَ الْبَيَــاْنِ

أَلاَ مَــنْ مُبْلِــغٌ قَوْمِيْ وَمَــنْ ذَاْ يُبْــلِّغُ عَــنْ أَسِيْرٍ فِــيْ الإِوَاْنِ

تَطَــأْوَلَ لَــيْلُهُ وَأَصابَ حُــزْنًا وَلاَ يَرْجُو ٱلْفَكَـاْكَ مَـعَ الْـمِــنَاْنِ

[1] – الأصفهاني ، الأغاني ، 24/58-59 .

الظَّاهرُ في حَديثِ قيسِ بن مسعود أنَّهُ يريدُ أن يبعثَ رسالةً إلى بني شَيبان يسألُهم مَنْ سَيكونُ لكم سيّدا مكاني ؟ فالشَّاعرُ سيّدُ بني شيبان ، يُضحّي بنفسِهِ ليجنّبَ أهلَهُ مذلَّةً عندَ كسرى لذلكَ يتوجَّهُ بالعتابِ إلى أهلِهِ متسائلا عنْ كُفءٍ يوضَعُ مكانَهُ في سِيادةِ بني شيبان ، ثُمَّ يعاتبُهُم مُذَكِّرًا إيّاهم بالحارثِ ابن وعلة ، الَّذي أغارَ على سَوادِ بكر فأفسدَ أمرَهُم ، ثُمَّ يشكو قيسٌ مصابَهُ وقدْ أضحى أسيرًا في إيوانِ المدائنِ ، ويختمُ راثيًا نفسَهُ بألفاظٍ مباشِرة راجيًا ألا يُفَكّ إنْ قُتِل . فقيسٌ ما زالَ رغمَ ضَعفِهِ يتطلَّعُ إلى قَومِهِ بصفتِهِ سيّدهِم ، بدليلٍ أنَّهم لمْ يصنعوا سيّدا مكانَهُ ، لذلكَ يعاتِبُهم في أمانِ الحارثِ رغمَ أنَّهُ سبَبُ حربِهِم ، في حِين يقبعُ قيسٌ أسيرًا في سِجن كِسرى .

ويَبدو مِنْ خلالِ الأبياتِ أنَّ الحربَ لمْ تَقُمْ بعدُ ، لذلكَ يراوحُ الشَّاعرُ بينَ الشَّكوى والعتاب ، خاتمًا ذلكَ برثائِهِ لنفسِهِ . غيرَ أنَّ نبرَةَ الشَّاعرِ تغيَّرتْ عندَ بدْءِ الحرب ، فيترُكُ الحديث عن السِّيادةِ ويتَّجِه إلى قومِهِ قائِلا ([1]) : **[البحر الطويل]**

تَمنَّاكَ مِنْ لَيْلَى مَعَ اللَّيْلِ خَــأْئِــلُ وَذِكْــرٌ لَهَاْ فِــيْ الْقَلْبِ لَيْسَ يُزَأْيــلُ

أُحِبُّكِ حُبَّ الْخَمْرِ مَاْ كَــاْنَ حُبُّــها إِلَّــيَّ وَكُــلٌّ فِــيْ فُؤَاْدِيْ دَاْخِــلُ

فَإِنَّــاْ ثَــوَيْنَاْ فِــيْ شُعُوْبٍ وَإِنَّــهُمْ غَــزَتْهُمْ([2])جُنُــوْدٌ جَمَّــةٌ وَقَبَاْئِــلُ

وإِنَّ جُنُــوْدَ الْعُــجْمِ بَيْنِــيْ وَبَيْنَكُمْ فَيَــاْ فَلَــجِيْ يَــاْ قَــوْمُ إِنْ لَمْ تُقَاْتِلُوْا

مِنَ الواضِحِ أنَّ الشَّاعرَ قدْ أسبَغَ الحَماسةَ على رثائِهِ لنفسِهِ ، ففقدُه ليلى لمْ يكنْ جُلّ همِّهِ ، وإنَّما همُّهُ في عَدِم مقدرتِهِ على حَملِ سلاحِهِ ، وامتطاءِ صَهوةِ جوادِهِ ليحاربَ معَ قومِهِ فيتمنَّى الشَّاعرُ لو أنَّه يستطيعُ ذلكَ ، وهُنا يشكو ضعفَهُ وقلَّةَ حيلتِهِ إذ أضحى بينَ شعوبٍ أعجميةٍ ، وتفصلُهُ عن قومِهِ جنودُ

[1] – الأصفهاني ، الأغاني ، 60/24 .

الفُرس ، وفي الخِتام لا يَجدُ الشَّاعرُ بُدًّا مِنَ تحميسِ قومِهِ وتشجيعِهِم على القِتال في ظِلِّ غيابِهِ وضعفِهِ ، فيتحسَّر على نفسِهِ وقومِهِ إذا تثاقلوا عن القِتالِ .

ويَبدو أنَّ الشَّاعرَ كانَ يُدْرِكُ مصيرَهُ عندَ كِسرى ، فرثى نفسَهُ قبلَ أنْ يرثيهِ الآخرون ، فلمْ يرثِ نفسَهُ للتَّهويلِ منَ الأمرِ ، وإنَّما أدركَ المَوتَ وعَايشَهُ في سِجنِ كِسرى إلى أنْ فَتكَ بهِ .

المَبحثُ الثَّامِن – المَدْحُ .

المَدَحُ عكسُ الهجاءِ وهوَ " حُسنُ الثَّناءِ " ([1]) ، وغَرضُ المَدحِ منَ الأغراضِ الَّتي طرَقَها الشُّعراءُ الجاهليُّون ، فقدْ كانوا يتمادَحُون بمناقبِ قبائِلِهم وساداتِها ، وكانوا كثيرًا ما يمدَحُون القَبيلةَ الَّتي يَجِدُونَ فيها كرمُ الجِوارِ ، وبما فيهم مِن فَتْكِ أعدائِهِم ، ورعايةِ حُقوقِ جيرانِهِم ، وإكرامِ ضيوفِهِم ، متحدِّثينَ عن عزِّها وإبائِها وشجاعةِ أبنائِها في المَعاركِ والأيَّامِ .

والمَديحُ هوَ فنُّ الثَّناءِ والإباءِ والإقدامِ ، قامَ بينَ فنونِ الأدبِ العربيّ مَقامَ السِّجلِّ الشِّعريّ لجوانبَ مِنْ حياتِنَا التَّاريخيَّةِ ، إذْ رسَمَ نواحِيَ عديدةً مِنْ أعمالِ المُلوكِ ، وسياسَةِ الوُزراءِ وشجاعةِ القوَّادِ ، وثقافةِ العُلماءِ ، فأوضحَ بذلكَ بعضَ الخفايا ، وكَشَفَ عن بعضِ الزَّوايا وأضافَ إلى التَّاريخِ ما يذكرُه التَّاريخُ أحيانا([2]) ، ورأى قدامَةُ بن جعفر أنَّ السَّبيلَ إلى المَدحِ إنَّما يكونُ بذكْرِ الفضائِلِ الّتي يتَّصفُ بها الممدوحُ ، وهيَ عندَه أربعٌ : العقلُ ، والشَّجاعةُ ، والعدلُ ، والعِفَّةُ . فالقاصِدُ لمدحِ الرِّجالِ بهذهِ الخِصالِ مُصيبٌ ، والمَادحُ بغيرِها مخطِئٌ ، ويرى أنَّ هذهِ الخِصالَ يندرجُ تحتَها كثيرٌ مِنَ الخِصالِ الفرعيَّةِ ، فإذا ما مُدِحَ أحدُهُم بالجُود ، فيمكنُ أنْ يندرجَ تحتَ قسِمِ العدلِ([3]) ، وقدْ كانَ الأعشى مِنْ بينِ الشُّعراءِ الَّذينَ قالوا في هذا الغَرَضِ ، ويبدو أنَّ يومَ ذي قار كان شاهدًا واضحًا على ذلكَ ، فالأعشى يخُصُّ بالمدحِ بني

---

[1] – ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (مَدَحَ) .

[2] – ينظر: سليم الدهان ، المديح ، 5 .

[3] – ينظر : قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، 189 .

شيبان لحُسْنِ بلائِهِم في يومِ ذي قار ، بادِئا هذهِ القصيدةَ بفداءِ ناقتِهِ لبني ذُهلِ بن شيبان تقديرًا لجهودِهِم، ومِنَ الجديرِ ذكرُهُ أنَّ النَّاقةَ لها مِنَ الأهميَّةِ ما لها في ذلكَ العصرِ ، فيفتدي الشَّاعرُ ناقَتَهُ الَّتي تُعدّ معيلَةً على السَّفرِ والتَّرحالِ ، ومصدرَ الطَّعامِ والشَّرابِ ، ويفتدي أيضا صاحبَهَا ، وإنْ دلَّ هذا الأمرُ فإنَّهُ يدلُّ على صِدقِ سَريرتِهِ في المَدحِ ، فيقولُ مادِحَا ([1]) : **[البحر الطويل]**

فدًى لبني ذُهلِ بنِ شيبانَ ناقتي وراكِبُها يومَ اللِّقاءِ وقلّتِ

هُمُ ضربوا بالحِنوِ حِنوِ قراقرٍ مقدّمَةَ الهامرز حتَّى تولَّتِ

فللهِ عينا مَنْ رأى مِن عصابة أشدّ على أيدِ السّقاةِ من الَّتي

أتتهُم منَ البّطحاءِ يبرقُ بيضُها وقدْ رُفعتْ راياتُها فاستقلَّتِ

نلمَحُ مِنْ مدْحِ الأعشى إعجابًا وتأكيدًا على ما بذلوهُ مِنْ جُهدٍ عميقٍ في سبيل الوُصولِ إلى هدَفِ النَّصرِ ، فيفتدي الشَّاعرُ ناقتَهُ وصاحبَها ، فلمْ يبخلِ الشَّاعرُ بفداءِ نفسِهِ لبني ذُهلِ بن شَيبان ، ويدعو لَهُم بالعُلا وسموِّ الشَّأنِ .

يُثنِي الأعشى على مدحِهِ الشّيبانيين بذكْرِ إبداعاتِهِم والإنجازاتِ الّتي حقَّقُوها على أرضِ النِّزالِ ، فيمرُّ الشَّاعرُ على يومِ الحِنو ، وهوَ يَومُ ذي قار نفسُهُ ، فيذْكُرُ ما فعلَهُ الشّيبانيونَ بمقدمَةِ الجيشِ الّتي واجهوها ، فضربوها وفعلوا بِها العَجائبَ حتَّى ولَّتْ هاربةً مِنْ شدَّةِ ما رأتْ ، فيسيرُ الأعشى في مدحِهِم ويدعو لهذهِ العِصابةِ ، قائلًا : ألا سَلِمَتْ عينُ مَنْ رأى هذهِ العِصابةَ مِنْ الأبطالِ الّتي أرادتْ كيدَ البُغاةِ وتذوقُهم الذُّلَّ ، فهُمْ أشدُّ نكايةً مِن الّذينَ جاؤوا منَ البطحاءِ يرفعونَ فوقَ رؤوسِهِم الحديدَ ، وتخفقُ فوقَهُم الرّاياتُ الطّوالُ ، فَهُم أشدَّاءُ أقوياءُ ، ولعلَّ ساحَةَ المعركةِ خيرُ شاهدٍ على هذا الأمرِ .

[1] – الأعشى ، الديوان ، 37 .

ومِمَّا يدلّلُ على شجاعَةِ بني شيبان يومَ ذي قار وإقدامِهِم وثباتِهِم ، وصحَّةِ إنجازاتِهِم مَدْحُ يزيد بن حِمار السَّكونيّ لهم ؛ لحُسْنِ بلائِهِم ولعظيمِ صنعِهِم ، ولشدَّةِ بأسِهِم ، إذْ بدأ يزيدُ مدْحَهُ لبني شيبان بأصرحِ عباراتِ المدح ، فيقول ([1]) : **[البحر البسيط]**

إنّي حَمِدْتُ بَنِي شَيْبَانَ إذْ خَمَدَتْ نِيْرَانُ قَومِي وَفِيهِم شَبَّتِ النَّارُ

وَمِنْ تَكَرُّمِهِمْ فِي المَحْلِ أَنَّهُمُ لا يَعلَمُ الجَارُ فِيهِم أَنَّهُ جَارُ

حَتَّى يَكُونَ عَزِيزا مِنْ نُفُوسِهِم أَوْ أنْ يَبينَ جَمِيعًا وَهْوَ مُخْتَارُ

كَأَنَّهُ صَدَعٌ فِي رَأسِ شَاهِقَةٍ مِنْ دُونِهِ لعِتاقِ الطَّيْرِ أوْكارُ

يُصَرِّحُ يزيدُ مُعلِنًا مدْحَهُ لبني شيبان حينَما يقارِنُ بينَ ما فعلَهُ بنو شيبان وبينَ ما فعلَهُ قومُهُ – بني قيس ثعلبة – فتراهُ يقولُ إنّي حمَدتُ بني شيبانَ ، ففي الوَقتِ الَّذي هدَأتْ فيهِ نيرانُ قومِي شبَّت نيرانُ الشَّيبانيينَ وثارتْ ثائِرَتُهم ، فكانوا متميّزينَ بالصَّلابةِ والشِّدةِ ، علاوةً على ذكْرِ بعضِ صفاتِهِم الأخلاقيَّةِ في جانبِ المدحِ لهم ، فالجارُ عندَهم وقتُ الشِّدَّةِ لا يعلمُ أنَّهم جيرانُهُ ، فلا يُؤذونَ الجارَ ، فقدْ تحلُّوا بأخلاقِ الجِيرةِ الحقيقيَّةِ ، فهوَ عزيزٌ عليهم ما دامَ حافِظًا نفسَهُ وخلوقًا ، لذا حقُّ الجيرةِ عندَهُم محفوظٌ ، فيصفُهُم بأنَّ الجارَ عندَهُم في رأسِ شاهقةٍ ، فلم ينزلوا مِنْ مكانتِهِ ، بلْ رفعوها وأعلو من شأنِهِ .

ويتعرَّضُ الشَّاعرُ بكيرُ بن الأصمّ إلى مدْحِ الشّيبانيينَ أيضًا ؛ لانتصارِهِم المُؤزرِ على إمبراطوريةِ الفُرسِ ، فقد قال ([2]) : **[البحر الكامل]**

إنْ كُنْتِ سَاقِيَةَ المُدامَةِ أهْلَها فاسْقِي عَلَى كَرَمٍ بَني هَمّامِ

---

[1] – أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة ، 221/1 .

[2] – أبو عبيدة ، النقائض ، 74/2 .

وَأَبَــا رَبيعَةَ كُلَّــها ومُحَلِّـــــمًا سَبَقــا بــغـايَةِ أمْـجــدِ الأيَّـــامِ

ضَرَبُوا بَني الأحرارِ يَـوْمَ لَقُوهُمُ بــالمَشْرِفِيّ عَـلَى مَقيلِ الهـــامِ

عَـرَبًا ثلاثـــة آلُــفٍ وكَتــيبــةً أَلْفَيـنِ أَعْـجَمَ مِــنْ بَني الفَدَّامِ

يَمدحُ الشَّاعرُ بني هَمَّامٍ ويَحثُّ على سِقائِهِم الخَمرِ ؛ لأنَّهم كُرَماءُ ، فالشَّاعرُ يفضِّلُ بعضَ قبائلِ بني شيبان إلى بني همَّام ، وأبا ربيعة ، ومحلَّمًا ، فَهُم الَّذينَ سَطَّرُوا في التَّاريخِ أمْجَدِ الأيَّام ، فصنَعُوا ودبَّروا وكادوا ، فتحدُّوا الفرسَ وهزموهُم ، وقد كانَ الشّيبانيونَ يومَها ثابتينَ غيرَ فارينَ مِنْ وجهِ الأعداءِ ، وفي نِطاقِ المَدحِ يذكرُ عددَ العَربِ والفُرسِ الّذينَ اشتركُوا في هذا اليومِ .

تعددت الأغراضُ الشِّعريَّةُ في يومِ ذي قار ، فكان الفخرُ أكثرها ورودًا ؛ ثُمَّ الوصفُ ، ثُمَّ التهديدُ والوعيدُ ، ثمَّ التحريضُ ، ثُمَّ الهجاءٌ ، ثُمَّ التحذيرُ والوصيَّةُ ، ثُمَّ الرِّثاءُ ، ثُمَّ المَدحُ ؛ فالأغراضُ جميعُها تضمَّنت أحوالَ الحربِ ومجرياتها وأحداثَها ، فمن الطبيعي أن يفتخرَ الطَّرفُ الظّافر ، ومِنَ المُؤكدِ أنْ يهجوَ كلٌّ منهما الآخر ، ولا شكَّ أن يصفَ الشُّعراءُ اليومَ وأحداثِهِ ، وكذلك الأغراض الشِّعريَّةِ الأخرى .

الفصلُ الثّالث

- شعرُ يومِ ذي قار في العصرِ الجاهليّ" دِرَاسةٌ فَنيّةٌ "

المبحثُ الأوَّلُ – بناءُ القصيدة :

أوَّلا – المَطلَعُ .

ثانيا – المُقدِّمَةُ .

ثالثا – التَّخلُّصُ .

رابعًا – الخاتمَةُ .

المبحث الثّاني – اللُّغةُ والأسلوب :

أولا – اللّـفظ والمعنى .

ثانيا – التّبليغ والإخبار .

ثالثا – الـتَّـــــرادف .

رابعا – الشَّـــــرط .

خامسا – الجنـــــاس .

سادسا – الطِّبـــــاق .

سابعا – الأمر والنّهي .

ثامنا – الاستفهـــــام .

تاسعا – القَسَـــــــم .

عاشرا – التَّمنّـــــي .

المبحث الثّالث– الموسيقا :

أولا – الموسيقا الخارجيّة :

أولا - الوَزن .

ثانيا - القافية .

- عيوب القافية :

1- الإيطاء .

2- السّناد .

3- التضمين .

4- الإقواء .

ثانيا – المُوسيقا الدّاخليّة :

أولا- تَكرار الكلمات .

ثانيا- تكرار الحروف .

المبحثُ الرَّابع – الصّورةُ الشّعريةُ :

أولا - التّشبيه .

ثانيا - الاستعارة .

ثالثا - الحقيقة والمجاز .

رابعا - الكناية .

المَبحثُ الأوَّلُ : بِنَاءُ القَصيدَةِ .

أجمَعَ النُّقادُ القُدماءُ والمُحدثونَ على صُورةِ الهَيكليَّةِ العامَّةِ للقصيدَةِ الجاهليَّةِ ، وخيرُ ما يُستَأنسُ بِهِ في وصْفِ هذهِ الهَيكليَّةِ ما ذهَبَ إليهِ ابنُ قتيبةَ حينَ قالَ : " إنَّ مَقصدَ القَصيدِ إنَّما ابتدأَ بذكْرِ الدِّيارِ والدِّمَنِ والآثارِ ، فبَكَى وشكَا ، وخَاطَبَ الرَّبعَ ، واستوقَفَ الرَّفيقَ ، ليجعلَ ذلكَ سببًا لذِكْرِ أهلِهَا الظَّاعِنينَ عنهَا ، إذْ كانَ نازِلَةَ العَمدِ في الحُلولِ والظَّعنِ على خِلافِ مَا عليهِ نازلةُ المَدَرِ لانتقالِهِم عنْ ماءٍ إلى ماءٍ ، وانتجاعِهِم الكَلَأَ ، وتتبُّعِهِم مساقطَ الغَيثِ حَيثُ كان ، ثُمَّ وصَلَ ذلكَ بالنَّسيبِ ، فشَكَا شِدّة الوَجدِ وألَمَ الفراقِ ، وفَرْطَ الصَّبابَةِ ، والشُّوقَ ؛ ليميلَ نحوَهُ القلوبَ ، ويصرفَ إليهِ الوجوهَ ، ليستدعِيَ بهِ إصغاءَ الأسماعِ إليهِ ؛ لأنَّ التَّشبيبَ قريبٌ مِنَ النُّفوسِ ، لائطٌ بالقلوبِ ؛ لِما قدْ جعَلَ اللهُ في تركيبِ العِبادِ منْ محبَّةِ الغزَلِ ، وإلْفِ النِّساءِ ... وعندَما استوثَقَ مِنَ الاستماعِ إليهِ ، انتقلَ إلى الرَّاحلةِ ، وشكَا النّصَبَ والسَّهَرَ ، وسرَى اللَّيلَ ، وحَرَّ الهَجيرِ ، وإنضاءَ الرّاحلَةِ والبَعيرِ ، فإذا عَلِمَ أنّهُ قدْ أوجَبَ على صَاحِبِهِ حَقَّ الرّجاءِ ... بَدَأَ بالمَديحِ فبعثَهُ على المُكافأَةِ ، وهزّه للسّماحِ ([1]) .

وهُنَا يُقسِّمُ ابنُ قُتيبةَ القَصيدَةَ العَرَبيَّةَ الجَاهليَّةَ ذاكرًا أجزاءَهَا : مِن ذِكرِ الدِّيارِ ، ثُمَّ النَّسيبِ بَعدَ استيقاف الرَّفيقينِ ، ليأتِيَ بعدَ ذلكَ إلى الرَّاحلةِ والرِّحلةِ والتَّعبِ ، ثُمَّ بلوغِ غَرضِهِ وهدَفِهِ . وهذا هُوَ الشَّكلُ التَّقليديُّ العَامُّ الَّذي خَضَعَت تَحتَ سُلطانِهِ القَصيدةُ الجاهليَّةُ في العُصورِ الإسلاميَّةِ المتَلاحِقَةِ ، ولكنْ هلْ حَذَتْ قصائدُ يومِ ذي قار حَذوَ القَصيدةِ الجاهليَّةِ مِنْ حَيثُ المَنهج العام للبنيَةِ الهيكَلِيَّةِ ، أمْ أنَّها اتخذَتْ لنفسِهَا شَكلا جَديدًا ؟

---

[1] – ينظر : الشعر والشعراء ، 75–76 . ومن الجدير ذكره أن معظم آراء المحدثين جاءت متماشية مع آراء القدماء في نهج القصيدة الجاهلية ، ومن ذلك قول شوقي ضيف : " إن الشعراء كانوا يحرصون في كثير من مطولاتهم منذ العصر الجاهلي على أسلوب موروث فيها ، واستقرت تلك الطريقة التقليدية في الشعر العربي ، وثبتت أصولها في مطولاته الكبرى على مر العصور " . ينظر : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، 18 .

إنَّ شِعرَ أيَّامِ العَرَبِ انحرَفَ في بَعضِهِ قليلًا عنْ منهجِ القَصيدةِ الجاهليَّةِ منْ حَيثُ بناؤها ، ولا شَكَّ أنَّ سببَ ذلكَ يرجعُ إلى موضوعِ القَصيدةِ ، فشِدَّةُ الأحداثِ ، وسقوطُ القتلى ، والتَّهديدُ والوعيدُ ، وارتفاعُ غُبارِ المَعركةِ أعطَى قَصَائدَ الأيَّامِ سِمَةً خَاصَّةً ، فَلا يُتَصَوَّرُ أنْ يبنيَ الشَّاعرُ قصيدَةً على قَالبِهَا الَّتي صِيغَتْ عليه في وقتٍ لا يُسمَحُ بذلكَ ، فالحديثُ عنِ المَحبوبَةِ والرَّاحلةِ والظَّعنِ والرِّحلةِ وصولًا إلى الغَرَضِ يحتاجُ نَفَسَا طويلا في سَبكِهِ ، أمَّا الأيَّامُ والمعاركُ فيكونُ بناؤهَا على الفَخرِ والرِّثاءِ ، ووصفِ أهوالِ المَعرَكةِ ، والمَدحِ ، والتَّهديدِ والوَعيدِ وغَيرِهَا ، وقدْ تَحتاجُ إلى تَعبيرٍ بِشكلٍ سَريعٍ ؛ لأنَّ العَواطفَ تَكونُ جيّاشَةً هائِجَةً ، فالمعاني المَطروقةُ إضافةً للموضُوعِ الأساسيّ يفرضان على القَصيدةِ بناءً خاصًّا في بعضِ الأحيانِ .

في الشِّعرِ الجَاهليّ ضربانِ مِنَ القَصائدِ ، الضَّربُ الأوَّلُ : هوَ قَصَائِدٌ طويلةٌ كاملةٌ تعالجُ – في معظمها – أكثرَ مِنْ موضوعٍ واحدٍ ، أي أنَّ فيها مجموعةَ تجارُبٍ مُجزأةٍ إلى مَراحلَ وموضوعاتٍ ، ومِنها : المُعلقات ، أمَّا الضَّربُ الثّاني فَهُوَ القَصَائدُ القِصارُ ، والمُقطَّعاتُ ، وفِيها نَجِدُ التَّجارِبَ الشُّعورِيَّةَ الكَامِلةَ ، والصُّورَ الصَّادقةَ ، وأصدَاءَ أمينةً لخفقاتِ قَلبِ الشَّاعرِ وترجمانا لعواطِفِهِ وأحاسيسِهِ ؛ لأنَّهَا لمْ تَصدُرْ عَن تكلُّفٍ ، وتتميزُ بوَحدَةِ المَوضُوعِ والسُّرعةِ والإيجازِ ، والتَّجربةِ الشُّعوريَّةِ الصَّادقَةِ ([1]) .

لوحِظَ أنَّ شعرَ يومِ ذي قار جَاءَ على شَكلِ قَصَائِدَ مُفردةٍ خَاصَّةٍ بهذا اليومِ ، وأبياتٍ منْ قَصَائدَ تَعدَّدَتْ فيها المَوضُوعاتُ ، وجاءَ على شَكلِ مقطَّعاتٍ شِعريَّةٍ أيضًا ، ولكنَّها قليلةٌ ، ويُلاحَظُ أنَّ النُّتفَ الشّعريَّةَ كانَتْ كثيرةً في شِعرِ يومِ ذي قار ، وتعدَّدَ البيتُ اليتيمُ أيضًا ، وقدْ قيلَ في يَومِ ذي قار ما لا يزيدُ على عشرِ قَصائد ، أمّا الّتي اختصَّت بذي قار بكمالِهَا فهي سبعُ قَصائِد ، وما قيلَ منْ شعرٍ يومَ

[1] – ينظر : يحيى الجبوري ، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، 241 .

ذي قار مِنْ قَصائدَ مُتعدِّدةِ الموضوعِ قصيدتَانِ كلٌ واحدةٍ مِنهما مكوَّنَةً مِنْ ثمانيةَ عشرَ بيتًا ، وأمّا المقطعاتُ والنُّتفُ الشّعريَّةُ فكانتْ كالجدول الآتي :

عددُ المقطُعاتِ والنُّتفِ الشِّعريَّةِ والأبيات اليتيمة					
بيت مفرد	**نتفة**	**في ثلاثة أبيات**	**في أربعة أبيات**	**في خمسة أبيات**	**في ستة أبيات**
خمس نتف	أحد عشرة مقطعة	أربع مقطعات	أربع مقطعات	أربع مقطعات	مقطعتان

يُلاحَظُ مِنَ الجدولِ أنَّ النُّتفَ الشِّعريَّةَ والمقطعاتِ كانتْ أكثرَ مِنَ القَصائدِ المتخصِّصَةِ في هذا اليوم ، بَيدَ أنَّ النُّتفَ الشِّعريَّةَ فاقتْ في عَدَدِها المَقطّعاتِ الشِّعريَّةَ ، والظّاهرُ أنَّ القصائدَ الشِّعريَّةَ الَّتي قِيلت في يومِ ذي قار لمْ تتماشَ معَ نَموذجِ القَصيدَةِ القَديمَةِ ؛ لأنَّ مَوضُوعَ القَصيدةِ الأولى مدْحُ بني شيبان ، فبَدَأ الشَّاعرُ يفتدِي نفسَهُ وناقَتَهُ لبني قَومِهِ ؛ احترامًا لَهُم وتقديرًا لفِعَالِهِم ، وأمَّا القَصيدَةُ الثَّانيةُ فكانتْ لَوْمَ الأعشى قيسَ بن مسعود على مُمالأةِ الفُرسِ ، فأخذَ يهجو قيسَ ويلومُهُ .

المَقطعَةُ بطبيعتِهَا تختلفُ في مَنهجِهَا العام عَن المَنهجِ التَّقليديّ للقَصيدةِ الجاهليَّةِ ، يقولُ محمد هدارة معلقًا على بِنيةِ القَصيدةِ : " أمَّا القَصائدُ القَصيرةُ والمَقطّعاتُ فهيَ لا تلتزِمُ عادةً هذا المَنهجَ ، وغالبًا ما تَبدأ بالنَّسيبِ دونَ بكاءِ الأطلالِ ، وربَّما قَصَدَ الشَّاعرُ إلى غَرَضِهِ الأصليّ بطَريقَةٍ مباشرَةٍ " ([1]) ، وهذا الأمرُ جَليٌّ في مَقطعاتٍ ونُتفِ شعرٍ يومَ ذي قار ؛ لأنَّ أغلبَ تلكَ المَقطعاتِ والنُّتفِ عَمَدَ أصحابُها إلى الوُلوجِ مباشرةً إلى الغَرَضِ الرَّئيسِ دونَ تقديمٍ أو ابتداءٍ معيَّن ، أمَّا الوحدَةُ المَوضُوعيَّةُ والتَّجربَةُ الشُّعوريَّةُ فيرى يحيى جبوري أنَّ المَقطعاتِ تتَّسِم بتجاربَ شعوريَّةٍ كاملَةٍ ، وصورةٍ صادقَةٍ ، وفيها أصَداءٌ

[1] – الأدب العربي في العصر الجاهلي ، 12 ؛ والشعر العربي من الجاهلية حتى نهاية القرن الأول الهجري ، 17 .

أمينةٌ لخفقاتِ قلبِ الشَّاعرِ ، وترجمان لعواطِفِهِ ([1]) . ويظهرُ أنَّ قَصائِدَ يومِ ذي قار – في مُجمَلِها – لمْ تلتزِم المنهجَ العامّ للقَصِيدةِ ، وإنَّما عَمَدَ الشَّاعرُ فيها إلى الغَرَضِ مُباشرةً ، فيبدُو أنَّ عَدمَ التزامِها راجعٌ إلى أنَّ المَوضُوعَ الَّذي قِيلَ لمْ يُتِحْ للشَّاعرِ أنْ يَتَعرّضَ إلى مَحبوبَتِهِ والظّعنِ والرّحلةِ ؛ لأنَّ المَعاني المَطروقةَ هيَ مَعاني حَربٍ وقِتالٍ ومعركةٍ ، والمَوضوعُ قدْ يكونُ فخرًا أو مدحًا أو وصفًا ... ، فالشَّاعرُ غيرُ مُهيأٍ نفسِيًّا ولا ذِهنيًّا لسَبكِ القَصيدةِ وفقًا للمنهجِ المعهودِ ، عَلاوةً على أنَّ الظَّروفَ المُحيطةَ بالشَّاعرِ لمْ تسمحْ لَهُ بإتباعِ المَنهج التَّقليديّ ، فلمْ يكنْ هذا الخُروجُ على نَمَطِ القَصيدةِ الجاهليَّةِ تَمَرُّدًا ، وإنَّما مُقيَّدًا بظروفٍ مُحيطةٍ بالشَّاعرِ وبالموضوعِ أيضًا .

بعدَ دراسةِ شعرِ يومِ ذي قار في العَصرِ الجاهليّ تَبينَ أنَّ القَصائدَ الَّتي قِيلت في يومِ ذي قار لا تتجاوزُ سبَعَ قَصائد ، عَلاوةً على وجُودِ أبياتِ شِعرٍ في ذلكَ اليومِ تَصِلُ في عَددُهَا إلى ثَمانيةِ عشر بيتا، كلٌّ منها في قَصيدةٍ مُنفرِدَةٍ ، ولكنّ هَذهِ الأبيات جزءٌ منْ أبياتِ شعرٍ أخرى تعرَّضَ الشَّاعرُ لها دُونَ أنْ تكونَ غَرَضَ القَصيدةِ المُباشِر ، عَلاوةً على المَقطّعَاتِ والنُّتفِ الشِّعريَّةِ الكَثيرةِ ، لهذا فإنَّ دراسَةً بِناءِ قَصيدةٍ يَومَ ذي قار سَيَكُونُ لِتلكَ القَصائدِ المُفردةِ الّتي تناولتْ يومَ ذي قار كموضوعٍ لهَا ، وعدَدُها سبعُ قصائدَ مِنْ خِلال المَحاورِ الآتية :

أولا – المَطلعُ :

اهتَمَّ النُّقادُ القُدماءُ بالمَطلعِ ، فأعطُوهُ عِنايَةً خاصَّةً ، ويُعلِّلُ ابنُ رشيق بقولِهِ : " إنَّهُ يَدْفَعُ السَّامِعَ إلى التَّنَبُّه والإصغَاءِ إنْ كانَ جيدًا آسرًا ، وإلى الفُتورِ والانصرافِ إنْ كانَ ضعيفًا ، لذلكَ عني الشُّعراءُ بِهِ ، وصَرَفُوا همَّهُم إلى الإبداعِ فيهِ ، وبَلَغَ كثيرٌ منهُم في ذلكَ مقامًا مَحمودًا " ([2]) يقولُ ابنُ رشيق أيضا : " حُسنُ الافتتاحِ داعيةُ الانشراحِ ، ومطيَّةُ النّجاحِ ... فإنَّ الشّعرَ قفلٌ أوَّلُهُ مفتاحُهُ ، وينبَغِي للشّاعرِ أنْ

[1] – ينظر : الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، 241 .

[2] – العمدة في صناعة الشعر ، 297/1 .

يجوّدَ ابتداءَ شعرِهِ " ([1]) ، وقالَ ابنُ الأثير : مَنْ يريدُ مَقصدًا مِنَ المَقاصِدِ يجبُ أنْ يجعلَ مفتاحَهُ ملائِمَا لذلكَ المَقصدِ دالا عليهِ ([2]) .

فالمَطلعُ أوَّلُ ما يقرَعُ أذنَ السَّامِعِ ، وبذلكَ يعطيْهِ انطباعًا عنِ القَصيدةِ أحسنةً كانَت أمْ غيرَ ذلكَ، وهُوَ عُنوانُها أيضًا ، فإنْ لمْ يوَفَّقِ الشَّاعرُ في عنوانِ قَصيدَتِهِ فَكيفَ لَهُ أنْ يُوفَّقَ في مَضمونِها ؟ كَما أنَّ المَطلعَ هوَ الدَّالُ الأوَّلُ إلى بَحرِ القَصيدةِ وقافيتِها مِنْ الوَهلةِ الأولى ، وقَد سَارَ الشِّعرُ الجاهليُّ في يومِ ذي قار تِبعًا لهذا المَنهجِ الفَنِّيّ ، فالمَطلعُ في قصائدِ يومِ ذي قار كانَ كما يلي : يقولُ الأعشى مَادحا بني شيبان ([3]) : **[البحر الطويل]**

فــدًى لبَنِي ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ نَــاقَتِي وَرَاكِبُـــها يَــوْمَ الِّلقَاءِ ، وَقَلَّتِ

بَدأَ قصيدتَهُ بكلمَةِ (فدًى) فهوَ يفتدِي نفسَهُ وناقتَهُ ببني قومِهِ ، فهذا المَطلعُ يسترعِي انتباه السَّامِعِ ويدفَعُهُ إلى تَتَبُّعِ هذا القَول ، لذلكَ فإنَّ هذا المَطلعَ كانَ بمثابةِ عنوانِ القَصيدةِ ، فالشَّاعرُ أرادَ أنْ يمدحَ قومَهُ ، ففدَى نفسَهُ وناقتَهُ لقومِهِ . وقالَ الأعشى أيضا ([4]) : **[البحر الطويل]**

أَقَيْسَ بنَ مَسْعُودِ بن قيسِ بنِ خالدٍ وَأنــت امرْؤٌ تــرجُو شَبابَــكَ وَائِـــلُ

يَتَساءَلُ الشَّاعِرُ في مفتاحِ القَصيدةِ مستنكرًا ما فعلَهُ جرّاءَ ولائِهِ لكسرى فارس ، ويُلاحَظُ أنَّ الشَّاعِرَ يلومُ قيسًا عِندمَا يصفُهُ بأنَّهُ امرؤ تتمنَّاكَ قبيلتُكَ إلى جانِبِهَا ، فأنتَ كبيرُهُم وعميدُهُم ، فيظهرُ أنَّ الشَّاعرَ يوبّخُ قيسًا على فِعلتِهِ ، والقارئُ يلفتُ نظرَهُ هذا الفِعلُ الّذي يُلامُ عليه ، فيستّمِرُّ في تَتَبُّعِ الخَبَرِ ، فالسُّؤالُ في بِدايةِ القَصيدةِ مَحلُّ تفَكُّرٍ وانتباهٍ ، ويَظهرُ أنَّ الشَّاعرَ ذكرَ اسمَ قَيس الرُّباعيّ ، وهذا أيضا

---

[1] - العمدة في صناعة الشعر ، 217/1.

[2] – ينظر : المثل السائر ، 87/1 .

[3] – الديوان ، 37 .

[4] – الديوان ، 156 .

يسترعِي الانتباهَ والمُلاحَظة للسَّامِعِ أو القارئِ ، فقدْ وُفِقَ الأعشى فِي مَطلَعِ هذهِ القَصيدةِ . ثُمَّ قالَ بكيرٌ أصمُّ بني الحارث في مَطلَعِ قَصيدَةٍ لَهُ يَمدُحُ بني شيبان ([1]) : **[البحر الكامل]**

إنْ كُنْتِ سَاقِيَــةَ المُدامَةِ أهْلَها فاسْقِــي عَلَى كَــرَمٍ بَني هَمّــامِ

يُكرّمُ الشَّاعرُ في مَطلَعِ قَصيدَتِهِ بني هَمَّام ، ويَرفَعُ مَكانَهُم ، فيَطلُبُ مِنَ السَّاقِي إذا جَاءَ يسقِي أهلَ الشَّرفِ والشَّجاعَةِ أنْ يَبدَأَ ببنِي همَّامِ ، وهذا المَطلَعُ يثيرُ القَارئُ لمعرفَةِ تشريفِهِم وتكريمِهِم ، فقدْ خَصَّصَ الشَّاعرُ بَنِي همّام في مِفتاحِ القَصيدةِ ممَّا يَبْعَثُ المُتلقِّي على متَابَعَةِ الخَبَرِ ، ولَعَلَّ قَولَهُ (على كَرَمٍ) مِنَ ألفاظِ التَّنبيهِ لرِفعَةِ مَكَانِهِم ، وسُمُوِّ شَأنِهِم عِندَهُ . وَمِنَ المَطالِعِ في شعرِ يومِ ذي قار قولُ قيسِ بن مسعودٍ وهوَ في الأسْرِ([2]) : **[البحر الطويل]**

ألا لَيْتَنِي أَرْشُوْ سِلَاحِيْ وَبَــغْلَتِيْ لِمَنْ يُخْبِرُ الأَنْبَاْءَ بكرَ بْنَ وَأْئِــــل

يَفتَتِحُ قيسٌ قصيدتَهُ بألفاظِ التَّمنّي ، فأسلوبُ التَّمنّي يكونُ لمَنْ لا يستطيعُ بلوغَ هدفِهِ ، ويتمنَّى الوُصولَ إليه ، فقدْ صَعُبَ ذلكَ لظروفٍ أحَاطتْ بالمُتَمَنّي ، فالشَّاعرُ يَنظِمُ شِعرَهُ وهوَ في أرضِ العَجمِ ، وممَّا يزيدُ الانتباهَ أنَّ الشَّاعِرَ يتمنَّى لو أنَّهُ يستطيعُ حَمْلَ سِلاحِهِ ، ورُكوبَ بَغلتِهِ في سبيلِ الدِّفاعِ عن قَومِهِ ، فالحَالةُ النَّفسيَّةُ الّتي كانَ عليها بفعلِ الغُربَةِ والأسْرِ حددَّتْ مُعجمَ ألفاظِهِ ، فيظهرُ ندمُ الشَّاعرِ وحَسرتُهُ على ولائِهِ لكسرى فَارس ، فالواضِحُ أنَّ المَطلعَ يستفتحُ بلفظِ التَّمنّي ، وهذا يَجلبُ انتِباهَ المُتلقِّي ويشدّهُ إليهِ ، عَلاوةً على أنَّ الشَّاعرَ دخلَ إلى المَوضوعِ مباشرةً دونَ العنايةِ بمنهجِ القَصَيدةِ الجاهليَّة العامّ ؛ وذلكَ إمَّا أنْ يَكُونَ نَابِعًا مِنَ الظَّرفِ المُحيطِ بالشَّاعرِ فهوَ عميدُ قومِهِ ، الأسيرُ في سجنِ فارس

[1] – أبو عبيدة ، النقائض ، 74 .

[2] – الأصفهاني ، الأغاني ، 59/24 .

– ولَعَلَّ ندَمَهُ أيضا زادَ مِنْ الكَلِمِ الّذي أصَابَهُ فدَخَلَ في المَوضُوعِ مُباشرةً – وإمَّا أنْ يَكُونَ هذا البيتُ ليسَ مَطلعَ القَصيدةِ ؛ وإنَّمَا بُتِرَتْ مَطالعُ تلكَ القَصيدةِ لعدمِ وصولِ القَصيدة كاملةً إلينا .

يَقولُ أبو كَلبَة التَّيميّ مجيبًا الأعشى والأصمَّ عندَمَا مدَحَا بني شَيبان خاصّةً ، فبدَأَ يؤنِّبُهُما على ذلكَ قائلا ([1]) : **[البحر البسيط]**

جَدِّعتُما شَاعِرِيْ قَومٍ ذَوي حَسَبٍ حُزَّتْ أُنُوفُكُما حّــزًّا بِمِنـــــشارِ

يَبدأ الشَّاعرُ قصيدَتَهُ يؤنِّبُ الأعشى والأصمَّ على تخصِيصِ مدحِهِمَا لبني شَيبان ، رَغْمَ أنَّ اللَّهازمَ قدْ كانَ لهَا مِنَ البَلاءِ الشَّيءُ العظيمُ ، لذلكَ غضِبَ أبو كَلبة ، ونُلاحِظُ أنَّ الشَّاعرَ يَصِفُ لَهُمَا ذَلكَ الفَصلَ والقَطعَ في مَدْحِهِم بينَ قبائلِ العربِ ، فقدْ فَصَلا بينَ بني شَيبان واللَّهازمِ بشكلٍ عامّ ، فَخَصَّصَا المَدحَ ، فدَعَا الشَّاعرُ عليهم بِحَزِّ الأنوفِ بمنشارٍ ، ولعلَّهُ استخدَمَ آلة المِنشارِ زيادةً في الألَمِ ، فالظَّاهرُ أنَّ هذا المَطلعَ يَستدْعِي المُلاحَظَةَ ، فالمُتلَقِي يُرِيْدُ مَعْرِفَةَ الخَبَرِ ، ولماذا الدّعاءُ على الشَّاعرين ؟ لكنَّ الشَّاعرَ لمْ يولِ هذا المَطلعَ أيَّ اهتمامٍ منْ حَيثُ إتباعُ المَنهجِ المَعهودِ في القَصِيدةِ الجَاهليَّةِ ؛ وربَّما يَكُونُ لشدَّةِ غَضَبِهِ وثورةِ عَواطِفِهِ .

اتَّسَمَتْ المَطالِعُ السَّابِقَةُ بِسُهُولَةِ اللَّفظِ ، وقوَّةِ التَّركيبِ ، وجَودةِ السَّبكِ ، وجاء الكَلامُ فيها مُطابقا لمقتضى الحَالِ ، مجاريًا بذلكَ العُرفَ العَامُّ لخصائِصِ المَطلعِ ، فجُلُّ المَطالِعِ جاءتْ مفاتيحَ للمَوضوعِ الأساسيّ ، وظَهَرَ فيها عُنصرُ التَّشويقِ لتتَبُّعِ القَصيدةِ كُلِّها مِنْ خِلالِ استخدامِ أساليبَ بلاغيةٍ عدَّة .

يَظهرُ أنَّ المَطالِعَ السَّابقَةَ جاءتْ منْسَجِمَةً معَ مَواضيعِ القَصَائدِ المُعدَّةَ لَهَا ، فهيَ بمثابَةِ عناوين القَصَائدِ ، فالمَطلَعُ الأوَّلُ يَفتدِي الشَّاعرُ نفْسَهُ وبغلتَهُ لقومِهِ ، وغَرَضُ القَصيدةِ كانَ مدْحَا وهكذا ينْسَجِمُ

[1] – أبو عبيدة ، النقائض ، 75/2 .

المَطلعُ معَ الموضوعِ ، أمَّا المَطلَعُ الثَّانِي فيتساءَلُ الشَّاعِرُ فيهِ مستنكِرًا فعلَ قيسٍ ويقولُ لَهُ : إنَّ قبيلَتَكَ تَعزمُ عليكَ الأمانيّ ، وهذا مِنْ بابِ العِتابِ واللَّومِ ، فالمَطلَعُ يناسِبُ المَوضُوعَ ؛ لأنَّ المَوضوعَ لومُ قيسِ ابن مسعودٍ ، ويظهرُ في المَطلعِ الرَّابِعِ أنَّ الشَّاعرَ يدعو على الأعشى والأصمَّ لتَجاهُلِهِما قبائلَ اللَّهازِمِ الَّتي شاركتْ في الحَربِ وأبدَعتْ ، فيهجوهُما ، وهذه إشارةٌ إلى أنَّ المَطلعَ يُعدُّ مَدخلَ المَوضُوعِ .

يَظهرُ أنَّ مَطالعَ القَصائدِ الّتي جاءَتْ في يومِ ذي قار لمْ تخضعْ لسلطانِ القَصِيدةِ التَّقليديَّةِ ، فلمْ يفتتحِ الشَّاعرُ قصيدتَهُ بمطلعٍ غزليٍّ ، ولَعلَّ هذا الأمرَ نَابِعٌ مِنْ أحَدِ سَبَبَينِ : أوَّلُهُما : إمَّا أنَّ الموقفَ الَّذي قيلَتْ فيهِ القَصائدُ لمْ يعطِهِم فرصَةَ النَّظمِ وِفْقَ المَنهجِ التَّقليديّ ، وهذا المَوقفُ هوَ تلكَ الحربُ الّتي أحدثَت دمَارا وقتلا بينَ الطَّرفينِ ، ممّا أثَّرَ على نفسيَّةِ الشَّاعرِ وعلى عاطفَتِهِ ، فدفَعَهُ إلى الإسراعِ في نَظْمِ القَصيدةِ دونَ الالتزامِ بالمنهجِ التَّقليديَّ في تزيينِ المَطلعِ وتمييزِهِ ، وهذا يُمكنُ أنْ يُعدَّ تَجديدًا في المَطالع الجاهليَّةِ أو خروجًا على المَنهجِ المتَّبعِ الغَالبِ ، والدَّليلُ على ذَلكَ قولُ ابنِ الأثيرِ : أمَّا إذا كانتْ القَصيدةُ في حادِثَةٍ منَ الحَوادثِ كفتحٍ أو هزيمةِ جيشٍ ، أو غيرِ ذلكَ فإنَّهُ ينبغي ألا تُبدأُ بالغزَلِ ؛ لأنَّ هذا يدلُّ على ضَعفِ قريحَةِ الشَّاعرِ ، وقصورِهِ عنِ الغَايةِ أو جَهلِهِ بوضعِ الكَلام في مواضِعِه ؛ ولأنَّ الأسماعَ تكونُ مُتطلّعةٌ إلى ما يُقالُ في تلكَ الحَوادثِ ([1]) ، أمَّا يوسفُ حسين بكار فيرى في هذا القولِ إنَّ ابنَ الأثيرِ قد تَحرَّرَ مِنْ قيدِ القَصيدةِ الجاهليَّةِ في منهَجِهَا العَامّ ، وأعَطى الشَّاعرَ حريَّةً أكثرَ ، ويدلّلُ على هذا الرَّأيُ بقصيدةِ أبي تمَّامٍ في فَتْحِ عَموريَّةَ ، وسِينيَّةِ البُحتريّ في إيوانِ كسرَى([2]) . أمَّا ثانيهمَا : فيُمكِنُ أنْ تَكونَ هذهِ المَطالعُ في حقيقَتِهَا – كمَا أسَلفَ القولُ – أبياتًا عاديَّةً مِنَ القَصيدةِ ، في حينِ بُتِرَتْ مَطالعُ تلكَ القَصائدِ لعدمِ وصُولِهَا إلينا كامِلَةً .

---

[1] – ينظر : المثل السائر ، 224/2 .

[2] – ينظر : بناء القصيدة العربية ، 214 .

ثانيا – المُقَدِّمَةُ .

يَبني ابنُ قُتيبةُ مَنهجَ القَصيدةِ العَربيَّةِ منْ خِلالِ وصفَهِ : " إنَّ مُقصِّدَ القَصيدِ إنَّما ابتدأَ بذكرِ الدِّيَارِ والدِّمَنِ والآثارِ ، فبَكَى وشكَا ، وخَاطبَ الرَّبعَ ، واستوقَفَ الرَّفيقَ ... ثُمَّ وصلَ ذلكَ بالنَّسيبِ ، فشَكَا شدّةَ الوَجدِ وألمَ الفِراقِ ، وفَرطَ الصَّبابَةِ ، والشَّوقَ ليَميلَ نَحوَهُ القُلوبَ ، ويَصرِفَ إليه الوُجوه ، ليَستدعِيَ بِهِ إصغاءَ الأسماعِ إليه ... وعِندَما استوثقَ مِنْ الاستِماعِ إليه ، انتقلَ إلى الرَّاحلَةِ ، وشَكَا النَّصبَ والسَّهَرَ ، وسَرى اللَّيلِ ، وحرَّ الهَجيرِ ... الخ " ([1]) ، فالشَّاعرُ الجاهليُّ يبدأُ قَصيدتَهُ بذكْرِ المَحبوبَةِ ويتغزَّلُ فيها ، ثُمَّ الدِّيارِ والرِّحلةِ والرَّاحلَةِ ، ثُمَّ الغَرضِ الرَّئيسِ ، ولكنْ في شِعرِ يومِ ذي قار لمْ تتدرجْ القَصيدةُ وفْقَ هذا المَنهجِ ، فرأينا مُقدّماتِ تلكَ القَصائِد – على قِلَّةِ عدَدِهَا – باشرتْ الغَرضَ نفسَهُ ، دونَ التَّعرُّضِ للمَحبوبَةِ والغَزَلِ والرّحلةِ والظَّعنِ وغيرِها ، ويظهرُ هذا في قولِ الأعشى يمدحُ بني شَيبان ([2]) : **[البحر الطويل]**

هُمُ ضَرَبُوا بالحِنْوِ ، " حِنْوِ قُرَاقِرٍ " مُـقَدِّمَـةِ الهَامَـرْز حَتَّى تَوَلَّـتِ

فَـلِلّهِ عَيْنَا مَـنْ رَأَى مِنْ عِصَابَةٍ أَشَـدَّ عَلَى أَيْـدِي السُّقَاةِ مِنَ الَّتِي

فالأعشى بَدَأ مُقدّمَةَ قصيدَتِهِ بوصفِ مَا حدَثَ في ذلكَ اليومِ ، فقدْ ضرَبَ الشَّيبانيونَ مقدّمَةَ الهاَمَرز ، وأبلَوْا بلاءً حسنا ، ويدعو الشَّاعرُ لكُلّ عينٍ رأتْ هذهِ العِصابَةَ بالسَّلامَةِ ، فالظَّاهِرُ أنَّ الشَّاعرَ لمْ يَسِرْ وفْقَ المَنهجِ الجاهليّ ، فلمْ يتعرَّضْ للمَحبوبَةِ والرِّحلةِ والظَّعنِ ، ولكنَّهُ دخَلَ إلى الغَرَضِ مباشرةً ، فَوَصَفَ الأحداثَ في سياقِ تَعدَادِ إنجازاتِهِم على سَبيلِ المَدحِ وتراهُ تَارةً أخرى يَلومُ الأعشى قيسَ بن مسعودٍ على ولائِهِ للفُرسِ ، فيقولُ ([3]) : **[البحر الطويل]**

أَطَوْرَيْنِ في عَامٍ : غَـزَاةٌ ورِحْلَـةٌ أَلا ليْـتَ قَـيْسًا غَـرَّقَتْهُ القَوابِـلُ

---

[1] – الشعر والشعراء ، 75/1 .

[2] – الديوان ، 37 .

[3] – الديوان ، 156 .

وَلَيْتَكَ حَــالَ البَحْــرُ دُونَــكَ كلُّـــهُ وَكـنْتَ لَقًــى تَجْــرِي عَلَيْــهِ السَّوائِلُ

لَقَد سارَ الأعشى في هذهِ المُقدِّمَةِ بطَريقةٍ تختلفُ عَمَّا جَاءتْ بهِ القَصائد الجاهليَّةُ في بنائِهَا المَعهودِ ، ونراهُ يَسألُ قيسَ عَن فعلِهِ ويقولُ لَهُ : أتخيّبُ آمالَنَا مرتَينِ في عَامٍ واحِدٍ ؟ فتصحَبُ كسرى في غَزوةِ قومِكَ، ثُمَّ تَرحلُ إليهِ بعدَ الَّذي كانَ بيننا وبينَه ؟ ألا ليتَكَ مُتَّ ساعَةَ وُلِدتَ ، وغَرَّقتكَ القَوابلُ في المَاءِ الَّذي نَزَلَ مَعَ ولادِتِكَ ، فاللَّوعَةُ والألمُ والغَضَبُ جليٌّ في هذِهِ المُقدِّمَةِ ، والمَعاني المَطروقَةُ لا تناسبُ الغزلَ ، فنفسُ الشَّاعرِ مضطرِبَةٌ يائسةٌ منْ فعلِ قيسٍ ، لذلكَ عدلَ الشَّاعرُ عن إتِّباعِ المقدِّمَةِ الجاهليَّةِ التَّقليديَّةِ . ويقولُ الأعشى مفتخرًا بيومِ ذي قار([1]) : **[مجزوء الكامل]**

وَإنَّ الحَرْبَ أمْسَى فَحْـ ـلها فِــي النَّاسِ مـُحْتَلِمَا

حَدِيدًا نَــابُهُ ، مُسْتـَدْ ـلِقًا ، مُتَخَمِّـطًا ، قَطـِمَا

لمْ يبدأْ الشّاعرُ قَصيدَتَهُ بذِكرِ المَحبوبَةِ أوْ الدِّيَارِ أوْ الظَّعنِ أوْ الرِّحلةِ ، وإنَّمَا بدأَهَا بذكرِ الحَربِ وأهوالِهَا ، فَقَدْ هاجَتْ الحَربُ وأصبحَ لا مَفرّ منها ، وشبَّهَهَا بالحَيوانِ المفتَرِس ، الَّذي نَابُه يكونُ حَديدًا ، مُسرِعًا هَائِجًا ، هادِرًا ، فَهِيَ الحَربُ الّتي لا تُبقي ولا تَذَرُ ، تأكلُ الأخضرَ واليابِسَ ، فالمعانِي المَطروحةُ هيَ معاني الحَربِ والقتالِ ، والشِّدةِ والنِّزالِ ، فلمْ يُخضِعِ الشَّاعرُ مُقدمَةَ قصيدتِهِ للمنهَجِ العامّ ، وإنَّما دخَلَ في صُلبِ الموضوعِ مباشرةً دونَ تزيينٍ أو تمهيدٍ . ومِنْ شواهدِ ذلكَ قولُ قيسِ بن مسعودٍ وهوَ في سجنِ كسرى ينذرُ قومَهُ ([2]): **[البحر الطويل]**

فَأُوْصِيْهُمُ بِاللهِ وِالصُّــلْحِ بَيْنَهُمْ لِيَنْصَأَ مَعْرُوْفٌ وَيُزْجَرَ جَاْهِلُ

وَصَاْةُ امْرِئٍ لَوْ كَاْنَ فِيْكُمْ أَعَاْنَكُمْ عَلَى الدَّهْرِ والأَيَّاْمُ فِيْهَا الْغَوَاْئِلُ

---

[1] – الأعشى ، الديوان ، 176 .

[2] – الأصفهاني ، الأغاني ، 59/24 .

يَتَّضِحُ في هِذهِ المُقدمَةِ أنَّ الشَّاعرَ يوصِي قومَهُ بالصُّلحِ والصَّلاحِ ، ولعلَّ هذهِ الوصّيَةَ نابِعَةٌ مِنْ قَلبِ امرئٍ يُعانِي مَرارةَ السِّجنِ والسَّجانِ ، وألمَ الغُربةِ ، فالألفاظُ تُوحِي بحسرَةِ الشَّاعرِ ، فيتمنَّى لو كانَ فيهم لأعانَهُم على الشَّدائِدِ ، فألفاظُهُ مُستوحاةٌ مِنْ ذَلكَ الواقِعِ الأليمِ ، فقدْ دخلَ في غرضِهَا مباشرةً وهوَ الوصيَّةُ دونَ اللُّجوءِ إلى مُقدِّمَاتٍ وتمهيدٍ ، فلمْ يلتزمْ الشَّاعرُ بالشَّكلِ التَّقليديّ الموروثِ .

ومِنَ الجديرِ ذكرُهُ أنَّ هذِهِ المُقدماتِ وغيرَها ممّا قيلَ يومَ ذي قار في العَصرِ الجاهليّ ، يظهرُ فيها عدمُ الالتزامِ بشكلِ القَصيدةِ التَّقليديّ المَوروثِ ، وهُوَ الابتداءُ بذكرِ المَحبوبةِ والغزَلِ بها ، والتَّشبُّبِ بالنِّساءِ ؛ لأنَّ هذا الأمرَ قريبٌ منَ النُّفوسِ ، لائطٌ بالقلوبِ كما قالَ ابنُ قتيبةَ سابقًا ، ويعلِّلُ ابنُ رشيقٍ سَبَبَ افتتاحِ المُقدمَاتِ الجاهليَّةِ بالنَّسيبِ ، وسيطرتَهُ على مُعظمِ مقدمَاتِ القَصَائدِ ؛ لِمَا في هذا الأمرِ منْ عَطفِ القُلوبِ ، واستدعاءِ القَبولِ بحسبِ ما في الطَّباعِ من حُبِّ الغَزَلِ ، والمَيلِ إلى اللَّهوِ والنِّساءِ ([1]) . أمَّا الابتداءُ بالطَّلَلِ ، فالطَّلَلُ في طبيعتِهِ امتدادٌ للغزلِ ، فالشَّاعرُ يتغزَّلُ بمحبوبَتِهِ في ربوعِ ديارِها العامرةِ ، وينتهي بِهِ الأمرُ – بعدَ رحيلِ أهلِها – إلى الوُقوفِ على الآثارِ الدَّارِسَةِ .

ولكنَّ الأمرَ الَّذي يجبُ التَّنويهُ إليهِ أنَّ شعرَ يومِ ذي قار في العَصرِ الجَاهليّ لمْ يلتزمْ – في معظمه – الشَّكلَ التَّقليديَّ للمُقدِّمَةِ ، فالحَديثُ عَنِ المَحبوبَةِ والغَزَلِ ، وعنِ الدِّيارِ والظَّعنِ والرِّحلَةِ لا يتناسَبُ معَ مُوضُوعِ يومِ ذي قار ، فالنَّاظرُ يجدُ أنَّ الشُّعراءَ قدْ بدؤوا بالمَوضوعِ مباشرةً ، دُونَ اللُّجوءِ إلى المُقدِّماتِ ، ونَجِدُ أنَّ هذهِ المُقدِّمَاتِ جاءتْ بعدَ مَطالعِ قصائِدِها مباشرةً ، وهيَ جزءٌ منْ غرضِ القَصيدَةِ ، فَمُقَدِّمَةُ قيسِ بنِ مسعودٍ تسيطِرُ عليها ألفاظُ الوَصيَّةِ والتَّحذيرِ ، فأرادَ الشَّاعرُ أنْ يوصِلَ رسالتَهُ بأسرعِ وقتٍ ممكنٍ دُونَ أنْ ينتظرَ إلى وقت ، وهُناكَ عَواملُ أخرى حالَتْ دُونَ التزامِ الشَّاعِرِ بالشَّكلِ التَّقليدِيّ

[1] – ينظر : العمدة في صناعة الشعر ، 255/1 .

المَوروثِ ، وربَّما يكونُ أحدُها : أنَّ هذهِ القَصائدَ مبتورةٌ ، فلمْ تصِلْ كامِلَةً ، وإنَّما وَصَلَتْ مجتزأَةً ، لذلكَ غابتِ المُقدِّمَةُ عن القَصِيدةِ ، وإمّا أنَّ ظروفَ الشَّاعرِ ونفسيَّتَهُ حَدَتَ بهِ إلى سُلوكِ هذا السَّبيلِ .

الحَربُ والمَعرَكةُ لا يلائِمُهَا الحَديثُ عَنِ المَحبوبَةِ والغَزَلِ ؛ لأنَّ الغَرَضَ الَّذي يريدُهُ الشَّاعرُ إمَّا وصيَّةٌ وتحذيرٌ أو إنذارٌ أو لَومٌ وهِجاءٌ أوْ عِتابٌ أوْ غيرُه ، وهَذهِ مُرتَبِطةٌ بنفس الشَّاعِرِ ارتباطًا وثيقًا ، لذلكَ لا يَستطيعُ الشَّاعرُ أنْ يتقلَّبَ بعاطفتَينِ في لحظةٍ واحدةٍ ، فيحبُّ ويتغزَّلُ ويصفُ المَفاتِن ، ثُمَّ ينطلقُ بالإنذارِ أوْ الوصيَّةِ ، ومثل هذهِ الأغراضِ لا تتَّسِعُ إلى مَزيدٍ منَ الوقتِ ، وإنَّما تحتاجُ إلى إيجازٍ وسرعةٍ.

ثالثا –التَّخلُّصُ :

يُنظرُ للقصيدَةِ الجاهليَّةِ على أنَّها قصيدةٌ متعدِّدَةُ الأغراضِ في غَالِبِ أمرِهَا ، لذلكَ حَرَصَ النُّقادُ حِرصًا شديدًا على الاهتمامِ بشكلِهَا ، ودقَّقُوا في خُروجِ الشَّاعرِ مِنْ جُزءٍ إلى آخر خُروجًا يُشعِرُ بالتحامِ الأجزاءِ وتماسُكِهَا دُونَ حَواجزَ بينَهَا ، ومِنْ هُنا جاءَتْ العِنايةُ بالتَّخلصِ وخصُوصًا مِنَ المُقدِّمَةِ إلى الغَرضِ الرَّئيسِ ، واشتُرِط الدِّقَّةُ فيه ([1]) .

والتَّخلصُ هُوَ أنْ يستطرِدَ الشَّاعرُ المتمكِّنُ منْ مَعنًى إلى مَعنًى آخر يتعلَّقُ بممدُوحِهِ بتخلُّصٍ سَهْلٍ يختلِسُهُ اختلاسًا رشيقًا دَقيقَ المَعنى ، حَيثُ لا يَشعُرُ السَّامعُ بالانتقالِ منَ المعنى الأوَّلِ إلا وقدْ وقعَ في الثَّاني ؛ لشدَّةِ المُمازجَةِ والالتئامِ والانسجامِ بينهُما ، حتَّى كأنَّهُما أُفْرِغَا في قالبٍ واحدٍ ، كمَا أنَّ التَّخلُّصَ يُعدُّ مِنَ العناصرِ الجيِّدَةِ للقصيدَةِ ، فهُوَ يدلُّ على قدرَةِ الشَّاعرِ وبراعَتِهِ ، وهُناكَ فرقٌ بينَ التَّخلُّصِ والاستطرادِ ، إذْ يُشتَرَطُ في الاستطرادِ قطْعُ الكَلامِ ثُمَّ الرُّجوعُ إليه لاحقًا ، والأمرانِ معدومانِ في التَّخلصِ ، فإنَّهُ لا يرجِعُ إلى الأوَّلِ ، ولا يقطَعُ الكَلامَ ، بلْ يستمرُّ على ما يتخلصُ إليهِ ([2]) ، ومقدِرَةُ الشَّاعرِ على الانتقالِ بينَ الموضوعَين تُعدُّ مِعيارًا للبراعَةِ والسَّيطرةِ على أجزاءِ القَصيدةِ ، وحينَها يُمكِنُ أنْ

[1] – ينظر : يوسف حسين بكار ، بناء القصيدة في النقد العربي القديم ، 221 .

[2] – ينظر : الحموي ، خزانة الأدب وغاية الأرب ، 329/1 .

يُوسَمُ التّخلصُ بالحَسنِ أو السَّيّئ ، أمَّا التَّخلصُ الحَسن – وهُوَ المَنشودُ – فإنَّهُ يَجعَلُ السَّامعَ لا يَجِدُ فارقًا بينَ المَوضوعين في جِسمِ القَصيدةِ لشدَّةِ الارتباطِ والالتحامِ بينهُما ، إذْ يذوبُ الأوَّلُ في الثَّاني فيجدُ المتلقِي نفسَهُ قدْ انتقلَ دونَ تغيرٍ طارئٍ .

يَنحَصِرُ مَوضُوعُ التَّخلُّصِ في القَصيدَةِ الجاهليَّةِ المتعدِّدَةِ الأغراضِ ، فعندَمَا يُدقِّقُ النَّظرَ في هذا المُصطَلَحِ يُلاحَظُ وجودُ غَرضينِ أوْ أكثرَ فيتخلَّصُ الشَّاعرُ مِنَ الغرَضِ الأوَّلِ إلى الغَرَضِ الثَّاني ، ولكنْ عندَما نَتَتَبَّع شعرَ يومِ ذي قار في العَصرِ الجاهليّ تَجِدُ جُلَّ القَصائدِ تتناولُ مَوضوعَ الحَربِ والقتَالِ ، سَواءٌ أكانَ الغَرَضُ فخرًا أم مَدحًا أمْ وصفًا أمْ تهديدًا أم غيرَهُ ، فَقَدِ اقتصرَتْ القَصائِدُ مُعظمُها على غَرَضٍ واحدٍ ولمْ تتعدَّاه إلى أغَراضٍ متعدِّدَةٍ ، وهذا مَا تمَّ التَّعليقُ عليهِ في المَطلَعِ ، ومِنْ هُنا لمْ نجدْ ظَاهرةَ التَّخلُّصِ عندَ شعراءِ يومِ ذي قار في الجاهليَّةِ بشكلٍ يُبرهِنُ على وجُودِها كظاهِرَةٍ ، فندَرَ تطرُّقُهِم إلى تِعدادِ الأغراضِ في القَصيدةِ الواحدةِ ، وقدْ يعودُ ذلكَ إلى النَّفسيَّةِ الّتي كانَ عليها الشُّعراءُ آنذاك .

النَّاظِرُ المتمعِّنُ في قَصائدِ يومِ ذي قار يَجدها تَتَحدَّثُ عَنْ حَربٍ وتَحدٍ ، وعَن قتلٍ وأسرٍ ، وهجومٍ ودفاع ، وتَهديدٍ ووَعيدٍ ، فهِيَ ألفاظُ المَيدانِ في سَاحَةُ الاحتدامِ ، فلا شَكّ في أنْ يَكونَ الجوُّ العامُّ مُفعمًا بالخوفِ أو الحَماسَةِ وأحيانا الاضطراب ، فالأنْفُسُ هائجةٌ ، والقلُوبُ ثائرةُ ، أمَّا التَّنقُّلِ بينَ المَوضوعاتِ فيحتاجُ إلى سُكونٍ واطمئنانٍ وهُدوء ، لكنَّ الظَّرفَ لمْ يُتِحْ لَهُم مَجَالَ التَّفنُّنِ في نَظمِ القَصيدَةِ.

إنَّ العَديدَ مِنَ القصَائِدِ الّتي قِيلتْ يومَ ذي قار كانتْ إمَّا قبيلَ الحَربِ بغرضِ التَّهديدِ والوعيدِ ، أو بُعيْدَهَا بِهدفِ الفَخرِ ، وإمّا في أثنائِهَا بغَرضِ المَدحِ والحَماسَةِ أحيانا ، فقدْ كانَ الشُّعراءُ ثاقبي النَّظرِ في أحداثِ هذا اليوم ؛ لِمَا لهُ منْ وقْعٍ على أنفُسِهِم ، فلمْ يكنْ بينَ قبيلتينِ عربيَّتينِ ، أوْ بينَ أبناءِ العُمومَة وإنَّمَا كانَ بينَ بعضِ قبائلٍ عربيَّةٍ والفُرسِ والمُوالينَ لَهُم ، فكانَ النَّصرُ هدَفَهُم السَّامِي ؛ لذلكَ اقتصَرَتْ قصائِدُهُم على مَوضوعٍ واحدٍ – في معظمها– وأمَّا الاعتقادُ الثَّاني أنْ تكونَ القَصائِدُ الّتي وَصَلَتنا غَيرَ كامِلَةٍ ، وإنَّمَا هيَ أجراءٌ مبتورةٌ ، وبالتَّالي فَإنَّ نَظمَ شُعراءِ يومِ ذي قار قَصَائدَ وَحيدَةَ الغَرَضِ يَحُدُّ مِن

وجودِ التَّخلُّصِ بِحُسنِهِ أو رَداءَتِهِ ، ولَعلَّ بِدايةَ الحَديثِ في بَابِ التَّخلُّصِ لمْ يُطلِقْ حُكمَ التَّخلُّصِ على جَميعِ القَصائدِ الجاهليَّةِ ، وإنَّمَا غُلِّبَ الأمرُ، وهذا يُخرِجُ البابَ مِنَ الحُكمِ العامِّ . ومعَ هذا فقدْ لُمِسَ التَّخلُّصُ في شِعرِ قيسِ بن مسعودٍ مِنَ الوّصيَّةِ والإنذارِ إلى الغَزَلِ حِينَ قالَ ([1]) : **[البحر الطويل]**

تَمنَّاكَ مِنْ لَيْلَى مَعَ اللَّيْلِ خَـائِـلُ وَذِكْـرٌ لَهَا فِـيْ الْقَلْبِ لَيْسَ يُزَايِـلُ

أُحِبُّكِ حُبَّ الْخَمْرِ مَا كَـانَ حُبُّـها إِلَّـيَّ وَكُـلٌّ فِـيْ فُؤَادِيْ دَاخِـلُ

ابتدَأَ قيسٌ قصيدَتَهُ بالإنذارِ مُوصِيًا قومَهُ بأنْ يأخُذُوا الحِيطَةَ والحَذَرَ مِنَ الفُرسِ إبَّانَ معرَكَةِ ذي قار ، وفي الوَقتِ نفسِهِ تتراءى لَهُ مَحبوبَتَهُ " ليلى " فيقطَعُ وصيَّتَهُ ، ويتفرَّغُ إلى غَرَضِهِ الجَديدِ ، وقدْ لُوحِظَ أنَّهُ عَمَدَ إلى التَّصريعِ ليتنبَّهَ السّامِعُ إلى الدُّخولِ في غَرَضٍ جديدٍ ، وقدْ شاعَ هذا النَّمطُ عندَ امرِئ القَيسِ أكثرَ مِن غيرِهِ .

أمَّا أبو كَلبةَ التَّيميّ فقدْ غَضِبَ على الأعشى والأصَمِّ ؛ لأنَّهُمَا مدَحَا بني شَيبان خاصَّةً ، ولمْ يمدَحَا اللَّهازمَ ، فَأَخَذَ يَهجو ويَدعو عليهِمَا ، مُتَعرِّضًا للفَخرِ بمَا قدَّمتْهُ قبائِلُ اللَّهازمِ يومَ ذي قار ، فيقول ([2]) : **[البحر البسيط]**

جَدِّعتُما شَاعِـريْ قَـومٍ ذَوي حَسَبٍ حُزَّتْ أُنُوفُكُـما حَـزَّاً بِمِنْـشارِ

أَعْنِي الأَصَـمَّ وأَعشَانَـا إذا اجْتَمَـعَا فلا استَعانَـا عَلَـى سَمعٍ وإبصـارِ

نَحْـنُ أَتَيْنَاهُـمُ مِـنْ عِنْدِ أَشْمَلِـهِمْ كَـمَـا تَـلَبّـسَ وَرّادٌ بِـصُدّارِ

لَـوْلا فَـوارِسُ لا مِـيلٌ وَلا عُـزُلٌ مِـنَ اللّهـازِمِ ما قـاظوا بِـذي قارِ

---

[1] – الأصفهاني ، الأغاني ، 60/24 .

[2] – أبو عبيدة ، النقائض ، 75/2 .

يَدعُو الشَّاعرُ على الأعشَى والأصَمّ بِسَبَبِ فِعلَهِمَا ، ويُوضّحُ للقارِئ في مَعرِضِ هِجائِهِ بإعَاقَةِ كلَّ واحدٍ منهُمَا ، فالأعشى الّذي لا يَرى ، والأصَمُّ الّذي لا يَسمَع ، وهذا نَابِعٌ منْ غضَبِهِ عليهِم ، ولكنَّهُ يتَخلَّصُ مِنَ الهِجاءِ إلى الفَخرِ عندَمَا يستخدَمُ ضميرَ المُتَكلّمِ (نَحنُ) متباهِيَا بمَا قدَّمَهُ قومُهُ وقبائِلُ اللَّهازمِ يومَ ذي قار ، فلا يَجوزُ نَسْبُ النَّصرِ إلى فِئَةٍ دونَ الأخرى مادامَ الجميعُ قدْ شاركَ في المَعركَةِ وأبلى بلاءَهُ ، فكانَ الأصلُ أنْ يُنسَبَ النَّصرَ للجميعِ .

يَظهرُ التَّخلُّصُ أيضًا في شِعرِ الأعشى عِندَمَا قالَ قصيدتَهُ الَّتي ردَّ فيها طَلَبَ كسرَى لَمَّا بَعَثَ يريدُ الرَّهائنَ ، فترى الشَّاعرَ في بدايتها يتَحدَّثُ عنْ غزَلِهِ بمحبوبَتِهِ ليلى ، ثُمَّ يواصِلُ الحديثَ عنِ الصَّحراءِ والنَّاقةِ إلى أنْ يصلَ غرَضُهُ ، فينتقِلَ إلى كِسرى بقولِهِ ([1]) : **[البحر الكامل]**

مَنْ مُبْلِغٌ كِسْرَى إذا مَا جَاءَه عَـنِّي مَــآلِكُ مُخْــمِشَاتٍ شُــرَّدَا

آلَيْتُ لا نَعطِيه مِــنْ أبْنَائِنَا رُهُنًا فَيُسِدُهُــمْ كَمَــنْ قَــدْ أفْسَدَا

لَقدْ تخلَّصَ الشَّاعرُ مِنْ حدِيثِهِ عنِ الصَّحراءِ والنَّاقَةِ والجَملِ إلى كِسرى فَارس ، فَأرادَ أنْ يبعَثَ لهُ برفْضِ طَلَبِهِ ، فتَراهُ يتخلَّصُ مِنْ وصفِ الصَّحراءِ وما فيها مِنْ حَيوان ، إلى إبلاغِ كِسرى ردّه فاستخدَمَ (مَنْ مُبلِغٌ كِسرى ...) فالسَّامِعُ في لا يَتَنَبَّهُ إلى أنَّهُ قدْ انتقَلَ إلى مَوضوعٍ جديدٍ إلا إذا تنبَّهَ لقولِهِ (مَنْ مُبلِغٌ كِسرى) حِينَهَا يَعرِفُ أنَّهُ يريدُ أنْ يبعَثَ رسالَةً جديدَةً لكِسرى فيُثارُ لسمَاعِهَا .

رَغمَ أهميَّةِ التَّخلُّصِ في التَّنقُّلِ بينَ مَوضوعَاتِ القَصيدَةِ ، وربْطِهِ بينَ أجزائِهَا إلا أنّهُ تلاشَى في كَثيرٍ مِنْ قَصَائدِ يومِ ذي قار ، وخُصوصًا في تلكَ القَصائدِ الَّتي خَضَعَت لموضوعٍ واحدٍ فقط – كقصيدةِ الأعشى التي قال في مطلعها : (فدىً لبني ذهل بن ناقتي ....) فقدْ قالَهَا واصفًا مَا بذلتْهُ شَيبان يومَ ذي قار على سبيلِ المَدحِ ، فلمْ تتعدَّدِ المَوضوعاتُ فيها . وكذلكَ قصيدَتُهُ الّتي مطلعها (أقيس بن

[1] – الأعشى ، الديوان ، 53–54 .

مسعود بن قيس بن خالد ....) هَجَا فيها قيسَ بن مسعودٍ ، فكانتْ ألفاظُهَا لوما وهجاءً ، فلمْ تتعدَّدِ المَوضوعاتُ فيها أيضًا . ومِنها قصيدةُ بكيرِ بن الأصمِّ الّتي مَدَحَ فيها بني شَيبان ، فقدْ كانتْ ذاتَ مَوضُوعٍ واحدٍ .

رابعا – الخاتمَةُ :

تُعَدُّ الخَاتمَةُ نِهَايَةَ القَصيدَةِ الَّتي يَجِبُ عَلى الشَّاعِرِ أنْ يُحسِنَ اختيارها ؛ لأنَّ في ذلكَ راحةً للنَّفسِ ، وإنبَاءً عنْ نهَايةِ القَصيدَةِ ([1]) ، وقدْ لُوحِظَ أنَّ لخَاتِمَةِ القَصيدَةِ أثرًا بارِزًا في النَّفسِ ووقْعًا مُهِمًّا ؛ لأنَّهَا آخرُ معنى يبقَى في الأذهَانِ ([2]) ، لذلكَ اهتَمَّ بِها الشُّعراءُ وأوْلوهَا أهميَّةً كبيرةً ؛ فهِيَ آخرُ ما يبقَى في الأسمَاعِ وربَّمَا يحفظُ من دونِ سائرِ الكَلامِ([3]) ، وبناءً على أهميَّةِ الخاتِمَةِ فالشَّاعرُ حريصٌ على إنهَاءِ قصيدَتِهِ بحِكمَةٍ مشهُورةٍ أو مَثَلٍ سائرٍ ، أو تَشبيهٍ جَميلٍ ([4]) ، ومَا دامَ المَطلَعُ قدْ استأثَرَ بفتحِ القَصيدَةِ فإنَّ لكُلِّ بدَايةٍ نِهايَةً ، ومَهمَا بَلَغَتِ البدَايَةُ مِنَ القُوَّةِ إلا أنَّ النِّهايَةَ تكادُ تُضَاهيهَا ؛ لأنَّها آخرُ ما قالَهُ الشَّاعِرُ في أُذُنِ السَّامِعِ ، ومِنْ هُنا تَنْبُعُ أهميَتُهَا .

وَقَدْ سَارَ شِعرُ يومِ ذي قار في العَصرِ الجاهليّ وفْقَ الأُسسِ المَعروفَةِ لخاتمَةِ القَصيدَةِ الجاهليَّةِ ، حَيثُ عُنِيَ الشُّعراءُ بخواتيمِ قصائِدِهِم ، وأولُوهَا اهتمامًا واسِعًا . وسيطرتْ الحِكمَةُ الممتَزَجَةُ بالأمثالِ عليها ، وهذا بَادٍ في خَاتمةِ هند بنت النُّعمانِ حينَ بَعَثَتْ تنذِرُ قومَهَا منَ الفُرسِ([5]) : **[البحر الوافر]**

فإن تَــكُ نعمةً بظهورِ بــكرٍ فأكْــرِمْ بِالــبِشارةِ لِلبَشــيرِ

---

[1] – ينظر ، صالح هاشم مناع ، الأدب الجاهلي ، 163 .

[2] – ينظر : يحيى الجبوري ، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، 256.

[3] – ينظر : الحموي ، خزانة الأدب وغاية الأرب ، 493/2 .

[4] - يُنظر : العسكري ، الصناعتين ، 442 .

[5] - الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 413/2 .

وإنْ تــكُ نــكبةً فعلــيَّ منهَا كمامِـــــيرَ الـــــدَّهيمُ بمُستمــيرِ

يُلاحَظُ أنَّ هندَ بنت النُّعمانِ أرادَتْ إخبارَ قومِهَا وإنذارَهُم عمَّا يتجهَّزُ لَهُ الفُرسُ مِن غزوهِم ، فكتَبَت لَهُم شِعْرا ، وتَراهَا في شِعرِهَا متأثِّرَةً على قَومِهَا ، فهِيَ تخَافُ عليهِم ، وتنسِبُ البِشارَةَ إذا أصابَتهُم النّعمةُ ، وتَنْسِبُ لنفسِهَا الدَّاهيةَ والحِملَ الثَّقيلِ في حَالِ أصابتهُم النَّكبةُ ، فقدْ استخدمَتْ الشَّاعِرَةُ المَثَلَ في خَاتمَةِ أبياتِها ، ولعَلَّ المَثَلَ واضحٌ في البيتِ الأخيرِ فقدْ قيلَ فيه : " أثقلُ مِنْ حمْلِ الدّهيمِ " ([1]) هُنا أظهَرَت الشَّاعِرَةُ انتماءَهَا عِندَما أقرَّتْ بأنَّ النَّكبَةَ إذا حلَّتْ بقَومِهَا فذلِكَ سيكونُ أثقَلَ منْ حمْلِ الدّهيمِ ، وستكونُ مصيبةً ودَاهيَةً عظيمَةً عليهَا .

وظَهَرَت الحِكمَةُ في خَواتيمِ قَصَائدِ شُعراءِ يَومِ ذي قار أيضا ، ومنهَا ما جَاءَ بِهِ الأعشى حينَ مدَحَ بني شَيبان ، وفي قولِهِ ([2]) : **[البحر الطويل]**

لَعُمْرُكَ مَـــا شَفَّ([3]) الفَتَى مِثْـلُ هَمِّهِ إذا حــاجَـــةٌ بَـيْـنَ الحَـــيازِمِ جَلَّـتِ

اختَتَمَ الشَّاعِرُ قصيدَتَهُ بهذِهِ الحِكمَةِ ، حيثُ أقْسَمَ الشَّاعرُ أنَّهُ لا يزيدُ المَرءَ شَيءٌ مثلَ إصابتِهِ بالهَمِّ الثَّقيلِ حِينَ تنطَوِي الصُّدورُ على الأمرِ الجَليلِ ، فإذا كانتْ الصُّدورُ مكتويَةً بنارِ المُصيبَةِ فلا يعادِلهَا أَلَمٌ ، لأنَّ انطواءَ الصُّدورِ على الأمرِ الجَليلِ أشَدُّ المَصائِبِ ، فالشَّاعرُ عربيٌّ أصيلٌ ، تُؤلِمُهُ مُصيبَةُ قومِهِ ، وتكْلِمُ صدرَهُ ، ولعلَّ هذا الألمَ أشدُّ أنواعِ الألمِ ، وهوَ ما يُصيبُ الصُّدورَ ، كيفَ لا ؟ وقدْ كانتْ معركتُهُم معَ مملَكَةِ فارس ؟ هذا علاوةً على المُوالينَ العربِ الَّذينَ صفُّوا جانبَ الفُرسِ في يومِ ذي

---

[1] – الهاشمي ، الأمثال ، 9/1 . الدّهيم : هي ناقة حملت عليها رؤوس قوم قتلوا. و هي الدّاهية أيضا . ينظر : الهاشمي، م . س ، 9/1 .

[2] – الديوان ، 38 .

[3] – شفَّ : زاد . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (شفف) .

قار ، فالألمُ مزدوَجٌ على الشَّاعرِ ، ألمُ التفافِ العَربِ المُتخاذِلِينَ حوْلَ الفُرسِ ضدَّ أبناءِ جلدتِهِم ، وألمُ الحَربِ ومَا تحدِثُهُ مِنْ قتلٍ ودمارٍ ومصائبَ .

وقَدْ اتّبَعَ الشُّعراءُ خواتيمَ أخرى ، ومنهَا قيامُهُم بالنُّصحِ وتقديمِهِم للمَواعِظِ ، وقدْ ارتبَطَت هذهِ الخَواتيمُ بالشُّعراءِ المَسجونِينَ دونَ غيرِهِم ، وخُصوصًا أولئكَ الَّذينَ يتهدَّدُ قومَهُم خَطَرٌ محدِّقٌ ، وهذا مَا ظهرَ في قَولِ قَيسِ بنِ مسعود وهوَ في سِجْنِ كسرى ([1]) : **[البحر الطويل]**

فَإِنَّا ثَــوَيْنَاْ فِــيْ شُعُوْبٍ وَإِنَّــهُمْ غَــزَتْهُمْ جُنُــوْدٌ جَمَّــةٌ وَقَـبَائِــلُ

وإِنَّ جُنُــوْدَ الْعُــجْمِ بَيْنِيْ وَبَيْنَكُمْ فَيَــاْ فَلَجِيْ يَــاْ قَوْمُ إِنْ لَمْ تُقَاتِلُوْا

فقيسُ يحذِّرُ قومَهُ منْ جُنودِ فارس ، ويحثُّهُم على القِتالِ ، فيقولُ إنَّهُ أقامَ عِندَهُم ، وإنَّهُ يُحذِّرُ قومَهُ منهُم ، فكأنَّ الشَّاعرَ ينبّهُ قومَهُ مِنْ قوَّةِ الفُرسِ ومِنْ بطشِهِم ، لأنَّهُ يحذِّرُهُم إذا لمْ يقاتِلُوا بتَلاحُمٍ وتكاتُفٍ سيكونُ الأمرُ عظيمًا عليهِم ، وهذا ليسَ إضعافًا لهُم ، وإنَّمَا أرادَ أنْ يكونَ قومُهُ على جاهزينَ لمُواجَهَةِ الفُرسِ ، وأرادَ عدَمَ الاستهَانَةِ بقوَّةِ العَدوِّ الفَارسِيِّ ، لذلكَ كملتْ صورةُ الخاتمَةِ بالنُّصحِ والتَّحذيرِ وتقديمِ المَوعظَةِ .

وهُناكَ نوعٌ آخرُ مِنَ الخَواتيمِ الّتي استُخدِمَتْ في شِعرِ يومِ ذي قار ، ألا وهِيَ الخَاتمَةُ المفتوحَةُ ، دونَ أنْ تكونَ حكمةً أوْ مثلا أو مَا شابَهَ ذلكَ ، فترى الأعشى يَختتِمُ قصيدَةً لَهُ قالَهَا مفتخِرًا بالنَّصرِ المُؤزَّرِ الَّذي تُوِّجَ بِهِ العَرَبُ آنذاكَ ، فيقولُ ([2]) : **[مجزوء الوافر]**

كَتَائِبُ مِنْ بَنِي ذُهلٍ عَلَيْهَا الزُّعفُ قَــدْ نُــظِمَا

---

[1] – الأصفهاني ، الأغاني ، 60/24 .

[2] – الديوان ، 177 .

فَلاقَوْا مَــعْشرًا أُنُــفَا غِضَابًا أحــــرزُوا الغَنَــمَا

وهُنا نَرى أنَّ الشَّاعِرَ ختمَ قصيدَتَهُ واصفًا كتائبَ بني ذُهل الّذينَ كانتْ صدورُهُم قدْ كُسِيَتْ بالدُّروعِ ، فقدْ كانُوا قومًا أبُاةً غِضابًا ، قاتَلوا حَتَّى تَمَّ لَهُم النَّصرُ ، فنُلاحِظُ أنَّ الخَاتمَةَ كانتْ وصفًا لكتائِبِ بني ذُهل وما حقَّقُوه مِنْ نَصرٍ على الفُرسِ .

وفي الخِتامِ يُمكنُ القَولُ : إنَّ خَاتمَةَ القَصيدَةِ المنظُومَةِ في يومِ ذي قار – بِشكلٍ عام –سارَتْ وفْقَ مَا استجادَهُ النُّقادُ قديمًا وحديثًا في خَواتيمِ الحِكمَةِ المُحْكَمَةِ المُعبِّرَةِ عن تجاربِ أصحابِهَا ، عَلاوةً على إتهائها بالتَّوصيَةِ والنُّصحِ الإرشادِ ، ويمكِنُ أنْ يصبَّ هذا في ميدانِ الحِكمَةِ أيضا ، إضافَةً إلى استخدَامِ الأمثالِ فيها ، في حِينَ جَاءَ بعضُهَا مفتوحًا دونَ أنْ يحمِلَ وصفًا مُعينًا ، وهذا يعودُ – كما أُسْلِف القَولُ – إلى عدَمِ وصولِ تلكَ القَصائدِ كامِلَةً ، أو ربَّمَا حالَ طارئٌ دونَ إنهَاءِ الشَّاعرِ قصيدتَهُ على الصُّورةِ المَعهودَةِ .

المبحثُ الثّاني – اللغةُ والأسلوب .

الأسلوبُ في اللغةِ : الطَّريقةُ أوْ المَذهبُ ، وهوَ الفَنُّ ، يُقالُ : أخذَ فلان في أساليبَ من القَولِ ؛ أيْ أفانين منه([1]) ، والأسلوبُ في مَعناه اللّغويّ لا يختلفُ عنهُ في الاصطلاح ، فلكلِّ شاعرٍ طَريقةً خاصَّةً بهِ ، يعبرُ بِها عنْ خَلَجَاتِ صدرِه ، وهَذهِ هيَ الطَّريقةُ الّتي نَطلقُ عليها مُصطلح الأسلوب([2]) ، ويُقصدُ بِهِ في الفنّ : " الطَّريقةُ في إظهارِ العَمَلِ الفَنيّ إلى الوجود " ([3]) ولذلكَ فإنَّ لكلِّ شَاعرِ أسلوبَهُ الخَاصَّ الذيْ يُميِّزه عن غَيرِه مِنَ الشُّعراء ، ورغمَ اختلافِ الأسلوبِ مِنْ شاعرٍ لآخر إلا أنَّه يَختلفُ أيضًا

---

[1] – ينظر : ابن منطور ، لسان العرب ، مادة (سلب) .

[2] – ينظر : بدوي طبانة ، البيان العربي ، 287 ؛ عبد القادر حسين ، فن البلاغة ، 59 .

[3] – جودت فخر الدين ، شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى القرن الثامن الهجري ، 251 .

مِنْ قصيدةٍ لأخرى – عِندَ الشَّاعر الواحد فقصيدةُ الغَزَلِ – مَثلا – تختلفُ عن قَصِيدةِ الهِجَاءِ ([1]) ، فبالأسلوبِ يُعرَفُ الشَّاعر ويتميّزُ ، ولعلَّ الاختلافَ بينَ أساليبِ الأغراضِ الشِّعريةِ يكمنُ في تركيبِ الألفاظ ، وطريقةِ ربطِها وصياغَتِها ، إضافةً إلى مَدى وُعورتِها أو سُهولتِها تِبعًا لمُقتضَياتِ الغَرَضِ الشِّعريّ المَنشودِ .

أمّا علاقةُ اللّغةِ بالأسلوب ، فإنَّ اللُّغةَ هيَ مَادةُ الأدَبِ ، والأسلوبُ هُوَ كَيفيةُ استخدامِ اللُّغةِ ([2]) ، واللُّغةُ هيَ مَادةُ الأسلوبِ الّتي تتشكَّلُ منها رقَّةُ ألفاظِ الغَزَلِ ، أو وعورةُ ألفاظِ الوصفِ وشدّةُ ألفاظِ الحرب وقسوتُها ، مناسِبةً لمقتضى الحال ، فلا يُمكن أنْ تكونَ ألفاظُ الأيَّام والحروب لينةً سهلةً لطيفةً ، فالحربُ وصَليلُ السّيوفِ ، وقَعقَعَةُ الرّماحِ ، وصَهيلُ الخُيولِ ، ونَعيرُ المُقاتلين تتَطلّبُ ألفاظًا خاصّة بها ، صَلبةً قاسيةً خشنةً ، ويمكنُ تناوُل مَوضُوع اللُّغةِ والأسلوبِ في شعر يومِ ذي قار منْ خلالِ المحاور الآتية :

أولا – اللَّفظُ والمعنى :

اللَّفظُ والمعنى ركنانِ أساسيّانِ منْ أركانِ القصيدةِ ، وبينهما ارتباطٌ وثيقٌ لا تنفصمُ عُراه([3]) ، ولكنَّ الأسلوبَ يختلفُ منْ غرضٍ إلى غَرض في الشِّعر الجاهليّ ، وبالتالي فَمِنَ المُؤكَّدِ أنَّ لكلِّ مَقامٍ ألفاظَه الّتي يَقومُ عليها ، فقدْ ترى شَاعرًا معيّنا يجمَعُ بينَ أسلوبينِ مختلفينِ في قصيدةٍ واحدةٍ أو قصائدَ متعددةٍ ، وقدْ ترى شعراءَ كُثُر يجمِعونَ على أسلوبٍ ضمنَ إطارٍ ما ، وهذا الاختلافُ أو الاجتماعُ ما هوَ إلا نتيجةُ الغرضِ المرجو ، أمّا شعرُ يومِ ذي قار فقدْ وُجِد فيهِ أنواعٌ متعددةٌ منَ الأساليبِ ، فشاعرٌ

---

[1] – ينظر : يوسف حسين بكار ، بناء القصيدة العربية في النقد العربي القديم ، 148 .

[2] – ينظر : جودت فخر الدين ، م . س ، 251 . فرغم أهمية اللغة كونها عنصرا من عناصر الشعر ، إلا أن الشاعر لا بدّ له أن يسلك فيها مسلكا خاصا ، متخيرا الجميل المناسب والحس الأنيق فيها . ينظر : إبراهيم السامرائي ، لغة الشعر بين جبلين ، 10 . فالشاعر أو الأديب يعمد عادة إلى تخيُّر ألفاظه ، وتجويد صياغتها ؛ وذلك لأن للتشكيل اللغوي أهمية في بناء الأسلوب الأدبي . ينظر : محمد مندور ، الأدب وفنونه ، 37 .

[3] – ينظر : يوسف حسين بكار ، بناء القصيدة في النقد العربي القديم ، 112 .

يتحدثٌ عن فخرٍ ، يلتزمُ ألفاظًا خاصةً ، وشاعرٌ يَطرقُ بابَ المدحِ ، يستخدمُ قالبًا معينا ، وآخرُ يتناولُ الوصفَ ، وهكذا .

لُوحظَ في شعرِ يومِ ذي قار استخدامُ بعضِ ألفاظٍ خشنةٍ غريبةٍ ، الحَرفُ فيها مُكررٌ ، وتحتاجُ إلى مُعجمٍ لتفسيرهَا ، حِينَما ترى الأعشى يَلومُ قيسَ بن مسعودٍ عِندما تَبِعَ كِسرى ، فيصفُ ما حلّ بِهِم ، واصفًا الكتائبَ والجيوشَ في ذلكَ اليوم وكثرتَها ، فيقول([1]) : **[البحر الطويل]**

فَـهانَ عَلـينَا أنَّ تَجِـفّ وِطَـابُكُمْ إذا حُـنِّيَتْ فِـيهَا لَدَيكَ الـزَّوَاجِلُ

لقَد كَـانَ في شَيبانَ لَـوْ كُنْتَ رَاضِيًا قِبـابٌ وحَـيٌّ حـلَّـةٌ وَقَـنابِـلُ

ورَجـــرَاجـة تـعشي النواظر فخمة وجـردٌ على أكنـافهن الـرّواحِلُ

يُلاحظُ في الأبياتِ وصفًا لتلكَ الكتائبِ والجيوشِ الّتي كانت أعدادًا كثيرةً ضخمةً ، مُحملةً بالمتاعِ، ويظهرُ لومُ الأعشى قيسَ بن مسعود في البيتِ الثّاني واضحًا حينَ يذكرُ لهُ ما كانَ في شيبان منْ جنودٍ وعُدّة ، فالألفاظُ الّتي جاءَ بها الشَّاعرُ فيها مِنَ الوُعورةِ والغرابةِ ما فيها ، فيستخدمُ الشَّاعرُ الحروفَ المكرّرةِ والكلماتِ الّتي تحتاجُ إلى معجمٍ وتفسيرٍ كما في البيتِ الثَّاني والثَّالث ، حينما يستخدمُ (رجراجة ، حيٌّ حلّة) ، فلا شَكَّ أنَّ حديثَ الشَّاعر عنْ يومٍ وحربٍ دفعَهُ إلى اختيارِ ما يناسبُ المقامِ .

ومِنْ هذهِ الألفاظِ الوَعرةِ الَّتي استخدمَهَا الأعشى في قصائِدِه ، ما وصفَ الحربَ به من شدَّةٍ ومرارة ، فقدْ شبَّه الحربَ بالحيوانِ الّذي بلغَ مِن القُوَّة والشِّدّة مبلغًا ، نابُهُ من حَديدٍ ، وصورة بالفحل الهائجِ واستمرَّ يصفُ هذه الحرب المدمِّرة الهادرة الهائجة ، فيقولُ ([2]) : **[مجزوء الكامل]**

---

[1] – الأعشى ، الديوان ، 157 .

[2] – الأعشى ، الديوان ، 176 .

وَإنَّ الحَرْبَ أمْسَى فَحْـ ـلها فِـي النَّاسِ مـُحْتَلِمَا

حَـدِيدًا نَـابُهُ ، مُسْتَـدْ ـلِقًا ، مُتَخَمِّـطًا ، قَطِـمَا

أَتَانَا عَـنْ بَنِي الأحـرا رِ قَـوْلٌ لَـمْ يَكُـنْ أَمَـمَا

يستمرُّ الشَّاعر في وصفِ أهوالِ المَعركةِ عِندَما التقَوا في الصَّباحِ بالنّشابِ والسُّيوفِ والرِّماحِ اللامِعَةِ الَّتي ضَربوهم بها فمزقتْ جُلودَهُم ودمرتْهُم ، فالقارئُ لا يَستطيعُ فَهمَ الأبياتِ إلّا بالرُّجوعِ إلى المُعجمِ في كُلِّ بَيتٍ مِنْ الأبياتِ ، ويَستمرُّ قَائِلا ([1]) : **[مجزوء الكامل]**

صَبَحْنَاهُم مُشَعْشَعَةً تَخَـالُ مَصَبَّـهَا رَذَمَـا

صَبَحْنَاهُم بِنُـشَّابٍ كَفِيـتٍ قَعْـقَعَ الأدَمَـا

يَبدو أنَّ وصفَ المَعرَكةِ أوْ اليومِ لَهُ مِنَ الألفاظِ ما يخصُّهُ ، فترى الوُعورةَ والشّدَّةَ فيها ، والمُلاحظُ أيضًا تَكرارِ الحَرفِ الواحدِ في الكَلِمَةِ الواحدةِ في البيتِ الأوّلِ والثانِي حِينَما يَستخدمُ (شعشعَ ، قعقعَ) فلعلَّ هذهِ الكلماتِ لَهَا وَقعٌ على نفسيَّةِ القارئ ، فلا تَخلو مِنْ الغَرابةِ والوُعورةِ .

ومِنْ هذهِ المَظاهِرِ أيضًا ما قالهُ قيسُ بن مسعود عِندَمَا كانَ عِندَ كِسرى ، وطَلَبَ مِنهُ كِسرى أنْ يرسلَ إلى أشرافِ قومِهِ ليكرمَهُم ، وإنَّما أرادَ قتلَهُم ، فلمْ يقبلْ قيسٌ بذلكَ وقالَ([2]) : **[البحر الطويل]**

غُنينَا وأَغْنَـانا غِـنانـا وغَـالَنا مـآكلُ عمّـا عِـنْدكم ومَـشاربُ

فإنْ نَحنُ أرْسلنا بألفيْ صحيفَةٍ فَـلا يقرّبـنّا مِنكُمُ الـدّهْر راكبُ

---

[1] – المكان نفسه .

[2] – الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 407/2 .

لقدْ كرَّرَ الشَّاعرُ حَرفَ الغَين كثيرا في أربَعِ كَلمَاتٍ في صَدرِ البيتِ الأوَّلِ ، وهذا ما يَمُجُّهُ السَّمعُ ويستثقلُهُ ، عَلاوةً على اشتقاقِ بَعضِ الكَلماتِ مِنْ كَلمةٍ واحدةٍ ، وهذا يُعدُّ وُعورةً في السِّياق ، فكأنَّ المَعاجمَ قد خَلَتْ مِنْ غَيرِها ، ويبدو أنَّ موقفَ الشَّاعر آنذاك قدْ دفعَهُ إلى استخدامِ هذِهِ الكلمات ، فَمَا حَلّ بالشَّاعرِ كَانَ مُؤلمًا ومُؤذيًا ، وقدْ تأثرت نفسيتُهُ ، فانطلقَ يقولُ وهوَ مُضطرِب .

ويَظهرُ استخدامُ الأعشى للكلمات الغريْبةِ في شعرِهِ أيضًا عندما بدأَ يصفُ أعيانَ الفرسِ وملوكَهم ، فيصفُ ما يلبسُونَ في آذانِهِم متشبهين بالنِّساء ، فيقول([1]) : **[البحر البسيط]**

حَجَــاحِجٌ وبنو مُلْكٍ غَطَارِفَــةٌ مِنَ الأَّعاجِمِ ، فـــي آذانِهَا النُّطَـفُ

إنّ استخدامَ الشَّاعر لكلمةِ (حجاحج) الَّتي كُررَ فيها الحرفينِ الأوَّل والثاني يشيرُ إلى تِلكَ الوُعورةِ والغَرابَةِ ، فيَصعُبُ معرِفَةُ مَعناها إلا بالرُّجوعِ إلى المَعاجِم ، إضافةً إلى استخدامِه لكلمةِ (غظارفة) فلا شَكّ أنّ القارئ يحتاجُ إلى مُعجمٍ حِينَما يقرؤها .

لقدْ كانَ يومُ ذي قار معينا لا ينضبُ للعديدِ من الأغراضِ الشِّعريةِ ، ففيهِ الفخرُ والمدحُ والوَصفُ والرّثاءُ والهِجاءُ والتَّهديدُ والوَصيّةُ وغَيرُها ، أمَّا الوَصفُ فقدْ اتَّخذَ طَابعَ الألفاظِ الغريْبةِ الوَعرةِ كثيرًا ، وظَهرَ هذا في الشَّواهدِ السَّابقةِ ، أمَّا إذا نظرنا إلى الفخرِ والمَدْحِ فإنَّنا نرى السُّهولةَ واللُّيونةَ والرِّقةَ في ثناياهما ، فالأعشى نفسُه الّذي لهُ مِنَ الألفاظِ الوَعِرةِ والغريْبةِ ما لَهُ ، مَدحَ الشّيبانيين يومَ ذي قار مُستخدِمًا ألفاظًا سَهْلةً رقيقةً واضِحةً ، قَريبةَ المَعاني ، ومن قوله ([2]) : **[البحر الطويل]**

فدًى لبَنِي ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي وَرَاكِبُــها يَــوْمَ الِّلقَــاءِ ، وَقَــلَّتِ

هُمُ ضَرَبُوا بالحِنْوِ ، " حِنْوِ قُرَاقِرٍ " مُــقَدِّمَــةِ الهَامَــرْز حَــتَّى تَوَلَّــتِ

---

[1] – الأعشى ، الدّيوان ، 113 .

[2] – الأعشى ، الديوان ، 37 .

فَـلِلّهِ عَيْنَا مَـنْ رَأَى مِنْ عصَابَةٍ أَشَــدَّ عَلَى أَيْــدِي السُّقَاةِ مِنَ الَّتِي

يَفتدي الشَّاعرُ بني شيبانَ بنفسِه وبناقَتِه ، ويذكرُ فعالَهُم ، فَهُم الّذينَ ضَربُوا الفُرسَ يومَ الحِنو ، وهمُ الأشدَّاءُ الأقوياءُ الشُّجعانُ ، ولكنَّ المُلاحظَ أنَّ الشَّاعرَ في ألفاظِهِ ومعانِيه كانَ واضحًا لا غَرابةَ في كلامِه ولا وعُورةَ ، فالمعاني بارزةٌ والألفاظُ سَهلةٌ عِندَه .

أمَّا يَزيدَ بنَ حِمارِ السَّكوني فقد مَدَحَ بنيْ شيبانَ ؛ لعِظمِ شَأنِهِم ، وشدّةِ فعالِهم يومَ ذي قار، فقد ظَهروا ذوي شَجاعةٍ وبأسٍ وقوةِ شَكيمةٍ ، فأبلَوا بَلاءً حَسنًا، فقالَ يزيد ([1]) : **[البحر البسيط]**

إنّي حَمِدْتُ بَنِي شَيْبَانَ إذْ خَمَدَتْ نِيْرَانُ قَومِي وَفِيهم شَـبَّتِ النَّــارُ

وَمِــنْ تَكَــرُّمِهِمْ فِي المَحْلِ أَنَّهُمُ لا يَعلَمُ الجَــارُ فِيهم أَنَّــهُ جَــارُ

حَتَّى يَكُونَ عَزِيزا مِــنْ نُفُوسِهِم أَوْ أنْ يَبينَ جَمِـيعًا وَهْــوَ مُخْتَـارُ

قَصَدَ الشَّاعرُ في شعرِهِ مَدحَ بني شيبان يومَ ذي قار ، فلمْ تكنْ ألفاظُه وعِرةً ، ولمْ تكنْ غريبةً ، بلْ كانتْ واضحةً ومفهومةً ، لا تحتاجُ إلى مُعجمٍ ، وإنَّما ظَهرتْ سهلةً لينةً ، تحملُ في ثناياها ألفاظًا ووصفًا أخلاقيًا رقيقًا لهؤلاءِ القوم ، فهُمْ يتقِنُونَ حُسْنَ الحِوار ، ويحسِنونَ فنونَ الأدبِ في التَّعاملِ ، عَلاوةً على شراستِهِم يومَ النِّزالِ .

أمّا الفخرُ فقدْ كانَ جليًّا في يومِ ذي قار ، كَيفَ لا وهذا اليومُ هوَ أوَّلُ يومٍ انتصرَ فيه العربُ على الفُرسِ ؟ كيفَ لا وقدْ كانتْ الفُرسُ أعظمَ إمبراطوريةً آنذاك ؟ كيفَ لا وقدْ انضمَّتْ بعضُ القبائلِ العربيّةِ إلى الفُرسِ ؟ فمِنْ هنا كانَ الفخرُ سائدًا على غيرِه منَ الأغراضِ في هذا اليوم ، فتناولَ هذا الغرضَ

[1] – أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة ، 1/221–222 .

بعضُ الشُّعراءِ بألفاظٍ سهلةٍ بعيدةٍ عن الغموضِ والتَّعقيد ، فالوضوحُ سمةٌ بارزةٌ في فخرِ الشُّعراءِ يومَ ذي قار ، والأعشى أحدُهم يقولُ ([1]): **[البحر البسيط]**

لمَّا التَقَيْنَا كَشَفْنا عَـنْ جَـمَاجِمِنا لِيَعْلَـمُوا أنّـنا بكـــرٌ فَيَنصَرِفُـــوا

قالُوا البـقيَّةَ والهِنْـديُّ يحْـصُدُهُم ولا بقِـيَّةَ إلا الـــنَّارُ فـــانـكَشفـوا

لَـوْ أنَّ كُلَّ مَعَـدٍ كَـانَ شَارَكـــنَا فِيْ يَوْمِ " ذِي قَارَ" مَا أخطَاهُم الشَّرَفُ

إذَا أَمَـــالُوا إلـــى النُّـشَابِ أَيْدِيَـهُم مِلْنَـا بِبِيـضٍ ، فَظَـلَّ الـهَامُ يُختَطِفُ

وَخَيْـلُ بَـكْرٍ فَـمَا تَنْفَـكُ تَطْحَنُـهُمْ حَتَّى تَـوَلّوْا ، وَكَـادَ اليَـوْمُ يَنْتَصِفُ

لقد افتخرَ الأعشى بقومِهِ لظفرِهِم على الفُرسِ يومَ ذي قار ، فسارَ الشَّاعرُ في فخرِهِ بألفاظٍ سهلةٍ واضحَةٍ لا غُموضَ فيها ، ولا يحتاجُ القارئُ إلى جُهدٍ كبيرٍ لمَعرفةِ معاني ألفاظِها ، فَهيَ واضِحةٌ غَيرُ معقدةٍ ، فعرَّجَ الشَّاعرُ على لقاءِ الفُرسِ وما حَلّ بهم ، فقدْ كانتْ السُّيوفُ تطحنُهُم ، والرِّماحُ تنهشُهُم ، ويلُّوحُ الشَّاعرُ بالّذين تثاقلوا وتقاعسُوا عن نجدةِ إخوانِهم فلمْ يَنَلْهُمُ العِزُّ والمَجدُ كَمَا نَالَ غَيرهم ، وانتقلَ مُتحدِّثًا عَنِ البَلاءِ الّذي قدَّمَهُ قَومُه آنذاك ، وبيّن لنَا كَيفَ فَرّ الفُرسُ وولُوا هَاربينَ يَجرُّونَ أذيالَ الهزيمَةِ .

وتَظهرُ الألفاظُ السَّهلةُ الرَّقيقةُ الجذَّابةُ في حديثِ قيسِ بن مسعود وهوَ في السِّجنِ ، فقد بدأ ينذرُ قومَه عمَّا يخطِّطُ له كسرى ، فعرّضَ في حديثِهِ على محبوبتِهِ ليلى ، فقد يشتدُّ اشتياقُ الشَّخصِ لمحبوبتِهِ حينما يكونُ بعيدًا ، وأيُّ بُعدٍ أكثر ألمًا من السِّجن ؟ فقالَ قيس ([2]) : **[البحر الطويل]**

تَمنَّاكَ مِنْ لَيْلَى مَعَ اللَّيْلِ خَـــأئِـــلُ وَذِكْـــرٌ لَهَاْ فِـــيْ الْقَلْبِ لَيْسَ يُزَاْيِـلُ

---

[1] – الأعشى ، الديوان ، 113–115 .

[2] – الأصفهاني ، الأغاني ، 24/59–60 .

أُحِبُّكِ حُبَّ الْخَمْرِ مَاْ كَــاْنَ حُبُّــها إِلّــيَّ وَكُــلٌّ فِــيْ فُـؤَاْدِيْ دَاْخِــلُ

تَظهرُ ألفاظُ البيتينِ سَهَلةً لَينَةً رَقيقَةً ، فلمْ يزلْ الشَّاعرُ يَذكرُ مَحبوبتَهُ الّتي تسْكُنُ قلبَه وهوَ في أصعَبِ ظُروفِ الحَياةِ ، فأحبَّها كَمَا يُحبُّ الخَمْرَ ، وقدْ قرنَ الشَّاعرُ مِقدارَ حبِّ ليلى بمقدارِ حبِّهِ للخمر، فأسلوبُ الشَّاعرِ يختلفُ مِنْ غَرضٍ إلى غَرَض ، ومِنْ موقِفٍ إلى مَوقف .

والنَماذجُ على اختلافِ اللُّغةِ والأسلوب مِنْ غَرضٍ لآخر كثيرةٌ جدا ، أمَّا سببُ وعورَةِ ألفاظِ الوَصفِ عامَّةً مقارنةً بألفاظِ الأغراضِ الأخرى ، فيعلِّل محمد محمد حسين ذلكَ بقوله : " لعلَّ أغربَ فنونِ الشِّعرِ العربيّ علينا اليوم ما أُثِرَ منْ شعرٍ في وصفِ النُّوقِ والأسفار ، ولعلَّ هذه الغرابَةَ تأتي مِنْ أمرين : الأوَّلُ هوَ أنْ هذا الشِّعر قدْ ضَعُفَ تأثيرُه فينا بعدَ أنْ ضاعَتْ قيمةُ الحيوانِ ، والنَّاقةِ بنوعٍ خَاصّ، فقدْ أدَّى إلى إهمَالِ الألفاظِ المُتعلقةِ بِهَا منْ أسماءِ أعضائِها وأدواتِها ... فأصبحَتْ الألفاظُ والصُّورُ الدَّالةُ على ذلكَ كلِّه وما شَاكلَهُ غَريبةً علينا ، ونجدُ في فهمِها وتذوُّقِها مشقةً كبيرةً ([1]) . يَبدو مِنْ خِلالِ هذا الرَّأي أنَّ شعرَ الوصفِ يَتَمتَّعُ بسهولةٍ لفظيةٍ في نظرِ الجاهليين أنفسِهم ، أمَّا الصُّعوبةُ فتكمنُ في ثقافتِنَا الحاليّةِ لعدمِ الإلمامِ بألفاظِ العربيَّة ومدلولاتِها ، ولعلَّ الحيزَ الكبيرَ الّذي شَغَلَهُ شعرُ الوصفِ يثبتُ أنَّ ألفاظَه وأساليبَه لمْ تكنْ بالصورةِ التي عليها الآن .

تعدَّدتْ الأغراضُ الشِّعريةُ في يومِ ذي قار ، فقدْ كانَ الطابعُ العامُّ لشِّعر الوصفِ أنَّ فيه منَ الألفاظِ الوَعرةِ والغريْبَةِ ما فيه ، أمَّا الفخرُ والمدحُ والهجاءُ والتهديدُ والإنذارُ فقدْ اتَّسمَ بالطَّابعِ الواضحِ والسَّهل في ألفاظِهِ ومعانيه –غالبا – فلا تحتاجُ إلى الاستعانةِ بمعجمٍ أو شرحٍ لفهمها رغمَ أنَّها جاهليَّة ،

[1] – أساليب الصنعة في شعر الخمر والأسفار ، بين الأعشى والجاهليين ، 51 .

ومنْ هذه المشاهد في غرضِ الهجاءِ ما يجيبُ به الأعشى أبا كلبة التَّيميَّ بشأنِ مدحِهِ لقومِهِ دونَ الحديث عنْ بني شيبان فهجاه قائلا ([1]) : **[البحر البسيط]**

أبلغْ أبَا كلبةَ التَّيميَّ مألكةً فأنتَ من قومٍ – واللهِ – أشرار

شيبانُ تدفعُ عنكَ آونةً وأنتَ تنبحُ نبحَ الكلبِ في الغار

يهجو الأعشى أبا كلبة التَّيميّ بألفاظٍ سهلةٍ واضحةٍ مستوحاةٍ من البيئةِ ، فهوَ يقسمُ أنَّه منْ قومٍ أشرار ، ويشبِّهُهُ بالكلبِ الَّذي ينبحُ ، فلا غَرابةَ ولا تعقيدَ في ألفاظِهِ .

ثانيا – التَّبليغُ والإخبارُ .

وممَّا برزَ في الشِّعرِ الجاهليّ جانبًا منْ التَّبليغِ والإخبارِ برسائلَ معينةٍ ، فقدْ تكونُ هذهِ الرَّسائل مِنْ أرضٍ فارسيةٍ إلى أرضٍ عربيَّةٍ أو العكس ، فقدْ أدركَ شعراؤهُ بونَ المسافةِ بينَ مقامِهِم الطَّارئ وديارِهِم الحقيقيَّةِ أو بينَ ديارِهِم الحقيقية وأراضِ فارس ، فالمَسافةُ طَويلةُ بينَ ديارِ بكر وأرضِ الفُرسِ حَيثُ مَوقعُهم لذلكَ عَمدوا إلى أسلُوبِ التَّبليغِ والإخبارِ باستخدامِ ألفاظٍ تَصلحُ في هذا المَجالِ ومنها : " مَنْ مبلغٌ ، ألا أبلغْ ، أبلغْ ، يُخبرُ " آملينَ بذلكَ أنْ تصلَ أخبارُهم إلى الجهات المعنيَّة في أرضِ العربِ ، وقدْ انحصرتْ الجِهَات المعنيَّة بالتَّبليغِ والإخبارِ في قبائل الشُّعراءِ وأقوامِهِم .

إذًا حَالتِ المسافةُ دونَ أنْ يصلَ الشَّاعرُ إلى قومِهِ ، لذلكَ عمَدَ إلى وسيلةٍ لفظيَّةٍ تفي بالغَرَضِ ، ومِنْ ذلكَ وصاةُ قيس بن مسعود لقومِهِ وهُوَ في سِجنِ الفُرسِ ([2]) : **[البحر الطويل]**

أَلَاْ لَيْتَنِيْ أَرْشُوْ سِلَاْحِيْ وَبَغْلَتِيْ فَيُخْبَرَ قَوْمِيْ الْيَوْمَ مَاْ أَنَاْ قَائِلُ

---

[1] – ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 73/24 .

[2] – الأصفهاني ، الأغاني ، 59/24–60 .

فَإِنَّاْ ثَــوَيْنَاْ فِـــيْ شُعُوْبٍ وَإِنَّـــهُمْ غَــزَتْهُمْ جُنُـــوْدٌ جَمّـــةٌ وَقَـبَاْئِـــلُ

فالسِّجنُ الواقعُ في أرضِ الفُرسِ مَنعَ قيسًا منْ بلوغِ قومِهِ – بكرِ بن وائل – المقيمينَ في الجزيرةِ الفراتيَّةِ ، لذلكَ يعمدُ إلى أسلوبِ التَّمنّي في حصولِهِ على سلاحِهِ وبغلتِهِ ليدافعَ عن قبيلتِهِ ، وأعطى الشَّاعرُ مقارنةً بينَ ما كانوا فيه مِنْ جهةٍ وما حَلَّ بالفرس مِنْ جهةٍ أخرى .

أمَّا مرداسُ بن أبي عامر السَّلمي فقدْ كانَ مُجاورًا في بني بكر ، فَلمَّا رأى جيوشَ الفُرسِ أقبلتْ إليهِم ، حَمَلَ عِيالَهُ وخَرَجَ عنهُم وأخذَ يبلغُهُم ويُخبِّرُهُم ([1]) : **[البحر البسيط]**

أبلِـــغْ سَراةَ بني بكـــرٍ مُغْلَغَلةً إنّي أخـــافُ عليهِم سُرْبةَ الـدَّار

إنّي أرى الملِكَ الهامُرْزَ مُنْصَلِتًا يُزْجِي جِـــيادًا وركـــبًا غيرَ أبرارِ

عندما رأى مرداسُ جيوشَ الفُرسِ آتيةً تُريدُ قتالَ العَرَبِ ، انصَرفَ منَ المَكانِ ولكنَّهُ أرادَ تبليغَ بني بكر الأمرَ ، فنادى أن يُبَلَّغَ بني بكر بهذه الجُيوشِ الغاشمةِ ، وعلَّلَ هذا النِّداءَ والتّبليغَ بخوفِهِ عليهم ، ونراهُ يبين لهُمْ ما رآه منْ منظرٍ ، فقدْ رأى المَلِكَ الفارسيَّ يدفعُ خيولَهُ السَّريعةَ ويحثُّها على الإقدام ويَسوقُ الفُرسان إلى حَربٍ ضَروسٍ .

أرادَ قيس في هذه الرِّسالةِ أنْ يبعثَ منْ أرضِ العرب إلى كِسرى في أرضِ فَارس ردًا لَهُ رافضًا طلبَهُ بتلكَ الودائعِ والرَّهائِن ، فقالَ ([2]) : **[البحر الكامل]**

مَنْ مُبْلِغٌ كِسْرَى إذا مَـا جاءَه عَـنِّي مَـــآلِكُ مُخْـــمِشَاتٍ شُـــرَّدًا

آلَيْتُ لا نَعـطِيه مِـــنْ أبْنَائِنَا رُهُنًـــا فَيُسِدُهُـــمْ كَمَـــنْ قَـــدْ أفسَدَا

---

[1] - الأصفهاني ، م . ن ، 64/24 .

[2] – الأعشى ، الديوان ، 53–54 .

حَتَّى يُفِيـدَكَ مِنْ بَنِـيهِ رَهِينَةً نَعْشٌ ، ويَــرْهَنَكَ السَّمَــاكُ الفَرْقَدَا

يبحثُ الشَّاعرُ عمنْ يُوصِلُ رسالتَهُ إلى كِسرى في مَقامِهِ ، وهَذهِ الرِّسائِلُ سَريعةٌ مُنتشرةٌ في كُلِّ مكان ، فلمْ يرسلْهَا الشَّاعرُ خَائفًا أو مَرعوبًا ، وإنمَّا أرادَ لها الانتشار ، وتحملُ في طَياتِها تحدّيًا بِعدمِ قَبولِ طَلبِهِ بالرَّهائن والودائعِ ، وربطَ قَبولِهِ بقبولِ النُّجومِ في السَّماء بذلكَ . أمَّا الأعشى فقدْ قالَ مُجيبًا أبَا كلبَةَ التَّيميَّ عندما مدحَ قومَهُ ولمْ يمدحِ الشّيبانيين ([1]) : **[البحر البسيط]**

أبلــغْ أبَــا كــلبةَ التَّيميّ مــألكةً فــأنتَ من قومٍ – واللهِ – أشرار

شيـبانُ تــدفعُ عنــكَ الحرب آونةً وأنــتَ تنبحُ نبحَ الكلّبِ في الغار

يريدُ الشَّاعرُ إبلاغَ أبا كَلبةَ التّيميّ هِجاءَهُ ، فأقسَمَ الشَّاعرُ مُستخدِمًا لفظَ الجّلالةِ بعينِهِ وكأنَ الشَّاعرَ يقسِمُ وهوَ غاضبٌ على أبي كلبةَ ، ويشهدُ أنَّهُ منْ قومٍ أشرارٍ ، وشبّهَهُ بالكلبِ الّذي ينبح ، ويخبِرُهُ بفعالِ بني شَيبان الّتي تدافعُ عنهُ وهوَ مَشغولٌ عنهُم بالنَّبحِ .

ويرجعُ قيسُ بن مسعود يبلغُ قومَه وهوَ أسيرٌ عندَ كسرى ، ويرثِي نفسَهُ ، فتراه يريدُ إبلاغَ قومِهِ عن حالِهِ وعنْ نفسيّتِهِ ، فقالَ ([2]) : **[البحر الوافر]**

أَلَاْ مَــنْ مُبْلِــغٌ قَوْمِيْ وَمَـنْ ذَاْ يُبْلِّــغُ عَــنْ أَسِيْــرٍ فِــيْ الإِوَاْنِ

تَطَــاْوَلَ لَــيلُه وَأَصابَ حُــزْنًا وَلَاْ يَرْجُو اْلَفكَــاكَ مَــعَ الْـمِــنَاْنِ

فقدْ طالَ ليلُه ، وأصابَهُ الحزن في إيوانِ كسرى ، فهوَ عزيزٌ في قومِهِ لا يريدُ أنْ يفكَّ أسرَهُ مع المنانِ ، فهوَ يريدُ حريةً كريمةً غيرَ ذليلةٍ .

---

[1] – ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 73/24 .

[2] – الأعشى ، الديوان ، 63/24 .

ثالثا – التّرادف :

التَّرادفُ ظاهرةٌ منْ الظواهرِ التي اتَّسمت بها اللُّغةُ العربيَّةُ ، فهيَ تعطي اللُّغةَ العربيَّةَ رونَقًا خاصًّا ، وتُعدُّ هذهِ الظَّاهرةُ وسيلةً منْ الوسائلِ الّتي أغْنَتْ المُعجمَ العربيّ حتَّى أضحى العربيُّ يستطيعُ أنْ يعبرَ عنْ المعنى بأكثر منْ لفظٍ دونَ حدوثِ اضطرابٍ فيَ الفَهم أوْ الذوقِ ، وقدْ أولى اللُّغويون القدماءُ اهتمامًا بهذهِ الظَّاهرةِ حتَّى غَدَتْ مُنتشرةً في الأدَبِ العربيّ .

الرِّدْفُ لغةً : ما تَبِعَ الشيءَ ، وكلّ شيءٍ تَبِعَ شيئًا فَهُوَ رِدْفُهُ ، وإذا تَتابعَ شَيءٌ خلفَ شيءٍ فهوَ التَّرادُفُ ([1]) . أمَّا اصطلاحا : فقدْ عَرّفَهُ السُّيوطِيّ نقلا عَنِ الإمامِ فخرِ الدّين : " هو الألفاظُ المُفردةُ الدَّالة على شَيْءٍ واحدٍ باعتبارٍ واحدٍ " ([2]) .

تَظهرُ في شعرِ يومِ ذي قار عندَ مختلف الشُّعراء سِمةُ التّردافِ بينَ الكلمات ، حيثُ عَمدَ الشُّعراءُ إلى الألفاظِ ومُترادفاتِهَا في عَددٍ كبيرٍ مِنْ أبياتِهِم الشِّعريةِ ، وهذا المُترادفُ من الألفاظ كَفيلٌ أنْ يَجعلَ هَذهِ الظَّاهرةَ سِمةً بَارزةً منْ سِماتِ الشِّعرِ الجاهليّ في يَومِ ذي قَار ، ومنْ هُنا أرى ضرورةَ الوقوفِ عندَ هذهِ السِّمةِ ؛ ليتسنّى كَشفُ المَزيدِ منْ مَعالمِ الأساليبِ المُستخدمةِ في يَومِ ذي قار .

يتَّضحُ التَّرادفُ في القَصائد والمقطّعاتِ الشِّعريةِ في ذلكَ اليوم مِنْ خِلالِ حَديثِ الشُّعراءِ عنْ الحَرب ومَا خلّفتهُ ، فلا شَكَّ أنْ يَكونَ الجوُّ مُفعمًا بالشدَّةِ والقَساوةِ ، فيريدُ الشَّاعرُ أنْ يؤكدَ المعنى الّذي يصبُو إليهِ في ذلكَ الجوّ العنيفِ ، فترى الأعشى يرادفُ بينَ كلمتي الجندِ والكتائبِ والجيشِ العَرَعرَمِ في أكثرَ مِنْ موضعٍ ، وهذا التَّرادفُ مُستوحًى مِنْ جَوّ المَعرَكَةِ والجُندِ ، فيقولُ ([3]) : **[البحر البسيط]**

وَجُنْدُ كِسْرَى غَدَاةَ الحِنْوِ صَبَّحَهُمْ مِنَّا كَتَائِبُ تُزجِي المَوْتَ فانصَرَفُوا

---

[1] – ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (رَدِفَ) .

[2] – المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، 316/1 .

[3] – الأعشى ، الديوان ، 113 .

التَّرادفُ واضِحٌ بينَ كَلمتي (الجُندِ ، والكَتائبِ) في هَذا البيتِ ، ويَظهرُ التَّرادفُ أيضًا عندَمَا يَقولُ أحَدُ شُعراءِ ربيعةَ يومَ ذي قار ([1]) : **[البحر الطويل]**

أَلا مَن لِليلٍ لاَ تغُورُ كَــواكبُه وهَــمٍّ سَرَى بينَ الجَوانِح جَانبُهْ

ألا هَلْ أَتاها أنّ جيْشًا عَرَمْرمًا بأسفـلِ ذي قــارٍ أُبِيدتْ كتائبهْ

يَتَساءلُ الشَّاعرُ مَنْ لليل طَويلٍ لا تغورُ كَواكبُه ، فهذا اللَّيلُ هُوَ ليلُ المَهمُومِ الّذي يراقبُ سيرَ النُّجومِ والأفلاكِ على بُطئِها ؛ لأنَّهُ لا يَعرفُ للرَّاحةِ والنَّوم طعمًا ، ويتعرَّضُ الشَّاعرُ لجيشِ الفُرسِ الّذينَ أبيدَتْ كتائبُهُم في يومِ ذي قار ، فالتَّرادُفُ بينَ كَلمتي (الجَيش العَرمرَمِ والكَتائِبِ) فمدلُولُهُما واحدٌ ، ويبدو أنَّ الشَّاعرَ أرادَ في كثرةِ عددِ جنودِ الفُرشِ استخدام التَّردافِ .

ومِنْ أشكالِ التَّرادُفِ ما قالَهُ مرداسُ بن أبي عامِر حِينَما جَاءَ إلى كِسرى بخَبَرِ النَّصرِ المَكذوبِ لئلا يقطَعَ يَدَهُ ، فرَكبَ فَرَسَهُ وفَرّ مُسرِعًا ، وشَرَعَ يَحُثُّ فَرَسَهُ على الإسرَاعِ ويقولُ ([2]) :**[البحر الطويل]**

أَلَــمْ تَـرَ أنَّ الأرضَ رَحْــبٌ فَسِيـحَةٌ فَهَــلْ تُــعجِزَنّي بُقْعَـةٌ مِــنْ بِقَاعِهَا

وَمَبْثُــوثَةٍ بَــثَّ الــدَّبَى مُسبَطِــرَّةٍ رَدَدْتُ عَـلَى بِطائِهَا مِـنْ سِراعِـهـا

فقدْ رادفَ مرداسُ بينَ كلمتي(رحْبٌ و فسيحةٌ) و (مبثوثةٌ و مسبطرةٌ) ، فمعنى الرَّحبُ والفَسيحُ واحدٌ ، ومَدلُولُ كَلمةِ مَبثوثةٍ ومُسبطرَّةٍ هُوَ الامتدادُ والانتشارُ ، فالشَّاعرُ يَحُثُّ فَرَسَهُ على الإقدَام ، ويقولُ

[1] - الأصفهاني ، الأغاني ، 74/24 .

[2] – أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة ، 158/1 .

لها إنَّ الأرضَ واسعةٌ فسيحةٌ فلنْ أعجزَ عنْ الوُصُولِ إلى أيّ مكانٍ أريد . ومِنْه قولِ الدَّيان بنِ جندل عِندَما انتهتِ المَعرَكَةِ ، وقَسّموا اللَّطائم ووزَّعُوا الغَنائِمَ ، فأخذَ يَمدَحُ الشيبانيين قَائِلا([1]):**[البحر البسيط]**

إنْ كُنت سَاقيةً يَومًا ذوي كَرمٍ فاسْقِي الفوارسَ من ذُهلِ بن شيبانًا

واسقي فوارس حامُوا ع عن ذِمارهم واعلي مَفارقَهم مِسكًا وَرَيْحانًا

الدَّيانُ بن جندل يمدحُ بني شيبان على حُسْنِ آدائِهِم يومَ ذي قار ، فاستخدمَ الشَّاعرُ التَّرادفَ بيّنًا بينَ كلمتي (المِسك و الرَّيحان) فيَطلُبُ الشَّاعرُ السُّقيا للَّذينَ حَاموا عن ديارِهِم ، وأنْ يَضَعَ المِسكَ والرَّيحانَ على مَفارقِهِم تَكريمًا لفِعَالِهِم . أمَّا بُكير بن الأصمّ فقدْ استخدَمَ التَّرادفَ في شِعرِ يومِ ذي قار عِندمَا بدَأ يَصِفُ عَمرَو بن قيس بن مسعود – عَمروَ الأصم – فهوَ لمْ تتخَطَّفُهُ السّنون ، ولمْ يكنْ طِفلا لا خِبرةَ لهُ في الحُروبِ ، بلْ كَانَ في ريعانِ شَبابِهِ وزهوةِ عُمرِهِ ، فَقَالَ فيه بُكير([2]) : **[البحر الكامل]**

عَمْرٌو وما عَمرٌو بقَحْمٍ دالفٍ فيها ولا غُمْرٍ ولا بِغُلامِ

هُمْ يوْمَ ذي قَارٍ وقَدْ حَمِسَ الوَغَى خَلَطوا لُهَامًا جَحْفَلاَ بِلُهَامِ

يُلاحَظُ التَّرادفُ في أكثرِ منْ مَوضِعٍ في البيتِ الأوّلِ ، فكلمتي (قَحم و دالفٍ) بينها تَرادفٍ ، فَهُمَا تدلانِ على المَدلول ذاتِهِ ، وهوَ كبْرُ السِّن ، أمَّا كلمتي (غُمْر و غلام) فبينَهُمَا ترَادفٌ أيضًا ، ولهُما المَدلولُ نَفسُهُ وهُوَ صِغرُ السِّنِّ ، فيصِفُ الشَّاعرُ عَمرا ، ويؤكدُ على ما قدَّمَهُ قومُهُ – يَومَ ذي قار حِينَمَا اختلَطَتْ الجيوشُ وعَلَتْ أصواتُ الفُرسانِ – مِنْ قتالٍ مُخطَّطٍ ومواجهةٍ صارمةٍ ، وثباتٍ دائمٍ .

مَنْ يَتَمعّنُ هذا النُزُرَ مِنَ التَّرادفاتِ يدركُ حقًّا مدى شيوع هذا الأسلوبِ في شعرِ أيامِ الجاهليّةِ ، أمَّا المُفرداتُ فقدْ جاءَتْ كلُّها تحاكي قصَّةَ الحَربِ وما دارَ فيها منْ قتالٍ ونزالٍ ومواجهةٍ بينَ الجُيوشِ ،

---

[1] – ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 250/2 .

[2] – أبو عبيدة ، النقائض ، 74/2 .

وشجاعةٍ وثباتٍ وحُسنِ بلاء ، فرُغمَ اختلافِ موضوعِ الأبيات إلا أنَّها كانتْ تَصُبُّ في قَالبٍ واحدٍ ألا وهوَ قَالبُ المَعرَكَةِ والحَربِ .

ولَعلَّ شُيوعَ التّرادفِ يَعودُ كَمَا يبدو إلى مُحاولَةِ الشُّعَراءِ التَّأكيد على صِدقِ مَقالِهِم ، بَلْ نُزوعِهم إلى الإصرارِ بِواسِطَةِ اللَّفظِ المُرادِفِ على تَوطيدِ أفكارِهِم وتأكيدِهَا ، فالأعشى مَثلا لمْ يكتَفِ بذكرِ الجُنودِ في فَخرِهِ ، وإنمَّا عَمدَ إلى لَفظٍ مُرادفٍ وهوَ الكَتائبُ ، وقد أكَّدَ هَذهِ الكَلمَة غيرُهُ مِنْ شُعراءِ بني ربيعةَ باستخدام (الجيشِ العرمرم) ، فكذا كَانَ الشّاعرُ يَدعّمُ فِكرَتَه باعتمادِ التَّرادفِ ، إضَافةً إلى ذَلكَ فإنَّ التّرادفَ يَدفعُ رُوحَ السَّآمةِ والمَللِ عن القارئ ، عَلاوةً على ما تُضيفُهُ هذهِ الألفاظُ مِن تناغمٍ مُوسيقيّ وانسجامٍ في تَراكيبِ الجُمل .

رابعا – الشَّرط .

يُعدُّ الشَّرطُ مُرتكزًا أساسيًّا منْ مرتكزاتِ أسلوبِ الشِّعرِ الجاهليّ المُتعلِّقِ بأيامِ العربِ وحُروبِهم ، فقد وظَّفَ الشُّعراءُ أسلوبَ الشَّرطِ للتعبير عنْ تجاربِهم الشِعريَةِ وما صاحبَهَا منْ أحوالٍ حياتية شغلتْ فكرَ الشَاعرِ وهيَجت شعورَه وأحاسيسَهُ ، وأثارت في نفسِه الحميَةَ والغضبَ أحيانًا ، ولا شَكّ أنَ أيامَ العربِ في الجاهلية وما صاحَبَها من شدَةٍ وعسْرٍ وضيقٍ كانَ لهُ الأثرُ البارزُ في شيوعِ هذا الأسلوب ، ومِنْ هنا فقدْ عَمَدَ الشُعراءُ إلى الصِّيغةِ الشَرطيّةِ ، وما فيها منْ فِعلٍ وجوابٍ ، ليتسنَّى لَهُم فتحَ آفاقٍ واسعَةٍ في التَّعبيرِ مَع سُهولَةٍ في إيصالِ الفكرةِ الكَامِنَةِ في الذِّهنِ .

ما دامَ الحديثُ عَنْ شعرِ يَومِ ذي قار ، فَلا بُدّ أنْ يَكونَ الإصرارُ والتَّحدي عَامِلين أساسيَّين في اللُّجوءِ إلى أسلوبِ الشَّرط ، فالحَربُ تقومُ على القِتالِ والنِزالِ والتَحدي الصَّارمِ بينَ الفَريقين ، فقدْ صيغَت مَعالمُ هذا العِناد والتَّحدي والغضَبِ بأسلوبِ الشَرطِ وأدواتِهِ (إذا ، لو ، ولولا ، وإن) ، فيظهرُ الشَّرطُ في شِعرِ الأعشى مَازجًا لَومَهُ على العَرَب الَّذينَ لم يقفوا إلى جانِبِهِم يومَ ذي قار وتحديهِ الفُرس وقتَ المُواجهةِ ، فيقول ([1]) : **[البحر البسيط]**

لَـوْ أنَّ كُلَّ مَعَدٍ كَـانَ شَارَكَـنَا فِيْ يَوْمِ " ذِي قَارَ" مَا أخطَاهُم الشَّرَفُ

إذَا أَمَـالُوا إلَـى النُّشَابِ أَيْدِيَـهُم مِلْنَـا بِبِيـضٍ ، فَظَـلَّ الهَامُ يُخـتَطِفُ

يَعمدُ الأعشى إلى أسلوبِ الشَّرطِ في البيتين السَّابقين مُستخدِمًا أداتَي الشَّرطِ (لو ، إذا) ففي البيتِ الأوَّلِ يَلومُ الشَّاعرُ قَبائلَ مَعدّ الّذينَ لمْ يُشاركُوه حَربَهُم مَعَ إمبراطوريةِ الفُرس ، فقدْ خَسِرَوا ذلكَ الشَّرفِ العَظيمِ الّذي أُرِّخَ لهمْ ، فلمْ يستطيعوا الوقوفَ في وجْهِ الفُرسِ ، ولا قتالَهم ، فكانوا جُبناء متثاقلين عن القتالِ ، فلمْ يتحققْ جوابُ الشَّرطِ وهو (الشَّرف) لامتناعِ الشَرطِ وهو (المُشاركة) ، ثُمَّ يَستمرُّ في

[1] – الديوان ، 113 .

استخدامِ أسلوبِ الشَّرطِ في أثناءِ المَعرَكَةِ مَعَ الفُرس ، فإذا أقبل الفُرسُ على استخدامِ الرِّماحِ والسِّلاحِ في وجهِ العَرَبِ كانَ العَرَبُ لهم بالمِرصَاد ، فهُم على أتمِّ الجهازِ لمقارعتِهِم .

بَدأَ الشَّرطُ أسلوبًا عِندَ بكيْر بنِ الأصمِ حِينَما مَدحَ بني شيبان ، وكانَ يفضِّلُهم على غيرِهم ، فهوَ يطلبُ تكريمَهُم بابتداءِ الشَّرابِ بهم ، فهُم الَّذينَ أتوْا بأمجدِ الأيّامِ وأعزِّها ، فلمْ يتقاعسُوا عن نُصرةِ بعضِهِم بعضًا ، وإنّما قدّمُوا أرواحَهم رخيصةً فداءً لعُروبتِهم ، ودفاعًا عن قومِهِم ، فقال ([1]) : **[البحر الكامل]**

إنْ كُنْتِ سَاقِيَــةَ المُدامَــةِ أهْلَها فاسْقِــي عَلَى كَــرَمٍ بَني هَمّــامِ

وَأَبَــا رَبيعَةَ كُــلَّــها ومُحَلِّـــمًا سَبَقــا بغــايَةِ أمْــجَــدِ الأيَّــامِ

اشترطَ بُكيرٌ البَدءَ ببني هَمّام وأبي ربيعَةَ ومُحلَّمًا إذا جَاءَ وقتُ السِّقاءِ ، فقدْ نَلمَحُ استخدامَ الشَّاعِرِ لآداةِ الشَّرط (إنْ) وجَوابَها (فاسقي) ، فإذا تَحقَّقَ الشّرطُ وَجَبَ الجّوابُ ، فتقديمُ هذهِ القَبائِلِ على غيرِها ما هوَ إلا تقديرا لَهُم واحترامًا لِما بذلوه وما قدَّموه رخيصًا للدِّفاعِ عن أبناءِ عروبتِهم ، فجزاؤهُم أعظمُ وأكبرُ ، ولكنْ الشَّاعرَ أرادَ أنْ يمدحَهُم فاشترطَ لهم التَّكريم .

لمْ يقتصرْ أسلوبُ الشَّرطِ على الشُّعراء الرِّجال ، وإنّما ظهرَ عندَ النِّساء آنذاك ، فهذهِ هندُ بنت النُّعمانِ تنذرُ قومَها ممّا تَجَهَّزَ الفُرسُ لَهُ ، فَبَعَثتْ تحَذرّهُم مِنْ الفُرسِ ، فهي لا تَقوى على الرَّدِّ والمُقاومةِ ، ولكنَّ عُروبتَها لمْ تثنيها عن إخبارِ قَومِها بهذا الاستعداد ، فقالت([2]) : **[البحر الوافر]**

كأنّي عِــنْدَ جَــدَّ بهم إليــكُمْ مُعَلقــةُ الـــــذَّوائبِ بالـــــعَبُورِ

فلـــو أَنّـــي أَطقتُ لذاكَ دَفْــعًا إذًا لــدافَعــتُــهُ بــدِمــي وزيــري

فـإن تَــكُ نِعمــةً بظــهورِ بكــرٍ فأكْـــرِمْ بِالـــبِشارةِ لِـلـبَشـــيرِ

---

[1] – أبو عبيدة ، النقائض ، 74/2

[2] – الأصفهاني ، الأغاني ، 63/24 ؛ الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 413/2 .

وإنْ تـكُ نكبـــةً فعلـــيَّ منهَا كمامِـــــيرَ الـــــدَّهيمُ بمُستمـــيرِ

والنّاظرُ في أبياتِ هند بنتُ النُّعمان يجدها مُكتويةً لِما حَلّ بها وبقومها ، فهيَ تحذِّرُ قومَها ممّا يتجهزُ له الفُرسُ ، وتبدو مُتألمةً مُتحسرةً على قَومِهَا ، فيتجلى أسلوبُ الشَّرطُ تَترا في أبياتها ، وأدواتُ الشَّرط بيّنةٌ عِندَهَا وهيَ(لو ، إنْ) فتخبرُ الشَّاعِرةُ قَومَها أنَّها لو استطاعت دَفعَ هذا العَدوّ الغاشم لدفعتْهُ ولو كَانَ الثَّمنُ غَاليًا ، فامتنَعَ الجَوابُ (دفَعَها للشّر) لامتناعِ الشَّرط وهُوَ (عدمُ القُدرةِ والاستطاعةِ) فيضفي على الأبياتِ لوعةً وألمًا ، فإنْ كانتْ النتيجةُ النَّصرَ والظَّفرَ فببني بكر سَيكونُ ، وإنْ كانَ العَكس فَهِيَ نكبةٌ حلَّت عليهم ، وحِمْلٌ ثقيلٌ سيعتريها ، ولها نَصيبٌ وافرٌ منها ؛ لأنَّها ابنةُ النُّعمان الّذي كانَ أحدَ أسبابِ يومِ ذي قار .

أمّا مرداسُ بن أبي عامر السَّلميّ فقدْ استخدمَ أسلوبَ الشَّرط في شِعر يومِ ذي قار عندَما رأى جُيوشَ الفُرسِ قادمةً لقتالِ بكر فولّى هاربًا يخبرُ بكرا ما قدِمَ إليهِمْ ، فقال ([1]) : **[البحر البسيط]**

فإن أَبَيْتُـمْ فـإنّي رافِـعٌ ظُعُنِي ومُنْشِبٌ في جِبـــال اللُّوبِ أظْفَاري

وجـاعِلٌ بيـنَنا وِردًا غَـــواربُه تـــرْمي إذا مـــا ربـــا الوادِي بتَيَّار

يَظهرُ في سياقِ إخبارِ مِرداسِ بني بكر أنَّهُ يشترطُ عليهِم أنَّهم إذا تقاعَسُوا عنِ قتالِ الفُرسِ وأبوا مُواجهتِهِم ، فإنَّهُ سَوفَ ينشبُ أظفارَه ويَكشفُ عن نابِهِ وسَوفَ يتجهَّزُ للقَضاءِ عليهِم بعدَ تأمينِ عِيالِهِ وأبنائِهِ ، فهوَ يتهدَّدُ على الفُرسِ مُشترطًا ذلكَ بتقاعُسِ العَرَبِ عن الدِّفاعِ عن أنفسِهِم ، فلوْ كانَ الأمرُ صحيحًا لَمَا ولَّى هَاربًا عندَما رأى ذلكَ الجمعَ ، فالّذي يريدُ الدِّفاعَ لا ينتظرُ شرطا لبلوغِ هدفِهِ .

[1] – أبو عبيدة ، النقائض ، 74/2 .

وتنادي امرأةٌ من بني عِجل قومَها ألا يقبلوا الهَزيمَةَ ، بلْ تَحضُّهُم على القتالِ والنِّزالِ ؛ وتصفُ لهُم مَرارةَ الهزيمةِ ؛ وتُصوِّرُ لهُم ذلكَ بأبشعِ الصُّورِ ، فقالت ([1]) : **[البحر الرَّجز]**

إن يَظفَروا يَحرّزوا فيما الغُرُل إيــه فِـدًى أبي لَـكُم بني عِجل

استخدَمتْ هذِهِ المرأةُ أسلوبَ الشَّرطِ في حَالِ انتصارِ الفُرسِ على العَرَبِ كجانبٍ مِنْ تَحذيرِ قَومِها وإنذارِهم ، فإذا انتصرَ الفُرسُ فإنَّهم سَوفَ يعملون أقصَى جُهودِهِم على إذلالِنا وإهانتِنا ، فَهِيَ تَستعمِلُ أسلوبَ الشَّرطِ تَحذيرًا لهُم مِنْ عَواقِبِ الهَزيمةِ ، فإذا تَحقّقت الهَزيمَةُ فسَوفَ ترتَبِطُ بالإهانةِ النَّكراء .

ارتبطَ أسلوبُ الشَّرطِ في شِعرِ يَومِ ذي قار بعديدٍ مِنَ الأغراضِ الشِّعريةِ ، ففدْ ظَهرَ في الفَخرِ والمَدحِ التَّهديدِ والوَعيدِ والتَّحريضِ والتحذيرِ والوصيَّةِ ، وكانَ هذا الأسلوبُ سِمَةً ظاهرَةً دافعُهُ التَّحدي أو التَّحذيرُ مِنْ أمرٍ قادمٍ أو مدحٍ لبني شَيبان ، أوْ فخرٍ بالإنجازاتِ الفِعليّةِ ، فقدْ استطاعَ الشُّعراءُ منْ خِلالِ الشَّرطِ التّعبيرَ عن تجاربِهِم وأفكارِهم بطريقةٍ ميسَّرةٍ سهلةٍ .

خامسا – الجنـاس :

الجناسُ هوَ تشابُه اللَّفظينِ في النُّطقِ ، واختلافُهما في المعنى ([2]) والجناسُ نوعان : تامٌ ، وهوَ أنْ تتفقُ كلمتان في أنواعِ الحُروف وأعدادِها وهيئاتِها وترتيبها ([3]) وغيرُ التّام : أنْ تختلفُ الكلمتان في أنواعِ الحُروفِ أو عَددِها أو هيئتِها أوْ ترتيبِها([4]) ويُعدُّ الجناسُ أحدَ أفرعِ علْمِ المحسّنات اللَّفظيّة الّتي تستخدَمُ لتزيينُ الكلامِ وإخراجِهِ في أبهى حُلةً ، وبلوغِهِ أعلى درجاتِ التّحسين سَعيا وراءَ بلوغِ الهَدَفِ مِنَ التَّعبير عن الأفكارِ ، وإخراجِ مَكنوناتِ النَّفسِ في قَالبٍ لافتٍ للنّظرِ ، تَسرقُهُ الأسماعُ وينسَابُ في العُقولِ انسيابا .

---

[1] – أبو عبيدة ، النقائض ، 72/2 .

[2] – ينظر : ابن أبي حديد ، شرح نهج البلاغة ، 2404/1 .

[3] – ينظر : القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، 354/1 .

[4] – ينظر : القزويني ، م . ن ، 345/1–362.

كانَ الجناسُ أحدَ أهمِّ المحسناتِ اللَّفظيةِ الّتي استندَ عليها شعرُ يومِ ذي قار ، حيثُ كانَ يعمدُ إليهِ الشُّعراءُ في كُلِّ قَصيدَةٍ ، فَلا تكادُ قَصيدةٌ تخلُو مِنْ هذا اللَّون الفَنيّ الجميل ، ولعلَّ كثرةَ اللُّجوءِ إليه مَنَحتهُ مَكانةً مَرمُوقةً بينَ الظَّواهرِ البلاغيَّةِ الأخرى ، فمِنَ الشَّواهدِ عليه في شِعرِ يوم ذي قار ما قَاله يزيدُ بن المُكسّرِ عندَما طفِقَ يحرِّضُ العَرَبَ على القِتالِ ، ويَحثُّهُم على الثَّبات في المَعرَكَةِ مُستخدمًا ألفاظًا مُتجانِسَةً ، ومن قوْلِهِ ([1]) : **[البحر الرَّجز]**

مَنْ فَرَّ مِنْكُمْ فَرَّ عَنْ حَرِيمِهْ وَجَــارِهِ وفَــرَّ عَــنْ نَديمِهْ

أَنَا ابْنُ سَيّارٍ عَلَى شَكِيْمِهْ إِنَّ الشِّراكَ قُــدَّ مِــنْ أَدِيْمِهْ

وَكُلُّهُمْ يَجْــرِيْ عَلَى قَدِيمِهْ مِنْ قَارِحِ الهَجْنَةِ أَوْ صَمِيمِهْ

يحاولُ الشَّاعرُ زرعَ المَعنويَّاتِ في نُفوسِ العَرَبِ لئلا يَفرُّوا مِنَ المَعرَكَةِ ، وعليهم أنْ يقاتِلوا حَتّى ينتصروا ؛ لأنَّهُم إنْ فرّوا فإنَّهم سيفرّونَ عن حَريمِهِم وأبنائِهِم ، وسَيكونُ عَارًا عليهم ، لكنَّ المُلاحظَ أنَّ الشَّاعرَ استخدمَ أسلوبَ الجناسِ في هَذَهِ الأبيات بشكلٍ واضحٍ ، فيُلاحظُ الجناسُ في الكلمات الآتية (نديمه ، أديمة ، قديمه) فالقارئُ يشعرُ بنغمةٍ موسيقيّةٍ تطرِبُ الأذنَ وتقرّبُ المعنى إلى النُّفوسِ ، فأرادَ ألشَّاعرُ أنْ يعبّرَ عمَّا يجولُ في خاطرِهِ بألفاظٍ سهلةٍ بسيطةٍ ذاتِ معنى كبير ؛ لأنَّ الموقفَ شديدٌ عظيمٌ ، فحاولَ الشَّاعرُ أنْ يهدّئَ منْ روعِ قومِهِ باثًّا في نفوسِهِم وجوبَ الثَّباتِ وعدمَ الهُروبِ .

[1] – أبو عبيدة ، النقائض ، 73/2 .

لقدْ كانَ يزيدُ بن حمارِ السَّكونيّ منَ الشُّعراءِ الَّذينَ طرقوا بابَ الجناسِ في شعرِ يومِ ذي قار ، عندَما اشتدَّ وطيسُ المعركةِ استخدمَ خطتَهُ في عملِ كمينٍ للفُرسِ ([1]) ، ونفَّذَ الخطَّةَ ، ونجحَ بها ، فتراهُ يمدحُ بني شَيبان مُستخدمًا أسلوبَ الجِناسِ في شعرِهِ ، فيقول ([2]) : **[البحر البسيط]**

إنّي حَمِدْتُ بَنِي شَيْبَانَ إذْ خَمَدَتْ نِيْرَانُ قَومِي وَفِيهم شَبَّتِ النَّارُ

يظهرُ أنَّ الشَّاعرَ استخدمَ الجناسَ النَّاقصَ بينَ كلمتي(حمدتُ و خمدتُ) وهوَ جناسٌ غيرُ تامٍّ ، حيثُ اختلفَ اللَّفظانِ في أنواعِ الحروفِ ففي الكلمةِ الأولى(حمدتُ) ، أمّا الكلمة الثانية (خَمَدَت) ، ولا شَكَّ أنَّ الجناس أحدُ المُحسناتِ اللَّفظيةِ ، فبِهِ يتزينُ اللَّفظُ ، وبِهِ يعبّرُ الشَّاعرُ عن أفكارِهِ وآرائِهِ في زينةٍ لفظيّةٍ لافتةٍ للسَّمعِ .

ومِنْ هذهِ الشَّواهدِ على استخدامِ الجناسِ ما قالَهُ قيسُ بن مسعود عندَما أبطأتِ الرَّهائنُ على كِسرى ، فأمرَ بحبسِ قيسِ بنِ مسعودٍ في سِجن ساباط ، وبدأ الشَّاعرُ يُنذرُ قومَهُ عَامدًا إلى استخدامِ الجِناسِ كفنٍّ منْ فُنونِ البديعِ ، وتَراهُ يقول ([3]) : **[البحر الطويل]**

تَمنَّاكَ مِنْ لَيْلَى مَعَ اللَّيْلِ خَـــأئِـــلُ وَذِكْـــرٌ لَهَاْ فِـــيْ الْقَلْبِ لَيْسَ يُزَايِـــلُ

أُحِبُّكِ حُبَّ الْخَمْرِ مَاْ كَـــاْنَ حُبُّـــها إلّـــيَّ وَكُـــلٌّ فِـــيْ فُـؤَاْدِيْ دَاْخِـــلُ

يُنذرُ الشَّاعرُ قومَهُ ممّا حلّ بِهِ منْ كِسرى ، ثمَّ يعرّجُ على ذِكرِ محبُوبَتِهِ ليلى الّتي لمْ تبرحْ خَيالَهُ ، وهوَ يُحبُّها ويقرِنُ حبَّها بحبِّ الخَمرِ وكِلاهُما في قلبِهِ داخلٌ ، ويُلاحَظُ الجناسُ بينَ كَلمتي (ليلى والليل) فهو جناسٌ غيرُ تامّ ، ويبدو أنَّ الشَّاعرَ عَمِدَ إلى ذلكَ كمُحسّن لفظيّ لشعرِهِ ، فَهوَ بمثابةِ زينةٍ لفظيّةٍ يجمّلُ الشَّاعرُ ها شعرَهُ .

---

[1] – ينظر : أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة ، 1/220–221 .

[2] – المكان نفسه .

[3] – الأصفهاني ، الأغاني ، 24/59–60 .

يَعمَدُ عمرو بنُ جبَلَة إلى الجناس محسّنًا لفظيًّا في سياقِ تحذيرِ قومِهِ وتحريضِهِم على الفُرسِ ، فقدْ حضَرَ ذا قار ، وأخذَ يشبهُهُم بالخِرَق الباليةِ استهزاءً بهم ، فيقول ([1]) : **[البحر الرجز]**

يا قــوْم لاَ تغرُرْكُمُ هذِي الخِــرقْ وَلاَ وَميضُ البَيْضِ في الشَّمس برَقْ

مَنْ لــم يقَاتلْ مِنْكُم هذِي العُنُــق فجنِّـــبوه الـــرَّاح واسقُــوه الــمرَقْ

ينادي عمرُو على قَومِهِ ألا تغرّكم هذهِ الخِرَق الباليةِ – الفُرس– فيَحثُّهم على احتقارِ الّذين يتثاقلونَ عن قتالِ الفُرس ، يطلبُ أنْ يجنّبوا الجبانَ منهم شُربَ الخمرِ ، وأنْ يسقوهُ البقايا المُنتنةَ مِنْ الجِلد الّذي سُلِخَ عنه اللَّحم ، تحقيرًا لَهُم ، فنلاحِظُ أنَّه جانسَ بينَ كلمتي (الخِرق والمَرق) وهذا الجناسُ غيرُ تامٍّ ، فقدْ اختلفتا في الحرفِ الأوَّلِ بينَ ميمٍ وخاء ، وهذه حِليةٌ لفظيّةٌ تُطرِبُ السَّامعَ ، وتستلطفُها الأذنُ .

سادسا – الطِّباقُ .

الطِّباقُ والمُطابقةُ والتّضادُّ مسمّياتٌ لمصطلحٍ واحدٍ ، وتعني الجَمعُ بينَ المتضادّين أي مَعنيين مُتقابلين في الجُملةِ ، ويَكونُ الطّباقُ إمّا من لفظينِ منْ نوعٍ واحدٍ ، أو منْ نوعين مختلفين ، ويكون اللَّفظان اسمين أو فعلين أو حَرفين ([2]) ، وتقابُلُ المَعنيين وتخالُفُهما يُزَيّنُ الكلام حُسنًا وطرافةً وجمالا . وقدْ عَمَدَ كثيرٌ منَ الشُّعراءِ الجاهليين إلى عددٍ مِنَ المُحسناتِ البديعيّةِ منْ لفظيَّةٍ ومَعنويةٍ ، وكانَ منْ بينِ الشَّعراءِ الذينَ عمدوا إلى تلكَ المُحسناتِ ، شُعراءُ يومِ ذي قار .

لَعلَّ الدافعَ وراءَ لجوءِ شعراءِ يومِ ذي قار إلى هذا المُحسّن المَعنوي منبثقٌ منْ حياتِهِم المَعيشة ، حيثُ يأتي الشَّاعرُ بالكلمةِ وضدّها انعكاسًا لحالِهِم المتغيّرةِ بينَ حربٍ وسلم ، وهجوم ودفاع ، وصبرٍ واضطراب ، فحياتُهم متناقِضَةٌ ، ومواقفُهم مضطربةٌ معَ أقوامِهم ، فلا شَكَّ أنَّ تلكَ الألفاظَ مُستوحاةٌ مِنْ

---

[1] – الأصفهاني ، الأغاني ، 68/24 .

[2] – ينظر : القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، 317/1–318 .

تلكَ البيئةِ الحربيّةِ الشّديدةِ ، هذا عَلاوةً على ما فيه مِنْ تزيينٍ وطرافةٍ وجمالٍ ، ومِنَ الشُّعراءِ الَّذينَ دقّوا بابَ الطِّباقَ وقالوا فيه شِعرا إياسُ بن قبيصة عندما فرَّ هاربًا مِنْ كِسرى ، فهذا موقفٌ كانَ فيه إياسُ مُضطربًا وخَائفًا ، فقال ([1]) : **[البحر الطويل]**

وأقْـــدَمـــــتُ والخَطّيّ يَخْطِـــرُ بَينَنَا لأعلَــمَ مَـــنْ جَبانُــها مِـنْ شُجَاعِهـَا

يستخدمُ الشَّاعرُ ألفاظَ الطِّباقِ بينَ كلمتي (الجبان والشُّجاع) فهوَ يُقدِمُ ويُسرِعُ على فرسِهِ مُتحديّا الأعداءَ ، وقدْ كانت الرِّماحُ بينهُم تتبختَرُ وتتمرجَحُ ، فهوَ يطابقُ بينَ كلمتين ، وهذا يعكسُ نفسيَّةَ الشَّاعرِ المضطّربَة ، فهوَ يريدُ أنْ يَعرِفَ الشُّجاعَ مِنَ الجبانِ .

ومِنْ مَواطنِ استخدامِ الطِّباقِ يومَ ذي قار ما جاءَ بهِ سويدُ بن أبي كاهل مُفتخرًا عندَما نازلَ الهامَرز يزيدُ بن حَارثَة فقتَلَهُ ودقَّ صُلبَهُ ، فافتخرَ بذلكَ وقال ([2]) : **[البحر الطويل]**

ومنّــا الــذي أوصى بثُــلثِ تُــراثِه عـلى كـلِّ ذي بــاعٍ يقِــلُّ ويكـثر

يظهرُ الطِّباقُ بينَ كلمتي (يقلُّ ويكثرُ) ففي سياقِ فخرِ الشَّاعرِ بيزيد وشجاعتِهِ ، فإنَّهُ يزاوجُ بين الفخرَ بالشَّجاعةِ والفخرِ بالكرمِ موَظِّفًا الطِّباقَ في مَعرِضِ الفَخرِ بالفَضائلِ الكَريمةِ ، فالَّذي أوصى بثلثِ تراثِهِ فقدْ كانَ أعلا في كرمِهِ على كلِّ باعٍ طويلٍ ، فقدْ أضفى هذا الطِّباقُ جمالًا وبهاءً على الصِّياغةِ الشِّعريةِ . كانَ للأعشى نَصيبٌ مِنِ استخدامِ هذا المُحسِّنِ البَديعيّ – الطِّباق – عندما مَدحَ بني شَيبان يَومَ ذي قار ، فقال([3]) : **[البحر الطويل]**

وَأحْمُوْا حِمَى مَا يَمْنَــعُونَ فَأَصْبَحَتْ لَــنَا ظُعُنٌ كَانَــتْ وُقُــوفًا فَحَــلَّتِ

---

[1] – أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة ، 158/1 .

[2] – الأصفهاني ، الأغاني ، 69/24 .

[3] – الديوان ، 37 .

يذكرُ الأعشى ما قدَّمَهُ بنو شيبان يومَ ذي قار في سياقِ مَدحِهِ لهُم ، فَهُم الّذينَ حَمُوا الذِّيارَ والأهلَ ، حَيثُ كانت لَهُم ظُعُنٌ تنتظرُ عمّا تنفرجُ عليه الأمُور ، لكنّها حَلَّت ونَزَلت وأقامت ، ثمَّ أذاقوا الفُرس كأسًا مُرةً ، فالأعشى يُطابقُ في استخدامُه الطِّباق بينَ كلمتي (وقوفا و فحلت) فالوقوفُ عَكسَ الحُلول ، والشَّاعرُ يَجمعُ بينَ المتناقضاتِ في شِعرِهِ لما اعتراهُ مِنْ اضطرابٍ وشدّةٍ وعَدمِ استقرارٍ في تلكَ الحَربِ .

ونلمحُ إياسَ بن قبيصة يَحثُّ فرسَهُ على الإسراعِ عندَما فرَّ من كسرى هاربًا ، فيقول ([1]) :

[البحر الطويل]

وَمَبْثُوثَةٍ بَـــثَّ الـدَّبَى مُسبَطِـــرَّةٍ رَدَدْتُ عَـلَى بِطـــائِهَا مِـنْ سِراعِهَـا

وأقْـــدَمـــتُ والخَطّيّ يَخْطِـــرُ بَينَنَا لأعلَـمَ مَـــنْ جَبانُـــها مِـنْ شُجَاعِهَـا

الطِّباقُ ظاهرٌ في حثِّ فرسِهِ على الإسراعِ ، ورَغمَ سرعتِها إلا أنَّها بطيئةٌ في نَظَرِه ، وهذهِ حالُ الفارُّ منَ الموتِ المحتّمِ ، ثمَّ يستعرضُ صفتي الجُبنِ والشَّجاعةِ في مواجهة كسرى وتحديهِ على سبيلِ الطِّباق ، فهوَ استطاعَ أنْ يَدخلَ على كِسرى حَاملا الهَزيمَةَ ، وفي ذاتِهِ استطاعَ الخُروجَ مِنَ المَدائن دونَ أنْ يُمسَّ بأذى .

إنَّ اللُّجوءَ إلى المُحسِّنات البديعيّةِ اللَّفظيّة يعطي النّصّ زينةً وجمالا ، ولا شَكَّ في أنَّ الشَّعراء الَّذين عَمدوا إلى أسلوب الطِّباق استمدُّوا دلالتَه ومعانيه منَ البيئةِ المُحيطةِ بهم ، فعنَدَ الحديث عن حَربٍ فإنَّهُ سيتركزُ الحديثَ عن خَوض غمارها ، وعن غبارٍ يتعالى وقتلى تفرشُ الأرضَ ، وجرحى يصيحون بأعلى أصواتِهم ، ومقاتلين يهتفون ، فالجوُّ العامُّ يتخلَّلهُ الاضطرابُ والزَّعزعَةُ وعدمُ الهدوء والاستقرار ؛ لذلكَ يستخدمُ الشُّعراءُ أساليبَ تتناسبُ والغرضَ المنشود ، وكانَ الطِّباقُ أحدَ هذه الأساليب .

[1] – أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة ، 220/1

سابعا – الأمرُ والنَّهيُ .

الأمرُ في اللُّغةِ هوَ الشَّأنُ أوْ القَصدُ ([1]) ، يُشَكِّلُ الأمرُ أوْ النَّهيُ منْ أبرزِ الأغراضِ الَّتي عَمدَ إليها شعراءُ يومِ ذي قار ، ويرتبطُ أسلوبُ الأمرِ بالنَّهي في النَبرةِ الآمرةِ الطالبةِ ، وقدْ تشابهتْ أيضا أحوالُ توظيفِ هذين الأسلوبين في شعرِ الأيامِ واندمجا في بعضِ الأبيات ؛ لِمَا ينبثِقُ عن الأمرِ والنَّهي من توصياتٍ ونصائحَ إرشاديةٍ ، حيثُ عمدَ الشُّعراءُ إلى التّوصيةِ والنُّصحِ وبثِّ العِبر في أشعارِهم مستعينينَ بصيغَ الأمرِ والنَّهي ، وقد يَخرجُ معنى الأمرِ أوْ النَّهي إلى معانٍ عديدةٍ ، منها خروج اندماج الأمر بالنَّهي في قول الأعشى إلى التحقيرِ والإهانة ، فقالَ : ([2]) : **[البحر الكامل]**

فاقْعُدْ عَلَيْكَ التَّاجُ مُعْتَصِبًا بِهِ لَا تَـطْلُـبَنَّ سِوَامـنَا فَتَـــعَبَّدَا

يَظهرُ الأمرُ في بدايةِ البيتِ في كلمة (اقعد) لكنَّ الأعشى يتكلمُ مع كِسرى مِنْ قوَّة الطَّرفِ الظَّافر ، فأمرُ الأعشى لكسرى بهذه الطَّريقةِ تحقيرٌ له وإهانة ، ونهى الأعشى في الوقتِ نفسِهِ ألّا يضطرُّهُم إلى إذلاله واستعبادِهِ ، فالبيتُ فيه رائحةُ التّهديدِ والوعيدِ .

ومنْ شواهد الامتزاج بينَ الأمرِ والنَّهي في شعر يوم ذي قار ، ما قاله أخو نُهم يوم ذي قار لفَرسِهِ عِندَما كانَ يحثُّها على الإقدام ([3]) :

[مشطور الرجز]

أَقْدِمْ مِـــحاجُ إنها الأســـاوِرَه

وَلا يَهُـــولَنَّكَ رِجْـــــلٌ نادِرَهْ

فإنّـمَا قَصْـــرُكَ تُـــرْبُ السَّاهِـرَهْ

---

[1] – ينظر : السيوطي ، المزهر في علوم القرآن ، 289/1 .

[2] – الديوان ، 113 .

[3] – الطبري ، جامع البيان ، 197/24 .

يستقي الأمرُ والنَّهيُ في شعرِ يومِ ذي قار دلالتَهُما ومعانيهما من البيئةِ الحربيّة المحيطة به ، وذلكَ واضحٌ حينَ يأمرُ الشَّاعرُ فرسَهُ على الإقدام بفعل الأمر(أقدمْ) ، فهوَ يحثُّه مُحَرِّضًا ويذكّره بأنَّ الأعداءَ هؤلاءِ هم الأساورةُ ، ثمَّ يربطُ الشَّاعرُ بينَ أسلوبِ الأمرِ وأسلوبِ النَّهي في البيتِ الثَّاني ، ويوصيه بعدمِ الخوفِ والجُبن ، فيَصُبُّ أسلوبي الأمر والنَّهي في قالبِ النُّصحِ والوَصيَّة ، والظَّاهرُ أنَّ استخدامَ الأمرِ والنّهي جاءَ مُستوحى منْ بيئةِ المَعرَكةِ وأحداثِها بما يتناسبُ والغرضَ المَنشود ، وهُوَ التَّحريضُ على القِتالِ والتَّحلي بالصّبر ورفع المعنويات .

ومِنَ الشَّواهدِ على استخدامِ أسلوبِ الأمرِ في شعرِ يومِ ذي قار ما قالَه حَنظلةُ بن سَيَّار العجليّ عندَما كانَ مُواليًا للشيبانيينَ ، وأخذَ يحرّضُ قومَهُ على القِتال ، والدِّفاعِ عن كرامَتِهم ، فقال([1]) :

[البحر الرّجز]

يا قَوْمِ طيبوا بالقتالِ نَفْسًا أَجْــدرُ بِيَوْمٍ أَنْ تَفُلُّــوا الفُرْسا

يُخاطبُ حنظلةُ بن سيار العجليُّ قومَهُ وينادي عليهم ، ثمَّ لَجَأَ إلى استخدامِ فِعلِ الأمرِ في بابِ التَّحريضِ والحضّ على القتال ، فالقارئُ لهذا الشِّعر يجدُ أنَّ المَعاني المَطروقَةَ تتحدثُ عن القِتالِ أو المَعركةِ أو الصّبر أو الإقدامِ ، وقدْ جاءَ الأمرُ إمّا بفعلِ الأمرِ الصَّريح أو باستخدامِ المَصدرِ النَّائبِ عن فعلِه ، فيقول حَنظلةُ في سِياقِ الحثِّ على الصَّبر([2]) : **[البحر الرّجز]**

صبــرًا عمير إنها الأساوره

صبرًا ولا تفزعك رجل نادره

فإن نفسي للمنايــا صابره

---

[1] – أبو عبيدة ، النقائض ، 73/2 .

[2]– ينظر : ابن الأعرابي ، أسماء خيل العرب وفرسانها ، 170 .

يَستخدمُ حنظلةُ أسلوبَ الأمرِ بتفعيلِ صِيغةِ المَصدرِ النائبِ عن فعلِ الأمر ، وتقديرُ كلامِهِ اصْبِر صَبْرًا ، ويُكرّرُ الشَّاعرُ هذه الصِّيغة ؛ لأنَّ المعنى الّذي يريدُ الشَّاعرُ هُوَ الحثُّ على الثّباتِ ، وكَم يحتاجُ المُقاتلُ إلى رفعِ المَعنويات ، والحَثِّ على الصّبرِ والثّباتِ حينما يشتدُّ وطيسُ المَعرَكَةِ ، فيندرجُ الأمرُ أيضًا تحتَ سلطانِ الوصِيَّة والنُّصحَ والحَثّ على الصَّبرِ .

ونراهُ أيضًا يسيرُ على الطَّريقةِ نفسِها فيوصِي قومَهُ بالجِدِّ والاجتهادِ والجلَدِ على الشّدائدِ ، ويحرّضُهُم بأنَّه جَاءَ وقتُ الجِدِّ ، فيأمرُهم بالالتزام ، واتباعِ قومِهم ، فيقول ([1]) : **[البحر الرجز]**

قُدْ جَدَّ أشياعُكُم فَجِدُّوا ما عِلَّتِي وَأَنَــا مُــؤَدٍ جَلْــدُ

يَتَّضحُ ممّا سبقَ مِنْ شواهدَ على استخدامِ أسلوبيّ الأمرِ والنّهي أنَّ الشُّعراءَ عَمدوا إلى ذلكَ نتيجةَ الواقعِ المَعيش آنذاك ، فهذهِ حربٌ ونِزالٌ وقتالٌ ، ولا بدّ مِنْ اللُّجوءِ إلى هَذينِ الأسلوبين متنقلين بينَ الأغراضِ الشِّعريةِ ، فإذا جَاءَ غرضُ التَّحريضِ أو الوصيةِ والتَّحذيرِ ، فلا بدّ أنْ تكونَ ألفاظُه بينَ أمرٍ ونهي ، أو ما يدلُّ عليهما من المصادر الَّتي تنوبُ عنها ، لذلكَ فإنَّ هذين الأسلوبين رئيسيين في شعرِ يومِ ذي قار ، نتيجة المَوضُوع المَطروق ، عَلاوةً على التَّنويعِ في الأساليب الَّتي تبعدُ السآمةَ والمَللَ عن القارئ .

ثامنا – الاستفهام :

تناولَ شعراءُ يومِ ذي قار عديدًا من الأساليبِ الإنشائيةِ منْ استفهامٍ وأمرٍ ونهي وغيرها فكانَ الاستفهامُ لامعًا بينَ هذه الأساليب ، فلعلَّ الجوَّ العامّ الّذي يحصرُ الموضوعَ لهُ دورٌ أساسيٌّ في توظيفِ الاستفهامِ ، ومنَ الجديرِ ذكرُه أنَّ الشُّعراءَ عَمدوا إلى استخدامِهِ قاصدين بذلكَ تقريرًا أو إنكارًا أو تهكُّمًا أو

[1] – أبو عبيدة ، النقائض، 2/73–74 .

استبعادًا أو تحقيرًا لعمل ما أو غيرها ، ومن الشُّعراءِ الذينَ قالوا يوم ذي قار شعرًا موشَّحًا بأسلوبِ الاستفهام قيسُ بن مسعود حينَ قال ([1]) : **[البحر الوافر]**

أَلَاْ أُبْلِـــــغْ بَنـــيْ ذُهْـــلٍ رَسُوْلَا فَمَنْ هَذَاْ يَكُونُ لَـكُمْ مَكَـــانِيْ ؟

أَيَاْكُلُهَا ابْنُ وَعْـلَـةَ فِـــيْ ظَـــلِيْفٍ وَيَـــأْمَنُ هَـــيْثَمٌ وَابْـــنَا سِنَاْنِ؟

وَيَـــأْمَنُ فِيْكُـــمُ الْـــذُّهْلِيِّ بَعْـدِيْ وَقَـــدْ سَمـــوّْكُـــمُ سِمَةَ الْبَيَـــأْنِ

لعلَّ الهزيمةَ النَّفسيّةَ الّتي ألمَّتْ بقيسِ بن مسعود عندَما أسرَهُ كسرى دفعتهُ إلى استخدام صيغةٍ عتابيّةٍ في شعرِه ، فعدمُ وجودِ رؤيةٍ واضحةٍ حولَ المصيرِ المحتملِ كانَ سببًا واضحًا في طرحِ الأسئلةِ المُتكررةِ بينَ استبعادِ أنْ يجدوا أحَدًا يَحُلَّ مَكانَهُ في قَومِهِ ؛ لأنَّه كانَ سَيدًا مُطاعًا ، وبينَ استفهامٍ غرضُه عتابُ قومِهِ على فعلِ الحارثِ بن وعلَةَ ، فأدواتُ الاستفهامِ الّتي استخدمَهَا الشَّاعرُ (مَن– الهمزة) وقيسُ ابن مسعودٍ يضحّي بنفسِهِ ليجنّبَ أهلَهُ مذلَّةَ كسرى ، ثمَّ يتساءَلُ عن كفءٍ يضعُه قومُهُ مكانَهُ في سيادِةِ بني شيبان ، مذكّرا إيّاهُم بما فعلَ بهم الحارثُ بن وعلة الّذي أغارَ على السَّوادِ ، وأفسَدَ أمرَهُم .

ومِنْ مظاهرِ استخدامِ الاستفهامِ في شعرِ يومِ ذي قار قولُ أحدِ شعراء ربيعةَ مُتحسّرًا وحزينًا على ما حَدَثَ يومَ ذي قار ، فقدْ دفعَ كِلا الطَّرفين ثمنا باهظًا في مَيدانِ المَعرَكَةِ ، وهذا سبَّبَ همًّا في صدورِ الأشرافِ منهُم ، فقالَ الشَّاعر ([2]) : **[البحر الطويل]**

أَلا مَن لِليلٍ لاَ تغُورُ كَـــواكبُه وهَـــمٍّ سَرى بين الجوانِح جانبُهْ

ألا هلْ أَتاها أنّ جيْشًا عَرَمْرمًا بأسفـل ذي قـــارٍ أُبِيدتْ كتائبهْ

---

[1] – الأصفهاني ، الأغاني ، 63/24 .

[2] - الأصفهاني ، م . ن ، 74/24 .

يتساءلُ الشَّاعرُ حزينا عمَّن يستطيعُ أنْ يتحملَ هذا الليلَ الطَّويلَ ؛ لأنَّ ليلَ المَهمومِ يسيرُ ببطءٍ شديدٍ ، فيتابعُ سيرَ الكواكبِ على بُطئِها ، ويتساءلُ عمَّن بمقدورِهِ أنْ يتعايشَ مع هذا الهمِّ الّذي سكنَ بينَ الضّلوعِ ، ويستخدمُ الشَّاعرُ أداتي الاستفهام (مَن – هل) ليخبّرَ عن كتائبِ الفُرسِ الَّتي أُبيدتْ يومَ ذي قار في مُحاولةٍ للخُروجِ مِنَ الحالةِ النَّفسيَّةِ السَّيئةِ ، فيظهرُ أنَّ الغرضَ من وراءِ الاستفهام بـ (مَن) هوَ استبعادُ وجودِ مَنْ يتحملُ هذا الأذى وهذا الظُّلم ، فقدْ يجوزُ أنْ يكونَ الشّاعرُ مَهمومًا على حالِ العَرَبِ المُمزَّق ، فيكتوي بنار الفُرقةِ أيضًا ، ولكن رغم هذه الفُرقةِ إلا أنَّهم انتصروا وأبادوا الفُرسَ ، ولقَّنوهم درسًا غاليًا عاتيًا .

وقدْ عَمَدَ إلى أسلوبِ الاستفهامِ في قَصائدهِ الَّتي قالَها يومَ ذي قار ، ففي مَعرِضِ حديثِهِ عن قيسِ بن مَسعود ولومِهِ على فِعالهِ ، عرّجَ في سؤالٍ للفُرسِ مُتهكّمًا ممّا اعتقدوه عن بلادِ بني شَيبان ، فيقول ([1]) : **[البحر الطّويل]**

أَمِنَ جَبلِ الأمــرارِ صُرّت خِيَامُكُمْ عَـلَى نَــبأٍ أنّ " الأشافـــيّ " سَائِــلُ

يَستخدمُ الشَّاعرُ أداةَ الاستفهامِ (الهمزة) في الاستفسارِ عنْ مَوضعِ مَجيئِهِم حينَما اعتقدوا أنَّ إتيانَهم منْ الباديةِ إلى بلادِ شيبان سَيَرْوي عطشَهُم ؛ لأنَّ الماءَ والخضراءَ حاضران فيها ، لكنَّهم عندَمَا جاؤوا إليها أُبيدتْ كتائِبُهم ، ووجدوا ما لمْ يَتَوقعوا مِنْ صدٍّ وهدّ وردّ ، فاستفهامُ الشَّاعرِ هنا في موضعِ تهكمٍ وسُخريةٍ على ما توقعوه .

لَمَّا فرّ إياسُ بن قبيصة مِنْ كِسرى رَكِبَ فرسَهُ وبدأ يحثُّها على الإسراعِ ، ويُلاحظُ في حديثِ الشَّاعرِ معَ نفسِهِ استخدامَ أسلوبِ الاستفهامِ وإنَّ الأرضَ رحبٌ فسيحةٌ تشجيعا لنفسِهِ على الهُروبِ فلا يمكنُ أنْ أعجزَ من الوصولِ إلى أيّ مكانٍ أريد ، فيقول ([1]) : **[البحر الطويل]**

[1] – الديوان ، 156 .

أَلَــمْ تَـرَ أنَّ الأرضَ رَحْـــبٌ فَسِيـحَةٌ فَهَــلْ تُــعجِزَنّي بُقْعَـةٌ مِــنْ بِقَاعِهَا؟

يَعمدُ إياسُ إلى أسلوبِ الاستفهامِ فِي أثناءِ هُروبِهِ ، إذْ يَستخدمُ أداتَيْ الاستفهامِ(الهَمزةَ – هلْ) فاللُّجوءُ إلى الهَمزةِ معَ حَرفِ النَّفي (لمْ) يفيدُ التَّقريرَ بأنَّ الأرضَ واسعةٌ وأستطيعُ الهُروبَ أينما شِئتُ ، أمَّا عِندَما انصَرَفَ إلى هَلْ فإنَّه أرَادَ بِذلكَ استفهامًا إنكاريًّا ، فلا يمكنُ أنْ أعجزَ عن أيّ بقعةٍ من بقاعِها؛ لأنَّ الأرضَ واسعةٌ في حينِ أنَّهُ فارسٌ شُجاعٌ عَلاوةً على قوَّةِ فَرَسِهِ الَّتي كانت تَعيشُ في كَنَفِ كِسرى والفُرس .

تاسعا – القَسَمُ:

يُعدُّ القَسَم أحدَ أقسامِ الإنشاءِ غيرِ الطّلبيّ ، فلا يحصلُ الطَلب وقتَ القَسَم ، وقدْ انتشرَ هذا المظهرُ في الشِّعرِ الجاهليّ ، وعندَ دراسةِ يوم ذي قار اتَّضحَ أنَّ هذا المظهرَ قد برزَ بشكلٍ جليّ عندَ شعراءِ هذا اليوم ، فالقَسَم مرتبطٌ بهذا اليومَ ارتباطًا وثيقًا ، ويظهرُ أنَّ القسمَ قدْ انبثقَ مِنْ غرضِ التَّهديدِ والوعيدِ بشكلٍ خاصّ ؛ لأنَّهُ منْ الأغراضِ الشِّعريةِ الذَّائعةِ في الأيَّام والمعارك هو التَّهديدُ والوعيدُ ، وقدْ عمدَ بعضُ الشّعراءِ إلى القَسَم كأسلوب من أساليب التَّهديد والتّعبير عن ذلكَ الغضبِ الّذي تبثُّهُ الصُّدور ، ومِنْ شواهدِ القَسَمِ في شعرِ يوم ذي قار ما قاله الأعشى في ردّهِ على كِسرى برفضِ تسليمِ الودائعِ ، وقَبُولِ الحَربِ فأخذَ يُهدِّدُ كِسرى ، مُقسِمًا بنزولِ الأسودَ– أخو الحوفزان بن شُريك – فقد كانَ أسيرا عندَ كِسرى ([2]) : **[البحر الكامل]**

أَنْ يَأتِيَاكَ بِرُهْنِهِم فَهُـمَا إذن جُهِدَا وَحُـقَّ لِخَـالِفٍ أَنْ يُجْهَـدَا

كَــلَّا ! يَمِينُ اللهِ حَـتَّى تُنْزِلُوا مِنْ رَأسِ شَاهِقَةٍ إلَيْنَا " الأسْوَدَا "

---

[1] – أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة ، 158/1 .

[2] – الديوان ، 53–54 .

لِنُقَاتِلَـنَّكُمُ عَـلـى مَـا خَيَّـلَتْ وَلِنَجْعَلَـنَّ لـمَنْ بَـغَى وَتَمـرَّدَا

يرفضُ الأعشى مبدأ الرّهائن والودائعِ ، ويقبلُ بطرحِ الحربِ والقتال ، فتراه يُقْسِمُ بنزولِ الأسيرِ الأسْوَدِ بن شريك ، ويستمرُّ في تهديده لقتالِ الّذي بغى وتمرد ، فيقسِمُ الشَّاعرُ مستعينًا بِلَفظَ (يمين الله) وهنا نابعٌ من حقدِهِ وغضبِهِ على الفرس وقائِدهم ، فلمْ يقبلِ الذُّلَّ والهوان ، وإنَّما أرادَ الحربَ والقتالَ ؛ لأنَّ الموتَ الشَّريفَ أهونُ منَ العيشِ الذَّليلِ .

يستمرُّ الأعشى في تهديدِهِ ووعيدِهِ كِسرى ، ويقسمُ أنَّه لو رأى كِسرى مقامَ العرب لما توقَّع هذا العدد وهذا الجهاز ، وإنَّه لو رأى هذه الجيوش من وائل سوفَ يكونُ مسيركَ يومَ الهياجِ نكدا مَيْئُوسا منه ، فيقول ([1]) : **[البحر الكامل]**

فَلَعَمْرُ جَدِّكَ لَوْ رَأَيْتَ مَقَامَـنَا لَـرَأَيْتَ مِنَّـا مَنْـظَرَا وَمُـؤَيَّـدا

فِيْ عَارِضٍ مِنْ وَائِلٍ أَنْ تَلْقَهُ يَـوْمَ الهِـيَاجِ يَكُنْ مَسِيرُكَ أَنْكَدَا

يُنوِّعُ الشَّاعرُ في أساليبِ القَسَم في وعيدِهِ لكسرى ، حيثُ استخدمَ هنا عبارةَ (لعمر جدّك) فيبدو أنَّ الشَّاعرَ كانَ غاضبًا ، فلمْ يجبُن ولمْ يتراجعْ ، وإنَّمَّا يُقسِم أنَّهُ على ثقةٍ مِنْ جُيوشِ وائل وتجمعِهِم ، فهوَ يتهدَّدُ مُباهٍ كِسرى بهذه الجُموع الّتي سوفَ تجعلُ مَسيرَهُ نَكِدًا شائِكًا شاقًّا وقتَ القتالِ في أرضِ المَعرَكَةِ .

اشتهرَ الأعشى بموقِفِه المشرِّف في يومِ ذي قار ، فأسهبَ الحديثَ عنْهُ متنقلا بينَ الأغراضِ الشِّعريةِ منْ فخرٍ إلى مدحٍ إلى تهديد ...، مُنوِّعا في الأساليبِ البلاغيَّةِ المُستخدمَةِ في شعرِهِ ، فكانَ القَسَمُ أحدَها ، ويتبينُ أنَّ الشَّاعرَ لوّنَ في أساليبِ القَسَم أيضًا ، فتراهُ يمدحُ بني شيبان ، لكنَّ ألمَهُ كانَ شديدًا ، وهمَّهُ كانَ كَبيرًا على ما جَاءتْ بهِ الحَربُ مِنْ ظلمٍ وفتكٍ ودمَار، فيقول([2]) : **[البحر الطويل]**

---

[1] – الديوان ، 53–54 .

[2] – م . ن ، 37 .

لَعُمْرُكَ مَـــا شَفَّ الفَتَى مِثْـلُ هَمِّهِ إذا حـاجَـــةٌ بَـيْـنَ الحَـــيازِمِ جَلَّــتِ

يُقسِمُ الشَّاعرُ بكلمةِ (لعمرُكَ) عندَما كانَ يمدحُ بني شيبان ثناءً على ما بذلوه في سبيلِ الحفاظِ على الشَّرفِ العربيّ والكرامةِ الأصيلةِ ، ومِنْ الجديرِ ذكرُه أنَّ الشَّاعرَ جاءَ بالقَسَمِ ليعبرَ عمَّا يجولُ في نفْسِه ، فقدْ أصابَهُ الهمُّ واليأسُ منْ فعلِ الحربِ ، ويُقْسِمُ أنَّهُ لا يزيدُ الإنسانُ همًّا أكثرَ ممَّا يكتمُهُ في صدرِهِ ، ولا يستطيعُ البوْحَ به ، فما يُعبّرُ عنه ويخرِجُهُ مِنْ صدرِهِ يهوّنُ عليه مصابَهُ ، وما يبقى في الصَّدرِ يؤلمُ كثيرا .

عاشرا – التَّمَنـي :

يُعدُّ التَّمني أحدَ أضربِ الإنشاء الطَّلبيّ ، وقدْ يُعمدُ إليه عندَما يكونُ في النَّفسِ حاجةٌ للأمرِ يصعُبُ على الإنسانِ الحصولُ عليها ويتمنَّى ذلكَ ، ويستخدمُ أدواتِ التَّمنّي في هذا الأسلوب ، لذا كانَ لهُ ظهورٌ ملحوظٌ في شعرِ يومِ ذي قار ، فَطبيعِيّ أنْ يَكونَ هذا الأسلوبُ رائدًا عندَ الحَديثِ عَنْ حَربٍ أوْ مَعرَكَةٍ ؛ لأنَّ كلًّا مِنْ طرفي القتالِ يتمنَّى الانتصارَ لنفسِهِ ، ويتمنَّى الهزيمةَ للطَّرفِ الآخر ، ومِنْ شواهدِ التَّمنّي ما قالَه قيسُ بن مسعود عندَما كانَ في السِّجن عندَ كسرى ، فتمنَّى لو أنَّهُ يستطيعُ ركوبَ خيلِهِ وحملَ سلاحِهِ ليدافعَ عن قومِهِ ، فكانَ تمنيه منْ قلبهِ المحروقِ لوعةً على قومِهِ ، فقال ([1]) : **[البحر الطويل]**

أَلَاْ لَيْتَنِيْ أَرْشُوْ سِلَاْحِيْ وَبَغْـلَتِيْ فَيُخْبَـــرَ قَـوْمِيْ الْيَوْمَ مَا أَنَا قَائِلُ

فَإِنَّاْ ثَــوَيْنَاْ فِـــيْ شُعُوْبٍ وَإِنَّــهُمْ غَــزَتْهُمْ جُنُـــوْدٌ جَمَّـــةٌ وَقَـبَائِـــلُ

يدمِجُ قيسٌ تمنيه بحرفِ الاستفتاحِ ألا ، فالظَّاهرُ أنَّ الشَّاعرَ تمنَّى لوْ أنَّهُ قريبٌ منْ قومِهِ ليخبِرَهُم عنْ قَولِهِ وعم رأيهِ فيْ ذالكَ اليومِ ، فهوَ يريدُ الدِّفاعَ عنهُم وما يمنعُهُ من ذلكَ هو بُعدُهُ عنهم

[1] – الأصفهاني ، الأغاني ، 59/24 .

وتقييدُه في الأسر ، فاستخدمَ الشَّاعرُ(ليتَ) وهيَ حرفُ تمنِّي لو استطاعَ القتالَ والنّزالَ ، وأرادَ بهذا التّمنّي أنْ يصلَ إلى قومِهِ خبرَ تمنيه ، ليعلموا ما يخفيه في قلبِهِ من حقدٍ على الفُرس وعلى كِسرى .

أما الأعشى فقدْ سارَ في شعرِهِ يلومُ قيسَ بن مسعود على ولائه لكسرى ، فتساءلَ مستنكرًا فعْلَ قيس ، ونرى الشَّاعرَ غاضبا عليه ، فيتمنى لو أغرقتهُ القوابلُ بماء ولادتِهِ ويتمنَّى لهُ الموتَ بسببِ شنيعِ فعْلِهِ ، فيقول مخاطبًا إيَّاه ([1]) : **[البحر الطويل]**

أَقَيْسَ بنَ مَسْعُودِ بن قيسِ بنِ خالدٍ وَأنــت امْرُؤٌ تــرجُو شَبابَــكَ وَائِــلُ

أَطَوْرَيْنِ في عَامٍ : غَــزَاةٌ ورِحْلَــةٌ أَلا ليْــتَ قَــيْسًا غَــرَّقَتْهُ القَوابِــلُ

وَلَيْتَكَ حَــالَ البَحْــرُ دُونَــكَ كلُّــهُ وَكـنْتَ لَقًــى تَجْــرِي عَلَيْــهِ السَّوائِلُ

عَمَدَ الأعشى إلى أسلوبِ التَّمنِي في شعرِهِ ، ومنْ الأدواتِ الّتي استخدمَهَا في البيت الثَّاني(ليت) فقدْ تمنَى الشَّاعرُ الموتَ والغرقَ لقيس بن مسعود ؛ لتحالُفِهِ معَ كِسرى ، واستمرَّ في ذلكَ في البيت الثَّالثِ عندما تمنَّى لو كانَ قيسٌ متاعا تافها ملقًى في وسطِ الطّريقِ فتجري عليه السُّيولُ فتكسَحهُ وتجرفه، وهذا يدلُّ على شدّةِ غضبِ الأعشى على قيس وعظيمِ فعلِهِ السَّيئ ، فلمْ يكتفِ قيس بموالاةِ كِسرى وإنَّما جاءَ معَهُ غازيا بلادَهَ وقومَهَ .

ومِنْ شواهدِ استخدامِ أسلوبِ التّمنّي في شعرِ يومِ ذي قار ما قالتهُ هند بنت النُّعمان عندَما كانتْ في جوارِ هانئ بن قبيصة الشّيباني ، وبلَغَها نبأُ استعدادِ الفرسِ لقومِها ، فاشتدَّ غَضَبَها وأخذتْ تنادي بإبلاغِ قومِها الخبَر لتذرَهُم ممّا هوَ قادمٌ إليهم ، فقالت ([2]) : **[البحر الوافر]**

ألا أبــلغ بنــي بكــر ألوكــا لقــد جَــدَّ النذيــر بَعَنقفير

---

[1] – الديوان ، 156–157 .

[2] – الأصفهاني ، الأغاني ، 63/24 .

فليــت الجيشَ كُـــلهمُ فــدِاكُمْ ونَفْسي والسريـــرِ وذا السرَّيــرِ

إنَّ حرصَ هند على قومِها مِنَ الفُرسِ دفعَهَا لتبلغَهُم عن ذلكَ الاستعداد والتّجهيزِ لمباغتَةِ العربِ في عقرِ دارِهم ، وتبدو عاطفةُ الشَّاعرةِ جياشةً تجاَه قومِهَا ، كيفَ لا وهيَ ابنةُ ملكٍ عربيٍّ ، جلسَ على عرشِ الحيرةِ زمنا ؟ فمنَ هنا دفعتهَا حميتُها ودفعها ولاؤها إلى تمني فداء الجيش كلَّهم لأجلِ انتصارِ قومها ، وتتمنى فداءَ نفسِها وفداءَ ما تملكُهُ كلِّه لهم ، فهيَ كريمةٌ غيرُ بخيلةٍ ، أصيلةٌ ، تتمنى لقومِها كلَّ الخيرِ وتُنذِرُ الجيشَ ونفسَها وكلَّ ما تملِكُهُ فداءً لهم حتَّى ينتصِروا وينالوا منْ عدوّهم .

مِنَ الواضحِ أنَّ أسلوبَ التَّمنِّي ارتبطَ ارتباطًا عميقًا بمعاني الحَربِ والمَعرَكَةِ والفداءِ ، فمِنَ الطّبيعيّ أنْ يظهرَ في شعرِ يومِ ذي قار ؛ فلُوحِظَ تمنّي قيس بن مسعود في نهايةِ تجربَتِه لو استطاعَ الدّفاعَ وحملَ السِّلاحِ نصرةً لقومِهِ ، فهوَ يتألَّمُ على ما فاتَهُ ، وكرّرَ ذلكَ في أبياتِ شعرٍ لهُ قالَها يومَ ذي قار ، وتمنّي هند بنت النعمان فداءَ نفسِها ومُلكِها لقومِها أيضًا مرتبطٌ بمعاني الحربِ والفداء ، وتمنِّي الأعشى الهلاكَ والغرقَ لقيسٍ ما كانَ لولا مُولاتُه لكِسرى فارس ، ألدُّ أعدائِهِم ، فمِنْ هنا يأخذُ أسلوبُ التَّمنِّي مكانَهُ في شعرِ يومِ ذي قار .

المَبحثُ الثَّالثُ – المُوسيقا :

يُقْسَمُ الأدبُ إلى قسمينِ : شعرٌ ونثرٌ ، ولعلّ القالبَ الموسيقيّ هوَ أبرزُ ما يميّزُ الشِّعرَ عن النَّثرِ ، أمَّا المُوسيقا في مفهومِها وماهيَّتِها فيلخِصُها علي يونس بقوله : " هِيَ كلُّ ما في الشِّعرِ منْ خَصائصَ صوتيَّةٍ ذاتِ أثرٍ جماليٍّ أوْ تعبيريٍّ " ([1])أهميَّةُ الموسيقا تنبُع منْ اعتمادِها على الانسجامِ وعلى التآلفِ الَّذي يستصيغُهُ الذَّوقُ مِنْ مُركّبات الشِّعر وعناصرِهِ ، بدْءا بالحروفِ والأجزاءِ والتفصيلاتِ ومرورًا بالبحورِ الشِّعريَّةِ وجرسِها وقوافِيها ... " ([2]) وتبْعا لذلكَ فإنَّ الشَّعرَ يقومُ على الموسيقا ، ويتَّخِذُها وعاءً لمفرداتِهِ وكلماتِهِ ضمنَ قوالبَ صوتيَّةٍ مختلفةٍ منَ الأوزانِ والإيقاعات ، كما أنَّ القالبَ الموسيقيّ هوَ الفيصَلُ في تمييزِ شِقَّي الأدبِ : الشِّعرُ ، والنَّثر .

الشِّعرُ والموسيقا فنانِ متَّصلان ببعضِهِما بعضًا ؛ لأنَّ كليهِما سمعيٌّ ، فالأصواتُ مادَّةُ المُوسيقا، والألفاظُ مادةُ الشِّعر ، والألفاظُ في آخرِ مطافِها تتحوَّلُ إلى أصوات ([3]) وهذا بدورِهِ يساعدُ على تشكيلِ موسيقا الشِّعر ، وذلكَ باختيارِ الألفاظِ المناسبَةِ للموضوع ، ومدى التَّلاؤمِ بينَ الحروفِ والحركات ([4]) ، فالوزنُ والقافيةُ هما عمادُ الموسيقا الشِّعريّةِ ، حيثُ تقومُ القصيدةُ العربيّةُ على أحدِ أوزانِ البحور السِّتَّة عشر ، أمَّا القافيةُ فيتخيَّرُ الشَّاعرُ ما أرادَهُ من حُرُوفِ العربيّةِ ليبني عليها قصيدَتَهُ ، وبناءً على هذا يكونُ الوزنُ والقافيةُ ضَابطين أساسيين في تشكِيلِ موسيقا القَصيدةِ ، فيسايرانِ النَّصَ الشِّعريّ مِنْ مطلَعِهِ إلى خاتمتِهِ بشكلٍ مطّردٍ .

---

[1] – النقد الأدبي وقضايا الشكل الموسيقي في الشعر الجديد ، 6 .

[2] – إيليا فرانسيس ، الشعر العربي المغنى " دراسة تحليلية لموسيقا الشعر " ، 47 ؛ محمد عبد الله حسن ، الصورة والبناء الشعري ، 9 .

[3] – ينظر : شوقي ضيف ، في النقد الأدبي ، 95 .

[4] – محمد زكي العشماوي ، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، 246 – 247 .

تُقْسَمُ المُوسيقا الشِّعريّةُ إلى قسمين ، هما : المُوسيقا الخارجيةُ القائمةُ على الوَزنِ والقافيةِ ، والمُوسيقا الدَّاخليّةُ المُعتمِدةُ على تَكرارِ بعضِ الحُروف ، وتناغُمِ الكلماتِ فيما بينها داخلَ البيتِ الشِّعريَّ ، والمُوسيقا الدَّاخليَّةُ لا تقلُّ أهميَّةً عَنِ المُوسيقا الخارجيَّة ([1]) ، وإنْ يكنْ مِنْ أمرِ المُوسيقا في ماهيَّتِها ومفهومِها فإنَّ الشِّعرَ الجاهليَّ المنظومَ في يومٍ ذي قار قدْ سارَ وفقَ معهودِ القصيدةِ الجاهليّة ، منْ حيثُ الوزنُ والإيقاعُ وما يترتَّبُ على ذلكَ مِنْ تناغمِ الكلماتِ وتَكرارِها ، ملتزِما بقيودِ الوزنِ والقافِيَةِ وما شاكَلَها من القوالبِ المَعهودةِ في الشِّعر العربيّ رغمَ خصوصيّةِ الموضُوع ، والتهابِ العَاطِفَةِ ، واضطرابِ النَّفسِ ، والمفاجآت الّتي تَحدث .

[1] – ينظر : موسيقى الشعر ، 39 .

أولا – الموسيقا الخارجيّة :

1 – الوَزْنُ :

اشترطَ قدامةُ بنُ جعفر في تَعريفِهِ للشِّعرِ أنْ يكونَ موزونا ([1]) واشترطَ في الوَزنِ أنْ يكونَ سهلَ العَرُوضِ([2]) ، وفي الفكرةِ نفسِها يقولُ ابنُ رشيق : " الوزنُ أعظمُ أركانِ حدّ الشِّعر ، وأولاها بِهِ خُصوصيَّة " ([3]) أمّا مفهومُ الوزنِ فقدْ عرَّفَهُ حُسني عبد الجليل : " الوزنُ نَسَقٌ مِنْ الحَرَكاتِ والسَّكناتِ يلتزِمُهُ الشّاعرُ في نَظمِهِ الشِّعريّ ، وقدْ اتَّبعَ الشُّعراءُ أنساقًا مُختلفةً يُطلقُ على كلٍّ منها بحر ، فالبَحرُ نَسَقٌ خاصٌّ منَ الحَركاتِ والسّكناتِ "([4]) وهذه الأمور تكشِفُ عن دورِه الوزنِ الرّئيس في المُوسيقا الشِّعريّةِ ، ويكفي أنْ يكونَ الوزنُ عندَ ابن رشيق أعظمَ أركانِ الشِّعرِ . إذ لا تقومُ القَصيدةُ دونَ إقامةِ الوَزنِ مَهمَا سَمَت معانيها وجادتْ ألفاظُها ، فالوزنُ عِمادُ القَصيدةِ وأساسُ مُوسيقاها ، وقدْ سَارَ شعراءُ الأيّامُ في العصرِ الجاهليّ على هذه الطّريقِ ، ونَظَموا على البَحر الطّويل والبَسيط والوَافر وغيرِها .

وفيما يَخصُّ أوزانَ الشِّعر الجاهليّ يقولُ حُسني عبد الجليل : إنَّ الشِّعرَ الجاهليّ قد اقتصرَ على اثني عشرَ بحرا وهيَ : " الطّويلُ ، والبَسيطُ ، والكاملُ ، والوافرُ ، والمتقاربُ ، والرّملُ ، والرّجزُ ، والمنسرحُ والسّريعُ ، والخفيفُ ، والهزجُ ، والمديدُ " . أمّا المجتثُّ ، والمضارعُ ، والمقتضبُ ، والمتدارِكُ ، فلمْ نعثرُ على شواهدَ في الشِّعر الجاهليّ منظومةً عليها ([5]) ، في حين جاءتْ أوزانُ الشِّعرِ الّذي قيلَ في ذي قار مُجاريةً لأغراض العصر الجاهلي .

---

[1] – ينظر : نقد الشعر ، 14 ، 17 ؛ يوسف حسين بكار ، بناء القصيدة في النقد العربي ، 158 .

[2] – ينظر : م . س ، 35 .

[3] – العمدة في صناعة الشعر وأدبه ونثره ، 134/1 .

[4] – التمثيل الصوتي للمعاني " دراسة نظرية وتطبيقية في الشعر الجاهلي " ، 29 .

[5] – ينظر : التمثيل الصوتي للمعاني " دراسة نظرية وتطبيقية في الشعر الجاهلي " ، 30 .

أمّا شيوعُ البحورِ المُستخدَمَةِ ، فيُعدُّ البَحرُ الطَّويلُ أكثرَ البُحورِ انتشارًا في الشِّعرِ العَرَبيّ ، وهذهِ حَالُ شعرِ يومِ ذي قار ، ثُمَّ البَسيطُ في المَرتبةِ الثّانيةِ رَغمَ الفارقِ النّسبيّ بينَ انتشار الطّويلِ والبَسيطِ ، ثُمَّ جاءَ الرَّجزُ ثمَّ الوافرُ ثمَّ الكاملُ ، وهكذا ، والجدولُ الأتي يُصنِّفُ أسماءَ البُحُورِ المُستخدمةَ ، ويشيرُ إلى عدد مرّاتِ استخدامِها وفقَ التَّرتيبِ التَّنازليّ :

الرقم	البحر الشعري	عدد القصائد والمقطعات والنتف الشعرية
1-	الطويل	14
2-	البسيط	7
3-	الرجز	7
4-	الوافر	4
5-	الكامل	3
6-	مشطور الرجز	2
7-	مجزوء الرجز	1
8-	مجزوء الكامل	1
المجموع	**7**	**39**

ولعلَّ المتمعِّنُ في البحورِ السّابقةِ منْ حيثُ الانتشارُ والشّيوعُ يُلاحظُ أنَّ البحرَ : الطّويل ، والبسيطِ ، والرّجزُ ، والوافرِ ، والكاملِ ، قدْ تَكَرَّرَ استخدامُها رغمَ الفارقِ النّسبيّ بينَها وبينَ البَحرِ الطّويلِ، والمعروفُ أنَّ هذه البحورَ هيَ الأكثرُ انتشارا في الشِّعرِ العربيّ عامّةً – وخُصوصًا البُحور الأربعَة الأولى – ويعودُ هذا إلى القيمةِ المُوسيقيَّة الموجودةِ في تلكَ البُحورِ فالوافرُ والكاملُ والبسيطُ بحورٌ متراقصَةٌ

مغناة ، تتناغمُ معَ الحالةِ الشُّعوريَةِ لشاعرٍ يُقبَلُ على حربٍ فلا يعرِفُ مصيرَهُ ، فيرثِي نفسَهُ أو يتشوَّقُ لأهلِهِ الَّذينَ غابَ عنهم ، أو يمدحُ قومَهُ أوْ يفتخرُ بإنجازاتِهِم ، فالموسيقا المُضطربةُ في هذه البحورِ تنسجمُ معَ الموقفِ العاطفيِّ الَّذي تأجَّجتْ عواطفُهم الجيّاشةُ ، وشعورُهم فيه بالنَّشوةِ والفرحِ والسّعادةِ وقتَ الانتصار ، فنظموا على هذه البُحورِ .

وقدْ استفادَ الشُّعراءُ منْ زحافاتِ التّفعيلاتِ وعللِها في صياغةِ ألفاظِهِم ، وبناءِ تراكيبِهم في البحورِ السَّابقةِ ، وهذا ما يُفَسِّرُ سببَ اعتمادِهم عليها أساسا لموسيقا قصائِدِهِم ، يقولُ حازمُ القرطاجني : " مَنْ تتبَّعَ كلامَ الشُّعراءِ في جميعِ الأعاريضِ ، وجدَ الافتتانَ في بعضِهَا أعمَّ مِنْ بعض ، فأعلاها درجةً في ذلكَ الطَّويلُ ، والبَسيطُ ، ويتلوها الوافرُ ، والكاملُ " ([1]) وترجِعُ كثرةُ استخدامِ الطَّويلِ لاتساعِهِ إلى كثيرٍ مِنَ المعاني ، أمَّا انتشارُ البَسيط فلأنَّهُ يَقربُ مِنَ الطَّويلِ في حِين يرجعُ استخدامُ الكاملِ إلى كونِهِ يَصلحُ لأكثر المَوضوعاتِ ([2]) ، والوافرُ يعدُّ أليَنَ البُحورِ إذْ يُشتدُّ إذا شدَدْتَه ، ويرقُّ إذا رقّقتَهُ ([3]) ، إذًا هُناكَ مُسوغٌ لانتشارِ هذهِ البُحورِ في الشِّعرِ العربيِّ عامَّةً ، فالطَّويلُ – على سبيل المثال – يُستخدَمُ في الصُّورةِ الهادئَةِ والمُضطّربَةِ ([4]) .

كُلُّ ما سبقَ يُفَسِرُ اتكاءَ شعراء يومِ ذي قار في مِحنَتِهم وقَسوةِ ظُروفِهم على الأوزانِ السَّابقةِ وخَاصَّةً الطَّويل ، فهوَ يصلحُ لهذا الجوِّ المُفعمِ بالشدَّةِ والاضطرابِ والخَوفِ وعَدمِ الاستقرار ، فكانتْ أحَاسيسُ الشَّاعرِ تضطربُ أحيانا مِنْ مَوقفٍ لآخر في القَصيدةِ الواحدةِ ، فتراه يثورُ على أعدائِهِ عِندَمَا يتذكرُ الظّلم الّذي حَلّ بِهِم مِنْ كِسرى فارس ، فتثورُ العَاطفةُ وتتحركُ الصُّورةُ باطّرادٍ معَ المشاعرِ الملتهبةِ

---

[1] – منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، 73 .

[2] – أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، 322 .

[3] – المكان نفسه .

[4] – ينظر : إبراهيم أنيس ، موسيقا الشعر ، 69 .

والموقفِ النَّفسيّ المُضطرب ، وأحيانا تَهدأ سريرتُه عندَما يرى النّصرَ المؤزر قدْ حالَفَهُم ، فيمدَحُ ويصفُ ويتغنَّى بالإنجازات .

إنَّ يومَ ذي قار هوَ أحدُ أيّامِ العربِ في الجاهليّة ، ولعلَّهُ أهمُها ، ولكنْ النَّاظرَ في تلكَ الحقبةِ مِنَ الزَّمنِ يجدُ أنَّ الأيّامَ قدْ كثرَتْ ، وقالَ فيها الشُّعراءُ شِعرًا كَثيرا ، فكلُّ يومٍ أخذَ حظَّهُ مِنَ الشِّعرِ، هذا عَلاوةً على أنَّ يومَ ذي قار جاءَ قبيلَ البعثةِ الإسلاميَّةِ بأشهر قليلةٍ ، والمَوضُوعُ يتناولُ اليومَ في زمنِهِ الجاهليّ ، أمّا ما قِيلَ عنهُ في الإسلامِ والعُصورِ المتتاليةِ فهذا ليسَ مَوطنُه وبالتّالي فإنَّ تحديدَ زمنِ الشِّعر كانَ عاملا قويًّا في تحديدِ كميّتهِ ، لذلكَ انحصرتْ البحورُ الشِّعريةُ في عددٍ مُعين .

يَظْهَرُ أنَّ شعراءَ يومِ ذي قار قد نَظمُوا شِعرَهم على الأوزانِ التَّامة ، وقلَّما نظموا على المَجزوءةِ والمشطورةِ ؛ وقدْ يعودُ ذلكَ إلى دفقاتِهم الشُّعوريَّةِ الطَّويلة ، فحينما تتناولُ مَوضوعَ حَربٍ بينَ عَربٍ وفُرسٍ ، فمِنَ المُؤكدِ أنْ يكونَ لها وقعٌ في نُفوسِ الشُّعراءِ العربِ ، فيتناولونَ هذهِ الحرب في شعرِهِم بينَ تهديدٍ ووعيدٍ للأعداءِ ، وفخرٍ بالأمجاد ، ومدْحٍ للقبائلِ المشارِكة فيها ، وهجاءٍ للمتخلِّفينَ المتخاذِلين ، وإنذارٍ من خطرِ يتهدَّدهم ، إذ اقتضتْ تلكَ الدَّفقاتُ الهائجةُ الملتهبَةُ الَّتي تحاكي معركةً بينَ عربٍ وفرسٍ أوزانا طَويلة تنسجِمُ مَعَ امتدادِ العاطفةِ في البيتِ الشِّعريّ الواحد ، وهذا ما لمْ يجدْهُ الشَّاعرُ في مَجزوءِ البحر أو مُخلَّعِهِ أوْ مَشطورِهِ ، لذلكَ عمِدَ إلى الوزنِ التَّام .

2- القافيةُ .

حَظيتْ القافيةُ باهتمامٍ كبيرٍ عندَ النُّقادِ القدماءِ والمُحدثين مُوضِّحينَ تعريفَها ، وكاشفينَ السِّتارَ عن أهميتِها في القصيدةِ ، إضافةً إلى بيانِ قيمتِها الموسيقيَّةِ ، " فالعمليَّةُ الشِّعريةُ ذاتُ وحْدةٍ لا انفصامَ لجانبٍ منها عن الآخر ، وإلا فإنَّ الاضطرابَ لا بدّ ظاهرٌ في القصيدةِ مبدّدٌ لجهدِ الشَّاعر " ([1]) أمَّا مفهومُها فهو : " ذلكَ النَّسقِ منَ الأصواتِ والحركات والسّكناتِ الّتي تتكرَّرُ في نهايةِ الأبيات في القصيدةِ العموديَّةِ القديمةِ " ([2]) ويبدو أنَّ ربطَ القافيةِ بالشِّعر العموديّ دونَ المرسَلِ ، والقديمِ دونَ الحديثِ يُعدُّ مثلبةً في هذا التّعريفِ ، غير أنّ قيمتَها ، الصَّوتيةِ المتمثّلةِ في الموسيقا تستدعي الوقوفَ عندَهَا([3]) .

لأهميةِ القافيةِ تعددتْ شروطُ القدماءِ فيها ، فقدْ ذهبَ قدامةُ بن جعفر إلى وجوبِ " أنْ تكونَ القافيةُ عذبةَ الحرفِ سهلةَ المخرجِ " ([4]) وعدَّها ابنُ رشيق " شريكةَ الوزنِ في الاختصاص بالشِّعرِ ، ولا يسمى شعرًا حتَّى منزلةِ القافيةِ يكونُ له وزن وقافية " ([5]) ويقولُ ابن قتيبة : " والمطبوعُ مِنَ الشُّعراءِ مَنْ سَمحَ بالشِّعرِ ، واقتدرَ على القوافي ، وأدركَ في صدرِ بيتِهِ عجزَهُ ، وفي فاتحتِهِ قافيتَهُ " ([6]) وكلُّ هذهِ الشُّروطِ والآراء تقودُ إلى أهميةِ القافيةِ ، وتكشِفُ عنْ دورِها في القصيدةِ ، وقدْ اهتمَّ الشُّعراء الجاهليون بالقافيةِ ، وأولوهَا مكانةً بارِزَةً في شِعرِهِم ، ولكنَّ تناولَهم كانَ بما يتناسبُ والمَوضوعَ المَطروقَ ، فالحديثُ عنْ مَعركةٍ يختلفُ عنْ الحديثِ عن غزلٍ ، كما يختلفُ كلٌّ منهما عنِ الحديثِ عن رثاءِ شخصٍ أوْ غيرِ ذلكَ .

---

[1] – التنوخي ، القوافي ، 32 .

[2] – حسني عبد الجليل يوسف ، التمثيل الصوتي للمعاني " دراسة نظرية وتطبيقية في الشعر الجاهلي " ، 36

[3] – ناصر بن أحمد الطميزي ، الشعر الجاهلي في أرض العجم " جمع وتوثيق ودراسة " ، 299 ، (رسالة ماجستير) ، جامعة الخليل ، 1431هـ – 2010م .

[4] – نقد الشعر ، 51 .

[5] – العمدة ، 151/1 . وذلك لأن الشعر يقوم على " اللفظ ، والوزن ، والقافية ، والمعنى " . ينظر : ابن رشيق ، م . ن ، 119/1 . وهذا ما ذهب إليه كتاب نقد الشعر في تعريفه للشعر مشترطا أن يكون مقفى . ينظر : قدامة بن جعفر ، 17 ، 24 .

[6] – الشعر والشعراء ، 91/1 .

وفي أهمَّيةِ القافيةِ النَّابعةِ منْ تردُّدِها المنتظم ، ودورِها في الوزنِ النَّغميّ ، فقد وُصِفَت كونها عنصرًا أساسيًّا للوزنِ كتشكُّلٍ إيقاعيٍّ يتمتعُ بقدرٍ كافٍ منَ التّناسبِ والانسجامِ "([1]) ، وقدْ اهتمَّ شعراءُ الأيَّامِ في العصرِ الجاهليّ بالتشكيلِ الإيقاعيّ للقافيةِ ، وهذا الجدولُ يكشفُ مَدى الشُّيوعِ في حُرُوفِ القافيةِ المُستخدمةِ في القصائدِ والمقطعاتِ المنظومةِ في شعرِ يومِ ذي قار :

الرقم	حروف الرويّ	عدد القصائد والمقطعات والأشطر الشّعرية
1-	الألف	8
2-	الرّاء	7
3-	الميم	4
4-	الهاء	4
5-	الفاء	3
6-	القاف	3
7-	اللام	3
8-	الدال	2
9-	النون	2
10-	الباء	1
11-	التاء	1
12-	السين	1
المجموع	**12**	**39**

[1] – فخر الدين جودت ، شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى القرن الثامن الهجري ، 198 .

لوحِظَ عدمُ استخدامِ شعراء يومِ ذي قار في العصرِ الجاهليّ كثيرٍ منْ حُرُوفِ العربيَّةِ في روي القافيةِ ، فقدْ تركوا الحُرُوفَ الآتيةَ : [الهمزةُ ، الثَّاءُ ، الجيمُ ، الحاءُ ، الخاءُ ، الذَّالُ ، الزَّايُ ، الشِّينُ ، الصَّادُ ، الضَّادُ ، الطَّاءُ ، الظَّاءُ ، العَينُ ، الغَينُ ، الكافُ ، الواو ، الياءُ] وقدْ عدّ إبراهيم أنيس مُعظمَ هذهِ الحُرُوف قليلةً ونادرةَ الشُّيوعِ في روي الشِّعرِ العربيّ ([1]) وقدْ كانتْ الحُرُوفُ المُستخدمةُ في روي قَصائد يومِ ذي قار هيَ : [الألفُ ، الباءُ ، التّاءُ ، الدّالُ ، الرَّاءُ ، السّينُ ، الفاءُ ، القافُ ، الّلام ، الميمُ، النّونُ ، الهاءُ] وقدْ عدّ إبراهيم أنيس هذه الحُرُوف أكثرَ شُيوعا وانتشارًا في الشِّعرِ مُقارنةً بغيرِها ([2]) والمُدقِّقُ في خَصائِصِ حُروفِ الرَّويّ يَجدُ أنَّها تتميَّزُ بوضوحٍ سمعيٍّ ، وجرْسٍ موسيقيّ عذْبٍ وجميلٍ كفلَ لها الشُّيوعَ والانتشارَ ، فالرّاءُ حرفٌ قويٌّ يكتسبُ قوَّتَهُ من تردُّدِه التَّكراريّ ، والَّلامُ حرفٌ جانبيٌّ سهلُ المَخرجِ ، وهذهِ حالُ الصَّفيرِ في صوتِ السَّين رغمَ أنَّه صَوتٌ مَهمُوسٌ ، إضافةً إلى غنّةِ الميم والنُّون ، وما في هذه الأصوات من إطباقٍ وانفجارٍ وجهرٍ في بعضها ، وما شاكَلَها من عوامل القوَّةِ الصَّوتيَّةِ والوضوحِ السَّمعيّ .

تنقسمُ القافيةُ إلى قسمين منْ حيثُ الإطلاقُ والتقييد ، وهذا مرتبطٌ بسكونِ حرفِ الرَّوي أو حركاتِهِ ، وفي القيمةِ الموسيقيَّةِ النَّاتجة عن هذين القسمين يقولُ التَّنوخيّ : " القافيةُ المُطْلقةُ أوضحُ في السَّمعِ وأشدُّ أسْرًا للأُذُنِ ؛ لأنَّ الرّويَّ فيها يعتمدُ على حركةٍ بعدَهُ قدْ تستطيلُ الإنشادَ ، وتشبِهُ حينئذٍ حرفَ المدِّ ، فإطالةُ القافية وتمدُّدُها يعطي الفكرةَ عمقا وقوَّةً " ([3]) وقد وظّفَ شعراءُ يومِ ذي قار هذين القِسمين في قوافيهِم ، والجدولُ الآتي يوضحُ حركاتِ الرَّوي المستخدمة :

---

[1] – ينظر : موسيقا الشعر ، 248 .

[2] – ينظر : المكان نفسه .

[3] – القوافي ، 281 .

الرقم	الحركة	عدد القصائد والمقطعات والنتف الشعرية
1-	الكسرة	13
2-	الضمة	10
3-	الفتح : أ- الإطلاق ب- الفتحة	8 ///
4-	السكون	8
المجموع	**4**	**39**

يُلاحظُ منْ خلالِ قراءةِ نتائجِ الجدولِ السّابقِ أنَّ القافيةَ المُطلقةَ في شِعرِ يومِ ذي قار كانتْ أكثرَ شُيوعا بلا شَكّ ؛ لِمَا في القافيةِ مِنْ وقعٍ قويٍّ واستطالةٍ في نفْسِ الشَّاعر ؛ تتيحُ لهُ فرصَةَ إفراغِ مكنوناتِهِ بلا قيد أوْ حَاجِز . ولعلَّ هذه الإطالةَ تحملُ في طيَّاتِها إطالةً أخرى في بثِّ ما جرى في هذه المَعركة على سبيلِ الفَخرِ أو الوصفِ أو غيرِهِ ، ليتسنَّى لهم نشرَ هذهِ المَعرَكَةِ الَّتي أوقعتْ في نُفوسِ الفُرسِ مِنَ الهزيمةِ ما أوقعتْ ، ورفعتْ مِنْ معنوياتِ العَرَبِ كثيرا ، فكانوا يتغنّونَ بنَفَسٍ طَويلٍ مِنْ خلالِ انتقاءِ بحورِ شعريّةٍ مُعيّنَةٍ وألفاظِها وحركاتِها ، والمُلاحظُ أيضا أنَّ الشُّعراءَ قدْ عَمَدوا إلى الحَرَكاتِ القويَّةِ – مثلمَا فعلوا في حَرَوفِ الرَّوي – فالكسرةُ أقوى الحَرَكات ، وهي الأكثرُ شُيوعا في شِعرِ يومِ ذي قار ، ثمَّ الضَّمةُ ثمَّ الفَتحةُ فالسّكون .

وممّا يميّزُ هذا الشّعر غلبةُ الإشباعِ على حَرَكاتِهِ حَيثُ أصبحت حُرُوفًا ، ومِنْ ذلكَ قولُ قيس بن مسعود ([1]) : **[البحر الوافر]**

أَلَاْ أُبْلِـغْ بَنـِيْ ذُهْـلٍ رَسُوْلَا فَمَـنْ هَذَاْ يَكُون لَـكُمْ مَكَـانِيْ

أَيَاْكُلُهَا ابْنُ وَعْلَةَ فِيْ ظَلِـيْفٍ وَيَـأْمَنُ هَـيْثَمٌ وَابْـنَا سِنَاْنِ؟

قالَ مفروقُ بنُ عمرو يرثي مَنْ ماتَ من قومِهِ إبّان إغارتِهِ معَ نفرٍ على سوادِ العراق([2]) :

[البحر الطويل]

أتانـي بأنْبـاطِ السَّوادِ يَسُوقُهـمْ إلـيَّ وأوْدَتْ رَجْلَتـي وَفَـوارِسي

فما أنا مـن رَيْبِ الزَّمـانِ بِجُبَأٍ ولا أنـا مـن سَيْـب الإلهِ بيائسِ

ويقولُ الدَّيان بن جندل ([3]) : **[البحر البسيط]**

إنْ كُنـت ساقيةً يـومًا ذوي كَـرمٍ فـاسْقِي الفـوارسَ من ذُهلِ بن شيبانا

واسقي فوارسَ حامُوا ع عن ذِمارهم واعلـي مَـفارقَهـم مِسكًـا وَرَيْحـانـا

فالكسرةُ قدْ استطالتْ لتصبحَ ياءً – منِ حركةٍ قصيرةٍ إلى حركةٍ طويلةٍ – وكذلكَ الفتحةُ ، وإنَّ شيوعَ ألفِ الإطلاقِ في أشعارِ يومِ ذي قار قد فاقَ انتشارَ الفتحةِ نفسِها ، يُبرزُ لنا الميزةَ ويُوضِّحُ مدى سعي أولئكَ الجاهليين إلى إبرازِ قوافِيها عن طريقِ إطلاقِها بوساطةِ الإشباعِ .

وقَدْ شَاعَ في شِعرِ يومِ ذي قار التزامُ الشُّعراءِ الجاهليين بِعدَّةِ أحرُفٍ في قَوافيهم وهُوَ ما يُسمى " لُزوم ما لا يلزم " ، وهذه الظَّاهرةُ المُطّردة في القَصيدةِ أو المَقطّعةِ تلبِسُ النَّصَّ الشِّعريّ حُلَّةً مُوسيقيَّةً

---

[1] – الأصفهاني ، الأغاني ، 63/24 .

[2]– ينظر : الأصفهاني ، م . ن ، 58/24 ؛ المرزباني ، معجم الشعراء ، 390 . .

[3] – ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 305/2 .

جَميلةَ الإيقاعِ ، عَلاوةً على مُوسيقا القافيةِ النَّابعَةِ مِنْ حَرفِ الرّويّ ، ومِنْ شواهدِ ذلكَ قولُ الأغلبِ العجليّ ([1]) : **[البحر الرجز]**

قدْ عَلِمُوا يومَ خلا يَزيـــنا إذْ مَـــالت الأحياءُ مقبلـينا

أنّـــا بنـــو عِجل إذا لقينا نَمنعُ مـــنّا حـــدّ مـن يلينا

نُقـــارعُ السّـــنين عن بنينا الغَـمرات ثُـــمّ ينجلـــينا

التزمَ الشَّاعرُ بالحُروفِ : " اللّام ، ثمَّ الياء ، ثُمَّ النُّون ، ثمَّ الألف " في قافيتِهِ باطّراد مع المُحافظةِ على الحرَكَاتِ المُستخدمَةِ . ويقولُ إياسُ بن قبيصة الطّائيّ ([2]) : **[البحر الطويل]**

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ الأرضَ رَحْـــبٌ فَسِيـحَةٌ فَهَـلْ تُـعجِزَنّي بُقْعَـةٌ مِـنْ بِقَاعِهَا

وَمَبْثُـوثَةٍ بَـــثَّ الـــدَّبَى مُسبَطِـــرَّةٍ رَدَدْتُ عَـلَى بِطـائِهَا مِـنْ سِراعِهَـا

وأقْـــدَمـــتُ والخَـطّيّ يَخْطِـــرُ بَينَنَا لأعلَـمَ مَـنْ جَبانُـها مِـنْ شُجَاعِهَا

التزمَ الأغلبُ العجليّ بالحروفِ : " الألفُ ثُمَّ العينُ ، ثُمَّ الهاءُ ، ثُمَّ الألف " في قافيتِهِ باطِّراد ، معَ المُحافظةِ على الحَرَكاتِ المُستخدمَةِ . يقولُ يزيدُ بنُ حِمار السَّكونيّ ([3]): **[البحر الرجز]**

مَنْ فَرَّ مِنْكُمْ فَرَّ عَنْ حَرِيمِهْ وَجَـارِهِ وفَـرَّ عَـنْ نَديمِهْ

أَنَا ابْـنُ سَيّارٍ عَلَى شَكِيْـمِهْ إنَّ الشِّراكَ قُـدَّ مِـنْ أَدِيمِهْ

وَكُلُّهُمْ يَـجْرِيْ عَلَى قَـدِيمِهْ مِنْ قَارِحِ الهَجْنَةِ أَوْ صَمِيمِهْ

---

[1] – الهاشمي ، الأمثال ، 182/1 .

[2] – أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة ، 1/ 221/1–222 .

[3] – ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 2/ 73 .

فيزيدُ بنُ حمار التزمَ بالياءِ ، ثُمَّ الميمِ ، ثُمَّ الهاءِ ، في قافيتِهِ باطِّراد ، معَ المحافظةِ على الحَرَكاتِ المُستخدمَةِ . وقالَ الأعشى ([1]) : **[البحر الطويل]**

عَـلَى كُـلِّ مَحْبُـوكِ السَّرَاةِ كَـأَنَّهُ عُقَـابٌ هَـوَتْ مِـنْ مَـرْقِبٍ إِذْ تَعَلَّتِ

فَجَادَتْ عَلَى الهَامَرْزِ وَسْطَ بُيُوتِهِم شَآبِيبُ مَـوْتٍ ، أَسْبَلَـتْ وَاسْتَـهَـلَّتِ

تَنَاهَتْ بَنُـو الأَحْرَار إِذ صَبَرَتْ لَهُمْ فَـوَارِسُ مِـنْ شَيْبانَ غُلْـبٌ فَوَلَّـتِ

وَأَفْـلَتَهم قَيْـسٌ ، فَقُـلْتُ لَعَلَّـهُ يَبِـلُّ لَـئِـنْ كَـانَت بِـهِ النَّعْلُ زَلَّـتِ

يُلاحَظُ في قَصيدةِ الأعشى أنَّهُ التزمَ حَرفَ اللَّامِ المشدَّدَةِ ، ثمَّ التَّاء في جميعِ أبياتِ القصيدةِ ، معَ الالتزامِ بالحركاتِ أيضًا ، ومِنَ الجديرِ ذكرُه أنَّ الشُّعراءَ قدْ التزمُوا بهذهِ الأحرف في المَقطّعاتِ دُونَ القَصائد – باستثناء قَصيدة الأعشى – كما أنَّ التزامَهُم فاقَ الحَرفين ليَصِلَ إلى ثلاثةِ أحرفٍ أو أربعة .

- **عيوب القافية :**

1 – الإيطاء .

وعلى الرغم من عنايةِ الشُّعراءِ الجاهليين بالقافيةِ ، وإعطائِها أولويةً قُصوى ، إلا أنَّهم وقَعُوا في بعضِ العُيوبِ الَّتي تُؤخذُ على الشُّعراء ، ومِنْ ذلكَ وقوعِهِم في الإيطاء ([2]) ، حيثُ قاموا بتَكرارِ كلمةَ القافيةِ بلفظِها ومعناها في أماكنَ متقاربةٍ مِنْ القَصيدةِ أو المَقطّعةِ نفسِها . وهذا ما يُلمسُ قي قولِ الأعشى عندَما وصفَ المُواجهةَ الّتي دارتْ بينَ جنودِ كِسرى والعَرَبِ في مَعرَكَةِ ذي قار([3]) : **[البحر البسيط]**

---

[1]– الأعشى ، الدّيوان ، 37 .

[2] – " هو أن تجمع في شعر واحد بين كلمتين بلفظ واحد ومعنى واحد في أقل من سبعة أبيات" . ابن جني ، مختصر القوافي ، 219 . وفي المعنى نفسه يقول التنوخي : " هو إعادة القافية في الشعر ... وأقبح الإيطاء ما تقارب " . القوافي ، 125 .

[3] – الديوان ، 113 –114 .

وَجُنْدُ كِسْرَى غَدَاةَ الحِنْوِ صَبَّحَهُمْ مِنَّا كَتَائِبُ تُزْجِي المَــوْتَ فانصَرَفُوا

لَقُــوا مُلَمْــلَمَةَ شَهْــبَاء يَقْدُمها للمــوتِ لا عاجــزٌ فيــها ولا خَـرِف

فَرْعٌ نَمَتْهُ فُــروعٌ غيــرُ نــاقصةٍ مُوفَّــقٌ حــازمٌ فــي أمــرِهِ أُنُــفُ

فيــها فــوارسُ محمــودٌ لقاؤهُمُ مِثْــلُ الأَسنَّــة لا مِيــلٌ ولا كُــشفُ

بِيضُ الوُجوهِ غداةَ الرَّوعِ تَحْسَبهم جِنَّــان عَبْس عليها البيضُ والزَّغَــفُ

لمَّا التَقَيْنَا كَشَفْنا عَــنْ جَــمَاجِمِنا لِيَعْلَــمُوا أنّــنَا بكــــرٌ فَيَنصَرفُــــوا

فالمُلاحظُ أنَّ الأعشى قدْ عمدَ إلى لفظَةِ " انصرفوا " في القافيةِ في أقلِّ منْ سبعةِ أبيات مَرَّتينِ ، وقدْ وَرَدَتْ باللَّفظِ والمَعنى نفسِهِ .

ويقولُ مَفروقُ بنُ عمرو يرثِي من مَاتَ مِنْ قومِهِ إبّان إغارتِهِ معَ نَفَرٍ على سَوادِ العِراقِ ([1]) :

[البحر الطويل]

أتــانــي بأنْبــاطِ السَّوادِ يَسُوقُــهــمْ إلــيَّ وأوْدَتْ رَجْــلَتــي وَفَــــوارِسي

فما أنــا مــن رَيْــبِ الــزَّمانِ بِجُبَأٍ ولا أنــا مِــنْ سَيْــبِ الإلــــهِ بيائسِ

أَبْكِي على الدَعّاءِ في كــلِّ شَتْوةٍ ولَهْــفِي علَــى قــيسٍ زمَــامِ الفَوارِسِ

يستخدمُ الشَّاعرُ مَفروقُ بن عَمرو كَلمة " الفَوارسِ " في قافيةِ البيتِ الأوَّلِ ، ويعيدُ تكرارِها في قافيةِ البيتِ الثَّالثِ باللَّفظِ والمَعنى نفسيْهما ، ويقولُ الأعشى في أثناءِ مدحِهِ بني شيبان يومَ ذي قار([2]) :

---

[1]– ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 58/24 ؛ المرزباني ، معجم الشعراء ، 390 .

[2] – الديوان ، 37 .

[البحر الطويل]

أَتَتْهُمْ مِنَ البَطْحَاءِ يَبْرُقُ بَيْضُهَا وَقَدْ رُفِعَتْ رايَاتُها ، فاسْتَقَلتِ

فَثاروا وَثُرْنا ، وَالمنِيَّةُ بَيْنَنَا وَهَاجَتْ عَلَيْنَا غَمْرَةٌ ، فَتَجَلَّتِ

وقد شمَّرْتْ بِالنَّاسِ شَمْطاءُ لاقِحٌ عَوَانٌ ، شَدِيدٌ هَمْزُها فأضَلَّتِ

وَأَحْمُوْا حِمَى مَا يَمْنَعُونَ فَأَصْبَحَتْ لَنَا ظُعُنٌ كَانَتْ وُقُوفًا فَحَلَّتِ

أَذَاقُوهُمُ كَأْسًا مِنَ المَوْتِ مُرَّةً وَقَدْ بَذِخَتْ فُرْسَانُهُمْ وَأَذَلَّت

سَوَابِغُهُمْ بِيضٌ خِفَافٌ ، وَفَوْقَهُمْ مِنَ البِيْضِ أَمْثَالُ النُّجُومِ استَقَلَّتِ

يُكرِّرُ الشَّاعرُ كلمةَ " استقلتْ " في الأبياتِ الشِّعريَّةِ السَّابقةِ ، فيذكرُها رويّا في البيتِ الأوَّلِ منْ ثُمَّ يعودُ إلى تَكرارِها باللَّفظِ والمعنى نفسيْهما ، فعندَ حديثِهِ عنْ الرّايات والنُّجومِ فإنَّهُ يتحدثُ عنْ العلوّ والارتفاعِ ، وهكذا دمجَ معنى استقلتْ بالارتفاعِ أيضا ، فقدْ كانتْ الرّاياتُ مُرتفعَةً ، وكذلكَ السُّيوفُ مِثلُ النُّجوم في ارتفاعِها فوقَ رُؤوسِ الفُرسِ . والأمثلةُ في شِعرِ الجاهليين كَثيرةٌ على الإيطاء ، أمَّا سَببُ وقوعِ الشُّعراء في هذا العَيب فالظَّاهرُ أنَّهم أعادوا كَلمَةَ القافيةِ بلفظِها ومعناها إمَّا تحببًا بذكرها ، أوْ عَجزًا منهم عن الإتيانِ بكَلِمةٍ تنوبُ مَكانَها ، وقدْ علَّقَ ابنُ عَتيق على ذلكَ العَيبِ وقالَ : " وهذا يدلُّ على قلَّةِ إلمامِ الشَّاعرِ بمفرداتِ الُّلغةِ ، إذ عليه ألا يُكرِّرَ ألفاظَ القافيةِ . فممَّا يُستحسَنُ في الشِّعرِ ألا يُكرِّرَ الشُّاعرُ اللَّفظَ بعينه في مَسافةٍ مُتقاربةٍ ، وكلَّما بَعُدَتْ المَسافةُ كانَ أفضل " ([1]) غيرَ أنَّني أرى أنَّ الشُّعراءَ لمْ يقعوا في عيْبِ الإيطاء ، وخصوصًا حينما نقفُ أمامَ شاعرٍ فحلٍ كالأعشى ، أو أمَامَ نماذجَ مبدعَةٍ متقنَةٍ كالتي مرّ ذكرُها . أمَّا سببُ وجودِ هذا العَيب فيعودُ في تقديري إلى أنْ تكونَ الأشعارُ السَّابقةُ – وغيرُها الكثير – قد

[1] – علم العروض والقافية ، 133 .

نالها عَبَثُ الرُّواةِ ، فلمْ تَصلْ إلينا بصُورتِها الصَّحيحةِ ، وهذا ما لُمِسَ بقوَّةٍ في اختلاف الرِّواياتِ – في القِسم الثَّاني منَ الدِّراسةِ " جَمعُ الشِّعرِ وتوثيقُهُ " – وهذا التَّخريجُ لا ينفي احتماليةَ أنْ يكونَ الشُّعراءُ قدْ وقعُوا فِعلا في عَيْبِ الإيطاء .

2– السّناد :

ومنَ العيوبِ أيضا " السِّناد " ([1]) ، حَيثُ اختلفتْ الحُروفُ والحَركاتُ قبلَ حَرفِ الرَّويّ ، وخُصوصًا الجَمعُ بينَ حَرفين – الياء والواو – في حَرفِ التّأسيسِ ، تقولُ هند بنت النُّعمان ([2]) :

[البحر الوافر]

ألا أبلـــغ بني بكـــر ألـوكـا لقـد جَـدَّ النـــذيـــرُ بَعَنقـــفير

فليـت الجيشَ كُـــلهمُ فـدِاكُمْ ونـفْسي والسَّريـــرِ وذا السرَّيـرِ

كـــأنّي عند جـدَّ بهم إليـكُمْ مُعَلقـــةُ الـذَّوائبِ بالـــــعبَورِ

فلو أَنّي أَطقتُ لـــذاكَ دَفْـعًا إذًا لـــدفَعتُهُ بـدِمـــي وزيـري

حيثُ خلطتِ الشَّاعرةُ هند بنت النُّعمانِ بينَ الياءِ والواو في سنادِ حرفِ الرَّوي " الرَّاء المكسورة " فالأبياتُ كلُّها سبق فيها حرفَ الرَّويّ ياءٌ باستثناءِ البيتِ الثَّالث ، فقدْ سبقها واوٌ ، ومن أمثلتها أيضا قولُ ضرار بن سلامة العجليّ في ذلكَ ([3]) : **[البحر الوافر]**

كَسَوْنـا الأَضْجُمَ الـضَّبيَّ لمّـا أتـــانـا حَـــدّ مَصْقـــولٍ رَقيـقِ

---

[1] – " هو اختلاف ما يراعى قبل الروي من الحروف والحركات " . عبد العزيز عتيق ، علم العروض والقافية ، 168 ؛ عبد الله الطيب المجذوب ، المرشد إلى فهم أشعار العرب ، 29/1 .

[2] - ينظر : الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 413/2 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 63/24 .

[3] – ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 73/2 ؛ المرزباني ، معجم الشعراء ، 305 .

وَفــرّتْ ضَبةُ الجَعْـــراءُ لَمَّــا أَجَــدّ بِهِــنّ إتعــابُ الـــوَسِيقِ

أَسَرْنا مِنْهُـــمُ تِسْعِيـــنَ كَهْـــلا نَــقُودُهُــمُ إِلـــى وَضَحِ الطَّرِيــقِ

وجَـــالُـــوا كالنَّعـامِ وأَسلَمـونا إلـــى خَـــيلِ مُسَـوَّمَـةٍ وَنُـــوقِ

يظهرُ منَ الأبياتِ السَّابقةِ أنَّ حَرفَ الرَّوي هوَ القافُ ، ولكنَّ الشَّاعرَ التزمَ فيها أنْ يسبقَ حرفَ الرَّويّ الياءُ باستثناءِ البيتِ الرّابع ، فسبقَهُ حرفُ الواو ، والأمثلةُ على ذلكَ في الشِّعرِ الجاهليّ كثيرةٌ .

3- التضمين .

وهُوَ تمامُ وزنِ البيتِ قبلَ تمامِ المعنى([1]) ، ومن ذلكَ قولُ الأصمّ بكيرِ يومَ ذي قار يحضُّ قومَهُ على المَوت الشَّريف ([2]) : **[البحر الطويل]**

إذا كنتَ تخشى من عدوّكَ صولةً ولمْ تستطع دفعًا لها حينَ يُقدِمُ

فقاتلْ حِفاظًا أو فمُتْ موتَ فارسٍ فللموتِ في أمثالِ هاتيكَ أكرمُ

يُلاحظُ أنَّ البيتَ الثَّاني جاءَ مكمّلا معنى البيتِ الأوَّلِ ، وذلكَ عندَما استخدمَ الشَّاعرُ فعلَ الشَّرطِ في الجُملةِ الأولى : الخَشيةُ وعَدمُ الاستطاعةِ في الدِّفاعِ " فنراه أكملَ جوابَ الشَّرطِ في البيت الثَّاني وهوَ " فقاتلْ حفاظا أوْ فمتْ موتَ فارس " . يقولُ أبو كلبة التَّيميّ لائما بني قيس ثعلبة بسببِ مدحِ الأعشى والأصم بني شَيبان خَاصَّةً ([3]) : **[البحر البسيط]**

جَدّعتُما شَاعِرِيْ قَـومٍ ذَوي حَسَبٍ حُزَّتْ أُنُوفُكُما حَــزًّا بِمِنـــــشارِ

أَعْنِي الأَصَــمَّ وأَعشَانا إذا اجْتَمَــعَا فلا استَعانـــا عَلَــى سَمعٍ وإبصــارِ

---

[1] – التنوخي ، القوافي ، 135 . وهو عند عبد العزيز عتيق : " ألا يستقل البيت بمعناه ، بل يكون المعنى مجزوءا بين بيتين " . علم العروض والقافية ، 166 .

[2]– ينظر : أبو عبد الله اليمني ، مضاهاة أمثال كليلة ودمنة ، 17 .

[3] – أبو عبيدة ، النقائض ، 75/2 .

يَهجو أبو كلبة التّيميّ الأعشى والأصمَ ، ويدعو عليهما بحزِّ الأنوفِ بالمنشارِ ، ولمْ يستوِ المعنى إلا حينَ فسَّرَ أبو كلبة مَنْ همْ الشَّاعران ؟ فحدَّدَهمَا بالأعشى والأصمِّ ، وعرّجَ على عيبِ كلٍّ منهُما . ومِنَ التَّضمينِ في شعرِ يومِ ذي قار قولُ الأغلبُ العجليّ ([1]) : **[البحر الرجز]**

قد علموا يوم خلا يزينا إذ مالت الأحياء مقبلينا

أنّا بنو عجل إذا لقينا نمنع منّا حدّ من يلينا

لقدْ ضمَّنَ الأغلبُ العجليّ بينَ البيتِ الأوَّل والثَّاني ، فلم تستوفِ جُملة " علموا " المفعول به ، فأكملَ علمَهُم بجملَةِ " أنّا بنو عِجل إذا لقينا نمنعُ منَّا حدَّ من يلينا " فسدَّت مسدَّ مفعولي عَلِمَ .

4- الإقواء :

" هو اختلاف المجرى الذي هو حركة الروي المطلق بكسر وضم " ([2]) يقولُ سويدُ بنُ أبي كاهل اليشكري ([3]) : **[البحر الطويل]**

ومنّا الذي أوصى بثُلثِ ثُراثِه على كلّ ذي باعٍ يقِلُّ ويكثرُ

ليالِيَ قُلتمْ يا ابن حِلّزةَ ارتحلْ فزابِنْ لنا الأعداءَ واسمَعْ وأبصرِ

فأدَّى إليكُمْ رهْنَكُمْ وسْطَ وائل حباه بها ذُو الباع عمرُو بنُ منذرِ

يَظهرُ في البيتِ الأوَّلِ أنَّ حركةَ الرَّويّ في كلمةِ (يكثرُ) الضَّمةُ وهيَ فعلٌ مضارعٌ مرفوعٌ ، أمّا البيتُ الثَّاني والثّالث فهيَ الكسرةُ .

---

[1] – الهاشمي ، الأمثال ، 182/1 .

[2] – عبد العزيز عتيق ، علم العروض والقافية ، 133 .

[3] – الأصفهاني ، الأغاني ، 119/13 .

ومثله قولُ قيسِ بن مسعود وهو في سجن ساباط ينذرُ قومَهُ([1]) : **[البحر الطويل]**

ألا لَيْتَنِي أَرْشُوْ سِلَاحِيْ وَبَغْلَتِيْ لِمَنْ يُخْبِرُ الأَنْبَاءَ بكر بْنَ وَائِلِ

فَأُوْصِيْهُمُ بِاللهِ وِالصُّلْح بَيْنَهُمْ لِيَنْصَأَ مَعْرُوْفٌ وَيُزْجَرَ جَأْهِلُ

يُلاحظ الإقواءُ في هذه الأبياتِ عندَما تكونُ حركةُ القافيةِ في البيتِ الأوَّلِ مكسورة في موقعِ عطفٍ أو بدل ، أمَّا البيتُ الثَّاني مرفوعة على الفاعليةّ فيكونُ الإقواءُ بارزًا .

[1] - الأصفهاني ، الأغاني ، 24/59 – 60 . .

ثانيا – الموسيقا الدَّاخِليَّة :

رغمَ أهميَّةِ الموسيقا الخارجيَّةِ في ترسُّمِ إيقاعِ القصيدةِ أو المقطّعةِ ، إلا أنَّ الشُّعراءَ لمْ يكتفوا بها وحدَها في تشكيلِ موسيقا أشعارِهم ، بلْ عمدوا إلى موسيقا داخليَّة تظهرُ منْ خِلالِ الألفاظِ والحُرُوف في البيتِ الواحد ، أو الأبياتِ المُجتمعةِ في لوحةٍ شجيّةِ الإيقاع . فرغمَ اطّراد المُوسيقا الخارجيَّة – الوزنُ ، والقافيةُ – على امتدادِ أبياتِ النّصّ الشِّعري ، وهيمنتها على التَّناسبِ والانسجامِ في النَّغماتِ ، إلا أنَّ الشَّعرَ المنظومَ في يومٍ ذي قار قدْ اشتملَ على ألوانٍ موسيقيَّةٍ متنوعةٍ ظهرتْ في حروفِهُ وكلماتِهُ ، وهذا ما يُطلقُ عليه اسم " الموسيقا الدَّاخليّة " .

تُعرَفُ الموسيقا الدَّاخليَّةُ بأنَّها ذلكَ " الانسجامُ الصّوتيّ الّذي يحقّقُهُ الأسلوبُ الشِّعريّ " ([1]) وقارئُ الشِّعرِ القديمِ بعامَّة والجاهليّ بخاصَّةً ، يحسُّ هذا الانسجامَ الموسيقيَّ ولكنَّهُ لا يتبيَّنُهُ ، أوْ قلْ لا يكادُ يقدرُ على قياسِهِ وضبطِهِ بوسائلِ العَرُوضِ المألوفةِ ([2]) ؛ لأنَّ المُوسيقا في الشِّعرِ ليستْ حُلةً خارجيَّةً تضافُ إليه وتَظهرُ في ثناياه ، وإنّما هيَ وسيلةٌ منْ أقوى وسائلِ الإيحاءِ ، وهيَ الأقدرُ على التَّعبيرِ عن كلِّ ما هوَ عَميقٌ وخفيٌّ في النَّفسِ ([3]) وهناكَ منْ الباحثينَ المُحدثينَ مَنْ جَعَلَ مُوسيقا الشّعرِ الأصليَّةِ هي الموسيقا الدَّاخليّة ، في هذا يقولُ أحمد علي دهمان : " إنَّ موسيقا الشِّعرِ ليستْ في أوزانِهِ وقوافِيهِ فَحسب ، فتلكَ هيَ الإطارُ الخارجيّ الّذي يحفظُ للقصيدةِ بنيتِها الفنيَّةِ ، ولكنْ موسيقا الشِّعر الأصليَّة هي المُوسيقا الدَّاخليّة ([4]) . وإنْ يكنْ هذا الرَّأي ، فإنَّني أرى أنَّ الموسيقا الخارجيَّةَ هي عِمادُ الإيقاعِ في القصيدةِ العَرَبيَّةِ ، أمَّا الدَّاخليّةِ فهيَ شذراتٌ متناثرةٌ في جسمِ النَّصّ الشِّعريّ تُلوّنُ جرسَهُ الَمسموعَ ، وتكسبُهُ

---

[1] – إبراهيم عبد الرحمن محمد ، الشعر الجاهلي " قضاياه الفنية الموضوعية " ، 283 .

[2] - ينظر : إبراهيم عبد الرحمن محمد ، م . ن ، 284 .

[3] – علي عشري زايد ، عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، 162 .

[4] – النقد العربي القديم " قضاياه ودراسات تطبيقية " ، 151 .

قيمةً إيقاعيَّةً ، وهكذا تَسيرُ الموسيقا الدَّاخليَّةُ بمحاذاةِ الخارجيَّةِ دونَ أنْ تطغى عليها ، وهذا ما يُظهِرُه المحوران الآتيان :

1 – أولا – تكرار الكلمات :

عَمَدَ شعراءُ يومِ ذي قار في الجاهليَّةِ إلى التَّكرارِ في جانبٍ كبيرٍ مِنْ أشعارِهم وذلكَ عن طريقِ تَكرارِ كلمةٍ أو أكثر في البيتِ الواحدِ أوْ الأبياتِ المتجاورةِ ، رابطينَ التَّكرارَ بالمعنى في جُلّ أبياتِهم المنظومَةِ ، ومنْ قولِ الأعشى ([1]) : **[البحر البسيط]**

وَجُنْدُ كِسْرَى غَدَاةَ الحِنْوِ صَبَّحَهُمْ مِنَّا كَتَائِبُ تُزْجِي المَوْتَ فانصَرَفُــوا

لَقُــوا مُلَمْــلَمَةَ شَهْــبَاء يَقْدُمها للمــوتِ لا عاجــزٌ فيــها ولا خَـرِف

الواضحُ أنَّ الأعشى كرَّرَ كلمةَ " الموتِ " مرتينِ في البيتينِ السَّابقين ؛ وذلكَ لأنَّ السِّياقَ يتحدَّثُ عمَّا لقيَ الفُرسُ مِنَ الشَّيبانيينَ ، لذا يفتَخِرُ الشّاعرُ بما قدَّمَ الشّيبانيون يومَ ذي قار مِنْ هزيمةِ الفُرسِ والفتكِ بهم ، فاستحضارهُ للموتِ نابعٌ منْ وحي المقامِ ، كما أنَّ لكلمةِ الموتِ تناغمًا موسيقيًّا وانسجامًا لفظيًّا مناسبًا . ويقولُ أبو كلبة التَّيميّ ([2]) : **[البحر البسيط]**

لَــوْلا فَـوارِسُ لا مِــيلٌ وَلا عُــزُلٌ مِـنَ اللّهــــازِمِ ما قاظوا بِـذي قــارِ

مَــــا زِلــتُ مُفترِسًا أجسادَ أفْتيــةٍ تُثِــيرُ أعــطافَها منــــها بآثــــارِ

إنَّ الفَوارِسَ من عِجلٍ هُمُ أنِفُــوا من أن يُخَلّوا لكِسْرى عَرْصَةَ الــــدَّارِ

لاقَوْا فَوارِسَ مــن عِجــلٍ بشكّتِهَا ليسوا إذا قلّــصَتْ حــربٌ بأَغــمارِ

---

[1] – الديوان ، 156–157 .

[2] – الأصفهاني ، الأغاني ، 73/24 .

كرَّرَ أبو كلبةَ التَّيميّ كلمةَ " الفَوارس " في أربعةِ أبياتٍ ثلاثَ مراتٍ ، وقصدَ بالفَوارس هُم فرسانُ العربِ ، ولا شَكَّ في أنَّ معرضَ حديثِ الشَّاعرِ وهوَ مدحُ اللَّهازمِ الَّذينَ كانَ لهم بلاءٌ حسنٌ يومَ ذي قار ، فأرادَ الشَّاعرُ أنْ يثنيَ على فرسانِهِم ؛ لِما قدَّموه يومَ ذي قار ، والمتمعِّن في لفظةِ (فرسان) يتنبهُ إلى وقْعٍ موسيقيٍّ عذبٍ حينما يكونُ الحديثُ عن معركةٍ وحربٍ وفخرٍ بشجاعةِ الجنودِ ، والتَّكرارِ الَّذي عمدَ إليه الشَّاعرُ يُؤكِّد فيه هدفَهُ المرجوّ ، وهوَ إظهار صورةَ فرسان القبائلِ العربيَّةِ من عجلٍ وغيرِها يومَ ذي قار ، فلولا هؤلاءِ الفرسان لكانَ الفوزُ عليهم صعبًا . ويقول الأعشى أيضا ([1]) : **[البحر الكامل]**

آلَيْتُ لا نَعطِيه مِــنْ أبْنَائِنَا رُهُنًا فَيُسِدُهُــمْ كَمَــنْ قَدْ أفْسَدَا

حَتَّى يُفِيـدَكَ مِنْ بَنِـيهِ رَهِينَةً نَعْشٌ ، ويَرْهَنَكَ السَّمَاكُ الفَرْقَدَا

إلّا كَخَارِجَـةِ المُكّــلِّفِ نَفْـسَهُ وَابْنَيْ قَبِيصَةَ أَنْ أَغِيبَ وَيَشْهَدَا

أَنْ يَأتِيَاكَ بِرُهْنِهِم فَهُــمَا إذن جُهِدَا وَحُـقَّ لِخَـالِفٍ أَنْ يُجْهَدَا

يظهرُ التَّكرارُ في كلمةِ " الرَّهنِ والرَّهينةِ " في أربعةِ أبيات أربعَ مراتٍ ، فالأعشى عمدَ إلى هذه اللَّفظة ؛ لأنَّ المقامَ يناسبهُ ذلكَ ، فهذا الشَّعرُ كانَ ردًّا على كسرى برفضِ تسليمِ الودائع والرَّهائن ، لذلكَ نجدُ الشَّاعرَ يركزُ في حديثِهِ على الهدفِ المنشودِ وهوَ تسليمُ الرَّهائن ، والقارئُ المدقِّقُ يجدُ أنَّ الشَّاعَر جعلَ القبولَ بذلكَ الطَّلبِ مُحالا ، ولعلَّ هذه الكلمةَ تضفي على الأبيات حُلَّةً إيقاعيَّةً استطاعَ الشَّاعرُ منْ خلالِها ربطَ أجزاءِ المقطّعةِ بتكرارِ اللَّفظةِ أو إحدى مشتقاتِها للدَّلالةِ على التَّأكيدِ وبيان الأهميَّة ، ولوحِظَ أيضا في الأبيات نفْسِها تَكرارُ لفظةِ " فيفسدهم وأفسدا " مرتين في البيت الأوَّل ، ويبدو أنَّ الشَّاعرَ قدْ أرادَ بيان رفْضِ الطَّلب ، وهوَ ذلكَ الظُّلم والإفساد الَّذي حلّ بمن سبقَهُم عند كِسرى ، لذلكَ لا يُؤَمَنُ لهم عهدٌ

[1] – الأعشى ، الديوان ، 53–54 .

ولا يَثقُ بمواثيقِهِم ، فالشَّاعرُ كرَّرَ لفظةَ الإفسادِ تأكيدًا لتبريرِ رفضِهِ ، علاوةً على أنَّ لفظةَ :" أفسدا " كانت رويَ البيتِ الشِّعريّ ، وأطلقَ الشَّاعرُ العِنانَ لقافيتِهِ فيها فكانتْ ألفُ الإطلاقِ قافيتَها ، وهذا يكسو اللَّفظةَ إيقاعًا موسيقيًّا عذبًا . فقدْ قال يزيدُ بن المكسَّر([1]) : **[البحر الرجز]**

مَنْ فَرَّ مِنْكُمْ فَرَّ عَنْ حَرِيمِهْ وَجَــارِهِ وفَــرَّ عَــنْ نَديمِهْ

أَنَا ابْنُ سَيّارٍ عَلَى شَكِيْمِهْ إِنَّ الشِّراكَ قُــدَّ مِــنْ أَدِيْمِهْ

يظهرُ تَكرارُ لفظةِ " فرَّ" في البيتِ الأوَّلِ ثلاثَ مراتٍ ، وهذا التَّكرارُ يؤكِّدُ عمقَ الموضوعِ فالموضوعُ يدورُ حولَ تعزيزِ مبدأ الثَّبات في نفُوسِ الفُرسان ، فيذكِّرُهم بأنَّ الفِرارَ فرارٌ عن نسائِكم وجيرانِكم ، فالتَّكرارُ تأكيدٌ على الصَّبرِ والثَّباتِ وعدمُ الفِرارِ ، ويبدو أنَّ كلمةَ " فرّ" تضيفُ إيقاعًا موسيقيًّا على البيتِ الشِّعريّ ، ويظهرُ التَّشديدُ في حرفِ الرَّاء جليًّا ، وهذا يُضفِي نَغَمَةً مُوسيقِيّةً جديدةً أيضًا .

ثانيا – تَكرارِ الحروف :

لَجَأ شعراءُ يومِ ذي قار في الجاهليّة إلى إيجادِ موسيقا خفيَّة في ثنايا الكلماتِ ، يحسُّها السَّامعُ دونَ إدراكٍ ملموسٍ ، فيتفاعَلُ معها ، وقدْ قامَتْ هذه الموسيقا على حُروفٍ معينةٍ شكَّلت خُصوصيَّةً للنَّصّ الشِّعريّ ، إضافةً إلى حُسْنِ وقْعها ورتابةِ تردُّدِها ، وهذا ما يُلمسُ في قولِ إياس بن قبيصة الطّائي ([2]) : **[البحر الطويل]**

أَلَــمْ تَـرَ أنَّ الأرضَ رَحْــبٌ فَسِيـحَةٌ فَهَــلْ تُــعجِزَنّي بُقْعَـةٌ مِــنْ بِقَاعِهَا

وَمَبْثُــوثَةٍ بَــثَّ الــدَّبَى مُسبَطِــرَّةٍ رَدَدْتُ عَــلَى بِطائِــهَا مِـنْ سِراعِهَـا

وأقْــدَمــتُ والخَطّيّ يَخْطِــرُ بَينَـنَا لأعلَــمَ مَــنْ جَبانُــها مِـنْ شُجَاعِهـا

---

[1] – ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 2/ 73 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 480/1 ؛ المرزباني ، معجم الشعراء ، 426 ؛ العسكري ، الأوائل ، 290 ؛ العسكري ، جمهرة الأمثال ، 2/ 232 .

[2] – أبو تمام ، ديوان الحماسة ، 221/1–222 .

المتأمّلُ لعجزِ البيتِ الأوَّلِ يجدُ فيه سيطرةً لحرفِ العين في " تعجيز ، بقعة ، بقاع " وهذا البُروزُ للعين جاءَ مِنْ هيمنةِ القافيةِ المتمثِّلةِ في حرفِ الرَّويّ – العَين – وتتجلَّى الصّورةُ وضوحًا في الضَّمير " ها " وذلكَ حينما نقفُ أمامَ كلمتين " بطائِها ، جبانها " فالهاءُ جاءت وصلا لحرفِ الرَّويّ ، أمَّا الألفُ فهيَ الخَروجُ ، وهنا يحاولُ الشَّاعرُ استدعاءَ متعلقاتِ القافيةِ ليوظّفها في الموسيقا الدَّاخليَّة للبيتِ ، علاوةً على توظيفِهِ لموسيقا الرَّويّ نفسِه . فالقافيةُ تمثِّل الموسيقا الخارجيّة ، إلا أنَّ أثرَها امتدَّ إلى تلكَ الموسيقا الخفيَّة المتناغِمَة بينَ أحرفِ البيتِ الواحد ، وهكذا يكونُ الشُّعراءُ قد جعلوا للقافيةِ ومتعلقاتِها حُضُورًا بارزًا في خَلقِ المُوسيقا الدَّاخليَّة في مُحاولةٍ للمُلاءمَةِ بينَ شقي المُوسيقا . أمَّا في سيطرةِ الضَّمائرِ فيقولُ قيسُ ابن مسعود([1]) : **[البحر الطويل]**

غُنينَا وأَغْنــانا غِــنانــا وغَـالَنا مــآكلُ عمّــا عِــنْدكم ومــشاربُ

فإن نحنُ أرْسلنا بألفيْ صحيفةٍ فــلا يقّربــنا منكم الــدهْر راكبُ

تظهُر سيطرةُ ضميرُ " النّاء " المتكلم بقوَّةٍ في البيتين ، وبلَغَ تَكرارَها ستُّ مرَّاتٍ في بيتينِ فقط ، ويضافُ لهذا الضَّمير الجمعيّ قولهُ : " عندَكم ، نحنُ ، منكم " ليصِلَ عددُ ضمائرِ الجمعِ إلى تسعةِ ضمائرٍ في بيتين فقط ، إذا ما أُضيفَ إلى هذا الحَشدِ من الضّمائرِ فإنَّهُ يشكِّلُ سطوةً لنبرةٍ معينةٍ نابعةٍ منْ نقطة سماعه إلى نهايتهِ .

ومن الجديرِ ذكره أنَّ الموسيقا الدَّاخليَّة لا تقتصرُ على موسيقا التَّكرارِ ، وتناغُمِ الحروفِ والكلمات، بلْ إنَّ مجالَها يمتدُّ إلى ما بعدَ ذلكَ لتصلَ إلى البَديع وما فيه من طباقٍ ومقابلةٍ وجناسٍ وما شاكَلَها .

وخُلاصةُ المقال : إنَّ شعراءَ يومِ ذي قار في العصرِ الجاهليّ قد عَنَوا بالموسيقا عنايةً فائقةً ، وأولوها اهتمامًا خاصًّا ، في حينِ بلغتْ عنايتُهم ذروتَها في الموسيقا الخارجيَّةِ .

[1] – الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 407/2 .

المبحثُ الرَّابع– الصُّورةُ الشِّعريةُ :

إنَّ دراسةَ شعرِ يومٍ من أيامِ الجاهليَّةِ يستدعي الالتفاتَ إلى الصُّورِ الشِّعريةِ الّتي كونَتْ اللَّوحَةَ المرسومةَ ، فمِنَ الجميلِ أنْ يَعمدَ الشَّاعرُ إلى إخراجِ نصِّهِ الشِّعريّ وفكرتِهِ في أبَهى حُلة ، وأروعِ مَظهر ، لذلكَ نَجدُ الشِّعرَ العربيّ متَّشِحا بالصُّورِ والتَّشبيهاتِ والكنايات وغيرِها ، فشِعرُ يومِ ذي قار لم يكنْ أقلَّ شأنا عن غيرِهِ من الأيامِ ، بل احتلَّ مكانا سامِقًا مرموقًا ؛ لكونِهِ أوَّلَ يومٍ ينتصرُ فيه العربُ على العَجمِ فقدْ أثَّرَ في نفوسِ الشُّعراءِ العربِ ، وجلَبَ انتباهَهُم ، واسترعى اهتمامَهُم ، ففخروا ومدحُوا ووصفُوا ورثُوا ... الخ ، فلا بُدّ منْ دراسةِ الصُّورة الشِّعريةِ البيانيَّةِ في يومِ ذي قار ، فما هوَ البيانُ ؟ وما أهميتُهُ ؟

البيانُ لغةً : هو الكَشْفُ ، والإيضاحُ ، والظُّهورُ ، وقيلَ فيه : إظهارُ المقصودِ بأبلغِ لفظٍ ([1]) ، أمَّا اصطلاحًا فهوَ : " اسمٌ جامعٌ لكلِّ شيءٍ كَشَفَ لكَ قناعَ المعنى وهتَكَ الحجب دونَ الضّمير حتَّى يفضي السَّامعُ إلى حقيقتِهِ ، ويهجمُ على محصولِهِ كائنا ما كانَ ذلكَ البيان ، ومن أيّ جنسٍ كانَ ذلكَ الدَّليل ؛ لأنَّ مدارَ الأمرِ والغاية الَّتي إليها يجري القائلُ والسَّامعُ ، إنَّما هوَ الفَهْمُ والإفهامُ ، فبأي شيءٍ بلغتَ الإفهامَ وأوضحتَ عن المعنى فذلكَ هوَ البيانُ " ([2]) .

أمَّا عِلمُ البيان فَلَهُ أهميَّةٌ جليَّةٌ كبيرةٌ ، حَيثُ يركّزُ على المعانِي ، فيجعلُ الخَفيّ منها ظاهرًا ، والغائبَ شاهدًا ، والبعيدَ قريبًا ، وهيَ الَّتي تخلِّصُ المُلتَبَسَ وتحلُّ المنعقِدَ ، وتجعلُ المُهملَ مقيَّدًا ، والمقيَّدَ مطلقًا ، والمجهولَ معروفًا ، والوحْشيَّ مألوفًا ، والغُفلَ موسومًا ، والموسومَ معلومًا ، وعلى قدرِ وضوحِ الدَّلالةِ ، وصوابِ الإشارةِ ، وحُسْنِ الاختصارِ ، ودقَّةِ المَدخلِ يكونُ إظهارُ المعنى ، وكلَّما كانتْ الدَّلالةُ أوضحَ أفصحَ ، وكانتْ الإشارةُ أبينَ وأنورَ ، كانَ أنفعَ وأنجعَ والدَّلالةُ الظَّاهرةُ على المعنى الخَفِيّ هوَ البيانُ الَّذي علَّمَهُ إليه اللهُ – تباركَ وتعالى – للإنسان ، وفي ذلكَ قالَ – جَلَّ شأنُه : ﴿ الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ

---

[1] – ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (بين) .

[2] – الجاحظ ، البيان والتبيين ، 1/54–55 .

الْقُرْآنَ(2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ(3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ(4) ﴾[1] وقالَ رسولُ اللهِ ، صلى الله عليه وسلم ، " إِنَّ طُولَ صَلاَةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ[2]مِنْ فِقْهِهِ فَأَطِيلُوا الصَّلاَةَ وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا " [3] .

لقدْ قُسِّمَ علمُ البيانِ أقسامٍ وهي : التَّشبيهُ ، والاستعارةُ ، والحقيقةُ والمجازُ ، والكنايةُ ، ولعلَّ هذه الأقسامِ هيَ الأعمدةُ الَّتي اتكأَ عليها علمُ البيانِ ، وفي سياقِ الحديثِ عن يومِ ذي قار ، فلا بُدّ مِنْ تناول هذه الأقسام منفردةً :

أولا – التّشبيهُ : " هوَ الدَّلالةُ على إشراكِ شيئينِ في بعضِ الصِّفاتِ "[4] وهوَ " إخراجُ الأغمض إلى الأظهرِ " [5] ومنَ الطَّبيعي أنْ يَعمدَ شعراءُ يومِ ذي قار إلى التَّشبيه لِكي يُصوروا يومَهم ويعبّروا عمَّا حصلَ فيه بشتى أنواعِ البيانِ ، ومِنْ تشبيهِهِم قولُ الأعشى في وصفِ لباسِ المقاتلين الفرس [6] :

[البحر الطويل]

سَوَابِغُـــهُمْ بِيضٌ خِفَافٌ ، وَفَوْقَهُمْ مِـنَ البَيْضِ أَمْثَــالُ النُّجُومِ استَقَلَّتِ

يَصفُ الشَّاعرُ دروعَ الجنودِ مِنَ الفرسِ بأنَّها خفيفةٌ ، فلمْ تثقلْهم ولمْ تُعِق حركتَهُم ، فهمْ على أُهبَةِ الاستعدادِ للحرب ، وفوقَ رؤوسِهِم الخوَّاذات الَّتي تلمعُ ، فيشبّهُهَا الأعشى بالنُّجومِ العاليةِ اللامعةِ ، فالمشبهُ (البِيض وهي الخوذاتُ) والمشبَّه به (النّجوم) أداةُ التَّشبيه (أمثال) ووجهُ الشَّبه (اللمعان) ، فالتّشبيهُ مُرسَلٌ مجمل ، والواضحُ أنَّ الشَّاعرَ أرادَ أنْ يشكّلَ صورةَ الجنودِ وهمْ جاهِزون للقتالِ ، مدجَّجُونَ

---

[1]– الرحمن ، 1/55– 4 .

[2]– مئنة : بيان . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (أنن) .

[3]– مسلم ، صحيح مسلم ، 12/3 (رقم الحديث 2046) .

[4]– الثعالبي ، روضة الفصاحة ، 25 .

[5] – المكان نفسه .

[6] – الديوان ، 37 .

بالسِّلاحِ فجاءَ بهذهِ الصُّورةِ ، ويظهرُ أنَّ غرضَ التَّشبيه في ظاهرِهِ تزيينُ المشبَّه وتجميلُ صورتِهِ ؛ ليظهر أنّ قومَهُ قاتلوا وحَاربُوا أعداءً أقوياءَ وفتكوا بِهم ، فهذا الاستعدادُ العَسكري الَّذي كانوا عليه لم يحقِّق لهم هدفَهم ، ولم يَحْمِهم منَ الهزيمَةِ ، فليسَ لهم عذرٌ في هزيمتِهِم . ويقولُ حنظلةُ في وصيتِهِ لقومِهِ بالجِدِّ والاستعدادِ للحرب ([1]). **[البحر الرّجز]**

قد جدّ أشياعُكم فجدُّوا مَـــا علّتي وأنا مُؤدٍ جلْد

والقوسُ فيها وترٌ عُرُدُّ مثلُ ذراعِ البكر أو أشدُّ

يوصي الشَّاعرُ قومَهُ بالجِدّ والاجتهاد للحرب ، ويصفُ لهم شدَّة أوتارِ الأقواس ، ولا شَكَّ أنَّ الشّاعرَ شبَّهَ وترَ القوسِ بذراعِ البَعير في توتُّرِهِ ، فالمشبَّهُ (وترُ القوس) والمشبَّه بِهِ (ذراعُ البعير) وأداةُ التّشَّبيه (مثل) ووجهُ الشَّبه محذوفٌ وهوَ (القوَّةِ أو الشِّدةِ) فهوَ تشبيهٌ مرسلٌ مُفصّل ، ويبدو أنَّ الشَّاعرَ أرادَ أنْ يستثيرَ همَمَ قومِهِ ليجدُّوا في الحربِ ويجتهدوا ، فغرضُ الشَّاعرِ من وراءِ التَّشبيه بيانُ مقدارِ حالِ المشبَّه ، فمِنَ المُؤكَّدِ أنْ يَكونَ وَترُ القوسِ شديدًا ، ولكنَّهُ أرَادَ أنْ يصوّرَ حالَ شدَّتِهِ .

ومِنْ شَواهِدِ التَّشبيه في شِعرِ يومِ ذي قار ما قالهُ ضرارُ بن سلامة العجليّ حينما أسَروا عربا منْ بني يربوع وبني ضبَّة ؛ لموقفِهِم المُشين حينما أرادُوا الانتظارَ بُعيْد المعركةِ وقبلَ انتهائِها سيلحقون بالفائزِ من الطّرفين ([2]) : **[البحر الوافر]**

أَسَرْنا مِنْهُـــمُ تِسْعِينَ كَهْـلا نَـقُودُهُـمُ إِلـى وَضَحِ الطَّرِيــقِ

وجَـــالُـــوا كالنَّعامِ وأَسلَمونا إلـــى خَـــيلِ مُسَوَّمَـــةٍ وَنُـــوقِ

يتحدَّثُ الشَّاعرُ عن موقفِ بعضِ قبائلِ العرب السَّخيف ، فعندَما سمعوا برأي القبائل ، انقضُّوا عليهم وأسرُوا منهم تسعينَ رجُلا ، ثُـمَّ استخدموهم عَنوةً ، فأخذَ الشَّاعرُ يشبّهُهُم بالنَّعام ، فالمشبَّه (الأقوامُ

---

[1] – أبو عبيدة ، النقائض ، 2/72–73 .

[2] – المكان نفسه .

المعنيَّة من بني يربوع وبني ضبَّة ، الكهول) والمشبَّه بِهِ (النَّعام) وأداةُ التَّشبيه (الكافُ) ووجْهُ الشَّبَه الشَّرَد ، والهروب ، والذُّل ، وهو تشبيه مرسل مجمل ، وقدْ ضُرِبَ بها المَثلُ في هذا الشأن ، ويبدو أنَّ غرضَ الشَّاعرِ تقبيح صورة المشبَّه . ومِنْ التَّشبيه قولُ الأعشى واصفًا جنودُ الكتيبَة الشَّهباء ([1]) :

[البحر البسيط]

فيـــها فـوارسُ محمـــودٌ لقاؤهمُ مِثْـل الأَسنَّـــة لا مِيـــل ولا كُـشف

بِيضُ الوُجوهِ غداةَ الرَّوعِ تَحْسَبهم جِنَّــان عَبْس عليها البَيْض والزَّغَــف

يُشبِّهُ الشَّاعرُ الفرسان بالرِّماح ، فالمشبَّه (الفرسانُ) والمشبَّه به (الرِّماح) وأداة التَّشبيه (مثل) ووجه الشَّبه (الحِدَّة والقوَّة) فالتَّشبيه مرسلٌ مُجمل أيضًا ، وهذا غَرَضَهُ بيانُ مقدارِ حالِ المُشبَّه ، فالفرسانُ لا شَكّ أنَّهم أقوياء ، ولكن أرادَ الشَّاعرُ أنْ يبينَ حالَ قوتِهِم فصوَّرَهم كالرِّماح ، ويستمرُ الشَّاعرُ في رسمِ الصُّورِ ، فَهُم بيضُ الوجوهِ يشبِهون جنّان بني عبس ، وقد اشتُهِرَ جنُ بني عبس بشدَّةِ البياضِ ، فالمشبَّه (الفرسان) والمشبَّه به (جنّان عبس) ووجْهُ الشَّبه (البياض) ، وهو تشبيه بليغ ، وغرضُ التَّشبيه هُنا تزيينُ المشبَّه وتجميلُه وتحسينُه . ويلومُ الأعشى قيس بن مسعود ؛ لموالاة الفرس ، فقد خسر كلَّ ما ادخره من مال وجاه جرّاء فعلته ([2]) : **[البحر الطويل]**

تَـــركتَهُم جَهـــلا وكُنتَ عميدَهُم فـــلا يبلغنِّي عنكَ مَا أنـــتَ فاعلُ

وعُـرِّيتَ مِـــنْ وفـــرٍ ومالٍ جمعتَهُ كَـما عُـرِّيت ممَّا تـسِرُّ المغـازِلُ

صور الأعشى قيسَ بن مسعود حينما خسرَ كلَّ ما وفّره عند قومهِ من جاهٍ ومالٍ بالمِغزلِ الّذي ليسَ لهُ ممَّا يغزلُ شيءٌ ، ولا يتراكمُ عليهِ الغَزلُ إلا ليجرّدَ منه مِنْ جديدٍ ، فإذا هوَ عارٍ سليبٌ ، وهذا

---

[1] – الديوان ، 113–114 .

[2] – الديوان ، 156–157 .

تشبيه تمثيلي ، فصوَّر الأعشى قيسا وهو سليبٌ من كلِّ ما وفَّرَهُ بصورة المِغزلِ الذي سُلِبَ منه غزلُهُ ، وهذهِ صورةٌ جميلةٌ أرادَ الشَّاعرُ أنْ يضعَها بينَ يديّ القارئ ، فهو تشبيه صورةٍ بصورةٍ ؛ وهذا جانبٌ مِنْ جوانبِ إبداعِ الشُّعراءِ في العصر الجاهليّ ، والمُلاحظُ أيضًا أنَّ جُلَّ التَّشبيهات تختصُّ بالفرسانِ والجُنودِ والجيوشِ والافتراسِ والقوَّةِ والسُّرعة ، والولاء ... ، وهذهِ ألفاظٌ مُستقاةٌ مِنْ وحي الوَاقع ، فهذهِ مَعرَكَةٌ ، وحَربٌ ، فتناسُبِ الصُّورِ بينَ المَوضُوعِ والألفاظ يقودُ إلى شرفِ المعنى وصحتِهِ ، وإلى الاستقامَةِ في الوَصف أيضا .

ثانيا – الاستعارةُ : وهيَ أنْ تَذكرَ أحدَ طرَفَي التَّشبيه ، وتريدَ بِهِ الطَّرفَ الآخر مدَّعِيا دخولَ المُشبَّهِ في جِنسِ المشبَّه بِهِ ([1]) ، وعرَّفَها عليّ الجرجاني أنَّها " ما اكتُفِي فيها بالاسم المستعارِ عن الأصلِ ، ونُقِلتْ العِبارةُ فجُعِلتْ في مكانِ غيرِها ، ومَلاكُها تقريبُ الشَّبَه ، ومناسبةُ المُستعار لَهُ للمستعار مِنه ، وامتزاجُ اللّفظ بالمعنى ؛ حتى لا يوجد بينهما منافرةٌ ، ولا يتبينُ في أحدِهما إعراضٌ عن الآخر"([2])، ويقولُ الجرجاني : إنَّ كلَّ استعارةٍ مجازٌ وليسَ كلُّ مجازٍ استعارةً([3]).

فالاستعارةُ تشبيهٌ حُذِفَ أحدُ طرفَيه ،وهيَ ذاتُ قيمةٍ فنيَّةٍ كونها تختارُ أسلوبَ المجازِ للتعبير، فهيَ مِنْ هذهِ النَّاحيةِ كما يقولُ العلماءُ : تنقلُ اللَّفظَ منْ معناهُ الأصليّ الّذي وُضِعَ لَهُ إلى معنًى آخر مجازيّ ، بينَه وبينَ المعنى الأصلي مشابَه ، للتأثير في نفسِ السَّامع ، وهيَ أبلغُ منَ التَّشبيه ؛ لأنَّ تركيبَها يحملنا على تناسي التَّشبيه ، ويدعونا إلى تخيُّلِ صورةٍ جديدةٍ ([4]) ، وتُقسمُ الاستعارةُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ : الاستعارةُ التَّصريحيَّةُ ، وهيَ ما صُرِّحَ فيها بلفظِ المشبّه بِهِ ، والاستعارةُ المكنيَّةُ وهيَ ما حُذِفَ

---

[1] – ينظر : الجاحظ ، البيان والتبيين ، 293/1 .

[2] – علي الجرجاني ، الوساطة ، 41 .

[3] – ينظر : أسرار البلاغة ، 398 .

[4] – ينظر : حسين الدراويش ، سلسلة بلاغتنا ، 408 .

فيها المُشبَّه بهِ ، والأخيرةُ الاستعارةُ التَّمثيليَّةُ الّتي تقومُ على المَثَل ، ومِنْ الشَّواهدِ على الاستعارةِ في شعرِ يومِ ذي قار ما قاله الأعشى ([1]) : **[البحر الطويل]**

فَثــــارُوا وثـــرنا والمنــيةُ بينَنَا وهاجَــتْ علــينا غَمرة فتجلَّتِ

وقَدْ شمَّرتْ بالنّاسِ شمطاءُ لاقحٌ عــوانٌ ، شديدٌ همزُها فــأضلَّ

يبدو في البيت الأوَّلِ أنَّ الشَّاعرَ يصفُ يومَ ذي قار وما حَلَّ فيه ، فاستخدمَ الشَّاعرُ ألفاظَ العراكِ والقتالِ والإثارةِ ، لكنْ الاستعارةَ واضحةٌ في جملةِ (والمنيةُ بينَنَا) فنرى الشَّاعرَ يشبّه المنيَّةَ بشيءٍ مادّيٍّ يدورُ بيَنهم ، حَذَفَ المشبَّه بِهِ وهوَ (الشَّيءُ المادّيُّ) وأبقى شيئًا منْ لوازمِهِ وهوَ كلمةُ (بينَنَا) على سبيلِ استعارة مكنيَّة ، والقرينةُ الَّتي تمنعُ إرادةَ المعنى الحقيقيّ هيَ وجودُ المنيَّة بينَهُم كائِنَةً . أمَّا البيتُ الثَّاني فقدْ شبَّه الشَّاعرُ الحربَ بالعجوزِ الَّتي استبانَ حملُها ، وهذه كنايةٌ عن الشِّدةِ والتَّعبِ ، صرَّحَ بالمشبَّه بهِ ، وهوَ العجوزُ الشَّمطاء على سبيلِ الاستعارةِ التَّصريحيَّةِ ، والقرينَةُ الَّتي تمنعُ إرادةَ المعنى الحقيقيَّ هيَ عبارةُ (شديدٌ همزُها) .

ومِنْ شواهدِ الاستعارةِ في شعرِ يومِ ذي قار ما قالَهُ أبو كلبة التَّيميَّ عندَما غضبتْ اللَّهازم مِنْ مدحِ الأعشى لبني قومِهِ خاصَّةً ، فأخذَ يصفُ فعلَهُم ([2]) : **[البحر البسيط]**

لَــوْلا فَـوارِسُ لا مِــيلٌ وَلا عُــزُلٌ مِـنَ اللّهــــازِمِ ما قاظوا بِــذي قارِ

مَــــا زِلــتُ مُفترِسًا أجسادَ أفْتيــةٍ تُثِــيرُ أعــطافَها منـــــها بآثـــارِ

تظهرُ الاستعارةُ في البيتِ الثَّاني ، فقدْ شبَّه الشَّاعرُ نفسَهُ بالحيوانِ المفترسِ ، حَذَف المشبَّه بِهِ وهوَ (الحيوانُ المفترسُ) وأبقى شيئًا مِنْ لوازمِهِ وهوَ (الافتراسُ) على سبيلِ الاستعارةِ المكنيَّة ، والقرينَةُ

---

[1] – الديوان ، 36 .

[2]– الأصفهاني ، الأغاني ، 73/24 .

الَّتي تمنعُ إرادةَ المعنى الحقيقيّ هيَ (أجسادُ أفتيَةٍ) ، وشبَّه أجسادَ الفتيَةِ بالفريسةِ ، حذفَ المشبَّه بِهِ (الفريسةُ) وأبقى شيئا مِنْ لوازمِهِ (مفترسا) على سبيل الاستعارةِ المكنيَّة ، والقرينَةُ الَّتي تمنعُ إرادةَ المعنى الحقيقيّ (مفترسا) . وقالَ الأعشى مجيبا أبا كلبة التَّيميَّ([1]) : **[البحر البسيط]**

أبلغْ أبا كَلبةَ التَّـــيميَّ مألُكةً فَأنتَ مِنْ مَعشّرٍ – واللهِ – أشرار

شيـبانُ تــدفـــعُ عنكَ آونَةً وأنــتَ تنبحُ نبحَ الكلبِ في الغار

يهجو الشَّاعرُ أبا كلبةَ التَّيميّ ، ويقسِمُ واصفًا إياهُ بأنَّهُ منْ قومٍ أشرارٍ ، علاوةً على نعتِهِ بالكلبِ النبَّاحِ ، فقدْ شبَّه الأعشى أبا كلبةَ بالكلبِ في جملَةِ (وأنتَ تنبحُ) ، حَذَفَ المشبَّه به (الكلب) وأبقى شيئا مِنْ لوازمِهِ وهوَ (تنبحُ) على سبيلِ الاستعارةِ المكنيَّةِ ، والقرينَةُ الَّتي تمنعُ إرادةَ المعنى الحقيقيّ (إثباتُ النُباح لأبي كلبة) . يقول الأعشى في معرضِ حديثِهِ عن وصفِ الفُرسِ في يوم ذي قار حينما قدِموا لمحاربةِ العرَبِ ، فقدْ غطوا الأفُقَ مِنْ كثرةِ عددِهم ، فكانوا كاللَّيل المظلِمِ ([2]) : **[البحر البسيط]**

لَـمَّا أتَــوْنَا كَـأنَّ الليـلَ يَقْدُمُهُمْ مُطَبِّقَ الأرْضِ يَغْشَاهَا بِهِم سُدَفُ

شبَّهَ الأعشى كثرَةَ الجيوشِ الفارسيَّةِ بحلولِ اللَّيلِ الَّذي سدّ الأفقَ عندَما حلّ وغطى الضِّياءَ ، حَذَفَ المشبَّه (كثرَةُ الجيوشِ) ، وصرَّحَ بالمشبَّه بِهِ (حلول اللَّيلِ) على سبيلِ الاستعارةِ التَّصريحيَّةِ ، والقرينَةُ الَّتي تمنعُ إرادةَ المعنى الحقيقيّ (يغشاها بِهِم سُدَفُ) .

---

[1] – الأصفهاني ، الأغاني ، 73/24 .

[2] – الديوان ، 114 .

ونلاحظُ أن هندَ بنت النُّعمانِ تستخدمُ الاستعارةَ التمثيليَّةَ في سياقِ إنذارِها لقومِها ، أنَّ ظُهورَ بني بكر ، وظفرها من الفرس سيكون بشارةً لها ، وغيرُ ذلك سيكون نكبةً خلَّت بهم ([1]) : **[البحر الوافر]**

فَـإنْ تَـكُ نـعمـةً بـظهورِ بَكرٍ فأكـــرِمْ بِالـــبِشارةِ لِلبَشـــيرِ

وإنْ تــكُ نـكبةً فــعلــيَّ منـهَا كمامِـيرَ الـــدَّهيمُ بمُستمــيرِ

تصور هند بنت النُّعمان حالتها عندَما تحِلُّ بقومِها نكبةُ الهزيمةِ ، فإنَّنه سيكون حملًا ثقيلا سيعتريها ، وهو مثلُ حِمْلِ ناقةِ الدّهيم الّتي ضُرِب بها المثلُ ؛ لأنَّها حَمَلت رؤوسَ قومٍ قُتِلوا ، إذْ قيل " أثقلُ مِنْ حِمل الدّهيم " ([2]) ، فقد شبَّهت حَالتَها بعدَ الهزيمَةِ والنَّكبَةِ والمُصيبَةِ ، بحالةِ ناقَةِ الدّهيمِ . وهِيَ استعارةٌ تمثيليّةٌ .

ثالثا – الحقيقةُ والمجازُ :

الحقيقةُ : هيَ الكلمةُ المُستعملةُ فيما وضعتْ لَهُ في أصلِ الخِطابِ ([3]) ، أمَّا المَجازُ : " فهوَ ما أريدَ بِهِ غَير المعنى المَوضوع لَهُ في أصلِ اللُّغةِ ، وهوَ مأخوذٌ منْ جازَ منْ هذا المَوضع إلى هذا المَوضِعِ إذا تخطاه إليه ، فالمَجازُ إذًا اسمٌ للمكانِ الّذي يجازُ فيه كالمِعاجِ والمَزار وأشباهَهما ، وحقيقتُهُ هيَ الانتقالُ منْ مكانٍ إلى مكان ، فجعلَ ذلكَ لنقلِ الألفاظِ مِنْ محلٍ إلى محل "([4]) ، وقالَ ابنُ الأثيرِ في المَجازِ أيضًا : " هوَ نقلُ المعنى مِنْ اللَّفظِ الموضوع لهُ إلى لفظٍ آخر غيره " ([5]) .

---

[1] – الأصفهاني ، الأغاني ، 24 /63 ؛ الحلّي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 413/2 .

[2] – الهامشي ، الأمثال ، 9/1 .

[3] – ينظر : القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، 250/1 .

[4] – ابن الأثير ، المثل السائر ، 74/1 .

[5] – م . ن ، 75/1 .

علاقاتُ المجازِ بالمرسَل هي : العلاقةُ الجزئيةُ ، والكليّةُ ، والسببيَّةُ ، والمسببيَّةُ ، والمحليَّةُ ، والحاليَّةُ ، والماضوِيَّةُ ، والمستقبليَّةُ ، والآليَّةُ ، والضِّديَّةُ ، والمجاوِرَةُ ([1]) ، فلا بُدّ لعصرٍ عمادُ تراثِهِ قائمٌ على البلاغةِ والفصاحَةِ وفنونِ القولِ أنْ يستشهدَ بأمثلةٍ على المجازِ فالتَّشبيه مجازٌ ، والاستعارةُ مجازٌ ، والكنايةُ مجازٌ ، لذلكَ عندَ تَتَبُّعِ أشعار يومِ ذي قار نجدُ فيه منَ المجازِ المرسَلِ شواهدَ كثيرةً ، منها قولُ قيسِ بن مسعود ([2]) : **[البحر الطويل]**

فَإِنَّاْ ثَــوَيْنَاْ فِــيْ شُعُوبٍ وَإِنَّــهُمْ غَــزَتْهُمْ جُنُــوْدٌ جَمَّــةٌ وَقَـبَائِــلُ

قالَ قيسُ بن مسعود هذا البيتَ عندَما أمرَ كِسرى بأسرِهِ في الإيوان ، ويَظهرُ أنَّ الشّاعرَ استخدمَ المَجازَ في عبارتِهِ (ثوينا في شعوبٍ) إذْ أرادَ أنْ يقولَ لقدْ أقمنا أوْ نزلنا في مكانٍ يعجُّ بالشّعوبِ ، فلا تجوزُ الإقامةُ أو النُّزول في الشُّعوب ، وإنَّما يكونُ في مكان وجودِ الشّعوبِ ، لذلكَ فالعلاقةُ حالّيَّةُ ، أطلقَ الشَّاعرُ الحالَ وأرادَ المَحل (فحالُهُم كحالِ الشّعوب) . وقال قيسٌ في مَعرِضِ حديثِهِ عن إنجازاتِ اللَّهازمِ يومَ ذي قار ([3]) : **[البحر البسيط]**

إنَّ الفَوارِسَ من عِجلٍ هُمُ أنِفُــوا من أن يُخَلّوا لكِسْرى عَرْصةَ الدَّارِ

أرادَ الشَّاعرُ أنْ يُظهرَ إنجازاتِ بني عجلٍ عندَما مدَحَ الأعشى بني شيبان خاصَّةً ولمْ يمدحِ اللَّهازم ، فغضبَ لذلكَ أبو كلبةَ التّيميَّ ، وأخذَ يفتخرُ بأفعال اللَّهازمِ وما قدَّموه يومَ ذي قار ، فتراه يستخدمُ المجازَ في عبارةِ (عرصَةَ الدّار) فأطلقَ الشَّاعرُ الجزءَ وأرادَ الكلَّ ، فهوَ يقصدُ ديارَ بني بكرٍ ، ولكنَّه أطلقَ

---

[1] – ينظر : حسين الدراويش ، **سلسلة بلاغتنا** ، 422–424 .

[2] – الأصفهاني ، **الأغاني** ، 60/24 .

[3] - الأصفهاني ، **م . ن** ، 73/24 .

الجزءَ وأرادَ الكلّ فالعلاقةُ في المجازِ جزئيَّةٍ . ومنْ شواهدِ المجازِ قولُ الأعشى يصفُ ما حلّ في الفُرسِ يومَ ذي قار منْ ذلٍّ وإهانَةٍ ([1]) : **[البحر الطويل]**

أذَاقُـوهُمُ كَأْسًا مِـنَ المَوْتِ مُـــرَّةً وَقَـدْ بَذِخَـتْ فُــرْسَانُهُمْ وَأذَلّــتِ

يُبينُ الشَّاعرُ ما جاءَ بهِ يومُ ذي قار ، فقدْ حمَلَ ذلا وخنوعًا أحاطَ بالفُرسِ منْ قِبلِ الشّيبانيين والعربِ عامَّةً ، ويُلاحظُ المجازُ في عبارةِ (أذاقوهُم كأسًا من الموتِ) فعلاوةً على ما في هذا البيتِ من استعارةٍ ، فإنَّ المجازَ المُرسلَ واضحٌ وضوحُ الشّمسِ ، فقدْ أطلقَ الشَّاعرُ الكلَّ (الكأس) وأرادَ الجزءَ وهوَ (ما بداخلِهِ) فالعلاقةُ هنا كليَّةٌ ، فلا تُشرَبُ الكأسُ ، وإنَّما يُشْرَبُ ما فيها ، رغمَ أنَّ السَّائلَ مُرٌّ ، ويقولُ الأعشى في موضعٍ آخر ([2]) : **[البحر الكامل]**

آلَيْتُ لا نَعطِيه مِنْ أبْنَائِنَا رُهُنًا فَيُفسِدُهُــمْ كَمَــنْ قَدْ أفْسَدَا

حتَّى يُفِيدَكَ مِنْ بَنِيهِ رَهِينَةً نَعْشٌ ويَرْهَنَكَ السَّمَاكُ الفَرْقَدا

يُؤرّخُ الشَّاعرُ رفضَهُ طلبَ كسرى بالرَّهائنِ في شعرِهِ ، فلمْ يقبلِ الأعشى بذلكَ ، وإنَّما أصرَّ على الرَّفضِ ، فقدْ عَمِدَ الشَّاعرُ إلى المَجازِ في كلمةِ (رهنا) ، فقدْ سمَّى الشَّاعرُ الأبناءَ على اعتبارِ مَنْ سيؤوّلُ إليه أمرُهم ، فلو قَبِلوا بتَسليمِ أبنائهم لأصبحوا رهائنَ عندَ كسرى ، فالعلاقةُ مستقبليَّةٌ .

---

[1] – الديوان ، 36 .

[2] – الديوان ، 54 .

رابعا – الكِنايةُ :

الكِنايةُ لغةً : " مصدرُ كَنيَ ، وكَنيتُ عن الشَّيءِ إذْ عبَّرتُ عنهُ بعبارةٍ أخرى تُفْهِمُ معناه ، والكنايةُ: مِنَ الاكتنانِ وهوَ السِّترُ ، وأصلُها كِنايَةُ ، وإنَّما قُلِبَتْ النُّونُ ياءً هرَبًا مِنْ تَكرارِ نونَين "([1]) ، أمَّا اصطلاحًا : " فهيَ تركُ التَّصريحِ بالشَّيءِ إلى ما يساويهِ في اللُّزومِ " ([2]) ، و " وهيَ أنْ تتكلمَ بشيءٍ وتريدُ غيرَه "([3]) وسمِّيتْ كنايةً ؛ لِما فيها مِن إخفاءِ وجه التَّصريحِ بالشَّيء ، ويُعرِّفُها عبد القاهرِ الجرجاني بقولِهِ " أنْ تُطلِقَ اللَّفظَ وتريدُ لازِمَ مَعناهُ مَع قرينةٍ لا تمنعُ مِنْ إرادةِ المعنى الحقيقيّ " ([4]) يقولُ الشَّيخُ فضل عباس معلِّقا على تعريفِ الجرجاني : نستطيعُ أنْ نفرِّقَ بينَ الكنايَةِ وبينَ المجازِ ، فإنَّ المجازَ لا بدّ فيهِ منْ قرينةٍ تمنعُ منْ إرادةِ المعنى الحقيقيّ ، أمَّا القرينةُ في الكنايَةِ فلا تَمنعُ منْ إرادةِ المعنى الحقيقيّ ، بلْ يجوزُ إرادتَهُ كذلكَ ([5]) .

تُقسَمُ الكِنايةُ باعتبارِ المُكنّى عنْهُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ : كنايةٌ عن الصِّفة : وهيَ الَّتي يُطلبُ بها نفسُ الصّفةِ ، والمرادُ بالصِّفةِ هنا الصِّفةُ المعنويةُ ، وكنايَة عن المَوصُوفِ : وفيها تُذكر الصّفةُ ، ويستُرُ الموصوفُ مع أنَّهُ هوَ المقصودُ ، والصّفةُ هيَ اللازمُ منَ الموصوفِ ، ومنها تنتقلُ إليه ، وثالثا الكِنايةُ عنْ النِّسبة : وفيها يُذكرُ الموصوفُ ، ويُذكرُ معَهُ شيءٌ ملازِمٌ لَهُ ، وتُذكرُ الصّفةُ ، ثُمَّ تُنسى هذهِ الصّفةُ إلى الشَّيءِ المُلازمِ للموصوفِ ، فهيَ إذا تخصيصُ الصّفةِ بالموصوفِ أوْ إثباتُ أمرٍ لأمر ، أو نفيِهِ عنْهُ ([6]) ، ويُعَدُّ شعرُ يومَ ذي قار شاهدًا على الكِنايةِ ومنْ هذه الأمثلة قولُ الأعشى ([1]) : **[البحر البسيط]**

---

[1] – ابن الأثير ، جوهر الكنز ، 100 .

[2] – الطيبي ، التبيان في البيان ، 406 .

[3] – ابن أبي حديد ، شرح نهج البلاغة ، 1239/1 .

[4] – دلائل الإعجاز ، 25 .

[5] – ينظر : فضل عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها ، علم البيان والبديع ، 243 .

[6] – ينظر : حسين الدراويش ، سلسلة بلاغتنا ، 434–436 .

لمَّا التَقَيْنَا كَشَفْنا عَـنْ جَـمَاجِمِنا لِيَعْلَـمُوا أنّـنَا بكـــرٌ فَيَنصَرِفُـــوا

قالُوا البـقيَّةَ والهِنْـديُّ يحْـصُدُهم ولا بقِـيَّةَ إلا الـــنَّارُ فـــانـكَشفوا

تظهرُ الكِنايَةُ في شعرِ يومِ ذي قار ، ففِي البيتِ الأوَّلِ تتجلَّى الكِنايَةُ عندَما قالَ (كشفْنَا عن جماجِمِنا) فأرادَ الأعشى أنْ يفتخرَ بقوَّةِ قومِهِ وشدَّةِ بأسِهِم يومَ ذي قار ، فقدْ عمِدَ إلى لفظِ الكنايةِ لإظهارِ معنى أرادَه ، فهيَ كنايةٌ عن صفةِ الشَّجاعةِ والقوَّةِ . أمَّا البيتُ الثَّاني فتبدوا الكِنايةُ في الجملة الآتية (والهنديُّ يحصدُهُم) وهذهِ كنايةٌ عن شِدَّةِ القَتلِ في مقاتلي الفُرسِ ، فهيَ كنايةٌ عن صفةِ شدَّةِ القتلِ وكثرَةِ القتلى . ويقولُ الأعشى أيضًا ([2]) : **[البحر الكامل]**

لَسْنَا كَمَنْ جَعَلَتْ إيادٌ دَارَها تَكْرِيتَ تَمْنَـــعُ حَبَّهَا أنْ يُحْصَدَا

قَوْمًـا يُعــالِجُ قُمَّلًا أبنَاؤهُمْ وسَلَاسِلًا أجُـدًا وَبَـابَـا مُؤصَدا

تَعرَّضَ الأعشى للهجومِ في شعرِهِ على قبيلةِ إياد الّتي أضطرها موقعها إلى مُمالأةِ الفُرسِ ، فاستخدمَ الكنايةَ في هذا الشَّعرِ حينَما قال (قومًا يعالجُ قمَّلًا أبناؤُهم) وهذِهِ كِنايةٌ عن صفةِ الذُّلِّ الّتي صوَّرَ الإياديينَ عليها، فهمْ يقضونَ أوقات فراغِهِم في معالجَةِ القَمل المنشرِ في أبدانِهِم ، بدلًا مِنْ أنْ يقفوا إلى جانبِ إخوانِهِم العرب الَّذينَ يجابهونَ أعتى قوَّةً على وجْهِ الأرض آنذاك .

---

[1] – الديوان ، 113 – 114 .

[2] – الديوان ، 53 .

ويقولُ قيسُ بن مسعود وهوَ في سجن كسرى ([1]) : **[البحر الوافر]**

تَطَـــأوَلَ لَـــيْلُهُ وَأَصابَ حُـــزْنًا وَلَاْ يَرْجُو ٱلْفكَـــاكَ مـــعَ الْـمِـــنَاْنِ

عمدَ الشّاعر في هذا البيتِ إلى لفظِ (تطاولَ ليْلُهُ) فهنا أرادَ الشَّاعرُ أنْ يُكنّي عنْ ألمِهِ وقهرِهِ واضطرابِهِ الّذي يعاني منهُ وهوَ في السّجن ، فاللَّيلُ لا يتطاولُ على المَرءِ ، وإنَّما يشْعرُ بطولِهِ المتألمِ ، الّذي أصَابَهُ الحُزنُ ، والَّذي ينتظرُ بزوغَ الأملِ ، فالكِنايَةُ هُنا عنْ صِفةِ الألمِ والحُزنِ والقَلقِ والاضطرابِ .

أمّا الكناية عن النّسبة – وهي نسبة للصفة إلى جزء من كائنٍ حيّ – فالأعشى يمثّلُ لهذا اللون من الكنايةِ إذْ يقول ([2]) : **[البحر البسيط]**

وظَعنُنا خَلْفَنَا كُحْلًا مَدَامِعُهَا أكبادُهَا وُجُفٌ ممّا تَرَى تَجِفُ

يَصفُ الشّاعرُ أهوالَ المَعركةِ ، فيتحدّثُ عن ظعنِهِم والدُّموعُ في عيونِها ، وأكبادُها ترجِفُ من شدّة الخَوفِ ، لما تُسفِرُ عنه هذهِ المَعارك الطَّاحنةُ ، فالكنايةُ هُنا في جملة (أكبادُها وُجُفٌ) إذْ ينسب الشَّاعرُ صِفَةَ الخَوفِ إلى الأكبادِ ، وهيَ كنايةٌ عن خَوفِ هذه النِّساءِ ، واضطرابها .

لقد دُرِسَ شعرُ يومِ ذي قار في القسم الأوّل دراسةً موضوعية ، ثمَّ فنيَّة ، وكان شعره صريحًا وواضحًا على الدراسيتين : الموضوعيّة بأغراضِها الشّعريَّةِ المُتعددةِ ، ثُمَّ الفنيَّة بفصولِهَا المتعدِّدَةِ أيضَا ، ويشكِّلُ يومَ ذي قارٍ لوحةً تاريخيَّةً سياسيّةً أدبيَّةً جديرةً بالدِّراسة ، ولعلَّهُ من أهمِّ الأيَّام العربيّة التي يجبُ الاهتمامُ بها ، والتعمُّقُ فيها ؛ لكونهِ مفصلًا مهمًّا في تاريخِ العرب بعامّةٍ والشيبانيين بخاصةٍ .

---

[1] – الأصفهاني ، الأغاني ، 63/24 .

[2] – الديوان ، 114 .

شعرِ يومِ ذي قار في العصرِ الجاهلي

" جمعٌ وتوثيقٌ "

مَنهَجُ الجَمعِ والتَّوثِيقِ

لقد جمعتُ شعرَ يومِ ذي قار في العَصرِ الجاهليّ ووَثَّقتُهُ ، من مصادرِهِ الأصيْلَةِ من دواوينَ شعريةٍ ، ومجاميعَ لغويّةٍ ، ومجاميعَ أدبيّةٍ ، وكُتُبٍ نحويّةٍ ، وغيرها ، تبعا للتَّسلسُلِ الآتي :

1- الاعتمادُ في ترتيبِ الأشعارِ على أسماءِ الشّعراءِ أبتثيًا باستثناءِ الشُّعراء المجهولينَ فقد تمَّ ترتيبُهم في نهايَةِ قائمَةِ الشُّعراءِ ، وفي الوقتِ ذاتِهِ رُتِّبَ شعرُ الشّاعرِ الواحدِ أبتثيّا أيضا .

2- التَّعريفُ بِكُلّ شاعرٍ على حِدَة ، حيثُ ذُكِر الاسمُ والنَّسبُ ، وشيءٌ عن نشأتِهِ وسيرتِهِ .

3- وضعُ مناسبةٍ لِكلّ نَصّ شِعريّ ، وهذا في معظمِ الأحيان كانَ تجميعًا منْ بطونِ الكُتبِ التُّراثيّةِ .

4- تمَّ تخريجُ النُّصوصِ الشّعريَّةِ مِنْ الكُتُبِ التُّراثيّةِ المعتمدةِ ، سواءٌ أكانتْ كتبُ لغةٍ أمْ نحوٍ أمْ أدبٍ أم نقدٍ وما شاكلَهَا ، وهُنا تمَّ تتبُّع النّصوصِ بأبياتِها المفردةِ في المصادِرِ الأصيلة .

5- تمَّ في أثناءِ التَّخريجِ ذكرُ أبياتِ القَصيدةِ مُرتّبةً حَسبَ ترتيبِهَا في الدّيوانِ دونَ اعتبارٍ لترتيبها في المصادرِ ، وذلكَ للحفاظِ على هيكليتِها كما هيَ في الأصلِ .

6- رُتّبتْ مَصادرُ التَّخريجِ حَسْبَ القدمِ الزّمنِي ، حَيثُ أُعْتُمِدَتْ روايةُ الدّيوانِ بِدايةً ، ثمَّ ذِكرُ المصدرِ الأقدمِ فالأحدثِ وهكذا ، كما ورتّبتْ مصادرُ المُؤلفِ الواحدِ أبتثيًا أيضًا .

7- وفي التَّخريجِ أيضًا تمَّ ذِكرُ المَصدرِ بَعدَ الإشارةِ للبيتِ – أوْ الأبياتِ – مباشرةً ، في حينِ قُدِّمَ ذكرُ المصدرِ على الإشارةِ للأبياتِ في حَالةِ وجُودِ أكثرِ مِنْ مَوطنٍ واحدٍ للأبياتِ في المصدرِ الواحدِ .

8- الوُقوفُ عندَ الرّوايات المُختلفةِ في الأحْرفِ ، والكلماتِ ، والجُملِ وصولا إلى البيتِ كاملا ومقارنتها ، إذْ رُصِدَت كلُّ الرّواياتِ الّتي تَمَّ الوقوفُ عِندَها ، وَتَمَّ الجُمعُ بينَ الرّواياتِ المُتشابهةِ رَغمَ البُعدِ التّاريخيّ بينَ المَصادرِ .

9- تمَّ ضَبطُ الأبياتِ ضَبْطًا نحويًّا وصرفيًّا تامًّا ، ممَّا يُيسِرُ قِراءتِها ، وهذا يتوافَقُ بدورِهِ معَ دلالاتِ الألفاظِ ومعانيها .

10- الوقُوفُ عندَ الأوزانِ الشّعريَّةِ للأبياتِ كلّهَا ، والتَّنويهِ إلى الخَللِ العَروضيّ الّذي وقعتْ فيهِ ، وذُكِرتْ البُحورُ الشِّعريَّةِ الَّتي تنتمِي إليها القَصائدُ والمقطّعاتُ ، والنُّتَفِ والأبياتِ المفردةِ .

11- شَرحُ معاني المُفرداتِ الصَّعبةِ أوْ تلكَ الَّتي تستدعي الوَهم ، وذلكَ مِنْ كُتبِ المعجماتِ اللُّغويَّةِ على اختلافِها .

12- التَّعريفُ بما أُشكِلَ منْ ألفاظِ ومصطلحاتٍ وأعلامٍ وأمكنةٍ ، إضافةً إلى تخريجِ الأمثالِ والحِكمِ منْ مصادرِها الأصيلةِ .

13- تمَّ تقسيمُ الهامِشِ إلى قِسمين أوْ ثلاثةٍ في العديدِ منَ الصّفحاتِ ، وذلكَ وفْقَ الحاجةِ ؛ إذْ فُصِلَ بينَ مُتعلَّقاتِ كُلِّ صَفحةٍ ، فَعُومِلتْ مستقلةً بذاتِها .

14- في قِسمِ الجَمعِ والتّوثيقِ خاصَّةً تمّتْ مغايرةُ المنهجِ العامّ في قسم **جمع النُّصوصِ وتوثيقها** حسبَ خُطَّةِ جامعةِ القدس ، حَيثُ لمْ أستطعْ استخدام الرُّموز (م . س) و(م . ن) ؛ وذلكَ لكثرةِ تَكرارِ المَصادرِ والمَراجعِ في الصَّفحةِ الواحدةِ كالمعاجم – خاصّة – ممَّا يشكّلُ خلْطًا على القارئ ، بلْ أخذَ كلُّ مرجعٍ أوْ مَصدرٍ اسمَه الحقيقيّ .

أوّلا – **الأعشى**

هوَ مَيمونُ بن قيسِ بن جندلِ بن شراحيل بن عَوْف بن سَعْد بن ضبيعة بن قيس بن ثَعلبة ، ويُكَنَّى أبا بصيرٍ ، وقدْ عُدَّ مِنْ أصحابِ الطَّبقةِ الأولى([1]) ، كانَ مخضرمًا ، إذْ أدركَ الإسلامَ آخرَ عمرِهِ، فرحلَ إلى النَّبيّ يريدُ الإسلامَ ، وقالَ لهُ كفارُ قُريش قبلَ أنْ يصلَ : إنَّهُ يُحرّمُ عليكَ الزنا والخَمرَ ، فقالَ : أتمتَّعُ منهما سنَةً ثُمَّ أسلَم فماتَ قبلَ الحولِ([2]) ، لُقِّبَ الأعشى صناجةَ ([3]) العربِ ؛ لأنَّهُ أوَّلُ مَنْ استخدمَ الصّنج في شعرِهِ ([4]) ، فقال ([5]) : **[البحر البسيط]**

ومستجيب تخال الصِّنجَ يسمعه إذا تُــرَجِّع فيه القينـــةُ الفُضُلُ

كانَ الأعشى مِنْ شعراءِ الجاهليَّةِ الفُحولِ ، وكانَ مِمَّنْ تقدَّمَ على سائِرِهِم ، لذا قِيلَ إنَّ أشعرَ النَّاسِ امرؤُ القيسِ إذا ركبَ ، والنَّابغةُ إذا رَهِبَ ، وزهيرٌ إذا رَغِبَ ، والأعشى إذا طَرِبَ([6]) فالطَّربُ هوَ الأساسُ في إجادَةِ الشِّعرِ عِندَهُ ، وقيلَ إنَّ لكلِّ شاعرٍ شيطانَ شِعرٍ ، وشيطانُ الأعشى يدعَى مسحلا([7])؛ وكانتْ وفاتُهُ عندَما كانَ على خَيلٍ لهُ فألقتْهُ عنْ ظهرِهَا ، فماتَ في أرضِ اليمامَةِ ([8]) في السَّنةِ السَّابعةِ

---

[1]– ينظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، 122/1 ؛ ابن سلّام ، طبقات فحول الشعراء ، 52/1 ؛ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، 48/1 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 127/9 ؛ النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، 62/3 ؛ البغدادي ، خزانة الأدب ، 181/1–182 .

[2]– ينظر : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، 48/1 ؛ البغدادي ، خزانة الأدب ، 181/1–182 .

[3]– الصناجة من الصنج : وهو الذي يكون في الدّفوف ، وسمي الأعشى صناجة العرب لجودة شعره . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (صنج) .

[4]– ينظر : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، 48/1 .

[5]– الأعشى ، الديوان ، 133 .

[6]– ينظر : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، 48/1 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 127/9 ؛ البغدادي ، خزانة الأدب ، 181/1.

[7]– ينظر : الثعالبي ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، 70/1 .

[8]– ينظر : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، 48/1 ؛ البغدادي ، خزانة الأدب ، 182/1 . اليمامة : مدينة متصلة بأرض عُمان من جهة المغرب مع الشمال ، كان اسمها جوًّا . الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، 619/1 . وهناك رواية أخرى بشأن موته تروي أنه قيل عنه قتيل الجوع ؛ لأنه دخل غارا يريد أن يستظل من الحر فوقعت صخرة فسدّت =

للهجرةِ([1]) ، ولم يزل الأعشى يفدُ على ملوكِ الفُرسِ ، ([2]) ، ولَهُ شعرٌ يمدحُ فيه بني شيبان يومَ ذي قار ، فقال([3]) : **[البحر الطويل]**

[1]

[1] فدًى لبَنِي ذُهْلِ بْــنِ شَيْبَــانَ نَاقَتِي وَرَاكِبُها ([4]) يَوْمَ([5]) الْلِقَاءِ ، وَقَلَّتِ([6])

= بابه ، فمات من شدّة الجوع . ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 127/9 . وقد ذكر البغدادي روايتي الوفاة ، حيث لم يجزم على إحداها ، فقال ألقته ركوبته ، أو مات من شدة الجوع داخل غارٍ . ينظر : خزانة الأدب ، 181/1-182 .

[1]- ينظر : الأعشى ، مقدمة الديوان ، 12 .

[2]- ينظر : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، 48/1 .

[3]- الأعشى ، الدّيوان ، 37 .

التخريج

قال الأعشى القصيدةَ كاملةً في ديوانه ، 37 . روى الفراهيدي في العين البيت[2] مادة (هرمز) والبيت [13] مادة (حبك) . روى أبو عبيدة الأبيات [1 ، 2 ، 16] في النقائض 74/2 . روى الجاحظ البيت [4] في الحيوان 338/4 . روى الطبري البيت [1 ، 2 ، 16] في تاريخ الأمم والملوك 481/1 . روى الأصفهاني البيتين [1 ، 2] في الأغاني 73/24 . روى الأزهري البيت [13] في تهذيب اللغة مادة (حبك) . روى الزمخشري البيت [13] في أساس البلاغة مادة (حبك) . روى الحموي الأبيات [1 ، 7 ، 9 ، 12 - 15] في معجم البلدان ، 312/2 . وروى ابن منظور البيت [13] في لسان العرب ، مادة (حبك) . روى ابن كثير الأبيات [1 - 3 ، 5] ، في البداية والنهاية 177/3 ، والأبيات [1 - 3 ، 5] في السيرة النبوية 169/2 . فيما روى البقاعي البيت [13] في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 600/5 . روى الزبيدي البيتين [1 ، 2] في تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة (قرقر) .

اختلاف الروايات :

القصيدةُ حَسبَ روايةِ الأعشى في ديوانه ، 37 .

([4]) في نظم الدّرر (وصاحبها) .

([5]) في السيرة النبوية ، والبداية والنهاية لأبن كثير (عند) .

([6]) في نظم الدّرر (وفلَّت) .

[2] هُمُ([1]) ضَرَبُوا بالحِنْوِ ، حِنْوِ قُــرَاقِرٍ مُــقَدِّمَــةَ الهَامَــرْزِ([2]) حَتَّى تَوَلَّــتِ

[3] فَــلِلّهِ عَيْنَا مَـنْ رَأَى مِنْ عِصَابَةٍ ([3]) أَشَــدَّ عَلَى أَيْــدِي السُّقَاةِ مِنَ الَّتِي([4])

[4] أَتَتْهُمْ ([5]) مِنَ البَطْحَاءِ يَبْرُقُ بَيْضُهَا وَقَــدْ رُفِـعَتْ رايَـاتُها ([6]) ، فاسْتَقَـلـتِ

[5] فَثَــاروا وَثُــرْنا ، وَالمنِـيَّةُ ([7]) بَيْنَـنَا وَهَــاجَتْ([8]) عَلَيْنَــا غَــمْـرَةٌ ، فَتَـجَلَّتِ

[6] وقــد شمَّرْتْ بِالنَّاسِ شَمْـطاءُ لاقِحٌ عَــوَانٌ ، شَدِيــــدٌ هَــمْـزُها فأضَــلَّتِ

= ضوء على الشعر :

وردَ بيتٌ يشبهُ البيتَ الأوَّل لشاعرٍ يدعى مُسهّر بن النّعمان الملقب بـ (مقّاس العائذي) ينظر: سيبويه ، الكتاب ، 46/1-47 ؛ النيسابوري ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، 292/3 ؛ النحاس ، إعراب القرآن ، 342/1 ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، 373/3 . يقول فيه : (فدىً لبني ذهل بن شيبان ناقتي ... إذا كان بومٌ ذو كواكب أشهب) .

[1] قلّت : ارتفعت وعلت . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (قلل) .

اختلاف الروايات :

([1]) في البداية والنهاية (هموا) .

([2]) في الأغاني (الهامُرز) .

([3]) في السيرة النبوية ، والبداية والنهاية (فوارسٍ) .

([4]) في السيرة النبوية ، والبداية والنهاية (كذهل بن شيبان بها حين ولّت) .

([5]) في الحيوان (أتتنا) .

([6]) في الحيوان (نيرانها) .

([7]) في السيرة النبوية والبداية والنهاية (المودة) .

([8]) في السيرة النبوية ، والبداية والنهاية (وكانت) .

ضوء على الشعر :

[2] حنو قراقر : موضع بين البصرة والكوفة قريب من ذي قار. ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (قرقر) .
الهامَرز : من ملوك العجم . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (همرز) .

[3] السُّقاة : الذين يتدافعون إلى الموت . ينظر : الديوان ، 37 .

[4] البطحاء : موضع قريب من ذي قار . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 446/1 . يبرق ، برق : لمع . ينظر ابن سيدة ، المحكم ، مادة (برق) . الأبيض : السيف والجمع بِيض . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، مادة (بيض) .
استقلت : ارتفعت . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (قلل) .

[5] الغمرة : الشِّدّة . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (غمر) .

[7] كَفَــوْا إذ أتَى الهَامَــرْزُ تَخْفِقُ فَـوْقَهُ كَـظِـلِّ العُـقَـابِ ، إذْ هَـوَتْ ، فَتَـدَلَّـتِ

[8] وَأَحْمُوْا حِمَى مَـا يَمْنَعُـونَ فَأَصْبَحَتْ لَــنَا ظُعُـنٌ كَـانَـتْ وُقُــوْفًا فَحَــلَّتِ

[9] أَذَاقُــوهُمُ كَأْسًا مِـنَ المَـوْتِ مُــــرَّةً وَقَـدْ بَـذِخَّـتْ فُــرْسَانُهُمْ وَأَذَلَّــتِ([1])

[10] سَوَابِغُــــهُمْ بِيضٌ خِفَافٌ ، وَفَوْقَهُمْ مِـنَ البَيْـضِ أَمْثَـالُ النُّجُومِ استَقَلَّتِ

[11] وَلَــمْ يَبْقَ إلّا ذَاتُ رَيْــعٍ مُفَـاضَـةٌ وَأَسْهَــلَ مِنْهُــمْ عُـصْـبَــةٌ فَأَطَــلّتِ

= ضوء على الشعر :

[6] شمطاء ، الشمط ، بياض شعر الرأس ويخالطه بياضه عند المرأة ، وهنا كناية عن الحرب . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (شمط) . لاقح : الحامل . كناية عن الشّدة . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (لقح) . عوان : قوتل فيها مرة بعد مرة . ينظر : ابن سيدة ، المحكم ، مادة (عون) . الهمز : الضغط . ينظر : الفيروزأبادي ، القاموس المحيط ، (مادة الهمز) . أضلت ، ضللت الشيء إذ غيبته . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ضلل) .

اختلاف الروايات :

([1]) في معجم البلدان (وأدلّت) .

ضوء على الشعر :

[7] العُقَابُ : عَلَمٌ ضَخْمٌ . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (عقب) .

[8] حلّ : نزل . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (حلل) ويقصد حل الظعن من هودجها في إشارة لما قام به حنظلة بن سيار من قطع أحزمة الجمال مخافة أن يهربن . ينظر : الأعشى ، الديوان ، 37 .

[9] بذخ : فخر وتعالى . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (بذخ) .

[10] السوابغ : مفردها سابغة وهي الدّرع . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (سبغ) .

[11] الريع : ريع الدروع : فضول أكمامها وهي الواسعة . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، مادة (ريع) . مفاضة : درع فاضة وفيوض : تعني واسعة . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (فيض) . أَسْهَلَ يُسْهِل إذا صار إلى السَّهْل من الأَرض . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سهل) . أطل : أشرف . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (طلل) .

[12] فَصَبَّحَـهُمْ بِالحِـنْوِ حِنْـوِ قَـرِاقِـرٍ وَذي قَـارِهِـا مِـنْـهَا الجُنُـودُ فَفُـلَّـتِ

[13] عَـلَى كُـلِّ مَحْبُـوكِ السَّرَاةِ كَـأَنَّهُ عُقَـابٌ هَـوَتْ مِـنْ مَـرْقِبٍ إذْ تَعَلَّتِ([1])

[14] فَجَادَتْ عَلَى الهَامَرْزِ وَسْطَ بُيُوتِهِم شَآبِيـبُ مَـوْتٍ ، أَسْبَلَـتْ وَاسْتَـهَـلَّتِ

[15] تَنَاهَتْ بَنُو الأَحْرَارِ([2]) إذ صَبَرَتْ لَهُمْ فَـوَارِسُ مِـنْ شَيْبَـانَ غُـلْـبٌ فَوَلَّـتِ

[16] وَأَفْـلَتَهم([3]) قَيْـسٌ ، فَقُلْتُ لَعَلَّـهُ يَبِـلُّ ([4]) لَـئِـنْ كَـانَت بِـهِ النَّعْلُ زَلَّـتِ

[17] فَمَا بَـرِحُوا حَتّى استُحِثَّتْ نِسَاؤُهُم وَأَجْـرَوْا عَـلَيْهَا بِـالسِّهَـامِ ، فَـذَلَّـتِ

[18] لَعُمْرُكَ مَـا شَفَّ الفَتَى مِثْـلُ هَمِّهِ إذا حـاجَـةٌ بَـيْـنَ الحَـيازِمِ جَلَّـتِ

اختلاف الروايات :

([1]) في تهذيب اللغة ، وأساس البلاغة ، ولسان العرب (وتعلّت) .

([2]) في معجم البلدان (الأحزاب) .

([3]) في النقائض ، وتاريخ الأمم والملوك (وأفلتنا) .

([4]) في النقائض (يُثيبُ) .

ضوء الروايات :

[12] ففُلَّتِ ، فلَّ القوم : هزموا . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (فلَّ) .

[13] المَرقَب : المكان المشرف الذي يرتفع عليه الرقيب . ينظر : تاج العروس ، مادة (رقب) . المحبوك : الفرس القوي الشديد الخَلْق المحكمة . ينظر : تاج العروس ، مادة (حبك) .

[14] شبيب ، الشؤبوب : الدفعة من أي شيء ، وهنا قصد الموت . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (شأب) . أسبل : نزل وهطل . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سبل) . استهل : أخذ مكانه . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سهل) .

[15] تناهت : كفت . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (نهي) . بنو الأحرار : الفرس . ينظر : الأزهري ، تهذيب اللغة ، 37/5 . الأغلب وهو غليظ الرقبة . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (غلب) .

[16] يبلُّ ، بلَّ : ذهب . ينظر : الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مادة (بلل) .

[17] استحثت ، حثّ : هو الاستعجال في الاتصال ما كان . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (حثث) . ويقصد سبابا . ينظر : الأعشى ، الديوان ، 38 .

[18] شفّه الهمّ : هزله . ينظر : الصّغاني ، العباب الزاخر واللباب الفاخر ، مادة (شفف) . الحيازم : مفردها حيزوم ، وهو الصدر . ينظر : ابن دريد ، الاشتقاق ، مادة (حزم) .

عِندَما رَدَّ النُّعمانُ طلبَ كِسرى بِبَعثِ الفتياتِ الجميلاتِ إليهِ ، هدَّدَ النُّعمانَ واستَدعاهُ ، ممَّا حَدا بالنُّعمان أنْ يستجيرَ بالشَّيبانيينَ ويُوْدِعَهُم أدرَعَهُ وابنَهُ وبناتِهِ ، لذا فقَدْ بعثَ كسرى إلى الشَّيبانيينَ بإرسالِ الوَدائعِ لهُ ورهْنًا منْ أبنائِهِم بما يحدِّثُ سفهاؤُهم ، فامتنعوا عنْ ذلك، وخيَّرهُم بينَ الحربِ أو تسليمِ الودائعِ، فاختاروا الحربَ([1]) ، وكانَ الأعشى يقولُ لكسرى ردًّا على طَلَبِهِ مهدِّدًا إيَّاهُ بالحربِ ومتوعِّدًا ([2]) :

[البحر الكامل]

[2]

[1] مَنْ مُبْلِغٌ كِسْرَى إذا مَا جاءَه ([3]) عَـنِّي مَــآلِكُ مُخْــمِشَاتٍ شُــرَّدَا([4])

[2] آلَيْتُ لا نَعطِيه ([5]) مِنْ أبْنَائِــنَا رُهُنًــا فَيُسِدُهُــمْ كَمَــنْ قَــــدْ أفْسَدَا

---

[1]– ينظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 478/1–479 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 63/24–64 . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 488/1 ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، 81/1 .

[2] – الأعشى ، الديوان ، 53–54 .

التخريج :

المقطّعةُ حَسبَ روايةِ الأعشى في ديوانه ، شرح : مهدي محمد ناصر الدين ، 53–54 . روى الفراهيدي البيت [4] في الجمل في النحو ، 170/1 . روى أبو عبيدة البيتين [1 ، 4] في مجاز القرآن 283/1 . روى الجاحظ البيت [4] في الحيوان ، 500/6 . روى الطبري الأبيات [1 ، 2 ، 3 ، 10 ، 12] في جامع البيان ، 56/13 . روى ابن السراج البيت [4] في الأصول في النحو ، 294/1 ، ورواه ابن جني في سر صناعة الإعراب 303/1 . روى ابن سيدة البيت [6] في المحكم ، مادة (سود) . روى الحلي الأبيات [1 ، 2 ، 15] في المناقب المزيدية 409/2 . روى ابن عطية الأندلسي الأبيات [1 ، 2 ، 3] في المحرر والوجيز 387/1 . روى الرازي البيت [2] في مفاتيح الغيب 100/7 . روى ابن منظور في لسان العرب البيت : [2 ، 3] مادة (رهن) والبيت [6] مادة (سود) . روى ابن عادل البيت [2] في تفسير اللباب 944/1 . روى الزبيدي البيت [6] في تاج العروس ، مادة (سود) .

اختلاف الرِّوايات :

المقطّعة حسب رواية الأعشى في ديوانه ، 53–54 .

([3]) في جامع البيان زاد كلمة بعد الضرب (رُهُنا) ، وفي مجاز القرآن (جئته) .

([4]) ورد هذا العجُز في مجاز القرآن (عني قوافٍ غارمات شُرَّدا) .

([5]) في المحرر والوجيز ، ومفاتيح الغيب ، ولسان العرب (أعطيه) في المناقب المزيدية (أعطيك) .

[3] حَتَّى يُفِيـدَكَ مِنْ بَنِـيهِ رَهِينَةً نَـعْشٌ ، ويَــرْهَنَكَ السَّمَاكُ الفَرْقَدَا

[4] إلّا كَخَارِجَةِ المُكّــلِّفِ نَفْـسَهُ وَابْنَيْ قَبِيصَـــةَ أَنْ أَغِيبَ وَيَشْهَدَا

[5] أَنْ يَأتِيَاكَ بِرُهْنِهِمْ فَهُـمَا إذن جُهِـــدَا وَحُـقَّ لِخَـالِـفٍ أَنْ يُجْهَدَا

[6] كَــلَّا ! يَمِينَ اللهِ حَـتَّى تُنْزِلُوا مِــنْ رَأسِ شَاهِقَـةٍ إلَيْنَا " الأسْوَدَا "

[7] لَنُقَــاتِلَنَّــكُمُ عَلَــى مَـا خَيَّلَتْ وَلِنَجْـعَلَـنَّ لِمَـنْ بَـغَى وَتَـمَـرَّدَا

[8] مَا بَيْنَ عَانَةَ والفُرَات ، كَأنَّمَا حَشَّ الغُــوَاةُ بِهَــا حَــرِيْقًا مُوْقَدَا

= ضوء على الشعر :

[1] مآلك مفردها مألكة : الرسالة ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ألك) . مخمشات ، الخمش : الخدش في الوجه من الغضب . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (خمش) . شُرّدا : سائرة في البلاد . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (شرد) .

[2] آليت : الألتُ : القَسَم . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ألت) .

ضوء على الشعر :

[3] نعش ، الفرقدان : نجوم . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (خسس) . السّماك : نجم في السماء ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سمك) .

[4] خالف ، من الإخلاف : وهو أن لا تفي بالعهد ، وأن تَعِدَ عِدَةً ولا تنجزها . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (خلف) . الجَهْدُ : المشقة . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (جهد) .

[6] الأسود : شقيق الحوفزان بن شريك ، وكان أسيرا عند كسرى . ينظر : محمد محمد حسين ، شرح ديوان الأعشى ، 281 . وقد فسر ابن منظور الأسود أنه عَلَمٌ في رأس جبل . ينظر : لسان العرب ، مادة (سود) ؛ ابن سيد ، المحكم ، مادة (سود) .

[7] تمرّدا : جاوز حدّ مثله . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (مرد) .

[8] عانة : مدينة على الفرات عامرة والدير فيها وهو دير حسن نزه كثير الرهبان . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 532/2 . حشَّ : جمع . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (حشش) . الغواة ، جمع غاوٍ : الضال التائه . ينظر : ابن سيدة ، المحكم ، مادة (غَيَوَ) .

[9] خَرِبَتْ بُيُوتُ نَبِـيطَةٍ ، فَكَأَنَّـمَا لَـمْ تَلْـقَ بَـعْدَكَ عَامِـرًا مُتَعَهِّدَا

[10] لَسْنَا كَمَنْ جَعَلَتْ إيـادٌ دَارَهـا تَكْـرِيتَ تَمْنَـعُ حَبَّهَا أنْ يُحْصَـدَا

[11] قَوْمًـا يُعـالِجُ قُمَّـلًا أبنَاؤهُمْ وسَلَاسِلًا أجُـدًا وَبَـابًـا مُؤصَدَا

[12] جَعَلَ الإلهُ طَـعَامَنَا فِـيْ مَـالِنَا رِزْقًا تَضَمَّـنَهُ لَـنَا لَـنْ يَنْفَـدَا

[13] مِثْلَ الهِضَابِ جَـزَارَةً لِسُيُوفِنَـا فَإذا تُـرَاعُ ، فَإنَّـهَا لَـنْ تُـطَـرَّدَا

[14] ضَمِنَتْ لَنَا أعْـجَازُهُنَّ قُدُورَنَا وَضُرُوعُهُـنَّ لَنَا الصَّرِيحَ الأجْـرَدَا

[15] فاقْعُدْ عَلَيْكَ التَّاجُ مُعْتَصِبًا بِـهِ لَا تَـطْـلُـبَـنَّ سَوَامَـنَا فَـتَـعَبَّدَا

[16] فَلَعَمْرُ جَدِّكَ لَوْ رَأيْـتَ مَقَامَـنَا لَـرَأيْـتَ مِنَّـا مَنْـظَـرًا وَمُـؤيَّـدا

[17] فِـيْ عَارِضٍ مِنْ وَائِلٍ أنْ تَلْقَهُ يَـوْمَ الهِـياجِ يَكُـنْ مَسِيرُكَ أنْكَدَا

[18] وَتَرَى الجِيَادَ الجُرْدَ حَوْلَ بُيُوتِنَا مَوْقُـوفَةً وَتَـرَى الـوَشِيجَ مُسَنَّـدَا

ضوء على الشعر :

[9] النبيط : ينزلون سواد العراق وهم الأَنْباطُ . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (نبط) .

[10] تكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 38/2 .

[11] الأجد : القويّ . ينظر: الأزهري ، تهذيب اللغة ، مادة (جدا) .

[13] الجزارة : كل شيء مباح للذبح . ينظر : ابن منظر ، لسان العرب ، مادة (جزر) . تراع ، الرَّوعة : الفزعة . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (روع) .

[15] سِوامنا ، السَّوم : التكليف ، أو أن جشِّم إنسانا مشقة . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (سَوَمَ) . تعبَّد : اتخذه عبدا . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عبد) .

[17] العارض : ما ملأ الأفق من الجراد والنحل . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عرض) وهو كناية عن الجيش . =

قالَ الأعشى مجيبًا أبا كَلبةَ التَّيميّ ([1]) : **[البحر البسيط]**

[3]

[1] أبلغْ أبــا كلْبةَ التَّيمِيَّ مـــــألُكةً فأنتَ من مَعْشَرٍ – واللهِ – أشْرَار

[2] شيـبانُ تــدْفعُ عنك الحربَ آونةً وأنـــتَ تنْبحُ نبْحَ الكلْبِ في الغارِ

وقالَ معتذِرا مِنْ مدحِهِ بني شيبانَ عندَما بَلَغَهُ قولُ أبي كَلبةَ ([2]) : **[البحر الوافر]**

[4]

[1] مَتَى تُقْرِنْ([3]) أَصَمَّ بِحَبْلِ أعْشَى يَتِيْها في الضَّلالِ وفي الخَسارِ

[2] فَلَستُ بِـمبصِـرٍ مَــا قدْ يَراه ولــيسَ بِسامِعٍ أبَـدًا حِـواري

= ضوء على الشعر :

[18] الجياد : جمع جواد الخيل السريعة . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (جود) . الجرد : جمع أجرد والفرس الأجرد قصير الشعر . ينظر : الجوهري ، المحكم ، مادة (جرد) . الوشيج : شجر الرِّماح . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (وشج) .

---

[1]– الأصفهاني ، الأغاني ، 73/24 .

التخريج :

روى الأصفهاني البيتين [1 ، 2] في الأغاني ، 73/24 .

ضوء على الشعر :

[1] مأكلة : رسالة . ينظر : الجوهري ، المحكم ، مادة (ألك) .

[2] آونة ، جمع أوان : وهو الحين . ينظر : الأزهري ، تهذيب اللغة ، مادة (أون) . الغار : الجُحر الذي يأوي إليه الوحشي كالبيت في الجبل . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، (غور) .

---

[2] – أبو عبيدة ، النقائض ، 75/2 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 481/2 .

التخريج :

روى أبو عبيدة البيتين [1 ، 2] في النقائض ، ورواهما الطبري في تاريخ الأمم والملوك ، 481/2 .

اختلاف الروايات :

البيتان حسب رواية النقائض ، 75/2 .

([3]) في تاريخ الأمم والملوك (يقرن) .

ضوء على الشعر :

[1] تقرن ، قرنت الشيء بالشيء أي وصلته . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (قرن) .

جَرَتْ عادةُ العربِ في العَصرِ الجاهليّ أنْ يفرحُوا ويحتفلوا بنبوغِ شاعرٍ في القَبيلةِ ؛ لأنَّهم كانوا يعدُّونَهُ لسانَ القَبيلةِ ، ومؤرِّخَها ، ومقيِّدَ مثالبِهم ومناقبِهم ، ومسجِّلَ انتصاراتِهم فيفتخرُ بقومِهِ ، ويُعلي شَأنَهم ، ويتغنَّى ببطولاتِهِم ، وهذا الأعشى– ميمُون بن قيس – يفتخرُ بقومِهِ ، ويذكرُ انتصاراتِهِم على الفُرسِ يومَ ذي قار– حيثُ تتكوَّنُ القصيدةُ منْ أربعةٍ وعشرين بيتًا ، ولكنْ هذه الأبيات الّتي اختصَّت بيومِ ذي قار– فيقولُ ([1]) : **[البحر البسيط]**

[5]

[1] وَجُنْدُ كِسْرَى غَدَاةَ الحِنْوِ صَبَّحَهُمْ مِنَّا كَتَائِبُ ([2]) تُزْجِي المَوْتَ فانصَرَفُوا

[2] لَقُـوا مُلَمْـلَمَةَ شَهْـبَاء يَقْدُمها للمـوتِ لا عاجـزٌ فيـها ولا خَـرِف

---

[1] – ينظر : الأعشى ، الديوان ، 113–114 ؛ النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، 331/15 .

التخريج :

روايةُ الأبيات [1 ، 6 – 12 ، 16 – 18] كما عندَ الأعشى في ديوانه ، 113 – 114 . أما الأبيات [2 – 5 ، 13 ، 14] فروايتها كما عند ابن عبد ربه في العقد الفريد ، 266–267 . أما رواية البيت [15] فهي كما عند الأصفهاني في الأغاني 75/24 . فيما روى ابن عبد ربه الأبيات [1 – 9 ، 11– 14] في العقد الفريد ، 266 – 267 . بينما وروى الأصفهاني الأبيات [8 – 12 ، 14 – 18] في الأغاني ، 75/24 . روى الحلي ، البيت [8] في المناقب المزيدية ، 416/2 . روى النويري الأبيات [8 ، 11 ، 13 ، 14 ، 18] في نهاية الأرب في فنون الأدب ، 331/15 .

اختلاف الروايات :

الأبيات [1 ، 6 – 12 ، 16 – 18] حسب رواية الأعشى في ديوانه ، 113– 114 ، أما الأبيات [2 – 5 ، 13 – 14] حسب رواية ابن عبد ربه في العقد الفريد ، 266–267 . بينما البيت [15] فجاء على رواية الأصفهاني في الأغاني ، 75/24 .

([2]) في العقد الفريد (غطاريف) .

ضوء على الشعر :

[1] تزجي ، زجا بالشيء : رمى به . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (زجا) .

[2] ململمة : مجتمعة . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (لمم) وهي صفة للكتائب . شهباء : بيضاء من كثرة السلاح . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (شهب) . الخرَف : فساد العقل . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (خرف) .

[3] فَرْعٌ نَمَتْهُ فُــروعٌ غيــرُ نــاقصةٍ مُــوفَّــق حــازمٌ فــي أمــره أُنــف

[4] فيــها فـوارسُ محمــودٌ لقاؤُهُمُ مِـثْـل الأَسنَّــة لا مِيَــلٌ ولا كُــشفُ

[5] بِيضُ الوُجوهِ غداةَ الرَّوعِ تَحْسَبهم جِنَّــان عَبْس عليــها البَيْض والزَّغَــف

[6] لمَّا التَقَيْنَا كَشَفْنا عَـنْ جَـمَاجِمِنا لِيَعْلَــمُوا أنّــنَــا بكــرٌ فَيَنْصَرفُــوا

[7] قالُوا البــقيَّةَ والهِنْــديُّ يحْصُدُهم ولا بقِــيَّةَ إلا الــنَّارُ([1]) فــانْــكَشَفُـوا

[8] لَـوْ أنَّ كُلَّ مَعَدٍ كَــانَ شَارَكَـنَا([2]) فِيْ يَوْمِ " ذِي قَارَ" مَا أخطَاهُمُ([3])الشَّرَفُ

اختلاف الروايات :

([1]) في العقد الفريد (السّيف) .

([2]) في المناقب المزيدية (لو أن كلَّ نزاري يشاركنا) .

([3]) في المناقب المزيدية (أخطأهم) .

ضوء على الشعر :

[3] أمر أُنُف : مستأنف لم يسبق به القَدَر . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (أنف) .

[4] الأسنّة : الرِّماح . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (سنن) . الأميل : من لا سيف معه أو من لا رمح معه ، أو من لا ترس معه . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (ميل) . الأكشف : الذي لا ترس معه في الحرب . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كشف) .

[5] جِنَّان : جمع جان ، وهو عكس الإنس . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (جنن) . البيض : جمع أبيض : وهو السيف . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (بيض) . الزعف : الدرع الطويلة الواسعة . ينظر : ابن سيدة ، المحكم ، مادة (زغف) .

[7] الهندي : السيف المصنوع في بلاد الهند . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (هند) . كشِف القوم : انهزموا . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كشف) .

[8] معد : قوم معد بن عدنان ، ومن ولد معد : نزار وإياد وقنص . ينظر : الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، 10/1 .

[9] إِذَا([1]) أَمَــالُــوا إلــى النُّــشَابِ أَيْدِيَــهُمْ مِلْنَــا بِبِيـضٍ ، فَظَلَّ([2])الـهَامُ يُختَطَفُ([3])

[10] وَخَيْــلُ بَــكْرٍ فَــمَا تَنْفَــكُ تَطْحَنُــهُمْ حَتَّى تَوَلّوْا ، وَكَــادَ اليَوْمُ يَنْــتَصِفُ([4])

[11] حَجَــاحِجٌ ([5]) وبنو مُلْكٍ غَطَارِفَــةٌ ([6]) مِنَ الأَّعاجِمِ ، فــي آذانِهَا النُّــطَـفُ

[12] مِنْ كُلِّ مَرْجَانَةٍ فِي البَحْرِ أَخْــرَجَهَا([7]) غَوَّاصُهَا ([8]) وَوَقَــاهَا طِينَهَا الــصَّدَفُ

[13] كأنما الآلُ فــي حــافــاتِ جَمْعهــم والبِيض بَرْقٌ بـدا في عـارضٍ يَكِــف

[14] ما في الــخُدود صدودٌ عن سُيوفهم([9]) ولا عـن الطَّعْــنِ في اللَّبَّات مُنْحَرف

اختلاف الروايات :

([1]) في العقد الفريد ، والأغاني ، ونهاية الأرب (لمّا) .

([2]) في نهاية الأرب (لمثل) .

([3]) في الأغاني (يُقتَطَفُ) .

([4]) روي هذه البيت في العقد الفريد هكذا : (إذا عَطَفْنا عليهم عطفةً صبرت حتى تولت وكاد اليوم ينتصف)

([5]) في العقد الفريد ، والأغاني (بطارق) .

([6]) في العقد الفريد ، والأغاني(مرازبة) وفي نهاية الأرب (مرازية) .

([7]) في العقد الفريد ، والأغاني (أحرزَها) .

([8]) في العقد الفريد ، والأغاني (تيارها) .

([9]) في الأغاني (وجوههم) .

ضوء على الشعر :

[11] حجاحج : العظماء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (حججج) . الغطارفة : من الغطريف : هو الشاب السخي السَّري . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (غطرف) . النُّطَفُ : اللؤلؤ الصافي . ينظر : الفراهيدي، كتاب العين ، مادة (نطف) .

[13] الآل جمع آلة وهي الحربة . ينظر : الأزهري ، تهذيب اللغة ، مادة (ألل) . العارض : صفحة الخد من الإنسان. ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (عرض) . يكف : يردّ الشيء عن الشيء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كفف) .

[14] اللّبات : وسط الصدر ، والمنحر . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (لبب) .

[15] عَوْدًا عَلَى بَــدْئِهِم مَــا إنْ يُلَبّـثُهُمْ كَــرَّ الصُّقُــورِ بَنَــاتِ المــاءِ تَختَطِفُ

[16] وَظَــعْنُنَا خَلْـفَنَا كُـحْلا ([1]) مَدَامِعُهَا أَكــبَادُهَا وُجُــفٌ ([2]) مِمَّا تَرَى تَجِفُ

[17] حَوَاسِرٌ([3]) عَنْ خُدُودٍ([4]) عَايَنَتْ عِبَرًا وَلاحَــهَا وعَــلاهَــا غُــبْرَةٌ كُسُفُ([5])

[18] لَــمَّا أَتَــوْنَا ، كَـأَنَّ الليـلَ يَقْدُمُهُمْ مُطَبِّقَ الأَرْضِ يَغْشَاهَا([6]) بِهِم([7]) سُدَفُ

اختلاف الروايات :

([1]) في الأغاني (تجري) .

([2]) في الأغاني (وجلا) .

([3]) في الأغاني (يحسرن) .

([4]) في الأغاني (أوجه) .

([5]) ورد العجر في الأغاني (ولاحها غُبرةٌ ألوانها كُسُفُ) .

([6]) في الأغاني (تغشَّاها) .

([7]) في الأغاني (لهم) .

ضوء على الشعر :

[16] وجف : اضطرب . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (وجف) .

[17] حواسر : الحاسر الخالي من الدِّرع . ينظر : ابن سيدة ، المخصص ، (كتاب السلاح) . الغبرة : اغبرار اللون للهم . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (غبر) . كسفُ : كسفت حاله : ساءت وتغيرت . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (كسف) .

[18] السّدف : الظلمة . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (سدف) .

ظَهَرَ قيسُ بن مسعود بن قيس بمظهرِ العَربيّ الموالي للفُرسِ في وقعةِ ذي قار ، فتباينتْ آراءُ المُؤرّخينَ حَولَ ذلكَ الأمرِ ، ولكنَّ القصيدةَ الَّتي بينَ أيدينا تتبنَّى الرَّأيَ الّذي يقول : إنَّ قيسَ بنَ مسعودٍ كان لا يزالُ مواليًا لكسرى عندَ نزولِهِ بكرٍ ، وأمرَهُ كسرى أنْ يوافي جيوشَهُ ويصحبَهَا في غزوِها ، فسارَ إلى قومِهِ ليلًا ، فأخبرَهُم بأمرِ القدومِ ، وأشارَ عليهم برأيِهِ ، فلمَّا هُزِمَ الفُرسُ ، وعَلِم كسرى بذلكَ استدعاهُ فحبَسَهُ ([1]) ، فثارتْ ثائرةُ الأعشى على موالاةِ قيس للفُرسِ ، فقالَ يلومُهُ ([2]) : **[البحر الطويل]**

[6]

[1] أَقَيْسَ بنَ مَسْعُودِ بن قيسِ بنِ خالدٍ وَأنــت امرْؤٌ تــرجُو([3]) شَبابَــكَ([4])وَائِــلُ

---

[1]– ينظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 479/1 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 263 .

[2]– الأعشى ، الديوان ، 156–157 .

التخريج

المقطّعة الشعرية حسب رواية الأعشى في ديوانه ، 156–157 . روى الفراهيدي البيت [8] في كتاب العين ، مادة (حل) . روى أبو عبيدة الأبيات [1 ، 2] في النقائض 75/2 . روى ابن قتيبة الأبيات [2 ، 6 ، 7] في المعاني الكبير ، 921/2 –922 . روى الطبري الأبيات [1 ، 2] في تاريخ الأمم والملوك 482/1 . روى ابن دريد البيت [4] في جمهرة اللغة ، مادة (برق) . روى ابن عبد ربه الأبيات [1 ، 2 ، 8 ، 9 ، 10 ، 11 ، 12 ، 13] في العقد الفريد ، 267– 268 . روى ابن فارس البيت [8] في معجم مقاييس اللغة ، مادة (حل) ، روى الأزهري تهذيب اللغة [7] مادة (زجل) والبيت [8] مادة (حلل) . روى ابن جني البيت [3] في المحتسب 56/1 . روى الجوهري البيت [8] في حاشية الصحاح ، مادة (حلل) . روى ابن رشيق البيت [1] في العمدة ، 103/2 . روى ابن سيدة البيت [9] في المحكم ، مادة (رحل) والبيت [6] ، مادة (خيم) . روى البكري البيت [6] في معجم ما استعجم ، 193/1 . روى الحلي الأبيات [1 ، 2 ، 4 ، 5] في المناقب المزيدية ، 408/2 . روى الحموي البيت [6] في معجم البلدان ، 194/1 . روى ابن أبي الأصبع البيت [1] في تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ، 252/2 . روى ابن منظور في لسان العرب : والبيت [1] مادة (حلل) والبيت [6] مادة (خيم) والبيت [8] مادة (حلل) والبيت [9] مادة (رجج) . روى النويري الأبيات [1 ، 10 ، 11 ، 12 ، 13] في نهاية الأرب في فنون الأدب ، 332/15 . روى العلوي البيت [1] في الطراز ، 93/1 . روى الزبيدي البيت [6] في تاج العروس ، مادة (شفي) .

اختلاف الروايات :

القصيدة كاملة في ديوان الأعشى ، 156–157 .

([3]) في الطراز (يرجو) .

([4]) في تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر(حباءك) .

[2] أَطَوْرَيْنِ ([1]) في عَامٍ : غَزَاةٌ ورِحْلَةٌ أَلا ليْـتَ قَـيْسًا غَـرَّقَـتْهُ القَـوابِـلُ

[3] وَلَيْتَكَ([2]) حَـالَ البَحْـرُ دُونَـكَ كلُّـهُ وَكـنْـتَ لَقًـى تَـجْـرِي عَلَيْـهِ السَّوائِلُ

[4] كـأَنّـكَ لَـمْ تَشْهَدْ قَرابِـينَ جَمَّـةً([3]) تَعِيـثُ([4]) ضِـباعٌ فِيـهِمُ ، وَعـواسِلُ([5])

[5] تَـرَكْتَهُمُ صَرْعَى لَـدَى كُلِّ مَنْهَلٍ وَأَقْـبَلْتَ تبغـي الصّلـحَ أُمُـكَ هَابِلُ([6])

اختلاف الروايات :

([1]) في النقائض ، وتاريخ الأمم والملوك (أتجمع) .

([2]) في المحتسب (فليتك) .

([3]) في المناقب المزيدية (حوله) .

([4]) في المناقب المزيدية (تعوثُ) .

([5]) في المناقب المزيدية (وغوائل) .

([6]) في المناقب المزيدية (تركت بني بكر وعز سيوفهم وهاجرت تبغي القسط أمك ثاكل) .

ضوء على الشعر :

كانَ ابنُ الأثير قدْ روى الأحداثَ المشتركةَ دونَ ذكرِ ذهابِهِ لقومِهِ ليلًا ودونَ ذكرِ الحبسِ . ينظر : الكامل في التاريخ ، 412/1 . فيما روى الأصفهاني أنَّ بكرا بدأت تغيرُ على السَّوادِ بعدَ مقتلِ النُّعمان ، فوفَدَ قيسٌ على كسرى فسألَهُ أنْ يجعلَهُ على السَّواد لحمايتِهِ مقابلَ أجرا ، فأعطاهُ الأبْلّه ، ولم يتمكنْ من حمايتِها ، وسجنَهُ كسرى على ذلكَ . ينظر : الأغاني ، 56/24-58 .

[2] الطَّوْرُ : التارة . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (طور) . القوابل : جمع قابلة ، وهي التي تتلقى الولد عند ولاته . ينظر : ابن منظور ، تاج العروس ، مادة (قبل) . ويُقالُ إنَّ القابِلَةَ كانَتْ تُغَرِّقُ المولودَ في ماءِ السَّلَى عام القَحطِ ، فَيَمُوت ذَكَرًا كانَ أو أُنثى . ينظر : ابن منظور ، لسان العربِ ، مادة (غرق) .

[3] لقًى : ما طُرِحَ لهوانه . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (لقي) . السوائل : المياه السوائل . ينظر : الزبيدي، تاج العروس ، مادة (سيل) .

[4] قراب كلّ شيء : ما قارب الامتلاء . ينظر : ابن دريد ، جمهرة اللغة ، مادة (قرب) . جمَّة : الجمُّ ، الكثير من كلّ شيء . ينظر : الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مادة (الجمُّ) . العواسل جمع عاسل : وهو الذئب . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عسل) .

[5] صرعى ، الصريع : هو الذي يصرع الرجال ويغلبهم . ينظر : ابن منور ، لسان العرب ، مادة (صرع). منهل : الموضع الذي فيه المشرب ، وطريق السّفار في المفاوز لأن فيها الماء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (نهل) . هابل : يقال : هبلتك أمك أي ثكلتك . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (هبل) .

[6] أَمِنْ جَبلِ الأمــرارِ صرَّت([1]) خِيَامِكُمْ عَلَــى نَـــــبأٍ([2])أنَّ الأشافــيّ سَائِـــــلُ

[7] فـهانَ عَلــينَا([3]) أنَّ تَجِفّ وِطَـابُكُمْ إذا حُـنِّيَتْ فِــيهَا([4]) لَدَيكَ([5])الــزَّوَاجِــل

[8] لقَد كَـانَ في شَيبانَ لَوْ كُنْتَ رَاضِيًا([6]) قِبـــابٌ وحَـــيٌّ حـــلَّـــةٌ وَقَــنابِــلُ([7])

[9] وَرَجرَاجَـةٌ تُـغْشي([8]) النّواظِرَ فَـخْمَةٌ([9]) وجُردٌ ([10])على أكنافهن([11]) الرّواحِلُ([12])

اختلاف الروايات :

([1]) في لسان العرب وتاج العروس (ضَرْبُ) .

([2]) في لسان العرب (نبإ) .

([3]) في تهذيب اللغة (عليه) .

([4]) في المعاني الكبير ، وتهذيب اللغة (فيما) .

([5]) في المعاني الكبير ، وتهذيب اللغة (لديه) .

([6]) في تهذيب اللغة ، ومعجم مقاييس اللغة ، والصحاح ، ولسان العرب ، وتاج العروس (عالما) .

([7]) في الصحاح (قبائل) وفي معجم البلدان (ذراهم) وفي تاج العروس (ودراهم) .

([8]) في تاج العروس (تغشى) .

([9]) في العقد الفريد (فحمة) .

([10]) في تاج العروس ، ولسان العرب (وكُومٍ) .

([11]) في العقد الفريد (أكتافهنَّ) .

([12]) في تاج العروس (الرحائل) .

ضوء على الشعر :

[6] الأمرار : ماء بالبادية . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 252/1 . صُرَّت ، صرّ : أي شدّ وجمع . ينظر : الأزهري ، تهذيب اللغة ، مادة (صرر) . الأشافي : واد في بلاد شيبان . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 194/1 .

[7] حنيت ، حنى : حنى يده أي لواها ، وحنى العود أي قشّره . ينظر : الأزهري ، تهذيب اللغة ، مادة (حني) . الوطاب : ما خلا أساقيه من اللبن ، ويقال للرجل صفرت وطابه إذا مات أو قُتل . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (وطب) . والزَّواجَل : الزاجل هو العود الذي تشد به القربة ، الأزهري ، تهذيب اللغة ، مادة (زجل) .

[8] الحلة : القوم النزول وفيهم الكثرة . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (حلل) . القنابل : مفرده قنبلة وهي الطائفة من الناس والخيل . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (قنبل) .

[9] رجراجة : الكتيبة الرجراجة وهي التي تتباطأ في سيرها ولا تكاد تسير لكثرتها. ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (رجج) . العشا : سوء البصر بالليل والنهار . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عشو) . الأكناف : الجوانب . ينظر : ابن منظور، لسان العرب ، مادة (كنف) . الرواحل : المتاع . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (رحل) .

[10] تَـرَكْتَهُمُ جَهـــلًا وَكُنْـتَ عَمـيدَهُم([1]) فَــلَا يَبْلُــغَنّي عَنْــكَ مَــا أَنْــتَ فَاعِلُ

[11] وَعُرّيتَ([2]) مِنْ وَفْرٍ([3]) ومـــالٍ جَمَعْتَهُ كَــما عُـــرّيتْ مِمَّا تُسِرُّ([4]) المَغَازِلُ

[12] شَفَى النَّفسَ قَتلى([5]) لمْ تُوَسَّدْ خُدودُها وِسَادًا ولـــمْ تُعْضَض عَليها الأنَــامِلُ

[13] بِعَيْنَيْكَ([6]) يَـوْمَ الحِنْـــوِ إِذْ صَبَّحـتَّهُمْ كـتَائِبُ مَــوْتٍ لـمْ تَعُفْهَا([7]) العَوَاذِلُ([8])

اختلاف الروايات :

([1]) في نهاية الأرب (رحلت ولم تنظر وأنت عميدهم) . وفي العقد الفريد (رحلت وتنظر وأنت عميدهم) .

([2]) في نهاية الأرب (فعرّيت) .

([3]) في العقد الفريد و نهاية الأرب (أهل) .

([4]) في العقد الفريد (تمرّ) وفي نهاية الأرب (تُعِرُّ) .

([5]) في نهاية الأرب (قتلي) .

([6]) في نهاية الأرب (لعلك) .

([7]) في العقد الفريد (تعقها) .

([8]) في نهاية الأرب (كتائب لم تعصك بهن العواذل) .

ضوء على الشعر :

[11] الوفر : الغنى . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (وفر) .

[13] عاف : لزم . ينظر : ابن منظر ، لسان العرب ، مادة (عوف) . العواذل : العذل : الملامة . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (عذل) .

كانَ الفخرُ مَضْرِبَ الشُّعراءِ في الجاهليَّةِ ، فقدْ افتخروا بمناقِبِهم وانتصاراتِهِم وقبائِلِهم ولا بدّ أنْ يظهرَ الفَخرُ في شِعرِ الأعشى ، ولا سيّمَا أنَّهُ بكريٌّ ، فها هيَ بكرٌ ومَنْ مَعَهَا مِنَ العربِ قدْ انتصرتْ على الفُرسِ في وقعةِ ذي قارٍ ، فَمِنَ المُؤكَّدِ أنْ يفتخرَ بهذا اليومِ ، كيفَ لا وهِيَ أكبَرُ إمبراطوريةٍ آنذاك ؟ فقدْ كانَ النَّصرُ مؤزَّرًا ممَّا دفعَ شلالُ الفخرِ بقبيلتِهِ على لسانِ الأعشى ، فقالَ ([1]) : **[مجزوء الكامل]**

[7]

[1] يَظُـنُّ النَّــاسُ بالمَــلَكَيْـ ـنِ أَنَّهُـمَا قَــدِ التَـأمَـا

---

[1]– ينظر : الأعشى ، الديوان ، 176–177 .

التخريج :

القصيدة كاملة في ديوان الأعشى ، 176–177 . روى الفراهيدي البيتين [1 ، 2] في كتاب العين ، مادة (جزأ). روى الطبري البيتين [5 ، 6] في تاريخ الأمم والملوك 481/1 . روى ابن فارس البيتين [1 ، 2] في معجم مقاييس اللغة ، مادة (لأم) . روى الأزهري في تهذيب اللغة البيتين [1 ، 2] مادة (لأم) والبيت [6] مادة (خطم) . روى السهيلي الأبيات [1 ، 2 ، 11 ، 12] في الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، 141/1 . روى الحلي البيتين [11 ، 18] في المناقب المزيدية ، 412/2 . روى ابن منظور في لسان العرب البيتين [1 ، 2] مادة (لأم) والبيت[6] مادة (خطم) . روى الزبيدي في تاج العروس البيتين [1 ، 2] مادة (لأم) والبيت [6] مادة (خطم) .

اختلاف الروايات :

المقطّعة كاملة حسب رواية الديوان 176–177 .

اختلفت المصادر التراثية في نسب هذه الأبيات ، فمنهم من نسب الأبيات [1 ، 2 ، 8 ، 11 ، 12] إلى سيف ابن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك بن قيس الحميري . ينظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، 186/1 ؛ السهيلي ، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، 141/1 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، 223/2 ، والسيرة النبوية، 45/1 . وأيضا الأبيات [1 ، 2] عند إبراهيم الحربي في غريب الحديث ، 323/1–324 ، ويستند من ينسب هذه الأبيات لسيف بن ذي يزن أن مناسبتها فتح الفرس لليمن حيت استعان بهم لإخراج الحبش منها وتمليكه عليها . ينظر : السهيلي ، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام 140/1 . ولفظ القيل هي صفة لملوك حمير خاصة ، والقيل المَلِكُ من ملوكِ حِميَرَ يَتَقَيَّلُ من قَبْلَه من ملوكِهم ، أي يُشبهُه . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (قيل) . وقد جاء في سيرة ابن هشام أن خلاد بن قرة السدوسي نسب البيت [13] لأعشى بني قيس بن ثعلبة . ينظر : السيرة النبوية ، 186/1 . ومنهم من نسبها إلى الأعشى ميمون بن قيس . ينظر : الأعشى ، الديوان ، 176–177 ؛ الأزهري، تاج العروس ، مادة (لأم) ؛ وابن منظور ، لسان العرب ، مادة (لأم) ؛ الحلي ، المناقب المزيدية ، 412/2 . والباحث يرى أن الأبيات التي نُسِبت إلى سيف بن ذي يزن أُدخلت في قصيدة الأعشى ؛ لأن القصيدة تساوت مع الأبيات وزنا وقافية .

[2] فَإنْ([1]) تَسْمَـعْ بـلَأمـهما فَـإنَّ الخَـطْبَ([2]) قَدْ فَقِمَـا

[3] وَإنَّ الحَرْبَ أمْسَى فَـحْ لـــها فِـي النَّـاسِ مـُحْتَلِمَا

[4] حَدِيدًا نَـابُـهُ ، مُسْتَـدْ لـقِـًا ، مُتَخَمَّـطًا ، قَطـِمَا

[5] أَتَانـَا عَـنْ بَنِي الأحرا رِ قَـوْلٌ لَـمْ يَكُـنْ أَمَـمَا

[6] أرادُوا نَحْـــتَ أَثْلَتِـنَا وَكُـنّـا نَمْـنَـعُ الخُـطُـمـا

[7] وَكانَ البَغْيُ مَكْـرُوهًا وَقَـوْلُ الجَهْـلِ مُنْـتَحِمَا

اختلاف الروايات :

([1]) في الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام (ومن) .

([2]) في تاج العروس ، وتهذيب اللغة ، والعين ، ولسان العرب ، ومعجم مقاييس اللغة (الأمر) .

ضوء على الشعر :

[1] التأم الفريقان : اجتمعا . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (لأم) .

[2] الخطب : الأمر أو الشأن . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (خطب) . فقما : فقم الأمر أي عظم . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (فقم) .

[3] الفَحْلُ : الذَّكَرُ من كلِّ حَيَوَانٍ . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (فحل) . محتلم : بالغ مدرك . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (حلم) .

[4] الدَّلْقُ مجزوم خروج الشيء من مَخْرجه سريعًا . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (دلق) . تخمّط الفحل : هدر . ينظر الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (خمط) . القطم : الفحل الهائج من الإبل . ينظر : الأزهري ، تهذيب اللغة، مادة (قطم) .

[5] بنو الأحرار : الفرس . ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 313/17 ؛ الأزهري ، تهذيب اللغة ، مادة (حمر) . الأمم : القريب البيّن . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (أمم) .

[6] وأَثْلة الشّيء : أصْلُه . ينظر : الأزهري ، تهذيب اللغة ، مادة (أثل) . ويقصد هنا استئصالهم . الخُطُما : كل ما يوضع على أنف البعير ليُقتاد به . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، (مادة خطم) .

[7] المنتحم : من له زفير وزحير في صدره . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، (مادة نحم) .

[8] فَبَــاتُوا لَيْلَــهُم سَمَرًا لِيُــسْدُوا غِــبَّ مَــا نَجَمَا

[9] فَغَبُّــوا نَحْــوَنَا لَجِــبًا يَهُــدُّ السَّهْــلَ والأكَــمَا

[10] سَوَابِــغَ مُــحْكَمِ المَادِ يَّ ، شَدُّوا فَـوقَـهَا الحُــزُمَا

[11] فَجَــاءَ([1])القَيْلُ هَامَرزٌ عَلَيْهِــمْ يُــقْسِمُ القَسَمَا([2])

[12] يَذُوقُ مُشَعْشَعًا حَتَّى يُفِــيْءَ السَّبْــيَ والنَّــعَمَا

اختلاف الروايات :

([1]) في المناقب المزيدية (وجاء) .

([2]) في الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام (وإن القيل قيلَ النا س وهرزَ مقسِمٌ قَسَمَا) .
وعجز البيت في المناقب المزيدية (وقد آلى لنا قسما) .

ضوء على الشعر :

[8] سدو : مد اليد نحو الشيء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سدو) وهي كناية عن تدبير الأمر . الغِبُّ : عاقبة الشيء . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (غبب) . نجم : ظهر . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (نجم) .

[9] غَبَّ الرجل : إذا جاء زائرا يوما بعد أيام . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (غبب) . اللُّجب : صوت العسكر وصهيل الخيل . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (لجب) . أكم : التل من القفِّ . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (أكم) .

[10] السّوابغ : الدّروع . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (سَبَغَ) . الماذي : الحديد . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (مذي) .

[11] القيل : الملك من ملوك حمير ، وهي صفة لهم . ينظر : ابن سيدة ، المخصص ، مادة (قيل) . الهامَرز : ملك من ملوك العجم . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (همز) .

[12] المُشَعْشَعة الخَمْرُ التي أُرِقَّ مَزْجُها . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (شعشع) . يفيء : من الفيء وهي الغنيمة . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (فيأ) . السُّبي : المأسورون . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سبي) .

[13] فَلاقَى المَوْتَ مكْتَنِعًا وَذُهْــلًا دُونَ مَــا زَعَـمَا

[14] أُبَاةَ الضَّيْمِ لا يُــعْطُو نَ مَــنْ عَــادوهُ مَا حَكَمَا

[15] أَبَتْ أَعْنَاقُــهُمْ عِـزًّا فَمَا يُعْــطُونَ مَــنْ غَشَمَا

[16] عَلَى جُرْدٍ مُسَوَّمَــةٍ عَـوَابِسَ تَــعْلُكُ اللُّجُــمَا

[17] تَخَالُ ذَوَابِــلَ الخــطَّ يَّ فــي حَافــاتِها أجَــمَا

[18] قَتَلْنَا القَيْلَ هامَـرْزًا ([1]) وَرَوَيْـنَا الكـثِيبَ([2]) دَمَــا

اختلاف الروايات :

([1]) في الروض الأُنف (مسروقا) . ومسروق هو ابن أبرهة الحبشي – ملك اليمن – الذي اشتكاه سيف بن ذي يزن لكسرى . ينظر : السهيلي ، الروض الأنف ، 140/1 . وفي المناقب المزيدية (هامُرزا) .

([2]) في المناقب المزيدية (الكميت) .

ضوء على الشعر :

[13] مكتنعا : منقبضا منكمشا . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كنع) . وذهلا : قبيلة من بني شيبان بن بكر . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (ذهل) .

[14] الضيم : الظلم . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ضيم) .

[15] غشم : ظلم . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (غشم) .

[16] الجُرد : مفردها الأجرد : وهو قصير الشعر ، ويقال مجازا للفرس كناية عن السرعة . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (جرد) . مسوّمة : مرسلة . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (سوم) . تعلك اللُّجما : وعَلَكَ الفَرَسُ اللِّجامَ : حَرَّكَه في فِيه ولاكَه . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (علك) .

[17] الذوابل ، مفردها ذابل وهو الرقيق اللاصق . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (ذبل) . الخطي : الرِّماح . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (خطط) . أجم : سكت على غيظ . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (أجم) .

[18] الكثيب : مجتمع الرَّمل . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كثب) .

[19] ألا يَا رُبَّ مَـا حَسْرَى سَتَنْكِحُـهَا الـرِّمَاحُ حَـمَا

[20] صَبَحْنَـاهُم مُشَعْشَعَةً تَخَـالُ مَصَبَّـهَا رَذَمَـا

[21] صَبَحْنَـاهُم بِنُـشَّابٍ كَفِيـتٍ قَعْـقَعَ الأَدَمَـا

[22] هُنَاكَ فدًى لَهمْ أُمِّـي غَـدَاة تَـوَارَدُوا العَـلَـمَا

[23] بِضَرْبِهِمُ حَبَيـكَ البَيْـ ـضِ حتَّى ثَلَّمُـوا العـجَمَا

[24] بِمِثْلِـهِمُ غَـدَاةَ الرَّو عِ يَجـلو العِـزَّ والـكَرَمَا

[25] كَتَائِـبُ مِنْ بَنِي ذُهلٍ عَلَيْهَا الـزُّعفُ قَـدْ نُـظِمَا

[26] فَلاقَـوْا مـعْشَرًا أُنُـفًا غِـضَابًا أحـرزُوا الغَنَـمَا

ضوء على الشعر :

[19] الحما : أبو الزوج وأخو الزوج . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (حما) .

[20] صبَّحهم : أتاهم صباحا . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (صبح) . شعشع : شعشع الشيء أي خلط بعضَهُ ببعضٍ . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (شعع) . رذم : سال وهو ممتلئ . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (رذم) .

[21] كفيت : سريع خفيف دقيق . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (كفت) . قعقعَ ، القعقعةُ : تحريكُ الشيء مع سماع صوت له . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (قعقع) . الأدم : البشرة وظاهر الجلد . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (أدم) .

[22] العلم : الراية التي يجتمع إليها الجند . ينظر : الأزهري ، تهذيب اللغة ، مادة (علم) .

[23] حبيك البيض : يقصد الرأس . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (حبك) . ثلم : كُسر. ينظر : الزبيدي، تاج العروس ، مادة (ثلم) .

[24] الرَّوع : الفزع . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (روع) .

[25] الزُّعفُ : الدّرع اللينة . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (زعف) .

[26] الأنف : السيد . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (أنف) . الغَنمُ : الفوز بالشيء من غير مشقة . ينظر : ابن منظور ، مادة (غنم) .

ثانيا – الأغلبُ العِجليُّ

هُوَ الأغلبُ بن عمرِو بن عبيدة بن حارثة بن دلف بن جشم بن قيسِ بن سعدِ بن عجلِ بن لجيمِ بن الصَّعبِ بن عليّ بن بكرِ بن وائلٍ ، وهوَ مِنَ الرّجَّازِ الدّقيقين في معانيهم ([1]) ، ويقالُ لهُ الأغلبُ الرّاجزُ([2]) ، عاشَ تسعينَ سنةً . وكانَ الأغلبُ جاهليًّا إسلاميًّا، قُتِلَ بنهاوند([3]) ، قالَ شعرًا في وقعَةِ ذي قار([4]) : **[البحر الرجز]**

[1] قَدْ عَلمُوا يومَ خَلا يَزيـــنَا([5]) إذْ مَـــالــتِ الأحـــياءُ مقبّلـينا

[2] أنّـــا بنـــو عِجـل إذا لقِينا نَمنَـعُ مِـــنّا حَـــدّ مَنْ يَلينا([6])

[3] نقارعُ السّنينَ عَـــن بَنينا([7]) الغـــمـــرات ثـــمّ يَنـجَـــلِـــينَا

---

[1]– ينظر : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، 599/1 ؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، 467/1 .

[2]– ينظر : ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، 737/2 ؛ ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، 208/1

[3]– ينظر : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، 599/1 ؛ البغدادي ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، 210/2 . معركة نهاوند : هي معركة فتح السلمون فيه نهاوند وخلصوها من الأعاجم بقيادة النعمان بن مقرن ، إذ تولى القيادة بأمر أمير المؤمنين – عمر – رضي الله عنه – وذلك سنة إحدى وعشرين . ينظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 518/2– 519 ؛ الحموي ، معجم البلدان ، 313/5 ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، 226/3 . نَهاوَنْد : هي مدينة عظيمة في قبلة همذان . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 313/5 .

[4]– الهاشمي ، الأمثال ، 182/1 ؛ العسكري ، الأوائل ، 291 . وقد أضاف العسكري في الأوائل شطرة يقول فيها (عنا ونيران تأخرينا) .

التخريج :

روى الأبيات الهاشمي في الأمثال 182/1 . روى العسكري الأبيات [1 – 3] في الأوائل 291 .

اختلاف الروايات :

الأبيات حسب رواية الهاشمي في الأمثال 182/1 .

([5]) في الأوائل (حبايزينا) .

([6]) جاء البيت الثاني في الأوائل هكذا : (وطارت الجفون وانقضينا إنّا بني عجل إن القينا) .

([7]) في الأوائل (ندفع عنا حدّ من يلينا) وأضاف إليها : (عنّا ونيران تأخرينا) .

ضوء على الشعر :

[2] ولي : قرب و دنا و تبع . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ولي) .

[3] الغمرة : الزّحمة من الناس . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (غمر) .

ثالثـــا- إياسُ بنُ قُبيصَةَ

هوَ إياسُ بن قبيصةَ الطائيّ العِباديّ بن أبي عفّر بنُ النُّعمان بن حيَّة بن سعنة بن الحارثِ بن الحويرثِ بن ربيعةَ بن طيىء ([1]) وهوَ مِنْ أشرافِ طيِّئ وفصحائِهَا وشجعانِهَا([2]) ، فقدْ تولَّى الحُكمَ على الحِيرةِ ، وكانَ عاملًا للفُرسِ على العربِ ، بأمرِ كسرى بن هُرمز ([3]) ، وعندَ مجيْءِ يومِ ذي قار ودخولِ العربِ السَّواد استشارَهُ كسرى في أمْرِ العربِ ، فأشارَ عليهِ بالولايَةِ الكَاملَةِ لرأيِ الملكِ ، وبعدَ هزيمةِ الفُرسِ في المَعرَكَةِ كَانَ أوَّلَ منْ انصرَفَ إلى كِسرى بالهزيمَةِ ، وكانَ كِسرى لا يأتيهِ أحَدٌ بهزيمَةِ جيشٍ إلا نزعَ كتفيْهِ ، فلمَّا أتاهُ إياسٌ سَألَهُ عنِ الخبَرِ فقالَ : هَزَمنَا بَكرَ بن وائلٍ فأتيناكَ بنسائِهِم ، فأَعجَبَ ذلكَ كِسرى وأمَرَ لَهُ بكسوَةٍ ، وإنَّ إياسا استأذَنَهُ عِندَ ذلكَ فقالَ : إنَّ أخي مريضٌ بعينِ التَّمرِ فأردتُ أن آتيهِ ، وإنمَّا أرادَ أنْ يتنحَّى عنْهُ ، فأذنَ لهُ كِسرى فتركَ فَرَسَهُ الحَمامَةَ ، ورَكِبَ نجيبَهُ فلحِقَ بأخيهِ ، ثمُّ أتى كسرى رجلٌ مِنْ أهلِ الحِيرةِ وهوَ بالخورنَق ([4]) ، فسألَ : هلْ دَخلَ على المَلِكِ أحدٌ ؟ فقالوا : نَعمْ ، إياسٌ، فقالَ : ثكلتْ إياسًا أمُّهُ ، وظَنَّ أنّهُ قدْ حدّثَهُ بالخبرِ فَدَخلَ عليْهِ فحدَّثَهُ بهزيمَةِ القومِ ، وقتلِهُم فأمرَ بِهِ فَنَزَعَ كَتِفَيهِ ([5]) ، فقال إياس عِندَ هُروبِهِ يصفُ نجاتَهُ وهوَ يحُثُّ فرَسَهُ على الإسراعِ ([6]) : **[البحر الطويل]**

---

[1]- ينظر: ابن جني ، المبهج ، 22 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 69/2 ؛ الحلي ، المناقب المزيدية ، 162/1 .

[2]- ينظر : أبي تمام ، شرح ديوان الحماسة ، 158/1 .

[3]- ينظر : ابن حبيب ، المحبر ، 456/2 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 1/ 3 ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 252/1؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، 180/2 .

[4]- قصر بظاهر الحيرة ، أمر ببنائه النعمان بن امرئ القيس – ملك الحيرة – ويقال إنّ الذي بناه رجلٌ من الروم يقال له سنمَّار .، وهو الذي يُضرَبُ به المثَل . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 401/2 .

[5]- ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 24/71-72 .

[6]- ينظر : أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة ، 37 ؛ المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة ، 1/208-209 .

التخريج :

روى أبو تمام الأبيات من [1 – 4] في شرح حماسته 1/158-159 ، ورواها المرزوقي أيضا في شرح ديوان الحماسة ، 1/208-209 . روى الزمخشري البيت [3] في المستقصي في أمثال العرب ، 289/1 . روى الحلي البيت [1] في المناقب المزيدية 411/2 .

[1] مَا([1]) وَلَـــدَتْني حـــــاصِنٌ ربَعيَّـــةٌ لَـئِنْ أنَا مَـالأَتُ الهــوَى لاتّباعِهَا([2])

[2] أَلَـــمْ تَـرَ أنَّ الأرضَ رَحْـــبٌ فَسِيـحَةٌ فَهَــلْ تُــعجِزَنّي بُقْعَـةٌ مِــنْ بِقَاعِهَا

[3] وَمَبْثُوثَةٍ بَـــثَّ الدَّبَى([3]) مُسبَطِـــرَّةٍ([4]) رَدَدْتُ([5])عَـلَى بِطائِهَا مِـنْ سِراعِهَـا

[4] وأقْـــدَمـــتُ والخَطّيّ يَخْطِـــرُ بَينَنَا لأعلَـمَ مَـنْ جَبانُــها مِـنْ شُجَاعِهَـا

اختلاف الروايات :

الأبيات كاملة حسب رواية أبي تمام في حماسته ، 1/158-159 .

([1]) في المناقب المزيدية" فما " . البيت الأول فيه كسر في الوزن .

([2]) في المناقب المزيدية (في اتباعها) .

([3]) في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، والمستقصي في أمثال العرب (الدَّبا) .

([4]) في الأشباه والنظائر (مسيطرة) .

([5]) في الأشباه والنظائر (رددنا) .

ضوء على الشعر :

جاءَ البيتُ الأوَّلُ مخرومًا في روايتي : أبي تَمام ، والمَرزوقي ، في حينِ رواهُ أبو البقاء الحلّيّ مستقيمَ الوزنِ ، حيثُ أضافَ مقطعا قصيرا في بدايةِ تفعيلةِ : فعولن " من البحرِ الطَّويل .

[1] حاصن : امرأة حاصن وحصان ، أي ممتنعة من الرّفث ، عفيفة . ربعية : منسوبة إلى قبيلة ربعية . ينظر : المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة ، 1/208 . المملأة : المعاونة ، ومالأت فلانا على الأمر : ظاهرته وكنت معه في مشورته . ينظر : الفراهيدي ، العين ، مادة (ملأ) ؛ الأزهري ، تهذيب اللغة ، مادة (ملأ) ؛ الصاحب بن عباد ، المحيط في اللغة ، مادة (ملأ) .

[3] الدّبى : الجراد قبل أن يطير . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (دبي) . اسبطر : أسرع . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سبطر) . بطائها ، الإبطاء : نقيض الإسراع . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (بطأ) .

[4] الخطيّ : الرّماح . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (خطط) . يخطر : خطران الرمح : ارتفاعه وانخفاضه للطعن . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (خطر) .

رابعًا – بكيرُ بن الأصم

هوَ بُكيرُ بنُ الأصمِّ بن الحارثِ بن عباد ([1]) ، أحدُ بني قيسِ بن ثعلبةَ ([2]) ، حضَرَ يومَ ذي قار ومدَحَ بني شيبان فيهِ ([3]) لانتصارِهِم المؤزَّرِ على الفُرسِ فقالَ ([4]) : **[البحر الكامل]**

[1]

[1] إنْ كُنْـــتِ سَاقِيَـــةَ المُدامَةِ أهْلَهَا فاسْقِـــي عَـــلَى كَـــرَمٍ بَين([5])هَمّـــامِ

[2] وَأَبَـــا رَبيعَةَ كُـــلَّـــها ومُحَلِّـــــمًا سَبَقا([6]) بغـايَةِ أمْجَـــدِ([7]) الأيَّـــامِ([8])

---

[1]– ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 74/2 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 488/1 ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، 37/23.

[2] – ينظر : الميداني ، مجمع الأمثال ، 431/2 .

[3] – ينظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 481/1 .

[4] – ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 74/2 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 481/1 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 73/24 ؛ الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، 262/1 .

التخريج :

روى أبو عبيدة الأبيات [1 – 6] في النقائض 74/2 ، ورواها الطبري في تاريخ الأمم والملوك 488/1 . روى الأصفهاني الأبيات [1 – 4 ، 8] في الأغاني 73/24 . روى العسكري البيتين [1 ، 3] في الأوائل 291 . روى ابن سيدة البيت [4] في المحكم مادة (لأف) . روى الميداني البيتين [3 ، 7] في مجمع الأمثال ، 431/2 . روى ابن منظور البيت [4] في لسان العرب مادة (ألف) . روى الحميري الأبيات [1 – 4] في الروض المعطار في خبر الأقطار 262/1 . فيما روى الزبيدي البيت [4] في تاج العروس ، مادة (ألف) .

اختلاف الروايات :

الأبيات [1 – 6] حسب رواية النقائض ، والبيت [7] حسب رواية معجم البلدان ، والبيت [8] حسب رواية الأغاني ، 73/24 .

([5]) في الأغاني ، والأوائل ، والروض المعطار (بني) . ويبدو أن رواية النقائض فيها الكسر .

([6]) في الأغاني ، والروض المعطار (سبقوا)

([7]) في الأغاني وردت (بأنجد) .

([8]) ورد هذا العجز في الروض المعطار هكذا (سبقوا بغاية أفضل الأقسام) .

[3] ضَرَبُوا بَني الأحرارِ يَـوْمَ لَقَوهُمُ([1]) بـــالمَشْرِفِيّ عَــلَى مَقيــلِ([2]) الهـــامِ

[4] عَـــرَبًا([3]) ثلاثــة آلُــفٍ وكَتيبَةً أَلْفَيــنِ أَعْجَــمَ([4]) مِــنْ بَني الفَـدَّامِ

[5] شَدَّ ابْــنُ قَيسِ شَدَّةً ذَهَبَتْ لَــها ذِكْـرًا ([5]) لَــهُ فِــيْ مُعـرِقٍ وشآم([6])

ضوء على الشعر :

[1] بين همام وهي بني همام : هم بنو همام بن مرة بن ذهل بن شبيان . ينظر : السمعاني ، الأنساب ، 485/3 ؛ ينظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 277/2 . المُدام : عنى به الشراب . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كعب) .

اختلاف الروايات :

([1]) في الأوائل (لقوهمو) .

([2]) في الأغاني ، والروض المعطار (شؤون) . ووردت في معجم البلدان ، ومجمع الأمثال (صميم) .

([3]) في الأغاني ، والروض المعطار (عربٌ) .

([4]) في الأغاني ، والروض المعطار (ألفان عُجمٌ) .

([5]) وردت في تاريخ الأمم والملوك (ذكرى) .

([6]) ورد هذا البيت في الأغاني بهذه الرواية :

وغـدا ابنُ مَسعُودٍ فـأوقعَ وَقْعةً ذَهبَـتْ لهـمْ في مُعْـرِقٍ وشآم .

ضوء على الشعر :

[3] المشرفِيّ : السيف . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (شرف) . مقيل : موضع القائلة من الرأس . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (قيل) .

[4] بني الفدام : الفدام : شيء تمسح به الأعاجم عند السقي ، فالساقي فدام ، والإبريق فدام ، وبما أن السياق عن الفرس فيقصد الفرس . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (فدم) .

[5] ابن قيس : عمرو بن قيس بن مسعود بن عامر بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان وهو عمرو الأصم . ينظر : المرزباني ، معجم الشعراء ، 39 . الشَدّة : الحملة ، والشّد : الحمل . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (شدد) . معرق : إذا أخذ الرجل في بلد العراق . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عرق) . شآم : نسبة للشام . ينظر : ابن سيدة ، المحكم ، مادة (شأم) .

[6] عَمْرٌو وما عَـمرٌو بقَحْمٍ دالفٍ ([1]) فـــيــها ولا غُـــمْــرٍ ولا بِغُـــلامِ

[7] هُمْ يوْمَ ذي قَارٍ وقَدْ حَمِسَ الوَغَى خَلَطــوا لُهَامًــا جَحْفَـــلاَ بِلُهَـامِ

[8] زَحفُـــوا بجمْـــعٍ لا تُـــرَى أَقْطارُه لقِحــَتْ بـــهِ حـــرْبٌ لغـيرِ تمام

وقالَ بكيرُ بن الأصم يومَ ذي قار يَحُضُّ قومَهُ على القتالِ ([2]) : **[البحر الطويل]**

[2]

[1] إذا كنتَ تخشى مِنْ عدوّكَ صولَةً ولـــم تستطِعْ دَفعًــا لَهَا حِينَ يُقدِمُ

[2] فقاتلْ حِفاظًا أو فمُتْ مَوتَ فارس فللموتِ في أمثـــالِ هاتيـك أكـــرمُ

اختلاف الروايات :

([1]) في تاريخ الأمم والملوك (داله) .

ضوء على الشعر :

[6] القحم : الرجل الكبير في السن جدا . ينظر : الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مادة (قحم) . الدالف : الكبير الذي اختطفته السن . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (دلف) . غُمر : الصبي الذي لم يجرب الأمور . ينظر : ابن سيدة ، المخصص ، باب الخبرة .

[7] اللهام : الجيش الكثير لأنه يلتهم كلّ شيء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (لهم) . الجحفل : الجيش الكثير ، ولا يكون ذلك حتى يكون فيه خيل . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (جحفل) .

---

[2]– ينظر : أبو عبد الله اليمني ، مضاهاة أمثال كليلة ودمنة ، 17 .

التخريج :

هذان البيتان حسب رواية أبي عبد الله اليمني في مضاهاة أمثال كليلة ودمنة ، 17 .

ضوء على لشعر :

[1] صولة ، الصّولة : الوثبة . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (صول) .

[2] هاتيك : اسم يشار به للمؤنث . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، مادة (تا) .

خامسًا- حُرقةُ بنتُ النّعمان

هِيَ حُرْقةُ بنتُ النُّعمان بن المنذرِ بن امرئ القيس بن عمر بن عَديّ بن نَصر بن ربيعة بن الحارث بن مَالك بن عمّ بن نمارة بن لخم ، ([1]) ، كانَ لحُرقةَ بنتُ النُّعمان ديرٌ بظاهرِ الكُوفةِ ([2]) عَاشتْ الحرقةُ حياةً منعَّمةً ، مترَفَةً ، فإذا مَا خرجَتْ كانتْ تُفرَشُ الأرضُ لها حَريرًا وديباجًا([3]) وأقامتْ هندُ بنتُ النُّعمان في جوارِ هانئ بن قُبيصةَ ، فبلغهَا نبأُ الفُرسِ وهمْ يستعدونَ للنَّيلِ منَ العربِ بمعونَةِ المُوالينَ لهُم فبَعَثتْ تنذِرُ قومَهَا بقدومِ الفُرسِ ([4]) : **[البحر الوافر]**

[1]

[1] ألا أبلغْ بَني بَــكرٍ رَسُوْلا ([5]) فَــقَدْ([6]) جَــدَّ الَّنفيرُ بعنقَفِــيرِ

---

[1]- ينظر : الآمدي ، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء ، 129 ؛ الدار قطني ، المؤتلِف والمختلِف ، 817/2 . وأشارت بعض المصادر أن حرقة لقب لهند نفسها . ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 62/24 ؛ البغدادي ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، 63/7 .

[2]- ينظر : الميداني ، مجمع الأمثال ، 431/1 البغدادي ؛ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، 63/7 .

[3]- ينظر : البكري ، المسالك والممالك ، 299/1 ؛ الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، 207/1 .

[4] - ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 63/24 ؛ الحلي ، المناقب المزيدية ، 413/2 .

التخريج :

رواية الأبيات [1 – 4] كما عند الأصفهاني في الأغاني ، 63/24 ، أما رواية البيتين [5 ، 6] فكانت كما عند الحلي في المناقب المزيدية ، 413/2 .

روى الحلي الأبيات [1 – 6] في المناقب المزيدية ، 413/2 ، وروى السيوطي الأبيات [1 ، 2 ، 5] في المزهر في علوم اللغة 142/1 .

اختلاف الروايات :

الأبيات [1 – 4] على رواية الأغاني ، 63/24 ، أما الأبيات [5 ، 6] فعلى رواية المناقب المزيدية ، 413/2 .

([5]) في المناقب المزيدية (ألوكا) وفي المزهر في علوم اللغة (ألا مَنْ مبلِغ بكرا رسولا) .

([6]) في المناقب المزيدية (لقد) .

[2] فَــليتَ الجيشَ كلَّهم فِـداكُم ونَـفْسي والسَّريــرِ وذا([1]) السَّريــرِ

[3] كأنّي حِينَ جَدَّ بِهم([2]) إليكُم مُعَــلّقَــةَ الــذَّوائِــبِ بــالــعَبُــورِ

[4] فَــلو أنّــي أطقتُ لذاكَ دفْعا إذنْ لــــدفعتُــه بــدمِــي وزيــــري

[5] فإنْ تَكُ نِعمةً بظهورِ بكرٍ([3]) فــأكْـرِمْ ([4]) بالــبِشارةِ لِلبَشــيرِ([5])

[6] وإنْ تــكُ نكبةً فعلــيَّ منهَا كمــامِــــيرَ الــــدَّهيمُ بمُستمــيرِ

= ضوء على الشعر :

[1] ألوكا ، الألوك : الرسالة . الأزهري ، تهذيب اللغة ، مادة (ألك) . العنقفير : الداهية من دواهي الزمان . الأزهري، تهذيب اللغة ، مادة (عفقر) . وتبدو الحرقة هنا خائفة مضطربة .

اختلاف الروايات :

([1]) في المزهر في علوم القرآن (وذو) .

([2]) في المناقب المزيدية (جذبهم) .

([3]) في المزهر في علوم القرآن (وظهور قومي) .

([4]) في المزهر في علوم القرآن (فيا نعم) .

([5]) في المزهر في علوم القرآن ورد البيت هكذا : (فإن تكُ نعمةٌ وظهور قومي فيا نعم البَشارةَ للبَشير) .

ضوء على الشعر :

[2] السرير : المُلْك . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (سرر) .

[3] جذبهم : جاذبته الشيء أي نازعته . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، (مادة جذب) . الذوائب : النواصي . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (ذأب) .

[4] الزير : ما استحكم فتله من الأوتار ، كناية عن أوتار القلب . ينظر : الأزهري ، تهذيب اللغة ، مادة (زير) .

[6] الدّهيم : الدّاهية ، والدُّهَيمِ اسم ناقة غزا عليها ستة إخوة فقُتِلُوا عن آخرهم وحُمِلوا عليها حتى رجعت بهم فصارت مثلًا في كل داهية وضربت العرب الدُّهَيْمَ مثلا في الشر والداهية . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب مادة (دهم) . وهذه الناقة كانت لزبان بن المجاهد الذهلي . ينظر : الحلي ، المناقب المزيدية ، 2 /413.

قُتِل النُّعمانُ بنُ المنذرِ وأُزِيلَ مُلْكُهُ ، فأَمْسَتْ الحُرقةُ تَبكي تِلكَ الأيَّامَ وتَحِنُّ إليها ، ورُوِيَ أنَّها سُئِلتْ عنْ أهلِهَا فأجابتْ : " أصبحْنَا ومَا في العربِ أحدٌ إلا يرجونَا أوْ يخافُنَا وأمسينَا ومَا في العربِ أحدٌ إلا يرحُمنا " ([1]) وقدْ تألَّمَتْ ألمًا شديدًا على ذلكَ الواقعِ الَّذي عاشتْهُ مقارِنَةً بينَ ما كانتْ عليهِ منْ نَعمةٍ وترَفٍ وهيبَةٍ ورهبَةٍ ، وما آلتْ إليهِ الأمورُ بمقتلِ أبيها وانتقالها مِنْ مرحلةِ المملَكَةِ والأمَارةِ إلى ذلِّ العزيزِ، فأنشدَتْ تشكو تغيّر الزمان([2]) : **[البحر الطويل]**

---

[1]– ابن أبي الدنيا ، الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان ، 32/1 .

[2]– أبو تمام ، ديوان الحماسة ، 2/ 734– 735 ؛ الجاحظ ، المحاسن والأضداد ، 15/1 ؛ أبو بكر الدينوري ، المجالسة وجواهر العلم ، 364/5 ؛ ابن أبي الدنيا ، الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان ، 37/1 ؛ الدار قطني ، المؤتلِف والمختلِف ، 836/2 ؛ النهرواني ، الجليس الصالح والأنيس الناصح ، 440/1 . المسعودي ، مروج الذهب في أخبار من ذهب ، 106/2 ؛ الجوهري ، الصحاح ، مادة (نصف) ؛ الحريري ، درة الغواص في أحلام الخواص ، 244/1 ؛ الميداني ، معجم البلدان ، 2542 ؛ الطرطوشي ، سراج الملوك ، 39 ؛ ابن الجوزي ، كشف المشكل من حديث الصحيحين ، 395/1 ؛ ابن أبي حديد ، شرح نهج البلاغة ، 5295/1 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (نصف) ؛ ابن القيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، 173/4 والطب النبوي 161/1 ؛ الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، 208/1 ؛ المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، 25/3 ؛ البغدادي ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، 62/7 .

التخريج :

روى أبو تمام البيتين في شرح الحماسة 734/2–735 . ورواهما الجاحظ في المحاسن والأضداد ، 15/1 . ورواهما ابن أبي الدنيا في الاعتبار وأعقاب السرور ، 37/1 ، ورواهما أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ، 364/5 ، ورواهما المسعودي في مروج الذهب ومعادن الجوهر ، 103/2 . رواهما الدار قطني الأبيات في المؤتلِف والمختلِف ، 836/2 . روى الجوهري البيت [1] في الصحاح ، مادة (نصف) . روى الحريري البيت [1] في درة الغواص في أحلام الخواص ، 244/1 . روى الميداني البيتين[1 ، 2] في معجم البلدان ، 542/2 . روى ابن الجوزي البيت [1] في كشف المشكل من حديث الصحيحين ، 395/1 . روى ابن أبي حديد البيتين [1 ، 2] في شرح نهج البلاغة ، 5235/1 ، وراهما ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (نصف) . ورواهما ابن القيم الجوزية في زاد المعاد في هي خير العباد ، 173/4 والطب النبوي 161/1 . ورواهما الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، 208/1 . روى المقري البيت [1] في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، 25/3 . روى البغدادي البيتين [1 ، 2] في خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، 62/7 . روى الزبيدي البيت [1 ، 2] في تاج العروس ، مادة (نصف) .

[2]

[1] بينا([1]) نَسُوسُ النّاسَ والأمرُ أمرُنا إذا نَحــنُ فيهم([2]) سوقَــةٌ نتنصَّفُ([3])

[2] فأفٍّ([4]) لدنــيا لا يــدوم نعيــمُها تَقــلّب([5]) تــارات بِنــا([6]) وتصرّفُ

اختلاف الروايات :

الأبيات حسب رواية أبي تمام في شرح ديوان الحماسة ، 2/734-735 .

([1]) في المحاسن والأضداد ، والمجالسة وجواهر العلم ، وشرح نهج البلاغة ، ومروج الذهب ، ومعجم البلدان ، والروض المعطار ، وزاد المعاد ، ونفح الطيب (فبينا) . يبدو البيت الأول فيه كسر على رواية أبي تمام .

([2]) في الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان (منهم).

([3]) في المجالسة وجواهر العلم (ليس ننصف) وفي مروج الذهب ومعادن الجوهر (ليس نعرف).

([4]) في المجالسة وجواهر العلم ، ومعجم البلدان (فتبا).

([5]) في المؤتلِف والمختلِف (فقلب) ، وفي درة الغواص في أحلام الخواص (تنقل) .

([6]) في المؤتلِف والمختلِف (وحينا) .

ضوء على الشعر :

[1] نسوس ، ساس : ساس الناس : أُمِّرَ عليهم . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (سوس) . سوقة : خلاف المَلِكِ . ينظر: الجوهري ، الصحاح ، مادة (سوق) وذكرها النَّهرواني أنها الرعية . ينظر : الجليس الصالح والأنيس الناصح ، 1/554 . نصّف : خدم . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (نصف) .

[2] تارات : التارة : المرة والحين . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (تور) .

سادسًا- حَنْظَلَةُ بنُ سيَّار

هُوَ حَنظلةُ بنُ ثعلبةَ بنُ سيّار بنُ حييّ بنُ حاطبةَ بنُ الأسعدِ بنُ جذيمةَ بنُ سعدِ بنُ عجلٍ ، ويقالُ لهُ أبو مَعدان ([1]) لَهُ فَرَسٌ اسمُها عُمير([2]) . لقدْ شاركَ حنظلةُ بنُ سيَّار العِجليّ في معركةِ ذي قار ، وولاهُ العربُ أمرَهُم ، وهُوَ مَنْ أشارَ على العَرَبِ بالصّبرِ والقتالِ ، ولمْ يقبلِ الفِرارَ والانهزامَ ([3]) ، ولُقّبَ بذي القبّةِ ([4])، فَلَمَّا التقى الفريقانِ كانَ يزيدُ بنُ مُسهَّرِ الشَّيبانيّ على ميمنةِ هانئ بن قُبيصةَ ، وعلى ميسرتِهِ حنظلةُ بنُ سيّارِ ، فشرعوا بالمبارزَةِ والقتالِ، وبدأ حنظلة يحرض قومه([5]): **[البحر الرجز]**

---

[1] - ينظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 479/1 ؛ ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، 135/2 ؛ ابن ماكولا ، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف والكنى والأنساب ، 436/4 . وهو رجل أصلع الشعر عظيم البطن مشرب حمرة . ينظر : الأصفهاني ، الأغاني، 68/24 .

[2] – ينظر : ابن الأعرابي ، أسماء خيل العرب وفرسانها ، 170 .

[3] – ينظر : الأصفهاني، الأغاني ، 68/24 .

[4] – ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (قبب) .

[5]– أبو عبيدة ، النقائض ، 2/ 72– 73 ؛ ابن الأعرابي ، أسماء خيل العرب وفرسانها ، 170 . ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 480/1 .

التخريج :

روى هذه القصيدةَ أبو عُبيدة في النقائض 72/2– 73 ، وابن الأعرابي في كتابه أسماء خيل العرب وفرسانها ، 170 . روى ابن قتيبة البيت [1] في الإمامة والسياسة ، 210/2 . روى المبرد البيتين [1 ، 2] في الكامل في اللغة والأدب 299/1 . روى الطبري المقطّعة كاملة في تاريخ الأمم والملوك ، 480/1 . وروى ابن عبد ربه البيت [1 ، 2] في العقد الفريد ، 121/4 . وروهما المسعودي في مروج الذهب ومعادن الجوهر ، 134/3 . روى الأزهري البيت [2] في تهذيب اللغة ، مادة (عرد) . روى العسكري الأبيات [1 – 3] الأوائل ، 290 . روى ابن مسكويه البيتين[1 ، 2] في تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، 242/1 . روى ابن حمدون الأبيات [1 ، 2] في التذكرة الحمدونية ، 447/1 . روى الإسترأبادي النحوي الأبيات [1 ، 2] في شرح شافية ابن الحاجب ، 301/4 . روى ابن منظور البيت [2] في لسان العرب ، مادة (عرد) ، ورواه النويري في نهاية الأرب في فنون الأدب ، 128/21 . روى ابن حجر الأبيات [1 ، 2] في الإصابة في تمييز الصحابة ، 135/2 . روى الزبيدي عجز البيت الأول والبيت [2] في تاج العروس ، مادة (عرد) . روى أحمد زكي صفوت البيتين [1 ، 2] في جمهرة خطب العرب ، 289/2 .

اختلاف الروايات :

الأبياتُ حسب رواية النقائض 72/2– 73 .

[1]

[1] قُدْ جَدَّ([1]) أشياعُكُمُ([2]) فَجِدُّوا([3]) ما عِلَّتِي وَأَنَـا مُـؤَدٍ([4]) جَلْـدُ ([5])

[2] والـقَوْسُ فيهَـا وَتَـرٌ عُـرُدٌ مِـثْـلُ ذِرَاعِ البَـكْـرِ([6])أوْ أَشَـدُّ

[3] قَدْ جَعَلَتْ أَخْبَـارُ قَـوْمِيْ تَـبْـدُو وَأَنَّ المَنَـايَـا لَيْسَ مِنْـها بُـدُّ

[4] هـذا عبيـدٌ([7]) تَـحته ألـدُّ([8]) يُـقْـدِمُهُ لَـيْسَ لَـهُ مَـرَدُّ

[5] حتَّى يـعودُ كالـكُمَيْتِ الـوَرْدُ خَلُّـوا بنـي شيبانَ فـاستَبَدّوا([9])

[6] نفسي فـدتكم وأبـي والجـد

([1]) في تاريخ الأمم والملوك ، وتجارب الأمم (شاع) ، والإصابة في تمييز الصحابة (حل) .

([2]) في الأوائل (أشباعكم) .

([3]) في تجارب الأمم وتعاقب الهمم (شيخ) .

([4]) في تجارب الأمم وتعاقب الهمم (شيخ) .

([5]) في الإمامة والسياسة (والقوس فيها وتر عرد) ، وفي الأوائل (جَلِدُ) ، وفي شرح شافية لابن الحاجب (شيء إد) . وقد روى المبرد في الكامل في اللغة والأدب ، والمسعودي في مروج الذهب ، وابن حمدون في التذكرة الحمدونية ، والنويري في نهاية الأرب ، وأحمد زكي صفوت في جمهرة خطب العرب البيت الأول هكذا :

(قد شمرت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا)

([6]) في لسان العرب (جِران الفيل) ، وفي تاج العروس (جران العود) .

([7]) في تاريخ الأمم والملوك (عمير) .

([8]) في أسماء خيل العرب وفرسانها هكذا (هذا عميرٌ فوقه الألدُّ) .

([9]) في أسماء خيل العرب وفرسانها (واستبدوا) .

ضوء على الشعر :

[1] جَدّ: جَدّ الرجل ، أي اجتهد في ألأمر . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، (مادة (جدد) . أشياعكم : شيعة الرجل، أنصاره وأتباعه ، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، (مادة شيع) . مؤدٍ : كامل أداة السلاح . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، (مادة أدا) .

[2] وتر عردّ : شديد في توتره . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (عرد) .

[4] الألدّ : شديد الخصومة . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، (مادة لدد) .

[5] الكميت الورد : بين الأحمر والأسود . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، (مادة كمت) .

شَاركَ حنظلةُ في القتالِ يومَ ذي قار ، وبقيَ ثابتًا إلى أنْ هُزِمتِ الفُرسُ ، وهُوَ أوَّلُ مَنْ ذهبَ بخبرِ النَّصْرِ إلى الرّسولِ – صلى الله عليه وسلم – وغنائِمِهِ ([1]) ، وتلا الرَّسوُل قولَهُ تعالى : " واعلموا أنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شيْءٍ فَإنَّ للهِ خُمُسُهُ وللرَّسولِ " ([2]) فسرّه ذلك وقد ذُكِر أنَّهُ أسلمَ ، وممَّا يدلّلُ على إسلامِهِ قولُه ([3]) : **[البحر الطويل]**

[2]

[1] ونَحنُ بعثنا الوفدَ بالخيلِ ترتَمي بِهِمْ قُلُصٌ نحوَ النّبيّ محمدِ

[2] بما لقيَ الهرموزُ والقومُ إذ غزوا وما لقيَ النُّعمانُ عندَ التَّورّد

فيظهَرُ إيمانُ حنظلةَ بنبوّةِ مُحمدٍ ، صلى الله عليه وسلّم ، وهُوَ خَيرُ دَليلٍ على إسلامه ، وممَّا لا شَكّ فيِ أنَّ حنظلةَ كانَ فارسًا شُجاعًا أطلقَ على فَرَسِهِ العُميرُ ([4]) ، ثُمَّ أبلى بلاءً حسنًا في يومِ ذي قار ، فكانَ قائدًا مِغوارًا ، يُعزّزُ ثقةَ قومِهِ ، ويقوّي عزائِمَهُم ، ويحرّضُهُم على القتالِ ولَهُ في ذلكَ شعرٌ يقولٌ فيه ([5]) : **[البحر الرّجز]**

---

[1] – ينظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، 135/2 .

[2] – الأنفال ، 41/8 .

[3] – ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، 135/2 .

التخريج :

روى ابن حجر البيتين [1 ، 2] في الإصابة في تمييز الصحابة 135/2 .

ضوء على الشعر :

[1] ترتمي : تطلب الهدف . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (رمى) . قُلُصٌ : وفرسٌ مُقَلَّصٌ : مُشْرِفٌ ، أي مُشَمِّرٌ طويل القوائم . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، مادة (قلص) .

---

[4] – ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (عمر) .

[5] – ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 73/2 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 480/1 ؛ ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، 135/2 .

[3]

[1] يا قَوْمِ طيبوا بالقتالِ نَفْسًا أَجْــدرُ يَوْمٍ أَنْ تَفُلُّــوا الفُرْسا

وقالَ حنظلَةُ يوصِي بالصَّبرِ والثَّباتِ وعدمِ الهُروبِ ([1]) : **[مشطور الرجز]**

[4]

[1] صَبْــرًا عُمير إنَّها الأساوره

[2] صَبرًا ولا تفزعك رجل نادره

[3] فإنَّ نَفسِي للمَنايَــا صَابِرَه

وفِي نِهايةِ المعركةِ اتَّجهُوا نحوَ بطحاءَ ذي قار حتَّى بلغُوا الرَّاحضَةَ ، وقتَلَ حنظلةُ بن ثعلبةَ والي حلايزين وأَسرَ النُّعمانَ بنَ زرعةَ ، وقالَ ([2]) : **[البحر الطويل]**

التخريج :

وروي البيت [1] أبو عبيدة في النقائض 73/2 ، والطبري في تاريخ الأمم والملوك 480/1 ، وابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة 135/2 .

ضوء على الشعر :

[1] تفلوا ، تهزموا . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (فلل) .

---

[1] – ينظر : ابن الأعرابي ، أسماء خيل العرب وفرسانها ، 170 .

التخريج :

روى ابن الأعرابي الأبيات [1 ، 2] في أسماء خيل العرب وفرسانها 170 .

ضوء على الشعر :

[1] عمير : فرس حنظلة بن سيار العجلي . ينظر : ابن الأعرابي ، أسماء خيل العرب وفرسانها ، 170 . الأساورة : يقصد بها أساورة الفرس ، فرسانهم المقاتلون . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (سور) .

[2] – ينظر : العسكري ، الأوائل ، 290 .

[5]

[1] رَجَعتُ بنُعمانَ بنِ زُرعةَ مُردفًا على سابِحٍ يهدي الرَّعيلَ المُقدَّما

[2] وأبكتْ عيون منْ زهيرٍ وأشلَلَتْ كِنانةَ في يومٍ منَ السِّرِّ أقتَمَـــا

التخريج :

روى العسكري البيتين [1 ، 2] في الأوائل ، 290 .

ضوء على الشعر :

[1] مردفا ، أَرْدَفْت الرجل إذا جئت بعده . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ردف) . سابح : السوابح الخيول . ينظر : ابن سيدة ، المحكم ، مادة (سبح) .

[2] الأقتم : الذي يعلوه غبار . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، مادة (قتم) .

سابعًا– الحَوفَزان

هُوَ الحارثُ بن شُريْك بنُ عمرو بنُ قيسِ الشَّيبانيَّ([1]) ، سُمِّيَ بالحَوفزانِ ؛ لأنَّ قيسَ بنَ عاصمٍ اقتَلَعَهُ عنْ سَرْجِهِ بالرّمْحِ ، وكُلُّ ما قَلَعتَهُ عَنْ موضعٍ فقدْ حَفّزتَهُ ([2]) فقدْ أسَرَ الحَوفزانُ حنظلةَ بنَ بشر بن عمرو بن دارم في يومِ ذي أحثال ([3]) ، وقتلَهُ عتابُ بن سعدِ بنُ زهيرِ بنُ جشمٍ ([4]) ، ذُكِرَ أنّ لَهُ فرسًا يُطلَقُ عليها (الكامل) ([5]) ، وقالَ الحَوفزان في يومِ ذي قار يَحُضُّ فرَسَهُ جناح ويصبّرُها على القتالِ ، فيقول ([6]) : **[البحر الطويل]**

[1] لمّا رأيتُ الخيلَ شَكَّ نُحورَها حِـــرابٌ ونُشّابٌ صَبَرتُ جناحا

---

[1]– ينظر : ابن حبيب ، المحبر ، 250/1 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 199/5 . وقد أورد أبو عبيدة نبأ حضور الحوفزان يوم ذي قار وعدم بلوغه ذاك اليوم . ينظر : النقائض ، 76/2 .

[2]– ينظر : الاشتقاق ، 358/1 .

[3]– ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 108/1 . يوم ذي أحثال : هو يوم بين تميم وبكر بن وائل أسِر فيه الحوفزان قاتل الملوك . ينظر : الميداني ، مجمع الأمثال ، 241/2 .

[4]– ينظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 218/5 .

[5]– ينظر : ابن الأعرابي ، أسماء خيل العرب وفرسانها ، 156 .

[6]– ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 76/2 .

التخريج :

روى الأبيات أبو عبيدة في النقائض 76/2 .

اختلاف الروايات :

البيتان حسب رواية النقائض 76/2 .

روي هذان البيتان لذريح أحد بني تيم اللات . ينظر : أبو الربيع الأندلسي ، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ، 198/4 .

ضوء على الشعر :

يبدو أنّ هذا البيت قد حُذفَ منه حرف في بدايته ، لأن الوزن مكسور على هذه الحالة .

ثامنًا- الدّيانُ بنُ جَندل

عندَما انتهت معركةُ ذي قار ، وانتصَرَ العربُ على العَجَمِ ، جاءتْ بكرٌ وقسَّمَتْ الغنائِمَ بينهُم وقسَّمَت اللَّطائمَ ([1]) بينَ نسائِهِم ، فأخذَ الدَّيّانُ يقولُ ([2]) : **[البحر البسيط]**

[1] إنْ كُنت ساقيةً يومًا ذوي([3]) كَرمٍ فاسْقِي الفوارسَ([4]) من ذُهلِ بن شيبانًا

[2] واسقي فوارسَ حامُوا عن ذِمارهِمُ([5]) واعِلي مَفارِقَهم مِنسكًا ([6]) وَرَيْحانا

---

[1]- اللطائم : جمع لطيمة ، وهي الجمال المحملة بالمسك والبزّ وغيرها. ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة(لطم).

[2]- ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 266/5 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 71/24 .

التخريج :

روى هذه الأبيات ابن عبد ربه في العقد الفريد ، 266/5 ، والأصفهاني في الأغاني ، 71/24 .

اختلاف الروايات :

البيتان على رواية العقد الفريد 266/5 .

([3]) في الأغاني (على) .

([4]) في الأغاني (فوارس) .

([5]) في الأغاني (ديارهم) .

([6]) في الأغاني (مسكًا) . وهي الأصوب ؛ لأن البيت فيه كسر على الرواية الأولى ، ولأنها من فئة ما قبلها وهي الريحان .

ضوء على الشعر :

[2] الذَمار : ما وراء الرّجل مما يَحِقُ أن يحميه . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (ذمر) . المفارق : أي مفرق الرأس وهو كناية عن الرأس هنا . ينظر : الزبيدي . تاج العروس ، مادة (فرق) . الريحان : الطيب . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (روح) .

تاسِعًا – سُوَيْدُ بنُ أبي كَاهِلٍ

هُوَ سُويدُ بن أبي كَاهِلٍ واسمُهُ غطيفُ بن حارثةَ بن حسل بنُ مالكٍ بن سعدِ بن عديّ بن جشمٍ بن ذبيان بن كِنانة اليشكريّ ، ويُكَنَّى أبا سعدٍ ([1])، عاشَ في الجاهليَّةِ دهْرًا ، هَجا سُويد بن أبي كاهل قومًا منْ بني شَيبان في ولايةِ عامرِ بنِ مسعودٍ الجُمحي على الكُوفةِ فاستعدَّ بنو شيبانَ عليه ، فَحَبَسَهُ ثُمَّ أخرَجَهُ وحلَفَ ألا يعودَ إلى ذلكَ ، ويروى أنَّ سويدًا عَمَّرَ في الإسلامِ إلى زَمَنِ الحَجَّاجِ ، حَيثُ توفِّيَ بعدَ سنةِ 60هـ([2]) ، وقدْ ذُكِرَ أنَّ لسويد قصيدةً أطلقَ عليها اليَتيمَةَ ، كانتْ العربُ تعظِّمُهَا ، وذُكِرَ أنّ سويدًا كانَ مغاليًا ، ولا يُهاجي أحدًا إلا غلبَهُ ([3]). وكانَ سببُ تسميتِهِ سويَدًا أنّ أمَّهُ كانتْ امرأةً منْ بني غبر ، وكانتْ قبلَ أبي كاهلٍ عندَ رجلٍ منْ بني ذُبيانَ بنِ قيسِ بنِ عيلانَ ، فماتَ عنها ، وتزوَّجَها أبو كاهِلٍ ، وكانتْ فيما يُقالُ حاملًا فاستلاط ([4]) أبو كَاهلٍ ابنَهَا لَمَّا ولدتْهُ ، وسمَّاهُ سويدًا ([5]) .

لقَدْ كانَ ولاءُ سويدِ بنِ أبي كاهلٍ إلى الشَّيبانيينَ في معركةِ ذي قار ، فَعِندَما التقى الفَريقانِ نادى رجلٌ فارسِيٌّ في بني شَيبان للبرازِ ، فلمْ يبرزْ لَهُ أحدٌ حتَّى إذا دَنَا مِنْ بني يَشكر برزَ لَهُ يزيدُ بنُ حارثةَ أخو بني ثعلبة بن عمرو ، فشَدَّ عليه بالرُّمحِ فطَعَنَهُ فدقَّ صُلبَهُ وأخذَ حليلتَهُ وسلاحَهُ ، فذلكَ قولُ سويد بن أبي كَاهل يفتخرُ ([6]) : **[البحر الطويل]**

---

[1]– ينظر : ابن سلّام ، طبقات فحول الشعراء ، 152/1 ؛ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، 411/1 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 114/13 ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، 49/16 ؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، 309/2 ؛ البغدادي ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، 117/6 .

[2]– ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 119/13 ؛ ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، 271/3 .

[3]– ينظر : الصّفدي ، الوافي بالوفيات ، 49/16 .

[4] – استلاط : ألزقه بنفسه . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (لوط) .

[5]– ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 116/13 .

[6]– ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 73/2 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 69/24 .

[1] ومنَّا ([1]) يَزيدُ إذْ تحدَّى جُموعَكمْ فلم تَقْرَبوه المَرْزُبانُ المسهَّرُ([2])

[2] وبارَزَهُ مِنَّا غُلامٌ بِصَارمٍ حُسَامٍ إذا لاقى الضَّرِيبَةَ يَبتُرُ

[3] ومنّا الذي أوصى بثُلثِ تُراثِه على كلِّ ذي باعٍ يقِلُّ ويكثر

[4] ليالِيَ قُلتمْ يا ابن حِلّزَةَ ارتحِلْ فزابِنْ لنا الأعداءَ واسمَعْ وأبصرِ

[5] فأدَّى إليكُمْ رهْنَكُمْ وَسْطَ وائل حباه بها ذُو الباع عمرُو بنُ منذرِ

\

التخريج :

روى الأصفهاني في الأغاني البيتين [1 – 2] 69/24 ، والأبيات [3 ، 4 ، 5] 119/13 . روى أبو عبيدة البيت [1] في النقائض 73/2 .

اختلاف الروايات :

الأبيات على رواية الأغاني . 69/24 ، 119/13 .

([1]) في النقائض (منا) . ومن الجدير ذكره أن رواية النقائض وهي ساقطة الواو تكسر الوزن .

([2]) في النقائض (المسّودا) .

ضوء على الشعر :

[1] يزيد : هو يزيد بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو . ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 69/24 .

[2] الضريبة : الرجل المضروب بالسيف . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (ضرب) . الصارم : السيف القاطع . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (صرم) . الضَّرِيبَةُ : كُلُّ شَيْءٍ ضَرَبْتَهُ بِسَيْفِكَ مِنْ حَيَ أَو مَيِّت . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (ضرب) .

[4] ابن حلزة : يعني الحارث بن حلزة لما خطبه دونَ بكرِ بنِ وائلٍ حتَّى ارتجَعَ رهائنَه . ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 69/24 . زابن ، تزابن القوم أي تدافعوا . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (زبن) .

عاشرًا – عمرو بن الأسودِ الكلبي الأجدري

فيما انفردَ الأصمعِيّ في نَسَبِ الأبياتِ لعمرو بن الأسود الكلبيّ الأجدريّ ، وذَكَرَ أنَّهُ قالَها يومَ ذي قار([1]) : **[البحر الكامل]**

[1] وَلَقَدْ أَمَرْتُ([2]) أَخَاكِ([3]) عَمْرًا أَمْرَهُ ([4]) فَعــصَى وضَيَّعَهُ ([5]) بِــذاتِ العُجْــرُمِ

---

[1]– ينظر : الأصمعيات ، 79–81 .

التخريج :

روى الأصمعي الأبيات كاملة في الأصمعيات ، 79–81 ، فيما روى ابن عبد ربه الأبيات [1 ، 3 – 7 ، 9 ، 11 ، 12 ، 14 ، 15] في العقد الفريد 265 – 266 . روى الحلي الأبيات [1 ، 2 ، 4 –11] في المناقب المزيدية 415/2 ، وروى الحموي البيت [1] في معجم البلدان ، 87/4 . ولكن نسب البيت [3] لعنترة في معلقته . ينظر : عنترة ، الديوان ، 29 .

اختلاف الروايات :

لَمَّا كَانَ النُّعمانُ بن زُرعةَ مواليًا للفُرسِ استخدَمَهُ كِسرى قائدًا على جنوده المُوالينَ منَ العربِ يومَ ذي قار ، وجاءَ إلى الشَّيبانيينَ يَطلبُ الوَدَائعَ منْهُم ، إلّا أنَّهُم زَجَرُوهُ وطَرَدُوه ، فانصَرَفَ مغاضِبًا ، ثُمَّ أتَاهُ أخوهُ عمرو بن زُرعةَ ، وصهرُهُ بشير بنِ سوادةَ التَّغلبيّ أحد بَني جُندب ، كانَ يُعرَفُ باسمِ أمِّهِ – ابنُ سلوةَ – فقالا للنُّعمانَ : أتريدُ أنْ تُهلِكَ بكرَ بن وائلٍ غدا ؟ أمَا واللهِ لكأنَّكَ غدا وأنتَ مزقٌ بينَ أرماحِهِم ، فإنَّها طِوالٌ حِدادٌ عندَك منهَا خبرٌ وأثرٌ في عَمِّكَ وخالِكَ ، فقالَ لهُمَا : أتهدِّدَاني بهِم ؟ لأقسِّمَنَّ غدًا نساءَهُم في غضاريطَ مَنْ معي وصعاليكَ بن تغلب ، فقالا لَهُ : أنتَ وذاكَ ، فانصَرَفا وأتيا بكرًا فمشيَا يحرِّضَانِهِم ، وابنُ سُوَادةَ يقولُ لعمرو بن زُرعةَ هذِهِ الأبيات . ينظر : الحلي ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، 414/2 – 415 . أجمعتْ مصادرُ تراثيَّةٌ أخرى إلى جانبِ الحلِّي على نِسبةِ الأبياتِ لبشيرِ بن سوادةَ التَّغلبيّ الملقبِ بابنِ سلوةَ أو ابنِ شكوةَ . ينظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 265 . الحموي ، معجم البلدان ، 86/4 . فيما تناولتْ بعضُ كتبِ التُّراثِ مُناسبةً أخرى للأبيات مَضمونُها : أنَّهُ تَنافرَ إلى عمرِو بن العلاءِ عِجْليّ ويَشكري ، فزعم العِجْليّ أنّه لم يَشهد يومَ ذي قار غيرُ شيبانيّ وعِجْلي ، وقال اليَشكريّ : بل شهدتْها قبائلُ بكر وحُلفاؤهم . فقال عمرو: قد فَصل بينكماَ التّغلَبيّ حيث يقول تلك الأبيات . ينظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 265 . بينما لم نجدِ الأخفشُ قدْ حددَ ، فاحتارَ في نسبتِهَا بينَ بشرِ بن سلوةَ أو سوادةَ وبينَ عمرو بن حُنيّ التَّغلبيّ . ينظر : الاختيارين ، 184–188 .

الأبيات حسب رواية الأصمعي في الأصمعيات ، 79–81 .

([2]) في المناقب المزيدية (أتيت) .

([3]) في المناقب المزيدية (أخاكَ) .

([4]) في العقد الفريد (أمرةً) وفي المناقب المزيدية (نصحه) .

([5]) في المناقب المزيدية ، و العقد الفريد ، ومعجم البلدان (وضيعها) .

[2] فَإذَا أمَـــرتُكِ بَعْـــدَها فَتَبَيَّنِـــي([1]) أَوْ أَقْـدِمي([2]) يَـوْمَ([3]) الكرِيهَةِ مُقْـدَمي

[3] في حَوْمَـةِ([4]) المَوْتِ التي لا تَشْتَكي غَمَراتِـها الأبْـطـــالُ غَيْـــرَ تغَـــمْغُمِ

[4] وكـأَنّمَـــا أقْـــدامُـهُمْ وأكُـــفُّـــهُمْ كَـــرَبٌ([5]) تَسَاقَـــطَ منْ خَليـــجٍ مُفْعَمِ

[5] لـمَّا سَمِعْـتُ نـــداءَ مُـــرَّةَ قدْ علَا وابْنَـــيْ ربيعةَ في الـغُبارِ([6]) الأقْـــتمِ

[6] وَمُحلِّمًا([7]) يمْشُونَ تحْـتَ لِـوَائِهِمْ والمـوتُ تحْـــتَ لـــواءِ آلِ محَلِّـــمِ

اختلاف الروايات :

([1]) في المناقب المزيدية (قيسا) .

([2]) في المناقب المزيدية (وتقدمن) .

([3]) في المناقب المزيدية (وتقدمن عند) .

([4]) في العقد الفريد (غمرة) .

([5]) في العقد الفريد (سِرَبٌ) .

([6]) في العقد الفريد (العجاج) .

([7]) في العقد الفريد (ومحلِّم) .

ضوء على الشعر :

[1] ذات العجرم : ماء قريب من ذي قار ويقال لها العجرم أيضا . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 87/4 .

[3] حومة : حومة القتال : أشد موضع فيه . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (حوم) . الغمرة : الشدة . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (غمر) . التغمغم : أصوات الأبطال في الوغى . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (غمم) .

[4] الكَرَبُ : أُصول السُّعف الغلاظ . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (كَرب) مفعم : مملوء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ،مادة (فعم) .

[5] مرَّة : هو ابن ذهل بن شيبان بن ثعلبة . ينظر : ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، 324 . القَتَمَةُ : اللون الذي يضرب إلى السواد . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (قتم) .

[6] محلّم : هم بنو ذهل بن شيبان ، ومن أولاده : عوف ومرو وربيعة . ينظر : ينظر : ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، 322 .

[7] وسمِعْتُ يشْكُـرَ تـــدَّعي بحُبَيِّبٍ ([1]) تحْـتَ العَجاجـةِ وهـــي تقْـطُرُ بالـدَّمِ

[8] وحُبيِّـبٌ يُزْجُـــونَ ([2]) كُـلَّ طَـمِرَّةٍ ومـنَ اللَّهــازمِ شَختُ غَيْـــرِ مصَرَّم

[9] والَجمْعُ منْ ([3]) ذُهْـــلٍ كـأنَّ زُهَـاءَ هُمْ جُرْبُ([4]) الجِمالِ يَقُودُها ابْنَـــا شَعْثَمِ([5])

[10] قـذَفُوا الـــرماحَ وباشرُوا بنُحُـورهـــمْ عـــنْدَ الضِرابِ بـــكُلِّ ليْـــثٍ ضْيـغَمِ

اختلاف الروايات :

([1]) في العقد الفريد (بخبيِّبٍ) .

([2]) في المناقب المزيدية (يرجون) .

([3]) في المناقب المزيدية (في) .

([4]) في العقد الفريد ، والمناقب المزيدية (جرد) .

([5]) في العقد الفريد (قشعم) .

ضوء على الشعر :

[7] بنو يشكر : هم بنو يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط . ينظر : ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، 308 . العجاج : الغبار أو الدخان . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عجج) .

[8] يزجون : زجي الشيء دفعه وساقه . ينظر : ابن سيدة ، المحكم والمحيط الأعظم ، مادة (زجو) . الطِّمرُّ : هو الطويل القوائم الخفيف والسريع كالفرس أو الناقة أو الأتان . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (طمر) . اللهازم : أصول الحنكين أسفل الأذنين . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (لهزم) . الشُّخت : الرقيق من الأصل لا من الهزال . ينظر : ابن سيدة ، المحكم والمحيط الأعظم ، مادة (خشت) . المصرِم : المكان الضيق السريع السيل . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (صرم).

[9] زهاءهم : قدْرهم وحزْزهم . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (زها) . ابنا شعثم : هما ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة . ينظر : البغداداي ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، 150/2 .

[10] الضيغم : الأسد واسع الشدق . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (ضغم).

[11] والخيْـــلُ يضْبِرْنَ الخَبَارَ([1]) عَـوابِسًا وعلَى مناسِجِها([2]) سَبَائِـبُ([3]) مِـنْ دَمِ

[12] لا يَصْدِفُـون عـنِ الوَغَى بخُدُودِهِـمْ([4]) فـي كـلِّ سابغَـةٍ كـلَـــــوْنِ العِظْلِـمِ

[13] نَـجَّاكَ مُهْـرُ ابْنَـيْ حـلَامٍ مـنْـهُمُ حتَّى اتَّقَيْـتَ الموْتَ بابْـــنَيْ حِذْيَـــمِ

[14] ودَعَا([5]) بـنـي أمِّ الـرُّواعِ([6]) فأقْبَـلوا عـــــنْدَ الـلِّقـــاءِ بكُـــلِّ شاكٍ مُعلِمِ

[15] يَمْشُونَ فـي حَـلَقِ الحديدِ كمَا مَشَتْ أُسْدُ الغَـريـفِ([7]) بكُلِّ([8]) نـحْسٍ مُظْلِمِ

[16] فنَجَوْتَ مـنْ أرْمـاحِهِمْ منْ بعْـدِ ما جاشَتْ إليْـكَ النَّفْـسُ عنـدَ المَـأْزِمِ

اختلاف الروايات :

([1]) في العقد الفريد (من تحت العجاج) .

([2]) في العقد الفريد (سنابكها) .

([3]) في العقد الفريد (مناسج) .

([4]) في العقد الفريد ، والمناقب المزيدية (بوجوههم) .

([5]) في العقد الفريد (ودعت) .

([6]) في العقد الفريد (الرِّقاع) .

(7) في العقد الفريد (العرين) .

(8) في العقد الفريد (بيوم) وفي المناقب المزيدية (ليوم) .

ضوء على الشعر :

[11] يضبرن : ضبر الفرس : جمع قوائمه ووثب . ينظر : ابن سيدة ، المحكم والمحيط الأعظم ، مادة (ضبر) . الخبار : الأرض اللينة . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (خبر) . عوابسا ، العابس : الشديد . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عبس) . مناسجها ، المنسج : ما بين عرف الدابة إلى موضع اللبد . ينظر : الأزهري ، تهذيب اللغة ، مادة (نسج) . سبائب : طرائق . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (سبب) .

[12] يصدفون : يعرضون . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (صدف) . سابغة : طويلة تامة . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سبغ) . العظلم : الليل المظلم . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (عظلم) .

[14] شاكٍ : رجل شاكي السلاح : أي حديد السنان والنصل . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (شكو) . ورجل مُعْلِم إذا عرف مكانه في الحرب بعلامة أعلمه . ينظر : الأزهري ، تهذيب اللغة ، مادة (علم) .

[15] الغريف : الجماعة من الشجر الملتف . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (غرف) . النحس : الغبار . ينظر : الأزهري ، تهذيب اللغة ، مادة (نحس) .

[16] جاشت ، جاش : فاظت وهاجت. ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (هاج) . المأزم : المضيق . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (أزم) .

الحادي عشر- عَمرو بنُ جبَلَة

عَمرو بن جبلةَ بن باعثِ بن صريم اليَشكريّ([1]) لا شَكّ أنّ حُضورَ عمرو بنِ جبلةَ يومَ ذي قار كانَ لَهُ الأثرُ البارِزُ في شعرِهِ ، فأخذَ يحذِّرُ قومَهُ ، ويحرِّضُهُم على القتالِ ([2]) ، فعندَمَا بدأ الجيشان يتجهَّزان للحربِ ، ويَعُدُّ كلٌ منهما نَفْسَهُ ، أخذَ يُحرِّضُ العربَ على الفُرسِ ، ويرسُمُ للفُرسِ صورةً وضيعَةً ، فقال ([3]) : **[البحر الرجز]**

[1] يا قوْم لاَ تغرُرْكُمُ هــذِي الــخِرقْ وَلاَ وَميضُ([4]) البَيْضِ في الشَّمس برَقْ

[2] مَنْ لم يقَاتلْ مِنْكُم هذِي([5])العُنُق فجنِّــبوه الــرَّاح واسقُـــوه الــمرَقْ

---

[1] – ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 68/24 .

[2] – ينظر : المرزباني ، معجم الشعراء ، 42 .

[3]– الأصفهاني ، الأغاني ، 68/24 ؛ المرزباني ، معجم الشعراء ، 42 ؛ الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، 262/1 .

التخريج :

الأبيات حسب رواية الأصفهاني في الأغاني 86/24 ، وروى المرزباني البيت [1] في معجم الشعراء ، 42 . روى الحميري البيتين [1 ، 2] في الروض المعطار في خبر الأقطار 262/1 .

اختلاف الروايات :

البيتان على رواية الأصفهاني في الأغاني 86/24 . والحميري في الروض المعطار في خبر الأقطار 262/1 .

([4]) في معجم الشعراء (وبيض) .

([5]) في الروض المعطار (هذا) .

ضوء على الشعر :

[1] الخرَق : القطعة من الثياب ، المَزِقَة . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (خرِقَ) . البيض ، جمع أبيض : وهو السيف . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (بيض) .

[2] العنق : الجماعات الكثيرة . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عنق) . الراح : الخمر . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ريح) . المرق : من صوف المهازيل والمرضى ، والشيء المنتن . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (مرق) .

الثّانِي عشر– ابنَةُ القَرينِ الشَّيبانيَّةِ

وَهِيَ امرأةٌ مِنْ بني شَيبانَ ، عاصَرَتْ يومَ ذي قار ، وحينَمَا تقلَّدَ حنظلةُ بنُ سيَّار أمْرَ الشَّيبانيينَ ، شرَعَ في تقطيعِ وضْنِ الهَوادجِ ؛ لِئَلا يفَكِّرَ القومُ بالهُروبِ ، فقَطَعَ وضْنَ النِّساءِ فوقعْنَ على الأرضِ ، ولَمَّا رأتْ ذلكَ ابنةُ القرينِ الشَّيبانيَّةِ أخذتْ تُحرِّضُ قومَهَا على الحَربِ وتدفَعُهُم إلى الثَّباتِ وتثبِّتُ أقدامَهُم، فتقولُ ([1]) : **[البحر الرجز]**

[1] وَيْهًا بَني شَيْبان صَفًّا بَعد صَفْ([2]) إن تُهْـزَمُوا يُصبّــغوا فينــا القُلَفْ

---

[1]– ينظر: أبو عبيدة ، أيام العرب قبل الإسلام ، 245/2 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 480/1 ؛ ابن مسكويه ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، 242/1 ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 490/1 .

التخريج :

روى هذا البيت أبو عبيدة في أيام العرب قبل الإسلام 245/2 ، والطبري في تاريخ الأمم والملوك 480/1 ، وابن مسكويه في تجارب الأمم وتعاقب الهمم 242/1 ، وابن الأثير في الكامل في التاريخ 169/1 .

اختلاف الروايات :

البيت على رواية أيام العرب قبل الإسلام 245/2 .

([2]) في تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، والكامل في التاريخ (صَفّ) .

ضوء على الشعر :

[1] ويها : لفظة تقال للتحريض والإغراء . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، مادة (ووه) . يصبغوا : صبغ : الغمس في الماء والتطهير ، بمثابة الختان ، فكان النصارى إذا جاء أحدهم مولودا يصبغونه في الماء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (صبغ) . القلف : يقال : الرجل أقلف أي هو الذي لم تختن والقُلفةُ : الغرلة . ينظر: الجوهري ، الصحاح ، مادة (قلف) .

الثّالثُ عشر – قَيْسُ بنُ مسعودٍ

هُوَ قيسُ بن مسعودِ بن قيسِ بن خالدٍ بن عبدِ اللهِ ذي الجدينِ بن عمرو بنِ الحارثِ بن همامِ بن مرةَ بن ذهلِ بن شيبانَ ، وهُوَ أبو بسطام بن قيس أحدُ أشهرِ فرسَانِ الجاهليَّةِ ، وقيسٌ هوَ سيّدُ بني شَيبان ، ضَمِنَ لكسرى السَّوادَ منْ إغارةِ قومِهِ – بني شيبان ([1]) .

أقْطَعَ كسرى لقيسِ بن مسعودٍ الأبُلَّةَ ، وأعطاهُ الخَيلَ والأنعامَ مقابلَ حمايَةِ السّوادِ منْ قومِهِ بكرِ بن وائل ، ثُمَّ أغارَ الحارثُ بنُ وعلَةَ على السَّوادِ لإفسادِ أمرِ قيسِ عندَ كسرى([2]) ، فغَضِبَ كسرى وَبَعَثَ لقيسِ بنِ مسعودٍ ، ولمّا مَثُلَ قيسٌ أمامَهُ أمرَهُ أنْ يرسِلَ إلى أشرافِ قومِهِ ليكرمَهُم – وإنَّمَا أرادَ قتلَهُم – ففَطِنَ قيسٌ لذلكَ فكتبَ إليهم([3]) : **[البحر الطويل]**

[1]

[1] غُنينَا([4]) وأَغْنانا غِنانا وغَالَنا ماكلُ عمّا عِنْدكم ومشاربُ

[2] فإن نحنُ أرْسلنا بألفيْ صحيفةٍ فلا يقّربنا منكم الدهْر راكبُ

---

[1]– ينظر : البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، 76–87 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 81/2 .
36/24 ؛ المرزباني ، معجم الشعراء ، 180– 181 ؛ الحلي ، المناقب المزيدية ، 405/2 ؛ ابن حجر ، نزهة الألباب في الألقاب ، 284/1

[2]– ينظر: الأصفهاني ، الأغاني ، 56/24 – 57 ؛ البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، 87 ؛ المرزباني ، معجم الشعراء ، 181.

[3]– الحلي ، المناقب المزيدية ، 407/2 .

التخريج :

الأبيات على رواية الحلي في المناقب المزيدية ، 407/2 . روى الأزهري البيت [1] في تهذيب اللغة ، مادة (غال) . روى البيت [1] ابن منظور في لسان العرب ، مادة (غول) .

ضوء على الشعر:

[1] غال : غالنا ، أي حبسنا . يقال : ما غالك عنا ؛ أي ما حبسك عنا ؟ ينظر : الأزهري ، تهذيب اللغة ، مادة (غال) ، ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (غول) .

اختلاف الروايات :

الأبيات على رواية الحلي ، في المناقب المزيدية 407/2 .

([4]) في تهذيب اللغة (عنِينا) .

عِندَما أبطأتِ الرَّهائنَ على كسرى أشرافُ بني شيبان ، كانَ قدْ أمرَ بحبْسِ قيسِ بنِ مسعودٍ ، وفي سِجنِ ساباط قالَ يُنذِرُ قومَهُ ([1]) : **[البحر الطويل]**

[2]

[1] ألا لَيْتَنِي أَرْشُوْ سِلَاحِيْ وَبَــغْلَتِيْ([2]) لِمَنْ يُخْبِرُ الأَنْبَاْءَ بكر بْنَ وَائِـــلِ([3])

[2] فَأُوْصِيْهُمُ ([4]) بِاللهِ وِالصُّلْحِ بَيْنَهُمْ ([5]) لِيَنْصَاً ([6]) مَعْـرُوْفٌ وَيُـزْجَرَ جَاْهِلُ

[3] وَصَاْةُ امْرِئٍ لَوْ كَاْنَ فِيْكُمْ أَعَاْنَـكـمْ عَلَى الـدَّهْرِ ، والأَيَّـاْمُ فِيْهَا الْغَـوائِلُ

---

[1]– ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 59/24 –60 ؛ المرزباني ، معجم الشعراء ، 181 ؛ الحلي، المناقب المزيدية ، 409/2 .

التخريج :

روى الأصفهاني القصيدة كاملة في الأغاني 59/24–60 . روى ابن قتيبة البيت [4] في المعاني الكبير 894/2، وروى المرزباني الأبيات [1 – 4] في معجم الشعراء 181 . روى الحلّي الأبيات [1 – 4 ، 8 – 9] في المناقب المزيدية 409/2 .

اختلاف الروايات :

الأبيات حسب رواية الأغاني ، 59/24–60 .

([2]) في معجم الشعراء (وبعلتي) وفي المناقب المزيدية (وناقتي) .

([3]) روي عجز هذا البيت في معجم الشعراء هكذا " لأن تعلم الأنباء والعلمَ وائلُ " وفي المناقب المزيدية (ليعلم قوْمي ما الذي أنا قائل) .

([4]) في معجم الشعراء ، والمناقب المزيدية (فأوصيكم) .

([5]) في معجم الشعراء ، و المناقب المزيدية (بينكم) .

([6]) في المناقب المزيدية(لِيُنْظَرِ) ، وفي معجم الشعراء (لِيُنطَقَ) .

ضوء على الشعر :

يبدو أن هذا البيت قد وقع فيه الإقواء ، إذ جاءت حركة الروي – اللام – مضمومة تبعا لاطّراد حركة الروي في القافية ، في حين الأولى بها أن تكون مجرورة على الإضافة .

[1] الرّشو : الأخذ والحصول . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (رشا) .

[2] النصأ : الرّفع والعلو . ينظر : الجوهري ، الصّحاح ، مادة (نصأ) ، الصاغاني ، العباب الزاخر واللباب الفاخر ، مادة (نصأ) . الطّف : جوانب العراق . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان 35/4 .

[3] الغوائل : المهلكات . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (غول) .

[4] فَـــإيَـاْكُـــمُ وَالـــطَّفَّ لَاْ تَقْـــرَبَنَّهُ وَلَاْ البَحْرُ إِنَّ الْمَاْءَ لِلبَحْرِ وَاْصِـــــلُ ([1])

[5] وَلاْ أَحْبِسَنَّكُمْ عَنْ بُغَا الخَـــيْرِ إنّنـي سَقَطْتُ علَىْ ضِرْغَاْمَـــةِ فهُـو آكِـــلُ

[6] تَمنَّاكَ مِنْ لَيْلَى مَعَ اللَّيْلِ خَـــأْئِـــلُ وَذِكْـــرٌ لَهَاْ فِـــيْ الْقَلْبِ لَيْسَ يُزَاْيِـــلُ

[7] أُحِبُّكِ حُبَّ الْخَمْرِ مَاْ كَـــاْنَ حُبُّـــها إِلّـــيَّ وَكُـــلٌّ فِـــيْ فُـؤَاْدِيْ دَاْخِـــلُ

[8] فَإِنَّاْ ثَـــوَيْنَاْ فِـــيْ شُعُوْبٍ وَإِنَّـــهُمْ([2]) غَـــزَتْهُمْ([3])جُنُـــوْدٌ جَمَّـــةٌ وَقَـبَاْئِـــلُ

[9] وإِنَّ جُنُـــوْدَ الْعُـــجْمِ بَيْنِيْ وَبَيْنَـــكُمْ فَيَـاْ فَلَجِيْ يَـــاْ قَـوْمُ إِنْ لَـمْ تُقَاْتِلُـــوْا([4])

اختلاف الروايات :

([1]) روي عجز هذا البيت في المعاني الكبير هكذا : " ولا الماء إن الماء للقوْد واصل " ، وهذه الرواية أيضا في معجم الشعراء . أما في المناقب المزيدية فجاءت هكذا " ولا الزيف إن الزيف للمرء قاتل " .

([2]) في المناقب المزيدية (وأنّكم) .

([3]) في المناقب المزيدية (أتتكم) .

([4]) روي هذا البيت في المناقب المزيدية هكذا :

وإن جنود الفرس قد يممتكم فما عزّ قومٍ إن هم لم يقاتلوا

ومن الجدير ذكره أن هذه الرّواية تبدو فيها رائحة الكسر في " يمْمتُكُم " ولا يصلح الوزن إلا بهذا الوزن " يَمَّمتكُمُ " .

ضوء على الشعر :

[4] الطفّ : ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 35/4 . وقد كانت تحت حماية قيس بن مسعود . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 89/3 .

[5] ضرغامة : في لغة العرب هو الوحل والطين . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ضرغم) .

[8] ثوينا ، ثوى : أقام في المكان ، وأمضى . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ثوا) .

[9] الفالج : مرض يتكون من استرخاء أحد شقي البطن طولا . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (فلج) .

وممَّا قالَهُ قيسُ بن مسعودٍ وهوَ في سِجنِ ساباط عندَ كسرى ، قولُهُ ينذرُ قومَهُ ، ويصفُ حالَهُ محدِّدًا مكانَ أسرِهِ – في الإيوانِ – حيثُ يقول ([1]) : **[البحر الوافر]**

[3]

[1] أَلاَ أُبْلِـغْ بَنِـــيْ ذُهْـــلٍ رَسُوْلَا ([2]) فَمَنْ هَذَاْ يَكُونُ([3]) لَـكُمْ مَكَـــانِيْ

[2] أَيَاْكُلُهَا([4]) ابْنُ وَعْلَةَ فِيْ ظَلِيْفٍ ([5]) وَيَـــأْمَنُ هَـــيْثَمٌ وَابْـــنَا سِنَاْنِ؟

[3] وَيَـــأْمَنُ فِيْكُـــمُ الْـــذُّهْلِيِّ بَعْـدِيْ وَقَـــدْ سَمّوْكُـــمُ سِمَةَ الْبَيَـــاْنِ([6])

---

[1]– ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 63/24 ؛ الحلي ، المناقب المزيدية ، 408/2 .

التخريج :

روى الأصفهاني المقطّعة كاملة في الأغاني ، 58/24–59 . روى الفراهيدي البيت [2] في العين ، مادة (ظلف) ، ورواه أبو عمرو الشيباني في الجيم ، مادة (ظلف) ، ورواه الأزهري في تهذيب اللغة ، مادة (ظلف) ، ورواه الجوهري في الصحاح ، مادة (ظلف) ، روى الحلّي الأبيات [1 – 4] في المناقب المزيدية 408/2 . روى ابن منظور البيت [2] في لسان العرب ، مادة (ظلف) ، ورواه الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (ظلف) .

اختلاف الروايات :

المقطّعة كاملة حسب رواية الأصفهاني في الأغاني 63/24 .

([2]) في المناقب المزيدية (بكر ألوكا) .

([3]) في المناقب المزيدية (يُسَدُّ) .

([4]) في الجيم (أيأكله) .

([5]) في المناقب المزيدية (ابن وعلة وقد علمتم) .

([6]) في المناقب المزيدية (الهوان) .

ضوء على الشعر :

[2] ابن وعلة : هو الحارث بن وعلة بن مجالد بن يثربي بن الحارث بن مالك بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة ، أغار على السّواد ، وكانت إغارته سببا رئيسا في وقعة ذي قار . ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 24 / 56–57 . الظليف : أي مجانا دون ثمن . ينظر : الفراهيدي ، العين ، مادة (ظلف) ؛ الأزهري ، تهذيب اللغة ، مادة (ظلف) . هيثم : هو الهيثم بن جرير بن يساف بن علباء الذّهلي . ينظر : الأصفهاني ، الأغاني 24/ 59 ؛ الحلي ، المناقب المزيدية، 407/2 . وابنا سنان ، هما ابنا سنان الدّوسي أغارا مع الحارث بن وعلة على السواد . ينظر : الحلّي ، المناقب المزيدية، 407/2 .

[4] ألا مَـــنْ مُبْلـــغٌ قومي ومـن ذا يُبْلـغُ ([1]) عَـــنْ أسيرٍ فِـــــي الإوانِ

[5] تَطَـــاْوَلَ لَـــيْلُهْ وَأَصابَ حُـــزْنًا وَلَاْ يَـــرْجُو ٱلْفـــكَاكَ مَـــعَ الْـمِـــنَاْنِ

اختلاف الرّوايات :

([1]) في المناقب المزيدية (يخبر) .

ضوء على الشّعر :

[4] الإوان : هو إيوان كسرى الذي بالمدائن ، وهو أعظم الأبنية وأعلاها ، وقد تعاون على بنائه عدّة ملوك . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 294/1 .

[5] المنان : الضعف ، والعطاء الذي يُشْعِرُ بالضّعف والنقص . ينظر : الأزهري ، تهذيب اللغة ، مادة (منّ) ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (مَنن) .

الرّابع عشر – أبو كَلبةَ التّيميّ([1])

مَدَحَ الأعشى والأصَمُّ([2]) بني شَيبان خاصَّةً ، فغضِبَتْ اللَّهازِمُ ، فغَضِبَ أبو كَلبةَ أحدُ بني قيسِ ابن ثَعلبةَ ([3]) ، فقالَ ([4]) : **[البحر البسيط]**

[1] جُدِّعتُما([5])شَاعِرِيْ قَوْمٍ([6]) ذَوِي([7])حَسَبٍ حُـزَّتْ([8]) أُنُـوفُكُما ([9]) حّــزَّا بِمِنـــــشارِ

---

[1]– اختلفت المصادر التراثية في نسب أبي كلبة من جهة قبيلته ، فمنهم من نسبه (أبو كلية التيمي) . ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 72/24. فيما نُسِب أيضا ب (أبي كلبة التميمي) . ينظر : البقاعي ، نظم الدرر ، 600/5 ؛ القماش ، الحاوي في تفسير القرآن الكريم ، 601/39 .

[2]– اسمه بكير . ينظر : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، 255/1

[3]– ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 75/2 ؛ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، 255/1 .

[4]– ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 75/2 ؛ الأصفهاني ، الأغاني ، 73/24 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 481/1؛ البقاعي ، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور ، 600/5 .

التخريج :

روى أبو عبيدة الأبيات [1 – 4] في النقائض 75/2 . روى ابن قتيبة الأبيات [1 ، 2] في الشعر والشعراء ، 255/1 . روى الطبري الأبيات [1 – 4] في تاريخ الأمم والملوك 481/1 روى الأصفهاني الأبيات [3 – 8] في الأغاني 73/24 . روى البقاعي الأبيات [3 ، 4 ، 6 ، 8] في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 600/5 ، ورواها أيضا القماش في الحاوي في تفسير القرآن الكريم كلّه 601/39 .

اختلاف الروايات :

رواية الأبيات [1 – 4] حسب أبي عبيدة في النقائض ، 75/2 ، والأبيات [5 – 8] حسب رواية الأصفهاني في الأغاني ، 73/24 .

([5]) في الشعر والشعراء (قُبِحتُما) .

([6]) في الشعر والشعراء (حَي) .

([7]) في تاريخ الأمم والملوك (أولي) .

([8]) في الشعر والشعراء (وحُزَّ) .

([9]) في الشعر والشعراء (أنفاكما) .

ضوء على الشعر :

[1] جدع : قطع . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (جدع) .

[2] أَغْنِي الأَصَمَّ وأَعشَانا إذا اجْتَمَعَا([1]) فلا([2])استَعانا عَلَى سَمعٍ وإبصارِ

[3] نَحْنُ أتَيْنَاهُمُ مِنْ عِنْدْ أَشْمَلِهِمْ([3]) كَمَا تَلَبّسَ وَرّادٌ بِصُدّارِ

[4] لَوْلا فَوارِسُ لا مِيلٌ وَلا عُزُلٌ مِنَ اللّهازِمِ ما قاظوا([4]) بِذي قارِ

[5] مَا زِلتُ مُفترِسًا أجسادَ أفْتيةٍ تُثِيرُ أعطافَها منها بآثارِ

[6] إنَّ الفَوارِسَ من عِجلٍ هُمُ أنِفُوا من أن([5]) يُخَلُّوا لِكِسْرى عَرْصَةَ الدَّارِ

[7] لاقَوْا فَوارِسَ من عِجْلٍ بشكّتِهَا ليسوا إذا قَلّصَتْ حربٌ بأَغمارِ

[8] قد أحسنَتْ ذُهلُ شيبانٍ وما عدَلَتْ في يومِ ذِي قارَ فُرْسانُ ابن سيّار

اختلاف الروايات :

([1]) في الشعر والشعراء (ابتدرا) .

([2]) في الشعر والشعراء (ألّا) .

([3]) ورد هذا الصدر في الأغاني (هم الذين أتوهم عن شمائلهم) .

([4]) في الأغاني وفي نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور وفي الحاوي تفسير القرآن الكريم كلّه للقماش(قظتم) .

([5]) في نظم الدُّرر والحاوي في تفسير القرآن الكريم كلّه (بأن) .

ضوء على الشعر :

[1] جدع : قطع . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (جدع) .

[3] ورد : أي حضر . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (ورد) . صدر : رجع . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (صدر) . اللبس : الخلط . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب . مادة (لبس) .

[4] الأميل : الذي لا ترس معه ، وقيل لا سيف معه ، وقيل لا رمح معه . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ميل) . والعُزُل والأَعْزَلُ : الذي لا سِلاحَ معه فهو يَعْتَزِل الحَرْبَ . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عزل) . قظتم : اقتاظوا : أقاموا زمنا . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (قوظ) .

[5] تثير ، الأثر : بقية الشيء ، وجمعه آثار ، والأثيرة من الدواب هي عظيمة الأثر في الأرض بخفها أو بحافرها . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (أثر) .

[6] أنفوا : أنف من الشيء : كرهه . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (أنف) .

[7] الشكة : السلاح ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (شكك) . قلصت : دنت . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (قلص) . أغمار ، جمع غمر ، والرجل الغِمر : الذي لا تجربة له في الحروب . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (غمر) .

[8] عدلت : مالت . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عدل) .

الخامس عشر – المرّارُ بنُ سلامَةَ

المُرّارُ بن سلامةَ أحدُ بني ربيعةَ بن مالكِ بنِ ربيعةَ بن عجلٍ شاعرٌ مخضرمٌ ([1]) ، ويقولُ الأراجيزَ ([2]) ، لَهُ شعرٌ في يومِ ذي قار ، وذَكَرَ ابنُ حَجرِ العَسقلانيّ أنّهُ لمْ يُذكَر أنّهُ أسلمَ ([3]) ، فيُذْكَرُ أنّهُ عندَما سمِعَ بعضُ العربِ بهذِهِ المَعركةِ ، جاءَ ناسٌ منْ بني يربوع وناسٌ منْ بني ضبّة ، وقالوا : نكونُ قريبًا فإذا انهَزَمَت بكرٌ أغرْنَا فيمن يغيرُ ، فبَلَغَ ذلكَ بكرًا ، فقالوا : نَبدأ بهؤلاءِ ، ووجَّهُوا إليهم يزيدَ بنَ المُكسَّرِ وأكتلَ بنُ حيّانَ بنِ عبدِ الله العِجليّ فقتلَ يزيدُ الأضجمَ الضَّبيّ([4]) ، وأسَرُوا بقيةَ القَومِ ، ولمْ يزالوا عندَهُم حتَّى التقوا وفارسَ ، فخلّوهُم مِنْ وثاقِهِم وقاتلوا مَعَهُم ، وقالَ المرار في ذلكَ ([5]) :

[البحر الوافر]

[1] كَسَوْنا الأَضْجُمَ الضَّبيَّ لمّا أتانا حَدّ مَصْقولٍ رَقيقِ([6])

---

[1]– ينظر : المرزباني ، معجم الشعراء ، 305 ؛ الآمدي : المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء ، 232 ؛ سيبويه ، الكتاب ، 31/1 ؛ البغدادي ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، 405/3 ؛ القيسي ، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، 69/8 .

[2]– ينظر : الآمدي ، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء ، 232 .

[3]– ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة ، 282/6 .

[4]– اختلفت الكتب التراثية في نسبة هذا الرجل ، فمنهم من قال إنه الأضجم الضراري . ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 77/2 ، ومنهم من قال إنه الأضجم الفزاري . ينظر : المرزباني ، معجم الشعراء ، 305 . ومنهم من قال أنه الأضجم الغزاري . ينظر : المرزباني ، معجم الشعراء ، 409 ، (طبعة دار الكتب العلمية) .

[5]– ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 77/2 وأيام العرب قبل الإسلام 502/1 ؛ المرزباني ، معجم الشعراء ، 305 .

التخريج :

روى أبو عبيدة الأبيات كاملة في النقائض 77/2 ، وأيام العرب في قبل الإسلام 502/1 ، والمرزباني في معجم الشعراء ، 305 .

اختلاف الروايات :

الأبيات حسب رواية النقائض ، 77/2 .

([6]) في معجم الشعراء (رقي) .

[2] وَفَــرّتْ([1]) ضَبةُ الجَعْراء لَمَّــا أَجَــدّ بِهِــنّ([2]) إتــعــابُ الوَسِيــقِ

[3] أَسَرْنا مِنْهُــمُ([3]) تِسْعِينَ كَهْــلا نَــقُودُهُــمُ إِلــى وَضَــحِ الطَّـرِيــقِ

[4] وجَــالُــوا كالنَّعامِ وأَسلَمونا([4]) إلــى خَــيلِ مُسَـوَّمَــةٍ وَنُــوقِ([5])

اختلاف الروايات :

([1]) في أيام العرب قبل الإسلام (ومرّت) وفي معجم الشعراء (وقرّت) .

([2]) في معجم الشعراء (أجدبهن) .

([3]) في معجم الشعراء (فهم) .

([4]) في معجم الشعراء (فأسلمونا) .

([5]) في معجم الشعراء (دفوق) .

ضوء على الشعر :

وقد تباينت المصادر في اسم هذا الشاعر فمنهم من قال عنه مرارا . ينظر : سيبويه ، الكتاب ، 31/1 ؛ المرزباني ، معجم الشعراء ، 305 ؛ البغدادي ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، 405/3 . ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 77/2 ، ومنهم من ذَكَرَه بـ حرار بن سلامة . ينظر : ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، 282/6 . ومنهم مَنْ ذكَرَه بـ (ضرار) . ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 77/2 .

[1] الضّجم : عوج في الأنف يميل إلى أحد شقيه . ينظر : الأزهري ، الصحاح ، مادة (ضجم) .

[2] الجعراء : قوم من العرب . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (جعر) . الوسيق ، الوَسْق : الحمل عامة ، أو حمل البعير . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (وسق) .

[3] الكَهْلُ : الرجل إذا وخطه الشيب وجاوز الثلاثين . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كهل) .

[4] جالوا ، جال القوم : انكشفوا ثم كروا . ينظر : ابن سيدة ، المخصص ، مادة (جول) . الخيل المسوّمة : الخيل المحملة وعليها ركبانها . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سوم) .

السّادس عشر – مرثدُ بنُ الحـارثِ

مِرثدُ بن الحارثِ بن ثورِ بن حرملةَ بن علقمةَ بن عمرو بن سدوسٍ ، حَضَرَ يومَ ذي قار ، وشاركَ فيه ، وكانَ لهُ بأسٌ شديدٌ ، حيثُ التقى بالنّعمانَ بنِ زُرعةَ وأهوى مرثدُ بهِ طعنا ، فسبَقَهُ النّعمانُ بصدرِ فرسِهِ فأفلتَهُ([1]) ، وقالَ فيه شعرًا ([2]) : **[البحر الطويل]**

[1] وَخَيْلٍ تَبَارَى([3]) للطِّعانِ شَهِدتُــها فأغرقتُ([4]) فيها الرُّمْحَ([5]) والجمعُ مُحجِمُ

[2] وأفلتَني([6]) النُّعمانُ قابَ([7]) رماحنا وفوقَ([8]) قَطاةِ المهْرِ أزْرقُ([9]) لهذَمُ([10])

---

[1] – ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 63/24 .

[2] – الأصفهاني ، الأغاني ، 24/ 69 ؛ الخالديان ، الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين ، 199/2 .

التخريج :

روى ابن الأعرابي البيت [2] في أسماء خيل العرب وفرسانها ، 161 . روى الأصفهاني البيتين [1 ، 2] في الأغاني ، ورواهما أيضا لخالديان ، الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين 199/2 . فيما روى الدار قطني البيت [1] في المؤتلِف والمختلِف ، 2031/4–2032 . وقد ورد الصدر الأول من البيت [1] في رواية لحاتم الطائي . ينظر : العبيدي ، التذكرة السعدية ، 134 .

اختلاف الروايات :

الأبيات على رواية الأغاني ، 69/24 .

([3]) في الأشباه والنظائر (تنادي) وفي المؤتلف والمختلف (تعادى) .

([4]) في الأشباه والنظائر (فأكرهت) وفي المؤتلف والمختلف (فأرجت) .

([5]) في المؤتلف والمختلف (فيها الطعن) .

([6]) في أسماء خيل العرب وفرسانها (وأفلتنا) .

([7]) في الأشباه والنظائر (نعمان فوت) وفي أسماء خيل العرب وفرسانها (فوت) .

([8]) في أسماء خيل العرب وفرسانها (وعند) .

([9]) في أسماء خيل العرب وفرسانها (أسمر) .

([10]) في الأشباه والنظائر (لِهُذِمُ) .

ضوء على الشعر :

[1] الحجم : المنع والكف . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (حجم) .

السّابع عشر – مِرداسُ بنُ أبي عامرِ السَّلميّ

مِرداسُ بنُ أبي عامرِ بن رفاعةَ بن عبدِ بن عنبسِ بن رفاعةَ بن الحارثِ بن بهثةَ بن سليمِ بن منصورِ بن عكرمةَ بن خصفةَ بن قيسِ بن عيلانَ بن مُضرَ([1]) ، وقدْ شارَكَ مرداسُ بن أبي عامر السَّلميَّ في يومِ شعبِ جَبَلَةَ([2]) ، وغَنِمَ غنائمًا([3]) ، وكانَ مرداسُ مجاورًا في بني بكر ، ويومئذٍ رأى الجيوشَ قدْ أقبلتْ إليهم ، فحَمَلَ عيالَهُ وخرجَ عنْهُم ، وأنشأ يحرِّضُهُم بقوله([4]) :**[البحر البسيط]**

[1] أبلِـــغ سَراةَ بني بكـــرٍ مُغَلْغَلةً إنّي أخـــاف عليهم سُرْبةَ الـدَّار

---

[2] قاب : هرب . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (قوب) . قطاة : موضع الرّدف . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (نتر) . لهذم ، اللهذم : كل شيء حادّ من سِنان وسيفٍ قاطع . ينظر : الفراهيدي ، كتاب العين ، مادة (لهذم) .

---

[1]– ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 23/1 ؛ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، 158/6 .

[2]– هو يوم من أعظم أيام العرب في الجاهلية ، وقد دار بين قيس وتميم . قال وكان جبلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة قبل مولد النبي بتسع عشرة سنة . ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 138/11، 147 ، 164 .

[3]– ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 74/2 .

[4]– الأصفهاني ، الأغاني ، 64/24 .

التخريج :

روى الأصفهاني الأبيات في الأغاني 64/24 .

ضوء على الشعر :

اختلفت المصادر في نسبة هذه الأبيات ، فمنها ما نسبها لابن مرداس– العباس بن مرداس السلمي – واستبعد الأصفهاني أن تكون لمرداس نفسه ؛ لأن وفاة مرداس كانت مع حرب بن أمية قبل البعثة ، ولذلك لا يمكن أن يكون مرداس قد شهد ذا قار ، ويؤيد الباحث رأي الأصفهاني . ينظر : الأغاني ، 65/24 .

[1] سراة : جمع سرى ، وهو جمع لعزيز . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، مادة (سرا) . مغلغلة : رسالة محمولة من بلد إلى بلد . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (غلل) . سربة : أي السفر القريب . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (سرب) .

[2] إنّي أرى الملِكَ الهامرْزَ مُنْصَلِتًا يُزْجِي جِـــيادًا وركـــبًا غيـر أبرارِ

[3] لا تَلْقُطُ البَعَر الْحَوْلِيَّ نِسْوَتُهـمْ للجائزِين عَلَى أعطـــــانِ ذِي قار

[4] فإن أَبَيْتُـمْ فـإنّي رافِـعٌ ظُعُنِي ومُنْشِبٌ في جِبـــال اللُّوبِ أظْفَاري

[5] وجـاعِلٌ بيـنَنا وِردًا غَــواربُه تــرْمي إذا مـــا ربـــا الوادِي بتَيَّار

ضوء على الشعر :

[2] منصلتا : المنصلت ، المسرع من كل شيء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (صلت) . تزجي : تسوق . ابن منظور ، لسان العرب ، (مادة زجا) .

[3] أعطان : جمع عطن وهو وطن الإبل ومبركها حول الحوض ، وقيل مربض الغنم حول الماء . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، (مادة عطن) .

[4] منشب ، نشب : تعلق . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (نشب) .

[5] غواربه ، غارب كل شيء : أعلاه . ينظر ، الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (غرب) .

الثامن عشر – مَفروقُ بنُ عَمرو الشَّيبانيّ

مفروقُ بن عَمرو بن قيسِ بن مسعودِ بن عامرِ بن عمرو بن أبي ربيعةَ بن ذهلِ بن شيبانَ ، وهوَ أحدُ فرسانِ بني شَيبان وساداتِها وذي النَّباهةِ فيها ، وكانَ شاعرًا مجيدا ، مِنَ الّذينَ أغاروا على سَوادِ فارسٍ يومَ ذي قار([1]) ، وقُتِلَ مَفروقُ في يومِ العظالي([2]) . قالَ مَفروقُ بن عَمْرو يَرثي مَنْ ماتَ مِنْ قومِهِ إبّانَ إغارتِهِ معَ نفرٍ على سَوادِ العِراقِ ([3]) : **[البحر الطويل]**

[1] أتانـــي([4]) بأنْبـــاطِ السَّوادِ يَسُوقُهـــمْ إلـــيَّ وأوْدَتْ رَجْلَـــتـــي وَفَـــــوارِسي

[2] فما أنا مـــن رَيْبِ الزَّمانِ([5]) بِجُبَأٍ([6]) ولا ([7]) أنـــا مـــن سَيْب الإلهِ بيائسِ([8])

---

[1]– ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 57/24 ؛ المرزباني ، معجم الشعراء ، 390 .

[2]– ينظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 194/5. وهو يوم بين بني يربوع وبكر ، وكان الظفر فيه لبني بكر . ينظر : ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 194/5 .

[3]– ينظر : الأصفهاني ، الأغاني ، 58/24 ؛ الفراهيدي ، العين ، مادة (جبأ) .

التخريج :

روى الفراهيدي البيت [2] في العين ، مادة (جبأ) . ورواه أيضا الجاحظ في الحيوان 257/4 . ورواه أيضا أبو عمرو الشيباني في كتابه الجيم ، 177/1 . روى الأصفهاني البيت [1] في الأغاني 58/24 ، ورواه أيضا المرزباني في معجم الشعراء ، 390 . روى الجوهري البيت [2] في الصحاح ، مادة (جبأ) روى ابن منظور البيتين [2 ، 3] في لسان العرب ، مادة (جبأ) ، ورواهما أيضا الزبيدي في تاج العروس ، مادة (جبأ) .

اختلاف الروايات :

البيت [1] على رواية الأغاني ، والبيت [2] على رواية كتاب العين أما البيت [3] فعلى رواية لسان العرب ، مادة (جبأ) .

([4]) في معجم الشعراء (أنزى) .

([5]) في الحيوان والصحاح (المنون) .

([6]) في العين ، الحيوان ، والصحاح (بجبَأ) وفي تهذيب اللغة (بجباء) .

([7]) في والحيوان ، وتهذيب اللغة ، وتاج العروس (وما) .

([8]) في الصحاح ، وتاج العروس (بآيس) .

[3] أَبْكِي على الدَعّاءِ([1]) في كــلِّ شَتْوةٍ ولَهْــفِي علَـى قـــيسٍ زمَــامِ الفَوارِسِ

اختلاف الروايات :

([1]) في تاج العروس (الدَّعَّاء) .

ضوء على الشعر :

[2] جبأ : ارتدع . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (جبأ) .

التّاسع عشر – أبو المُهَرّشِ

ربيعةُ بن خوطِ بن رئابِ بن الأشترِ بن حجوانَ بن فقعسِ بن طَريفِ بن عَمرو بن قَعين بن ثعلبةَ ابن خزيمةَ الأسديَّ ثُمَّ الفقعسيَّ ، أبو المُهرشِ شاعرٌ مخضرَمٌ أدركَ حياةَ النَّبيّ ، صلى الله عليه و سلم ، حَضَرَ يومَ ذي قار، ، وأنشدَ لَهُ في يومِ ذي قار([1]) : **[البحر البسيط]**

[1] نجّى إيـــادا ولخما كـــلُّ سلهبة واستحْكَمَ([3]) الموتُ أصحابَ البَراذينِ

---

[2]– ينظر : الزمخشري ، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ، 403/4 ؛ ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، 512/2 .

التخريج :

البيت على رواية الزمخشري في ربيع الأبرار 403/4 . ورواه ابن حجر العسقلاني في الإصابة في تمييز الصحابة ، 512/2 .

اختلاف الروايات :

([3]) في ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (استلحم) .

وقد ذكره الزمخشري أيضا (بأبي المهو الأسدي) ينظر : ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ، 403/4 . ومنهم من ذكره بأبي المهوش . ينظر : أبو عمرو الشيباني ، الجيم ، 142/2 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عجا) ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (خمر) .

ضوء الشعر :

[1] السلهبة : الطويل من الناس والخيل . ينظر : الصاحب بن عباد ، المحيط في اللغة ، مادة (السلهب) . البراذين ، البرذون ، العظيم من الخيل ، الجافي ، غليظ الأعضاء ، الجَلد على السير في الشِّعاب والوعر ، من غير العرابية ، وأكثر ما يُجلَب من الرُّوم . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (برذن) .

العشرون – أخو نُهْمٍ

وقالَ أخو نُهْمٍ يومَ ذي قار لفرسِهِ ([1]) يحثُّها على الإقدامِ : **[مشطور الرجز]**

[1] أَقْدِمْ مِــحاجُ([2]) إنها([3])الأساوِرَه

[2] وَلا يَهُــولَنَّكَ([4]) رِجُــلٌ([5]) نادِرَهْ

---

[1]– ينظر : الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، 197/24 ؛ ابن دريد ، جمهرة اللغة ، مادة (رسه) ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، 199/19 ؛ أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، 393/10 ؛ الحلبي السمين ، الدرّ المصون في علم الكتاب المكنون ، 672/10 – 673 ؛ ابن عادل ، تفسير اللباب ،5196/1 . نهْم : اسم رجل واسم بطن من العرب ، ونسبته إلى صنم في الجاهلية . ينظر : ابن دريد ، جمهرة اللغة ، مادة (مَنَهَ) .

التخريج :

روى الطبري الأبيات [1 – 5] في جامع البيان 197/24 ، فيما روى ابن دريد في جمهرة اللغة الأبيات : [1 ، 2] مادة (منه) ، [3 ، 4] مادة (رسه) . روى السمعاني البيتين [3 ، 4] في تفسير السمعاني 148/6 . وروى القرطبي الأبيات [1 – 5] في تفسير القرطبي 199/19 . وروى ابن حجر الأبيات [1 – 5] في فتح الباري 690/8 ، ورواها ابن عادل في تفسير اللباب 5196/1 .

اختلاف الروايات :

الأبيات حسب رواية جامع البيان 197/24 .

([2]) في تفسير اللباب (سجاج) وفي جمهرة اللغة (أخا نِهْمٍ) وفي الدر المصون (نجاحُ) .

([3]) في جمهرة اللغة (على) .

([4]) في جمهرة اللغة (تهالنَّك) . ويظهر في رواية جامع البيان الكسر في البيت الأول .

([5]) في تفسير اللباب (رؤوس) وفي الدر المصون (رحلُ) .

ضوء على الشعر :

ثمة من اختلف في مناسبة هذه الأبيات ، فمنهم من نسبها لمعركة القادسية . ينظر : ابن دريد ، الاشتقاق ، 108/1؛ القالي ، الأمالي في لغة العرب ، 28/1 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (نخر) . ومنهم عزا هذه الأبيات لشاعر من همذان في معركة اليرموك . ينظر : أبي الحسن مقاتل ، تفسير مقاتل بن سليمان ، 448/3–449.

[1] محاج : اسم خيل معروفة عند العرب . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (محج) . الأساوره : قوّاد الفُرس . ينظر : الزمخشري ، أساس البلاغة ، مادة (سور) . يهولنّك ، هوله الشيء أي أفزعه . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، مادة (هول) . نادره : ندر : خرج من الجمهور . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ندر) .

[2] الساهرة : الأرض التي لم توطأ . ينظر : ابن دريد ، الاشتقاق ، 108/1 . وقيل الأرض البيضاء . ينظر : ابن دريد ، جمهرة اللغة ، مادة (رسه) .

[3] فإنّـمَا قَصْــرُكَ تُــرْبُ السَّاهِـــرَهْ

[4] ثُمَّ([1]) تَعـودُ بَعْدَهـــا فِي الْحَافِرَهْ

[5] مِنْ بَعْدِ مـا كُنْتَ([2])عِظاما نـــاخِرَهْ

اختلاف الروايات :

([1]) في جمهرة اللغة (حتى) .

([2]) في تفسير القرطبي (صرت) وفي جمهرة اللغة (صرنَ) .

ضوء على الشعر :

[3] ناخرة : نَخِرَ الشيءُ : بلي وتفتَّت . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، مادة (نخر) .

الحادي والعشرون – يزيدُ بن حمار([1])

يزيدُ بن حمارِ السَّكونيّ ، شَهِدَ ذا قار وكانَ ممَّن أشارَ على العربِ برأيِهِ ، فلا شَكَّ أنَّهُ كانَ ذا فكْرٍ نيّرٍ ، وخُطَّةٍ ناجحةٍ ، فلَمَا أصبحَ الصَّباحُ في يومهِم كانتْ بكرٌ مستعدةً ، والظَّعنُ وافقةٌ يذمّرنَ الرّجالَ على القِتالِ ، ويحضّضْنَهُم على الصَّبرِ والثَّباتِ ، فجاءَ يزيدُ برأيِهِ في استخدامِ الكَمين للأعداءِ ، وهُوَ الّذي سينفّذُ الأمرَ ، وكَمَنَ للفُرسِ ، وكانتْ هذهِ الخطَّةُ أحدَ أهمّ أسبابِ النَّصرِ في المعركةِ ([2]) ، ولَهُ شِعرٌ في ذي قار يَمدحُ بني شَيبان ، فيقولُ([3]) : **[البحر البسيط]**

[1] إنّي حَمِدْتُ بَنِي شَيْبَانَ إذْ خَمَدَتْ نِيْرَانُ قَــومِي وَفِيهم شَبَّتِ([4]) النَّارُ

[2] وَمِنْ تَكَرُّمِهِمْ فِي المَحْلِ([5]) أَنَّهُمُ لا يَعلَمُ([6]) الجَــارُ فِيهم أَنَّــهُ جَــارُ

---

[1]– ورد سمه عدي بن حمار السكوني ، ويقال عدي بن يزيد بن حمار بن عباد بن سلمة بن تراغم بن معاوية بن ثعلبة بن عقبة بن السكون . ينظر : أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة ، 220/1 .

[2]– ينظر : أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة ، 220/1–221 ؛ أبو عبيدة ، النقائض ، 72/2 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 479/1 .

[3]– أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة ، 221/1– 222 ؛ المرزباني ، معجم الشعراء ، 423 ؛ القالي ، الأمالي في لغة العرب ، 42/1 ؛ أسامة بن منقذ ، لباب الآداب ، 267 .

التخريج :

روى أبو تمام الأبيات كلّها في شرح ديوان الحماسة 221/1 ، ورواهما المرزباني في معجم الشعراء ، 423 . روى أسامة بن منقذ الأبيات [1– 3] في لباب الآداب ، 267 .

اختلاف الروايات :

رواية الأبيات حسب شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، 221/1 .

([4]) في لباب الآداب (فشبت فيهم) .

([5]) في معجم الشعراء (في الناس) .

([6]) في معجم الشعراء (لا يشعر) .

ضوء على الشعر :

[2] المحل : الشدة . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (محل) .

[3] حَتَّى يَكُونَ عَزِيزًا مِــنْ نُفُوسِهِم أَوْ أنْ يَبينَ جَمِيعًا([1]) وَهْــوَ مُخْتَـارُ

[4] كَأَنَّهُ صَــدَعٌ فِــي رَأسِ شَاهِقَــةٍ مِنْ([2]) دُونِــهِ لعِتَــاقِ الطَّيْرِ أوْكَـارُ

اختلاف الروايات :

([1]) في لباب الآداب (حميدا) .

([2]) في معجم الشعراء (ودونه) .

ضوء على الشعر :

[4] الوكر : عش الطائر . ينظر : ابن سيدة ، المحكم ، مادة (وكر) .

الثّاني والعشرون – يَزيدُ بنُ المُكسَّرِ

يَزيدُ المُكسَّرِ بن حنظلةَ بن ثعلبةَ بن سيَّار العجليّ ، كانَ لَهُ موقفٌ عظيمٌ يومَ ذي قار ، أخذَ يحرِّضُ العربَ على القِتالِ ، ونراهُ يثيرُ عواطفَهُم ويستنهِضُ هممَهُم ، ويدعوهم للثَّباتِ في المعركةِ ، فيقولُ([1]) : **[البحر الرجز]**

[1] مَنْ فَرَّ مِنْكُمْ فَرَّ عَنْ حَرِيمِهْ وَجَــارِهِ وفَــرَّ([2])عَــنْ نَديمِهْ ([3]) .

---

[1] – ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 73/2 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 480/1 ؛ المرزباني ، معجم الشعراء ، 426 ؛ العسكري ، الأوائل ، 290 ؛ العسكري ، جمهرة الأمثال ، 232/2 .

التخريج :

روى الأبيات كلها أبو عبيدة في النقائض 73/2 . روى أبو تمام البيتين [1 ، 2] في شرح ديوان الحماسة 660/2 . روى الطبري الأبيات [1 – 3] في تاريخ الأمم والملوك 480/1 . روى ابن دريد البيت[2] مقرونا بالبيت لآتي : (من ذبّ منكم ذب عن حريمه أو فرّ منكم فرّ عن حميمه) في جمهرة اللغة ، مادة (شكم) ، روى المرزباني الأبيات [1 – 3] في معجم الشعراء 426 . فيما روى العسكري البيتين [1 ، 2] : الأوائل 290 ، وصدر البيت [3] في جمهرة الأمثال 232/2 ناسبا إياها لعلقمة بن سيار في الجمهرة . روى ابن سيدة البيت [2] في المحكم مقرونا ببيت ابن دريد ، مادة (ذبب) ومادة (شكم) . روى الميداني عجز البيت [2] في مجمع الأمثال ، 40/1 . روى الزمخشري البيت [2] في أساس البلاغة ، مادة (شكم) . روى ابن منظور البيت [2] إضافة إلى بيت ابن دريد في لسان العرب مادة (ذبب) ومادة (شكم) . روى الزبيدي البيت الآتي : (من ذب منكم ذب عن حميمه أو فرّ منكم فرّ عن حريمه) في تاج العروس ، مادة (ذبب) .

اختلاف الروايات :

الأبيات حسب رواية أبي عبيدة في النقائض 73/2 .

([2]) في الأوائل (الأدنى) .

([3]) جاء البيتُ الأوَّلُ في روايةِ ابن دريد في جمهرة اللغة ، وابن سيدة في المحكم ، وابن منظور في لسان العرب ، والزبيدي في تاج العروس هكذا (من ذبّ منكم ذب عن حريمه أو فرّ منكم فرّ عن حميمه) ، وجاء عجز هذا البيت عند العسكري في الأوائل هكذا (وجاره الأدنى وعن نديمه) . وجاء عند العسكري في جمهرة الأمثال هكذا : (أو ذبّ عنكم ذبّ عن حميمه) .

ضوء على الشعر :

[1] فرّ : هَرَبَ . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (فرر) .

[2] أَنَا ابْنُ سَيّارٍ عَلَى شَكِيْمِهْ إِنَّ الشِّراكَ قُـدَّ مِــنْ أَدِيْمِهْ ([1])

[3] وَكُلُّهُمْ يَجْرِيْ عَلَى قـدِيمِهْ مِنْ قَارِحْ الهَجْنَةِ أَوْ صَمِيمِهْ ([2])

اختلاف الروايات :

([1]) البيت عند العسكري في جمهرة الأمثال هكذا (وجاره الأدنى وعن نديمه ... أنا ابن سيار على شكيمه) . وجاء البيتان عند أبي تمام في حماسته 660/1 هكذا :

أنا ابن سيار على شكيمه من فر منكم فر عن نديمه .

وجاره وفر عن حريمه إن الشراك قدّ من أديـــمه

([2]) في الأوائل (قديمه) . وقد روي هذا العجز عند المرزباني في معجم الشعراء هكذا : (ما قارح الهجمة أو صميمه) .

ضوء على الشعر :

[2] شكيم : الحديدة المعترضة في فم الفرس ، وربما قصد الفرس نفسها . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (شكم) ؛ الفراهيدي ، العين ، مادة (شكم) . وربما قصد بها أي على ما كان عليه سيار من شدة وعزيمة . ينظر : الزمخشري ، أساس البلاغة ، مادة (شكم) . الشَّراك : سير النعل . ينظر : ابن سيده ، المخصص ، مادة (المخطط من الثياب) 409/1 . الأديم : الجلد . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (أدم) . وجاء أن قول الشاعر: (إن الشراك قد من أديمه) هو مثل يقال لشيئين بينهما قُرب وشبه . ينظر : الميداني ، مجمع الأمثال ، 40/1.

[3] قارح : الخالص . ينظر : الفيروزأبادي ، القاموس المحيط ، (مادة قرح) باب الحاء فصل القاف . الهجنة : ما يعيب . ينظر : ابن سيدة ، المحكم ، مادة (هجن) . الصميم : بُنْك الشيء وخالِصُه . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (صمم) .

الثّالث والعشرون– أحدُ شعراءِ ربيعةَ

قالَ أحدُ شعراءِ ربيعةَ يومَ ذي قار[1] : **[البحر الطويل]**

[1] أَلا مَنْ لِليلٍ لاَ تغُورُ كَــواكبُه وهَــمٍّ سَرَى بينَ الجَوانِح جَانبُهْ

[2] ألا هَلْ أَتاهَا أنّ جيْشًا عَرَمْرمًا بأسفـلِ ذي قــارٍ أُبِيدتْ كتائبهْ

[3] فَمَا حلْقةُ النُّعمانِ يومَ طلبتَها بأقرَبَ مِــن نجــمِ السَّماءِ تُراقبُهْ

---

[1] – الأصفهاني ، الأغاني ، 74/24 .

التخريج :

روى الأصفهاني الأبيات [1 – 3] في الأغاني 74/24 .

ضوء على الشعر :

[1] أغار : أسرع . ينظر : ابن منظور : لسان العرب ، مادة (غور) . الجوانح : الضلوع القصار في مقدمة الصدر ، وسميت بذلك ؛ لجنوحها عن القلب . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (جمح) .

[2] الجيش العرمرم : الكثير والشديد . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عرم) . الكتيبة : الجيش . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (كتب) . الحلقَة : اسم لدروعِ النُّعمان . ينظر : ابن سيده ، المخصص ، 48/2 .

[3] الحلقة : اسم لسلاحِ النُّعمان بن المنذر ولدروعِهِ . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (حلق) .

الرّابع والعشرون – امرأةٌ مِنْ بني عِجلٍ

هندُ بنتُ بياضَةَ بن رباحِ بن طارقِ الإياديّ ([1]) ، لَمَّا دنا الجَمعُ منْ بكر بن وائلٍ ، وقطَعَ حنظلةُ بنُ سيّار العجليّ وضنَ النّسَاءِ ، ضَرَبَ لنفسِهِ قبَّةً في وادي ذي قار حتَّى أتتهُم العَجَمُ تقاتِلُهم في حِنو ذي قار ، فهُزِمَتْ العَجم مِنَ العَطَشِ ، فتبعتهُم بكرٌ وعجلٌ ، ثُمَّ تقدّمَتْ عجلٌ وأبلتْ بلاءً حَسنًا ، وقالتْ النِّساءُ هلكَتْ عجلٌ ، ثُمَّ حُمِلتْ عجلٌ فوجِدَت ثابتةً تقاتلُ ([2]) وامرأةٌ منهم تقولُ ([3]) : **[مجزوء الرجز]**

---

[1] – ينظر : الجوهري ، الصحاح ، مادة (طرق) ؛ ابن فارس ، مقاييس اللغة ، 352/3 .

[2] – ينظر : ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، 16/3–18 .

[3] – الأصفهاني ، الأغاني ، 392/12 ؛ ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، 189/5 .

التخريج :

روى الأبياتَ الأصفهاني في الأغاني 392/12 ، وابن حمدون الأبيات في التذكرة الحمدونية 189/5 ونسبها ليوم ذي قار . روى أبو عبيدة في النقائض ، 72/2 الأبيات بهذه الرواية (إن تَهزِموا نعانق ونفرش النمارق / أو تُهزَموا نفارق فراق غير وامق) . روى أبو عبد الله البصري الأبيات [1 ، 3 ، 4] الطبقات الكبرى ، 40/2 . روى ابن قتيبة البيت [1] في أدب الكاتب ، 71/1 . روى البلاذري الأبيات [1 ، 3 ، 4] في أنساب الأشراف 317/1 . روى الطبري الأبيات هكذا : " نحن بنات طارق ... إن تقبلوا نعانق ... ونبسط النمارق ... أو تدبروا نفارق ... فراق عير وامق " في تاريخ الأمم والملوك 479/1 . روى أبو حاتم التميمي في الثقات 226/1 الأبيات التي رواها أبو عبيدة في النقائض . روى الأزهري الأبيات [1 ، 3 ، 4] ولكن كان عجز البيت الأول : " لا ننثي لوامق " في تهذيب اللغة ، مادة (طرق) . روى ابن فارس صدر البيت [1] في مقاييس اللغة ، 349/3 . روى النهرواني أبيات النقائض ولكن برواية (إن تقدموا) في الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي 396/3 . روى الجوهري البيت [1] في الصحاح ، مادة (طرق) . روى ابن مسكويه في تجارب الأمم وتعاقب الهمم 241/1 الأبيات (إن تهزموا نعانق ونفرش النمارق / أو تهربوا نفارق فراق غير وامق) . روى ابن سيدة البيتين [1] في المخصص ، مادة (بنت) . ورواه أيضا ابن هشام في مغني اللبيب 507/1 . روى ابن منظور الأبيات هكذا : " نحن بنات طارق ... لا ننثني لوامق ... نمشي على النمارق ... المسك في المفارق ... والدر في المخانق ... إن تقبلوا نعانق ... أو تدبروا نفارق ... فراق غير وامق " في لسان العرب ، مادة (طرق). روى البقاعي في كتابة نظم الدرر ، 599/5 ما رواه ابن مسكويه في تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، 241/1 .

[1]

[1] نحـــــــن بنـــات طـــــارق نـــــــمشي عـلى النَّمـــارق([1])

[2] الـــدّر فـــــي المـــخانـــــق([2]) والمســـــك فـــــي المفـــارق

[3] إنْ تـــقبلوا ([3]) نعـــانـــــقْ([4]) أو تـــدبـــروا نفـــــــــارق([5])

[4] فِـــــراقَ غَيـــــرِ وامـــقِ([6]) .

اختلاف الروايات :

([1]) في تاريخ الأمم والملوك (إن تقبلوا نعانق) . في تهذيب اللغة ، والصحاح ، ومقاييس اللغة ، ولسان العرب (لا ننثني لوامق) .

([2]) في الصحاح ، ومقاييس اللغة ، ولسان العرب (نمشي على النمارق) .

([3]) في الجليس الصالح (تقدموا) . وفي النقائض ، والثقات ، وتجارب الأمم (تَهزِموا) .

([4]) في تاريخ الأمم والملوك (ونبسط النمارق) . في الصحاح ، ومقاييس اللغة ، ولسان العرب (والدر في المخانق) ..

([5]) في النقائض ، والثقات ، وتجارب الأمم ، ورد هذا العجُز (ونفرش النمارق) في الجليس الصالح ، والصحاح ومقاييس اللغة ، ولسان العرب (إن تقبلوا نعانق) .

([6]) في النقائض ، وأشعار النساء ، وتجارب الأمم ، ورد هذا الصدر عجزا ، أما صدره فكان هكذا (أو تُهزَموا نفارق) أما الثقات(إن تدبروا نفارق) في الصحاح ، ومقاييس اللغة ، ولسان العرب (أو تدبروا نفارق) وعجزها (فراق غير وامق).

ضوء على الشعر :

اضطربت نسبة هذه الأبيات في المصادر ، فنُسبت إلى يوم أُحُد حينما كانت هذه المرأة تحضُّ قومَها على القتال . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، مادة (طرق) ؛ ابن فارس ، مقاييس اللغة ، 349/3 . ومنهم من نسبها ليوم ذي قار : ينظر : أبو عبيدة ، النقائض ، 70/2 ؛ النهرواني ، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي 396/3 ؛ ابن مسكويه ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، 241/1 ؛ ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، 189/5 ؛ البقاعي ، نظم الدرر ، 599/5 . ومن المصادر من نسبها ليوم بدر . ينظر : أبو عبد الله البصري ، الطبقات الكبرى ، 40/2 ؛ أبو حاتم التميمي ، الثقات ، 226/1 .

[1] الطارق :النجمُ الذي يقال له كوكب الصبح . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، مادة (طرق) . النمارق : مفردها نِمرقة : وهي الوسادة . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (نمرق) .

[2] الدّرُّ : اللؤلؤ العظيمة . ينظر : أبو العباس ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، مادة (درر) . المخنقة : القلادة . ينظر : ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مادة (خنق) .

[4] ومق : أحب . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ومق) .

وتقولُ أيضا ([1]) : **[البحر الرجز]**

[2]

[1] إن يَظفَروا يَحرِّزوا ([2]) فينا الغُرُل إيــه فِـدًى أبي([3]) لَـكُم([4]) بني عِجلْ

---

[1]– أبو عبيدة ، النقائض ، 72/2 ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 479/1 ؛ ابن مسكويه ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، 241/1 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 489/1 .

التخريج :

روى البيتَ أبو عبيدة في النقائض 72/2 ، والطبري في تاريخ الأمم والملوك 479/1 ، وابن مسكويه في تجارب الأمم وتعاقب الهمم 241/1 .

اختلاف الروايات :

([2]) في تجارب الأمم وتعاقب الهمم (يجوزوا) .

([3]) في الكامل في التاريخ (فداءٌ لكم) .

([4]) في تاريخ الأمم والملوك ، وتجارب الأمم وتعاقب الهمم (إيها فداء لكم بني عجل) .

ضوء على الشعر :

[1] يحرّز ، حرز : ضمَّ . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (حرز) . الغرل : القلف . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (غرل) . والقلف الذي لم يختن . ينظر : الصاغاني ، العباب الزاخر واللباب الفاخر ، مادة (قلف) .

الخَاتمَةُ

بَعدَ رِحلةٍ في رُبوعِ الشِّعرِ الجاهِلي ، وَقَفْتُ خِلالَها عِندَ شِعرَ يَومِ ذي قَارٍ في العَصرِ الجاهلي " جمعٌ وتوثيقٌ ودراسةٌ" ، فَخَلَصتُ إلى عّدة نتائج :

1- يُعَدُّ يومُ ذي قار ، حَدَثًا تاريخيًّا مُهمًّا ، ومَفصلًا عظيمًا في تاريخِ العَرَبِ ؛ لأنَّهُ عُدَّ أوَّلَ يومٍ انتصَرَ فيهِ العَرَبُ على الفُرسِ .

2- عَكَسَ يومُ ذي قار جَوانبَ مِن الحياةِ السِّياسيَّةِ والاجتماعيَّةِ للعَرَبِ في الجاهليَّةِ وعلاقتهم مَعَ المَمالكِ المُجاورَةِ .

3- ردُّ النُّعمانِ بن المُنذرِ طَلَبَ كِسرى للفتياتِ العَرَبيَّاتِ ، ورفْضُ الشّيبانيين دَفعَ الأدرعِ لكسرى ، ومَقتلُ النُّعمانِ بن المنذر ، دوافعُ رَئيسَةٌ ليومِ ذي قار .

4- تَباينتْ آراءُ المُؤرّخينَ والباحثينَ حَولَ مَوعدِ يومِ ذي قار ، إلا أنَّها أجمعت – في معظمها – حُصولَهُ بَعدَ مَعرَكَةِ بدرٍ الكُبرى ، في حِينَ أنَّ اختيارَ العَرَبِ لمَوقِعِ اليوم كانَ عامِلا مُساندًا في نتيجةِ المَعرَكَةِ .

5- انطلاقًا مِنْ كَونِ يومُ ذي قار أوَّلَ يَومٍ ظَفِرَ بِهِ العَرَبُ مِنَ العَجَمِ ، فقد كَانَ الفَخرُ الغَرَضَ السَّائدَ في شعرِ هذا اليومِ .

6- ظَهَرتْ سياسةُ الفُرسِ في تفريقِ جُموعِ العَرَبِ بهدفِ السِّيادةِ عليهم ، ولكنْ وقوف الشَّيبانيينَ وجموعَ العرَبِ واتحادَهم كَانَ سببًا رئيسًا وراءَ هذا الانتصار التَّاريخيّ .

7- يَعودُ هلاكُ النُّعمانِ بن المُنذر إلى مَكيدةِ زيد بن عدي العِبادي ثأرًا لوالدِهِ ؛ لأنَّ النُّعمانَ هوَ الَّذي قَتَلَ عَديّ بن زيد والدَهُ .

8- يُعَدُّ انتصارُ العَرَبِ يومَ ذي قار بدعوة الرَّسولِ مُحمَّدٍ ، صلى الله عليه وسلم ، دافعًا مُهمًّا من دوافِعِ فتح المسلمينَ للعراق ، ودخول العربِ في الإسلامِ .

9- تَنوعَتِ الأساليبُ المُستخدَمَةُ في شِعرِ يومِ ذي قار ، إذْ جَاءَت بعضُ هذهِ الأساليب مُستمدًّا مِنْ حياةِ الشُّعراءِ ، فقدْ عَمَدوا إلى التَّبليغِ والإخبارِ ، والطِّباقِ ، والتَّرادفِ ، وغيرِها للتَّعبيرِ عن ظُروفِهِم ومشاعرِهِم ، وهُنا وظَّفَ هؤلاءِ الشُّعراءُ تلكَ الأساليبَ ؛ لتَحملَ أفكارَهُم وأحاسِيسَهُم ومشاعرَهُم .

10- يَبلغُ عددُ أبياتِ شعرِ الجَمعِ والتَّوثيقِ في هذهِ الدّراسة مئتين وواحدٍ وعشرين بيتًا بشكلٍ كامِلٍ ، ولوحِظَ كثرةُ المُقطَّعاتِ الشعرية أيضًا في يَومِ ذي قار .

وإنْ كانَ الأمرُ في خاتِمَةِ هذا البحثِ يستدعِي الوَصيَّةَ ، فإنَّني أرى الحَاجةَ المَاسَّةَ لدراسَةِ القضايا الآتية :

1- دراسة " صُورةُ العَرَبيّ في البَلاطِ الفَارسيّ " .

2- دراسة " تواطُؤ العَرَبيّ في العَصرِ الجاهليّ مَعَ العَجَميّ في ضُوء الواقعِ المُعاصرِ " .

3- دراسة " أدبُ يومِ ذي قار في العَصرِ الجاهليّ – دِراسَةً أسلوبيَّةً .

4- دراسة " شِعرُ يومِ ذي قار في العَصرِ الجاهليّ – لغويًّا دلاليًّا " .

ثبتُ المصادِرِ والمَراجِعِ

- ✓ القرآن الكريم .
- ✓ **أولا – المصادر .**
- ✓ الآمدي ، الحسن بن بشر ، (ت370هـ) ، **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرائهم** ، صحَّحَهُ وعلَّق عليه ف . كرنكو ، ط1 ، بيروت : دار الجيل ، 1991/1411 .

- ✓ ابن الأثير الجزري ، علي بن أبي مكرم ، (ت 630) ، **الكامل في التاريخ** ، بيروت : دار صادر ، دار بيروت للطباعة والنشر، 1385/ 1965 .

- ✓ ابن الأثير الحلبي ، أحمد بن إسماعيل ، (ت737هـ) ، **جوهر الكنز** ، تحقيق محمد زغلول سلام ، الإسكندرية : منشأة المعارف ، 1977 .

- ✓ ابن الأثير الكاتب ، نصر الله بن محمد ، (ت637هـ) ، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت : المكتبة العصرية، 1995 .

- ✓ الأخفش الأصغر ، ت(315هـ) ، **كتاب الاختيارين** ، تحقيق فخر الدين قباوة ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1394 / 1974.

- ✓ الأزهري ، محمد بن أحمد ، (ت 370هـ) ، **تهذيب اللغة** ، تحقيق محمد عوض مرعب ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، 2001 .

- ✓ الإسترأبادي النحوي ، محمد بن الحسن ، (ت686هـ) ، **شرح شافية ابن الحاجب**، بيروت : دار الكتب العلمية ، د . ت .

- ✓ أبو إسحاق ، إبراهيم بن إسحاق الحربي ، (ت285هـ) ، **غريب الحديث** ، تحقيق سليمان إبراهيم محمد العايد ، ط1 ، مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، 1405.

- ✓ ابن أبي الإصبع المصري ، (ت 654 هـ) ، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن** ، تحقيق حفني محمد شرف ، الجمهورية العربية المتحدة : لجنة إحياء التراث الإسلامي ، د . ت .

- ✓ الأصفهاني ، علي بن الحسين ، (ت356هـ) ، **الأغاني** ، تحقيق سمير جابر ، ط2 ، بيروت: دار الفكر ، د . ت .

- ✓ الأصمعي ، سعيد بن عبد الملك بن قريب ، (ت 216 هـ) ، **الأصمعيات** ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخر ، ط5 ، مصر : دار المعارف ، د . ت .

- ✓ ابن الأعرابي ، أبو عبد الله محمد بن زياد ، (ت 231 هـ) ، **أسماء خيل العرب وفرسانها** ، تحقيق محمد محمد عبد القادر أحمد ، ط1 ، مصر : مكتبة النهضة المصرية ، 1404 / 1984 .

- ✓ الأعشى ، ميمون بن قيس ، (ت7 هـ) ، **الديوان** ، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، ط3 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1424 / 2003 .

- ✓ الأندلسي ، ابن سعيد ، (ت685هـ) ، **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب** ، تحقيق نصرت عبد الرحمن ، عمان : مكتبة الأقصى ، د . ت .

- ✓ البخاري ، محمد بن إسماعيل ، (ت256 هـ) ، **التاريخ الكبير** ، تحقيق السيد هاشم الندوي ، د . د ، د . ت .

- ✓ البغدادي ، عبد القادر بن عمر ، (ت1093هـ) ، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** ، تحقيق محمد نبيل طريفي وآخر ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1998 .

- ✓ البغوي ، عبد الله بن محمد ، (ت317هـ) ، **معجم الصحابة** ، تحقيق محمد الأمين الكويت : مكتبة دار البيان ، د . ت .

- ✓ البقاعي ، إبراهيم بن عمر ، (ت 885هـ) ، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1415 / 1995 .

- ✓ البكري ، عبد الله بن عبد العزيز ، أبو عبيد ، (ت478هـ) ، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** ، تحقيق مصطفى السقا ، ط3 ، بيروت : عالم الكتب ، 1403 .

- ✓ البلاذري ، أحمد بن يحيى ، (ت279هـ) ، **أنساب الأشراف** ، تحقيق محمد حميد الله ، مصر : دار المعارف ، د . ت .

- ✓ البلخي ، مقاتل بن سليمان بن بشر الأزدي ، (ت150هـ) ، **تفسير مقاتل ابن سليمان** ، تحقيق أحمد فريد ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1424 / 2003 .

- ✓ البيهقي ، إبراهيم بن محمد ، (ت458هـ) ، **المحاسن والمساوئ** ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مصر : دار المعارف ، 1380 / 1961 .

- ✓ أبو تمام ، حبيب بن أوس الظائي ، (ت 231هـ) ، **ديوان الحماسة** " **برواية أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي** " ، تحقيق أحمد حسن بسج ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1418 – 1998 .

✓ التنوخي ، عبد الباقي بن الحسن ، (ت487هـ) ، **القوافي** ، تحقيق عمر الأسعد وآخر ، ط1 ، بيروت : دار الإرشاد ، 1389 / 1970 .

✓ الثعالبي ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، (ت 429هـ) :

- **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب** ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط1 ، القاهرة : دار المعارف ، 1965 .
- **روضة الفصاحة** ، تحقيق محمد إبراهيم سليم ، القاهرة : مكتبة القرآن ، 1413 / 1993 .

✓ الثعلبي النيسابوري ، أحمد بن إبراهيم الثعلبي ، (ت 427هـ) ، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن** ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، 1422 .

✓ الجاحظ ، عمرو بن بحر ، (ت255هـ) :

- **البيان والتبيين** ، تحقيق فوزي عطوي ، ط1 ، بيروت : دار صعب ، 1968 .
- **الحيوان** ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت : دار الجيل ، 1416 / 1996 .
- **المحاسن والأضداد** ، ط2 ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، 1415 / 1994 .

✓ الجرجاني ، عبد القاهر ، (ت471هـ) ، **دلائل الإعجاز** ، ط2 ، القاهرة : شركة الطباعة الفنية، 1381 / 1961 .

✓ الجرجاني ، علي بن عبد العزيز ، (ت 392هـ) ، **الوساطة بين المتنبي وخصومه** ، القاهرة : مطبعة عيسى البابي وشركاه ، 1966 .

✓ ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن ، (ت 597هـ) ، **كشف المشكل من حديث الصحيحين** ، تحقيق علي حسين البواب ، الرياض : دار الوطن ، 1418 / 1997 .

✓ الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، (ت 392هـ) ، **الصحاح وتاج اللغة وصحاح العربية** ، تحقيق أحمد عبد الغفور ، ط4 ، بيروت : دار العلم للملايين ، 1987/1407 .

✓ ابن جني ، أبو الفتح بن عثمان ، (ت 392هـ) :
- **سر صناعة الإعراب** ، تحقيق حسين هنداوي ، ط1 ، دمشق : دار القلم ، 1985 .
- **المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة** ، دمشق : مطبعة الترقي ، 1348 .
- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** ، وزارة الأوقاف ، 1420/ 2000 .
- **مختصر القوافي** " **العروض ومختصر القوافي** " ، تحقيق فوزي سعد عيسى ، القاهرة : دار المعرفة الجامعية ، 2003 .

✓ ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، (ت354هـ) ، **الثقات** ، تحقيق شرف الدين أحمد ، ط1 ، بيروت : دار الفكر ، 1395 / 1975 .

✓ ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي البغدادي ، (ت245هـ) **المحبر** ، صححه إيلزة ليختن شتيتر ، بيروت : دار آفاق الجديدة ، د . ت .

✓ ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد ، (ت 852هـ) :
- **الإصابة في تمييز الصحابة** ، تحقيق علي محمد البجاوي ، بيروت : دار الجيل ، 1412 .
- **فتح الباري في شرح صحيح البخاري** ، تحقيق أحمد بن علي بن حجر ، بيروت : دار المعرفة ، 1379 .
- **نزهة الألباب في الألقاب** ، تحقيق عبد العزيز محمد صالح ، الرياض : مكتبة الرشد ، 1409 / 1989 .

- ابن أبي حديد ، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد المدائني المعتزلي ، (ت656هـ) ، **شرح نهج البلاغة** ، تحقيق محمد عبد الكريم النمري ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1418 / 1998 .

- الحريري ، القاسم بن علي ، (ت 516هـ) ، **درة الغواص في أوهام الخواص** ، تحقيق عرفات مطرجي ، بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، 1418 /1998 .

- ابن حزم الأندلسي ، علي بن أحمد بن سعيد ، (ت456هـ) ، **جمهرة أنساب العرب** راجعه وصححّه وضبط أعلامه لجنة من العلماء بإشراف الناشر ، ، ط3 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1424 /2003 .

- الحلي ، أبو البقاء هبة الله ، (ت القرن السادس الهجري) ، **المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية** ، تحقيق محمد عبد القادر خريسات ، وآخر ، الإمارات العربية المتحدة : مركز زايد للتراث والتاريخ ، 1420 / 2000 .

- ابن حمدون ، محمد بن الحسن بن محمد بن علي ، (ت 562هـ) ، **التذكرة الحمدونية** ، تحقيق إحسان عباس وآخر ، ط1 ، بيروت : دار صادر ، 1996 .

- الحميري ، محمد بن عبد المنعم ، (ت 900هـ) ، **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، تحقيق إحسان عباس ، ط2 ، بيروت : مؤسسة ناصر للثقافة ، 1980 .

- أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف ، (ت 745هـ) ، **تفسير البحر المحيط** ، بيروت : دار الفكر ، د . ت .

- ✓ الخالديان ، محمد بن هاشم (ت380هـ) و أبو عثمان سعيد بن هاشم (ت 391هـ) ، **الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين** ، تحقيق السيد محمد يوسف ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والنشر ، 1965 .

- ✓ ابن خرداذبة ، عبد الله بن عبد الله ، (ت 300هـ) ، **المسالك والممالك** ، بغداد : مكتبة المثنى، د . ت .

- ✓ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون المغربي ، (ت808هـ) ، **تاريخ ابن خلدون** ، بيروت : مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، 1399 / 1960 .

- ✓ الدار قطني ، أبو الحسن علي بن عمر ، (ت385هـ) ، **المؤتلِف والمختلِف** ، تحقيق موفق ابن عبد الله بن عبد القادر ، بيروت : دار المغرب الإسلامي ، 1406/ 1986 .

- ✓ ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري ، (ت 321هـ) :
  - **الاشتقاق** ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط3 ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، د . ت .
  - **جمهرة اللغة** ، ط1 ، بيروت : دار صادر ، 1345 .

- ✓ ابن أبي الدنيا ، عبد الله بن محمد بن عبيد ، (ت281هـ) ، **الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان**، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف ، ط1 ، عمان : دار البشير ، 1413 / 1993 .

- ✓ الدينوري ، أحمد بن مروان الدينوري المالكي ، (ت333هـ) ، **المجالسة وجواهر العلم**، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، البحرين ، لبنان : جمعية التربية الإسلامية ، دار ابن حزم ، 1419 .

- ✓ الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ، (ت 748هـ) ، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، ط1 ، بيروت : دار الكتاب العربي ، 1987/1407 .

- ✓ الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي ، (ت 606هـ) ، **مفاتيح الغيب** ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1421 / 2000 .

- ✓ أبو الربيع ، سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي ، (ت634هـ) ، **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء** ، تحقيق محمد كمال الدين ، ط1 ، بيروت : عالم الكتب ، 1417 .

- ✓ ابن رستة ، أحمد بن عمر ، (ت 330هـ) ، **الأعلاق النفيسة** ، بيروت : دار إحياء التراث ، د . ت .

- ✓ الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، (ت 1205هـ) ، **تاج العروس من جواهر القاموس** ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، د . ت .

- ✓ الزمخشري ، محمود بن عمر ، (ت 538هـ) :
  - **أساس البلاغة** ، بيروت : دار صادر ، دار بيروت ، 1385 /1965 .
  - **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار** ، تحقيق سليم النعيمي ، د . د ، د . ت .
  - **المستقصي من أمثال العرب** ، ط2 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1987 .

- ✓ ابن السراج ، محمد بن سهل بن السّراج النحوي ، (ت316هـ) ، **الأصول في النحو**، تحقيق عبد الحسين الفتلي ، ط3 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1988 .

- ابن سلام ، محمد بن سلام الجمحي ، (ت231هـ) ، **طبقات فحول الشعراء** ، قرأه وشرحه أبو فهد محمود محمد شاكر ، جدة : مطبعة المدني ، د . ت .
- السّمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور الميمي ، (ت 562هـ) ، **الأنساب** ، تحقيق عبد الله بن عمر البارودي ، دار الجنان ، د . ت .

- السمعاني ، منصور بن محمد بن عبد الجبار ، (ت489هـ) ، **تفسير القرآن** ، تحقيق ياسر إبراهيم وآخر ، الرياض : دار الوطن ، 1418 / 1997 .

- السمين الحلبي ، أحمد بن يوسف ، (ت 756هـ) ، **الدّر المصون في علم الكتاب المكنون** ، تحقيق أحمد محمد الخراط ، ط1 ، دمشق : دار القلم ، 1414 / 1994 .

- السهيلي ، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ، أبو الحسن الخثعمي، (ت581هـ) ، **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام** ، علق عليه ووضع حواشيه مجدي بن منصور بن سيد ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1418 / 1997 .

- سيبويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر ، (ت180هـ) ، **الكتاب** ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط3 ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، 1408 /1988 .

- ابن سيدة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي ، (ت 458هـ) ، **المخصص** ، تحقيق خليل بن إبراهيم جفال ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، 1417 /1996 .

- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، (ت911هـ) ، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** ، تحقيق فؤاد علي منصور ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1998 .

- الصاحب ابن عباد ، إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني ، (ت 385هـ) ، **المحيط في اللغة** ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، ط 1 ، بيروت : علم الكتب ، 1414 / 1994 .

- ✓ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ، (ت764هـ) ، **الوافي بالوفيات** ، باعتناء وداد القاضي ، ط2 ، دار فرانز شتايز تغارت ، 1411 /1991 .

- ✓ الصغاني ، الحسن بن محمد بن الحسن ، (ت650هـ) ، **العباب الزاخر واللباب الفاخر** ، تحقيق أحمد حسن آل ياسين ، العراق : دار الرشيد للنشر ، 1981 .

- ✓ الطبراني ، سليمان بن أحمد ، (ت 360هـ) ، **معجم الصحابة** ، ط2 ، تحقيق وتخريج حمدي عبد المجيد السلفي ، د . د ، د . ت . رقم الحديث 1238 .

- ✓ الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد ، أبو جعفر ، (ت 310هـ) :
  - **تاريخ الأمم والملوك** ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1407 .
  - **جامع البيان في تأويل القرآن** ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1420 / 2000 .

- ✓ الطرطوشي ، أبو بكر ، ت(520هـ) ، **سراج الملوك** ، بيروت : دار صادر ، 1995 .

- ✓ الطيبي ، الإمام شرف الدين ، (ت 743هـ) ، **التبيان في البيان** ، تحقيق عبد الستار زموط ، بيروت : دار الجيل ، 1996 .

- ✓ ابن عادل ، عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي ، (ت 880هـ) ، **تفسير اللباب** ، بيروت: دار الكتب العلمية ، د . ت .

- ✓ ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، (ت 328هـ) :
  - **العقد الفريد** ، شرحه وضبطه وصححه أحمد أمين وآخران ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1385 / 1965 .

- **العقد الفريد** ، تحقيق أحمد أمين وآخران ، ط2 ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1381 / 1962 .

✓ أبو عبد الله البصري ، محمد بن سعد أبو عبد الله البصري ، (ت 230هـ) ، **الطبقات الكبرى** ، تحقيق إحسان عباس ، ط1 ، بيروت : دار صادر ، 1968 .

✓ أبو عبيدة ، معمر بن المثنّى التيمي البصري ،(ت209هـ) :

- **أيام العرب قبل الإسلام** ، جمع وتحقيق ودراسة عادل جاسم البياتي ، ط1 ، بيروت : عالم الكتب ، 1424 / 2003 .
- **مجاز القرآن** ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، د . ت.
- **النقائض** ، وضع حواشيه خليل عمران المنصور ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1419 / 1998 .

✓ العبيدي ، محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد ، (ت702هـ) ، **التذكرة السعدية في الأشعار العربية** ، تحقيق عبد الله الجبوري ، ليبيا ، تونس : الدار العربية للتراث ، د . ت .

✓ العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل ، (ت 395هـ) :

- **الأوائل** ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1407 /1987 .
- **جمهرة الأمثال** ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وآخر ، ط2 ، بيروت : دار الفكر ، 1988 .

✓ ابن عطية الأندلسي ، عبد الحق بن غالب بن عطية ، (ت 546هـ) ، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1422 / 2001 .

✓ العلوي ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني ، (ت 749هـ) ، **الطراز** ، بيروت : دار الكتب العلمية ، د . ت .

- ✓ أبو عمرو الشيباني ، (ت206هـ) ، **كتاب الجيم** ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، القاهرة : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، 1394 / 1974 .

- ✓ عنترة بن شداد ، (ت608م) ، **الديوان** ، بيروت : دار صادر ، دار بيروت ، 1377 / 1958 .

- ✓ ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا ، (ت 395هـ/369هـ) ، **معجم مقاييس اللغة** ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت : دار الفكر ، 1399 / 1979 .

- ✓ أبو الفداء ، عماد الدين بن إسماعيل ، (ت 732هـ) ، **المختصر في أخبار البشر** " **تاريخ أبي الفداء** " ، بيروت : دار المعرفة ، د . ت .

- ✓ الفراهيدي ، الرحمن الخليل بن أحمد ، (ت 170هـ) :
  - **الجمل في النحو** ، تحقيق فخر الدين قباوة ، ط5 ، د . د ، د . ت .
  - **العين** ، تحقيق مهدي المخزومي وآخر ، دار مكتبة الهلال ، د . ت .

- ✓ الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، (ت817هـ) ، **القاموس المحيط** ، ط1 ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، 1412 / 1991 .

- ✓ القالي ، إسماعيل بن القاسم ، (ت 356هـ) ، **الأمالي** ، لبنان : منشورات دار الحكمة ، د . ت.

- ✓ ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم الدينوري ، (ت276هـ) :
  - **أدب الكاتب** ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط4 ، مصر : المكتبة التجارية ، 1963 .

- **الإمامة والسياسة** ، تحقيق خليل المنصور ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1418 / 1997.
- **الشعر والشعراء** ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة : دار الحديث ، 1432 / 2003 .
- **عيون الأخبار** ، المؤسسة المصرية العامة لتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، د . د ، د . ت .
- **المعارف** ، تحقيق ثروت عكاشة ، ط2 ، مصر : دار المعارف ، د . ت .
- **المعاني الكبير** ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، د . ت .

✓ قدامة بن جعفر ، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد ، (ت337هـ) ، **نقد الشعر** ، تحقيق كمال مصطفى ، ط3 ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، 1398 / 1978 .

✓ القرطاجني ، حازم ، (ت684هـ) ، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ، تحقيق محمد الحبيب بن خرجة ، تونس : دار الكتب الشرقية ، 1969 .

✓ القرطبي ، الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ، (ت671هـ) ، **الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي** – ، تحقيق أحمد البردوني وآخر ، ط2 ، القاهرة : دار الكتب المصرية ، 1384 /1964 .

✓ القزويني ، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر ، (ت 734هـ) ، **الإيضاح في علوم البلاغة** ، ط4 ، بيروت : دار إحياء التراث ، 1998 .

✓ القلقشندي ، أحمد بن علي ، ت(765هـ) ، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** ، تحقيق يوسف علي الطويل ، دمشق : دار الفكر ، 1987 .

✓ القيرواني ، أبو علي الحسن بن رشيق ، (ت 456هـ) :

– **العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده** ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، بيروت : المكتبة العصرية ، 1424 / 2004 .

– **العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده** ، تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان ، ط1 ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، 1420 / 2000 .

✓ ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ، (ت751هـ) ، **زاد المعاد في هدي خير العباد** ، ط27 ، بيروت ، الكويت : مؤسسة الرسالة ، مكتبة المنار الإسلامية ، 1415 / 1994.

✓ ابن كثير ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، (ت774هـ) :

– **البداية والنهاية** ، تحقيق علي شيري ، ط1 ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، 1408/ 1988 .

– **تفسير القرآن العظيم** ، تحقيق سامي محمد سلامة ، ط2 ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، 1420 / 1999 .

– **السيرة النبوية** ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، 1396 /1971 .

✓ الكلبي ، هشام بن محمد السائب ، (ت204هـ) ، **نسب معد واليمن الكبير** ، تحقيق ناجي حسن ، ط1 ، بيروت : عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، 1408 / 1988 .

✓ ابن ماكولا ، الأمير الحافظ ، **الإكمال ورفع الارتياب عن المؤتلِف والمختلِف في الأسماء والكنى والألقاب** ، القاهرة : دار الكتاب الإسلامي ، د . ت .

✓ المبرد ، محمد بن يزيد ، (ت285هـ) ، **الكامل في اللغة والأدب** ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط3 ، القاهرة : دار الفكر العربي ، 1417 /1997 .

✓ المرزباني ، محمد بن عمران ، (ت384هـ) :

- **معجم الشعراء** ، صححه وعلق عليه ف . كرنكو ، ط1 ، بيروت : دار الجيل ، 1991/1411 .
- **معجم الشعراء** ، تحقيق عباس هاني الجراح ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 2010 .

✓ المرزوقي ، أحمد بن محمد بن الحسن ، (ت421هـ) ، **شرح ديوان الحماسة** ، نشره أحمد أمين وآخران ، ط2 ، القاهرة : مكتبة التأليف والترجمة والنشر ، 1387 / 1967 .

✓ المسعودي ، علي بن الحسين بن علي ، (ت346هـ) :

- **التنبيه والإشراف** ، ليدن ، مطبعة بريل ، 1393 .
- **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، تحقيق محمد محيي عبد الحميد ، ط5 ، بيروت : دار الفكر ، 1393 / 1973 .

✓ ابن مسكويه ، أحمد بن محمد ، (ت321هـ) ، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم** ، تحقيق أبو القاسم إمامي ، د . د ، د . ت .

✓ مسلم ، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، (ت261هـ) ، **صحيح مسلم** ، بيروت: دار الجيل ، دار الجيل الجديدة ، د . ت .

✓ المقري ، أحمد بن محمد المقري التلمساني ، (ت1041هـ) ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت : دار صادر ، 1968 .

✓ ابن منظور ، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي ، (ت711هـ) ، **لسان العرب** ، ط1 ، بيروت : دار صادر ، د . ت .

- ✓ الميداني ، أحمد بن محمد ، (ت518هـ) ، **مجمع الأمثال** ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت : دار المعرفة ، د . ت .

- ✓ النابغة الذبياني ، (ت604 م) ، **ديوان السفيرين** ، شرح يوسف شكري فرحات ، ط1 ، بيروت: دار الجيل ، 1412 / 1992 .

- ✓ ابن ناصر الدين ، محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي ، (ت842هـ) ، **توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم** ، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1993 .

- ✓ النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، ت(733هـ) ، **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، تحقيق مفيد قمحية وجماعة ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1424 / 2004 .

- ✓ الهاشمي ، زيد بن عبد الله بن رفاعة ، (ت373هـ) ، **الأمثال** ، دمشق : دار سعد الدين ، 1423 .

- ✓ ابن هشام الأنصاري ، جمال الدين أبو محمد بن يوسف ، (ت 761هـ) ، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** ، تحقيق مازن المبارك وآخر ، ط6 ، بيروت : دار الفكر ، 1985 .

- ✓ ابن هشام الحميري ، عبد الملك بن هشام بن أيوب ، (ت 213هـ) ، **السيرة النبوية** ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، ط1 ، بيروت : دار الجيل ، 1411 .

- ✓ ابن الوردي ، زين الدين عمر بن المظفر ، ت (749هـ) :
  - **تاريخ ابن الوردي** ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1417 / 1996 .

- **تاريخ ابن الوردي** ، النجف : منشورات الطبعة الحيدرية ، 1389 / 1969 .

✓ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ، (ت 287هـ) ، **تاريخ اليعقوبي** ، بيروت: دار صادر ، دار بيروت ، 1379 / 1960 .

✓ اليمني ، محمد بن الحسين بن عمر ، **مضاهاة أمثال كليلة ودمنة** ، تحقيق محمد يوسف نجم ، بيروت : دار الثقافة ، د . ت .

ثانيا – المراجع .

- ✓ الألباني ، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح ، ، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة** ، ط1، الرياض : دار المعارف ، 1412 / 1992 .

- ✓ أنيس ، إبراهيم ، **موسيقا الشعر** ، ط 5 ، د . د ، د . ت .

- ✓ بكار ، يوسف حسين ، **بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث** ، بيروت : دار الأندلس ، د . ت .

- ✓ الجبوري ، يحيى ، **الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه** ، ط2 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1399 / 1979 .

- ✓ الجندي ، علي ، **شعر الحرب في العصر الجاهلي** ، القاهرة : دار الفكر العربي ، 1989 .

- ✓ الحاوي ، إيليا ، **فن الوصف وتطوره في الشعر العربي** ، ط3 ، بيروت : منشورات دار الكتب اللبنانية ، 1980 .

- ✓ حسين ، عبد القادر ، **فن البلاغة** ، مصر : مكتبة الأمانة ، د . ت .

- ✓ الحسين ، قصي ، **شعر الجاهلية وشعراؤها** ، طرابلس : المؤسسة الحديثة للكتاب ، د . ت .

- ✓ حسين ، محمد محمد:

– **أساليب الصنعة في شعر الخمر والأسفار بين الأعشى والجاهليين** ، بيروت : دار النهضة العربية ، 1972 .

- **شرح ديوان الأعشى الكبير** ، ط7 ، [منقحة ومصححة] ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1403 / 1983 .

✓ الدراويش ، حسين أحمد علي أبي كتة ، **سلسلة بلاغتنا " العمدة في علوم البلاغة العربية "** ، ط1 ، القدس : مكتبة دار الفكر ، 1429 / 2009 .

✓ الدهان ، سامي ، **المديح** ، ط5 ، القاهرة ، دار المعارف ، د . ت .

✓ دهمان ، أحمد علي ، **النقد العربي القديم " قضايا نظرية ودراسات تطبيقية "** ، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ، 2002 .

✓ زايد ، علي عشري ، **عن بناء القصيدة العربية الحديثة** ، القاهرة : دار فصحى ، 1978 .

✓ زيدان ، جرجي ، **العرب قبل الإسلام** ، بيروت : دار مكتبة الحياة ، د . ت .

✓ السامرائي ، إبراهيم ، **لغة الشعر بين جبلين** ، ط2 ، بيروت : المؤسسة العربية للدّراسات والنشر ، 1980 .

✓ الشايب ، أحمد ، **أصول النقد الأدبي** ، د . د ، د . ت .

✓ صفوت ، أحمد زكي ، **جمهرة خطب العرب** ، بيروت : المكتبة العلمية ، د . ت .

✓ ضيف ، شوقي :

- **تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي –** ، مصر : دار المعارف ، د . ت .
- **في النقد الأدبي** ، ط3 ، القاهرة : دار المعارف ، د . ت .

- ✓ طبانة ، بدوي ، **البيان العربي** ، ط3 ، القاهرة : مكتبة الإنجلو المصرية ، 1962 .
- ✓ عباس ، فضل ، **البلاغة فنونها وأفنانها " علم البيان والبديع** " ، عمان : دار الفرقان ، 1407 / 1987 .
- ✓ عبد الرحمن ، عفيف ، **معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين** ، دار العلوم للطباعة والنشر ، د . ت .
- ✓ عبد الله ، محمد حسن ، **الصورة والبناء الشعري** ، القاهرة : دار المعارف ، د . ت .
- ✓ عتيق ، عبد العزيز ، **علم العروض والقافية** ، ط1 ، القاهرة : دار الآفاق العربية ، 1427 / 2006 .
- ✓ العشماوي ، محمد زكي ، **قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث** ، بيروت : دار النهضة ، 1979 .
- ✓ علي ، جواد ، **المُفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ، ط4 ، دار الساقي ، 1422 / 2001 .
- ✓ فخر الدين ، جودت ، **شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى القرن الثامن الهجري** ، ط2 ، بيروت : دار المناهل ، 1415 / 1995 .
- ✓ فرانسيس ، إيليا ، **الشعر العربي المغنى** ، 1890 م – 1990م " دراسة تحليلية لموسيقى الشعر" ، ط1 ، دمشق : دار قدمس ، 2000 .
- ✓ القماش ، عبد الرحمن بن محمد ، **الحاوي في تفسير القرآن الكريم** ، د . د ، 2009 .

- ✓ المجدوب ، عبد الله الطيب ، **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصنعتها** ، ط1 ، القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ، 1955 .

- ✓ محمد ، إبراهيم عبد الرحمن ، **الشعر الجاهلي " قضاياه الفنية والموضوعية "** ، بيروت : دار النهضة العربية ، 1400 / 1980 .

- ✓ مناع ، هاشم صالح ، **الأدب الجاهلي** ، ط1 ، بيروت : دار الفكر العربي ، 2005 .

- ✓ مندور ، محمد ، **الأدب وفنونه** ، القاهرة : دار نهضة مصر ، 1974 .

- ✓ هدارة ، محمد مصطفى :
  - **الأدب العربي في العصر الجاهلي** ، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1985 .
  - **الشعر العربي " من الجاهلية حتى نهاية القرن الأول الهجري ، النشأة والتطور "** ، ط1 ، الإسكندرية : دار المعارف ، 1401 / 1981 .

- ✓ يوسف ، حسني عبد الجليل ، **التمثيل الصوتي للمعاني " دراسة نظرية وتطبيقية في الشعر الجاهلي "** ، ط1 ، القاهرة : الدار الثقافية ، 1418 / 1998 .

- ✓ يونس ، علي ، **النقد الأدبي وقضايا الشكل الموسيقي في الشعر الجديد** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1985 .

ثالثا – الرَّسائلُ الجامعيَّةُ

- ✓ رسالة ماجستير ، الطميزي ، ناصر بن أحمد ، **الشعر الجاهلي في أرض العجم " جمع وتوثيق ودراسة "** ، رسالة ماجستير ، إشراف الدكتور عبد المنعم الرّجبي ، جامعة الخليل ، 2010 .

الفهارس الفنية

- فهرس الأعلام .
- فهرس القبائل والأقوام .
- فهرس الأماكن .
- فهرس الشعراء والأشعار .
- فهرس المحتويات .

فهرس الأعلام

اسم العَلَم	رقم الصفحة
الأسود بن شريك	187
الأصم (بكير)	234 / 189
الأضجم الضبي	235
الأعشى (ميمون بن قيس)	234 / 189
بنات طارق	251
حاصن ربعية	205
ابنا حذيَمِ	225
ابنا حُلام	225
ابن حلّزة	221
حنظلة بن سيّار	248 / 234
الدُّعاء (التي بكى عليها مفروق بن عمرو)	241
ابنا ربيعة	223
زهير (الّذي بكى على النعمان بن زرعة)	217
ابنا سنان السّدوسيّ	231
ابنا شعثم	224
عمرو بن زُرعة	222
عمرو بن قيس	208 / 207
عمرو بن المنذر	221
ابنا قبيصة	187
قيس بن مسعود	241 / 195 / 194 / 185

كسرى (أبرويز بن هرمز)	234 / 190 / 186
أبو كلبة التّيمي	189
ليلى (حبيبة قيس)	230
محمد (النبي – صلى الله عليه وسلم)	215
المرزوبان	221
المَلكين	198
النعمان بن زُرعة	237 / 217 / 215
النُعمان بن المنذر	249
الهامرز (من ملوك العجم)	239 / 215 / 201 / 200 / 185 / 184 / 183
هيثم بن جرير الذّهلي	231
ابن وعلة	231
يزيد بن حارثة	221

فهرس الأقوام والقبائل

اسم القبيلة أو القوم	رقم الصفحة
الأساوره	216 / 243
أصحاب البراذين	242
أنباط السّواد	240
بني أم الرّواع	225
إياد	188 / 242
بكر	191 / 192 / 209 / 210 / 229 / 238
حُبيِّب	224
بنو الأحرار	185 / 199 / 207
ذهل بن شيبان	182 / 201 / 202 / 219 / 224 / 231 / 234
ربيعة	206
بنو شيبان	185 / 189 / 196 / 214 / 227 / 245
بنو عامر	188
بنو عبس	191
بنو عجل	203 / 234 / 252
بنو الفدّام	207
كنانة	217
لخم	242
اللهازم	224 / 234
محلّم	206 / 223

مرة	223
معد	191
بنو همام	206
وائل	221 / 194 / 188
يشكر	224

فهرس الأماكن

المكان	رقم الصفحة
أعطان ذي قار	239
إيوان كسرى	232
البطحاء	183
بيوت نبيطة	188
تكريت	188
جبل الأمرار	196
جبال اللّوب	239
الحافرة	244
حنو ذي قار	197 / 190 / 185 / 183
ذات العجرم	222
ذو قار	249 / 234 / 208 / 191 / 185
شآم (ناحية الشام)	207
الطّف	230
عانة	187
عرصة دار كسرى	234
الفرات	187
الكثيب	201
معرق (ناحية العراق)	207

فهرسُ الشُّعراء والأشعار

الشاعر	كلمة القافية	المجرى	البحر	عدد الأبيات / الأشطر	الصَّفحة
الأعشى	قلّتِ	خفض	الطويل	18	185 – 182
	شُرّدا	نصب	الكامل	18	189 – 186
	أشرارِ	خفض	البسيط	2	189
	الخسارِ	خفض	الوافر	2	189
	فانصرفوا	رفع	البسيط	18	193 – 190
	وائلُ	رفع	الطويل	13	197 – 194
	التأما	نصب	مجزوء الكامل	26	202 – 198
الأغلب العجلي	مقبلينا	نصب	الرجز	3	203
إياس بن قبيصة	لاتباعها	خفض	الطويل	4	205
بكير بن الأصم	همّامِ	خفض	الكامل	8	208 – 206
	يقدمُ	رفع	الطويل	2	208
حرقة بنت النعمان	بعنقفيرِ	خفض	الوافر	6	209
	نتنصفُ	رفع	الطويل	2	212
حنظلة بن سيار	جلْدُ	رفع	الرَجز	6	214
	محمدِ	خفض	الطويل	2	215
	الفُرسا	نصب	الرّجز	1	216
	نادره	رفع	الرّجز	3	216

	المقدَّما	نصب	الطويل	2	217
الحوفزان بن شريك	جناحا	نصب	الطويل	1	218
الدّيان بن جندل	شيبانا	نصب	البسيط	2	219
سويد بن أبي كاهل	المسهّرُ	رفع	الطويل	5	221
عمرو بن الأسود	العجرم	خفض	الكامل	16	225– 222
عمرو بن جبلة	برقْ	وقف	الرّجز	2	226
ابنة القرين الشيبانية	القلفْ	وقف	الرّجز	1	227
قيس بن مسعود	مشاربُ	رفع	الطّويل	2	228
	وائلِ	خفض	الطّويل	9	230 – 229
	مكاني	خفض	الوافر	5	232 – 231
أبو كلبة التيمي	بمنشارِ	خفض	البسيط	8	234 – 233
المُرار بن سلامة	رقيقِ	خفض	الوافر	4	236 – 235
مرثد بن الحارث	محجمُ	رفع	الطّويل	2	237
مرداس بن عامر السلمي	الدّارِ	خفض	البسيط	5	239 – 238
مفروق بن عمرو الشيباني	فوارسي	خفض	الطّويل	3	241 – 240
أبو المهرِّش	البراذينِ	خفض	البسيط	1	242
أخو نُهم	الأساوره	رفع	مشطور الرّجز	5	244 – 243
يزيد بن حمار	النارُ	رفع	البسيط	4	246 – 245
يزيد بن المكسر	نديمهِ	خفض	الرّجز	3	248 – 247
أحد شعراء ربيعة	جانبُه	رفع	الطّويل	3	249

امرأة من بني عجل	النمارقْ	وقف	مشطور الرّجز	4	251
	عجلْ	وقف	الرّجز	1	252

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الإقرار	أ
الشّكر .	ب
الملخّص بالعربيّة .	ت
Abstract	ث
المقدِّمَة .	ج
الفصل الأول – أحداث يوم ذي قار .	**50 – 1**
المبحث الأول : دوافع يوم ذي قار .	**23 – 3**
أولا – العداء بين كسرى والنّعمان بن المنذر .	8 – 3
ثانيا – استجارة النعمان بالقبائل العربيّة وإيداعَه أدرعه في بني شيبان .	13 – 9
ثالثا - هلاك النعمان وامتناع الشيبانيين عن دفع الأدرع لكسرى .	17 – 13
رابعا – سجن كسرى قيسَ بن مسعود الشّيباني ثم قتلُهُ .	21 – 17
خامسا – إغارة الشيبانيين على سواد فارس .	23 – 22
المبحث الثاني – الاستعداد للمعركة .	**35 – 24**
أولا – دور أشراف الحيرة والقبائل العربية في التخطيط للمعركة .	27 – 24
ثانيا – تخيُّر ذي قار موقعا للمعركة .	29 – 28
ثالثا – استعداد الشيبانيين نفسيا وماديا .	35 – 29
المبحث الثالث – بداية المعركة ومجرياتها .	**50 – 36**
أولا– انسحابُ الإياديين وجموع من العرب وأثره في إضعاف الفرس .	39 – 36

ثانيا – التحام الفريقين .	45 – 39
ثالثا – نهاية المعركة .	50 – 45
الفصل الثاني : شعر يوم ذي قار في العصر الجاهلي " دراسة موضوعية "	**86 – 51**
المبحث الأول – الفخر .	**58 – 52**
أوّلا – الفخر بالقومِ والجماعةِ	57 -53
ثانيا – الفخر بالذَّات .	58 – 57
المبحث الثاني – الوصف .	**63 – 59**
المبحث الثالث – التهديد والوعيد .	**67 – 64**
المبحث الرّابع – التّحريض .	**71 – 67**
المبحث الخامس – الهجاء .	**75 – 72**
المبحث السّادس – التحذير والوصية .	**79 – 76**
المبحث السّابع – الرِّثاء .	**83 – 79**
المبحث الثامن – المدح .	**86 – 83**
الفصل الثّالث – شعر يوم ذي قار في العصر الجاهليّ " دراسة فنيّة " .	**177 – 87**
المبحث الأوَّلُ – بناءُ القَصيدَةِ .	**92 - 89**
أولا – المَطلعُ .	96 – 92
ثانيا – المُقدِّمَةُ .	100 - 97
ثالثا – التَّخلُّصُ .	104 - 100
رابعا – الخاتِمَةُ .	107 – 104

المبحث الثّانِي – اللغة والأسلوب .	**140 – 108**
أوّلا – اللفظ والمعنى .	115 - 109
ثانيا – التّبليغ والإخبار .	118 - 115
ثالثا – التّرادف .	121 - 118
رابعا – الشّرط .	125 - 122
خامسا – الجناس .	128 – 125
سادسا – الطّباق .	130 – 128
سابعا – الأمر والنّهي .	133 – 131
ثامنا – الاستفهام .	136 - 133
تاسعا – القَسم .	138 - 136
عاشرا – التّمني .	140 - 138
المبحث الثّالث – الموسيقا :	**164 – 141**
أوّلا – الموسيقا الخارجيّة :	159 - 143
أولا – الوزن .	146 – 143
ثانيا – القافية .	159 – 147
• **عيوب القافية**	**159 -153**
1– الإيطاء	156 - 153
2 – السّناد	157 – 156
3 – التضمين	158 – 157
4– الإقواء	159 – 158

ثانيا – الموسيقا الدّاخلية .	164 – 160
أولا– تَكرار الكلمات .	163 – 161
ثانيا – تكرار الحروف .	164 – 163
المبحث الرَّابع – الصّورة الشّعرية .	**177 – 165**
أولا – التشبيه .	169 – 166
ثانيا – الاستعارة .	172 – 169
ثالثا – الحقيقة والمجاز .	174 – 172
رابعا – الكناية .	177 – 175
– شعر يوم ذي قار في العصر الجاهلي " جمع و توثيق " .	**252 – 178**
الخاتمة .	254 – 253
ثبت المصادر والمراجع .	275 – 255
الفهارس الفنية .	288 – 276
– فهرس الأعلام .	278 - 277
– فهرس الأقوام والقبائل	280 - 279
– فهرس الأماكن .	281
– فهرس الشُّعراء الأشعار .	284 – 282
– فهرس المحتويات .	288 – 285